

مجلة ثقافية شهرية - العدد (232) - شوال 1416 هـ - فبراير / مارس 1996م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE (232) FEB./MAR. 1996

توني موريسون
وجغرافيا النقد

نظرات
في غرس القيم

لماذا يخافون
ركوب الطائرة



القدس

ملف العدد

عربية إسلامية

التفهيم لأوائل صناعة التنجيم

لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة 440هـ / 1048م.

كتاب في الفلك تحدث فيه المؤلف عن الكواكب الثابتة والسيارة، والليل والنهار والقمر والشمس والأرض والبحار، وقياسات المسافات والارتفاع وكسوف الشمس، وغير ذلك من الموضوعات الفلكية الأخرى.

زود المؤلف كتابه برسومات فلكية متعددة ومتنوعة، بالإضافة إلى بعض الجداول التوضيحية. وهي مكتوبة بخط الرقاع على ورق سميك في القرن الخامس الهجري.

وتعد هذه المخطوطة ذات دلالة واضحة على مدى تأثر الأوربيين بالحضارة الإسلامية، واهتمامهم بالتراث العربي الإسلامي واعتمادهم عليه في بناء حضارتهم، ويظهر ذلك من خلال التعليقات المدونة حول النص باللغة اللاتينية.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 2376





في العدد القادم:

- الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية.
- اللغة القصصية والحضور الشعري.
- الوقوع في دائرة السحر!



إصدار ملحق سنوي

كل التحية والشكر نوجهها لأعضاء أسرة تحرير مجلة الفيصل، التي هي بحق مفخرة لكل عربي مسلم.

وأساند المهندس تامر عبداللطيف إدريس من حمص، سورية، في اقتراحه الرائع بإهداء ملحق سنوي يحوي الموضوعات التي تنشرونها في باب «الطريق إلى الله» مهما كان الثمن؛ حيث إن امتلاك المسلم لهذا الملحق سيكون من دواعي فخره واعتزازه بدينه الحنيف، وخصوصا القراء الذين فاتهم الكثير في الأعداد السابقة لهذه المجلة المفيدة.

ولكم السلام من أرض دمشق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسام الجيرودي
ص.ب 4709، دمشق، سورية

«الفيصل» في زنجبار

أعداد الفيصل تنفد سريعًا في مدينة زنجبار، أرجو أن تجروا اللازم حيال توفيرّها، بنسخ كافية، بحجم الطلب المتزايد عليها من القراء.. ولا أخفي عليكم، أن كثيرًا من القراء الشبان الذين لايتوافر لديهم دخل ثابت، يتطلعون إلى معاملة من نوع خاص وعليكم أن تبتوا في هذا الأمر.

لا أدري كيف؟ قد يكون بتخفيض السعر، رغم أن سعر الفيصل لايُوازَن بالنظر إلى أسعار مطبوعات أخرى أقل شأنًا منها.

أحمد محمد علي
زنجبار ،محافظة أبين، اليمن

ماذا عن يهود الشتات ؟

إنني من المتابعين لمجلتكم الراقية، أترقب صدورها في كل شهر بفارغ الصبر، وأجدُ فيها مالذَّ وطاب من عُصارات الفكر والعلم والأدب والفنون وما إلى ذلك.

لكن مقالات د. حسن ظاظا المتتالية تستهويني جدًا، فللّه درُّ هذا الكاتب العالم المفكر.. إنني أرجو أن ترفعوا للدكتور ظاظا هذا الرجاء:

لقد أشرتم عدةَّ مرات في مقالاتكم إلى تاريخ اليهود القديم، وقبيل اضمحلال وجودهم النهائي في فلسطين في عصر المسيح عليه السلام. لذا نرجو منكم كتابة عدة مقالات في موضوع يهود الشتات وتاريخهم، خصوصًا في أوربا، وتقبلوا تحياتي وإعجابي.

محمد سعيد المنصور
جدة، ص.ب 2895

التوازن الفكري

إنكم، باهتمامكم بالقراء والكتاب، تحركون فيهم الرغبة في مواصلة الكتابة إلى «الفيصل»، وتحافظون على العلاقة النبيلة القائمة بين مجلتنا وبين قرائها وكتابها. لاحظت ـ كما لاحظ غيري ـ أن «الفيصل» ربما هي المجلة الوحيدة التي تجعل الكاتب على صلة دائمة بالمادة التي يرسلها إلى المجلة.. فبمجرد وصول المادة يحاط صاحبها علمًا، وتظل المتابعة مستمرة إلى أن يبلَّغ بموعد النشر أو الاعتذار إذا لم تكن المادة مطابقة للمواصفات من حيث الجودة وعمق الفكر والتناول، وخدمة مبدأ التوازن الفكري الذي تنتهجه «الفيصل».

والحق يقال إن تواجدكم على رأس تحرير هذه المجلة أعطى دفعة قوية لتطويرها، والرفع من مستواها الثقافي والفكري، وفق منهج عمل وتفكير علمي سليم. فتحية محبة ووفاء لكم.

مصطفى بلمشري بن تاجروني
خميس مليانة، الجزائر

إعجاب وليس إطراء

لكم يسرني كقارئ عربي أن أنقل إليكم الاعتبار والتقدير لهذه المجلة الرائدة «الفيصل»، التي هي في الواقع وجبة دسمة تطل على القارئ العربي في مطلع كل شهر، زاخرة بصنوف معرفية شتى، ومهما قلت في «الفيصل» فهو ليس على سبيل الإطراء أو المبالغة؛ وإنما هو الإعجاب بهذا الفكر المتفتح المتجدد الذي أجده اليوم في صفحات العدد الأخير من السنة التاسعة عشرة، والذي يرافقه «كشاف الفيصل» هدية من دار الفيصل الثقافية لكل قارئ في الوطن العربي الإسلامي.

المعز بن محفوظ علي
بوساطة التاجر الحاج صادق المناعي
3131 شارع بيت الحكمة، المنصورة، القيروان، تونس

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

القدس

إطلالة



عُرفت فلسطين منذ أقدم العصور بأرض كنعان، كما سُمِّيَت القدس باسم يبوس. والكنعانيون واليبوسيون عرب أقاموا في هذه المنطقة قبل غيرهم، وأسسوا فيها مدنية وحضارة زاهرة، ومن ثم فإنهم يعدون سكانها الأصلاء؛ إذ لم يغادروها في يوم من الأيام، مع ماتعرضوا له من اضطهاد وقتل وتشريد في أزمنة مختلفة من التاريخ. فالناطقون بالعربية - في رأي عالم الأجناس الأسكتلندي جيمس فريزر - «من فلاحي فلسطين هم من ذريات القبائل التي استوطنتها قبل الغزوة الإسرائيلية، وأنهم مازالوا متصلين بالأرض لم ينفكوا عنها، ولم يُقتلعوا منها، وإن طغت عليهم الفتوح موجات، فإنهم ثبتوا وأقاموا».

وقد أكسب هؤلاء العرب القدس - بإنشائهم لها وإقامتهم الدائمة فيها - شخصيتها العربية التي ثبتت على مر العصور، برغم ماتعرضت له من متغيرات كبيرة جدًا قلّ أن تعرضت لها مدينة غيرها، وذلك لما تتميز به من موقع ممتاز وخصائص جغرافية ومناخية جعلتها مركزًا للجذب، إضافة إلى أنها كانت موطنًا لرسالة التوحيد التي بعث بها الله أنبياءه، كل ذلك أهّلها لتكون موقعًا لحوار الحضارات المختلفة وصراعاتها، ومحلاً لاختبارات متعددة ومتنوعة أرادها الله لها، ولكنها مع تعرضها لغزو الطامعين من مختلف الأجناس والملل، الذين حاول كثيرون منهم محو شخصيتها العربية التي أكسبها إياها بُناتُها ومنشؤوها من الكنعانيين واليبوسيين العرب؛ إلا أنها ظلت تحتفظ بروحها العربية، مجسدة في كل ركن من أركانها، وتحملت كل تغيير في إطار هذه الروح التي لم تنطفئ جذوتها قط في يوم من الأيام، بما لها من عمق ثقافة، وعراقة تاريخ، وبرغم مالدى هؤلاء الغزاة من حضارات قوية. فالفرس حين غزوها، جعلوا لغتهم الفارسية اللغة الرسمية، ومع ذلك كانت التجارة والمعاملات تتم باللغة الآرامية التي كانت لغة رجل الشارع، وكذلك كان الحال في المرحلتين الهيلينية والبيزنطية، إلا أن الوضع تغير إزاء التأثير الإسلامي؛ إذ أصبحت اللغة العربية لغة رسمية ولغة للتعامل اليومي بين أوساط العامة، ذلك أن اللغتين الآرامية والعربية من أرومة واحدة، فلم يجد السكان صعوبة في التحول إلى اللغة العربية التي بدت لهم أكثر ثراء، كما لايُستغرب هذا التأثير الكبير للحضارة الإسلامية في تاريخ القدس، لأن المسلمين حين دخلوها لم يكونوا غزاة معتدين، فالخليفة عمر بن الخطاب - كما يقول الصحفي الفرنسي جورج مونتارون - «لم يدخل القدس دخول الفاتحين المنتصرين، بل فعل ذلك مرتديًا ثوبًا عتيقًا من وبر الجمل، ورفض أن يصلي العصر في الكنيسة احترامًا منه لأماكن العبادة المسيحية.. ووجد سكان القدس حياتهم المطمئنة في ظل الحكم العربي الجديد، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم». والعهد الذي أعطاه الفاروق لنصارى القدس جسّد التسامح الإسلامي، ذلك التسامح الذي افتقدته القدس في ظل حكم الغزاة من الأمم المختلفة، الذين تركز اهتمامهم على الإنجاز المادي والتسيُّد دون النظر إلى المفاهيم والقيم الإنسانية التي تعلي من شأن الإنسان، وتجعله محورًا للحياة، وترمي إلى إعلاء شأنه من خلال ترسيخ قيم سامية في وجدانه، تكون أساسًا لسلوكه وأفعاله في سعيه الدؤوب لإعمار الأرض. وهذا الجانب المفتقد في تلك الحضارات يمثل أكثر الجوانب أهمية في المفهوم الإسلامي، مما أعطى الحضارة الإسلامية زخمها وقوة تأثيرها، الأمر الذي كان عاملا مهما في نشر الإسلام وسط أمم عميقة الثقافة وعريقة الحضارة. وقد عرف أهل القدس هذا التسامح عن المسلمين، ويستشف ذلك من إصرار البطريرك صفرونيوس على قدوم الخليفة عمر بن الخطاب إلى القدس حتى يسلمه مفتاحها. من جهة أخرى فإن رؤية المسلمين لمدينة القدس لها خصوصيتها، فهي موطن لرسالة التوحيد التي بعث الله به أنبياءه عليهم السلام، ومن ثم فإن حرمتها وقدسيتها لا تعادلهما إلا قدسية الحرمين الشريفين، لأن الأنبياء جميعا في نظر الإسلام مسلمون، دعوا جميعا إلى الإيمان بالله وتوحيده، وإليها أسري رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها عرج إلى السماء، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. وقد رعى المسلمون حرمة النصارى واليهود، وصانوا مقدساتهم، وحفظوا حقوقهم كاملة غير منقوصة. ومن أجل أن تظل القدس كما أرادها الله وأراد لها، فإن القائد صلاح الدين حين قام باستردادها فإنه فعل ذلك دون أن يكون له مطمع في سلطان عليها أو رغبة في الانتقام من الصليبيين الذين عانى العرب من المسلمين والنصارى في ظل حكمهم، وكان لهذا القائد المسلم مآثر عظيمة حفظتها كتب التاريخ، وعن ذلك يقول ستانلي لين بول: «إذا كان أخذ القدس هو الحقيقة الوحيدة التي نعرفها عن صلاح الدين فهو أكثر المنتصرين فروسية، وأعظمهم قلبًا في زمانه، ولعله في كل زمان».

ولا يقتصر ارتباط المسلمين بالقدس على الجانب الديني فحسب، بل كان لذلك الارتباط بعد تاريخي عميق، إذ تؤكد المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ هذه المدينة العريقة أن العرب من الكنعانيين واليبوسيين هم الذين خططوها وأقاموا بناءها. وتشير تلك المصادر إلى أن هناك آثارًا في القدس لقبائل العموريين والكنعانيين واليبوسيين قبل ثلاثة آلاف سنة من قدوم العبرانيين إليها. وهؤلاء حين قدموا إلى القدس لم تكن لديهم ثقافة وحضارة يمكن الاعتداد بهما، لذا كان تأثرهم كبيرا بالمظاهر الحضارية والثقافية التي تتمتع بها القدس، من لغة وصناعة وزراعة وغيرها. فقد أتى الشعب الذي عُرف بهذا الاسم - كما يقول المؤرخ فيليب حتي - «بشكل متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنود لا ارتباط لهم، ثم استقر بالتدريج بين السكان الذين كانوا أرقى منه، فتعلم منهم حرث الأرض، وبناء المنازل، وممارسة فنون السلم، وأهم من ذلك القراءة والكتابة، واتخذ الكنعانية لغة له، وأصبح وارثًا المظاهر الأساسية للحضارة الكنعانية».

كما جاء في العهد القديم ما يشير إلى استعانة سليمان عليه السلام بالصناع المهرة من الكنعانيين العرب من أهل القدس والبلاد المجاورة، مما يدل على ارتفاع المستوى الحضاري لهم عن العبرانيين، وهذا - بدوره - يؤكد توافر شروط التحضر لدى الكنعانيين العرب من الاستقرار والقدرة على التفاعل والبناء.

ومن ثم فإن الفتح الإسلامي كان تعميقا للوجود العربي في القدس، وتأصيلا له، لما أسبغه الإسلام على شخصية القدس من خصوصية أخرى مميزة، فغدت منذ ذلك التاريخ عربية إسلامية، وهذا يجعل كل زعم بحقوق في هذه المدينة أمرا متناقضا مع ثوابت التاريخ

في عمق التاريخ

وحقائق الواقع، والمفارقة أن يكون أصحاب هذا الزعم أناسي لا علاقة لهم بالمدينة في القديم أو الحديث من تاريخها، لأنهم أتوا من شتات الأرض للمطالبة بحقوق لهم في مكان لم يرتبطوا به قط، ولم يسكنوه هم ولا أسلافهم، كما لايمكن أن يكون حكم مدينة أو دولة لمدة زمنية محدودة أساسا للمطالبة بحقوق فيها، وإلا لطالبت الإمبراطوريات الاستعمارية بحقوق لها في البلدان التي حكمتها، ربما لمدة أطول من تلك التي احتل فيها اليهود القدس. وهذه المدة الزمنية للاحتلال لايمكن موازنتها بفترة حكم المسلمين للقدس، لأن فلسطين والقدس - كما يشير أستاذا القانون الدولي الأمريكيان توماس ماليسون وسالي ف. ماليسون - «كانتا تحت سلطة الحكام المسلمين لمدة ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا تخللتها فترة تقل عن قرن حين حكمها الصليبيون. وكانت القدس تحت سلطة حكام يهود لفترة زمنية أقصر، وفي عهد تاريخي قديم جداً. وإذا كانت الهوية الدينية للحكام الدينيين هي التي تقرر هوية السيادة الحالية، فمن الواضح أن للمسلمين حقًا أكبر من اليهود والمسيحيين بذلك». أضف إلى ذلك أن العرب هم الذين خططوها وقاموا ببنائها.

والخطر الحقيقي الذي تواجهه مدينة القدس لا يتمثل في هذه المزاعم فقط، بل يتضح أكثر في المخطط العملي الرامي إلى التهويد الكامل للأرض والثقافة، وإفراغ المدينة من كل ماهو عربي إسلامي تنفيذا لمضامين وخطط وضعت في مدينة بال بسويسرا عام 1897م، وحددت 100 عام مدى زمنيا لتحقيقها على أرض الواقع، وإكمال خطتهم المسماة «تصحيح التاريخ»، وهي في الحقيقة إمعان في تزوير التاريخ وصياغته وفق مفاهيم مغلوطة يتم دعمها بفرض الأمر الواقع من خلال إجراءات وممارسات تتخذ أساليب مختلفة، ترمي جميعها إلى تغيير ملامح القدس وطمس شخصيتها العربية الإسلامية. ومن تلك الممارسات أعمال الهدم والتخريب للآثار الإسلامية، وكذلك تغيير البنية السكانية بإنشاء المستوطنات اليهودية وإجبار العرب والمسلمين على النزوح منها. وأما الحفريات والتنقيب عن آثار مزعومة، فإجراء يهدد قلب القدس النابض (المسجد الأقصى المبارك)، مع أن الحفريات الحديثة تؤكد خلو القدس من أي أثر يهودي، حتى إن وصف التلمود للصخرة المقدسة لدى اليهود، وكذلك ماجاء في كتاب موسى بن ميمون «طقوس الغفران» عن هذه الصخرة يؤكد أن لاعلاقة لها بالمسجد الأقصى كما أثبتت ذلك دراسات تاريخية غربية، ومن ذلك ماأكده الباحث الألماني (شيك) في أوائل القرن الحالي حين أشار إلى أن الصخرة الحالية الموجودة في المسجد الأقصى لم تكن في يوم ما داخلة ضمن ما يسمّى «قدس الأقداس». فالصخرة الموجودة في المسجد الأقصى قديمة قدم القدس نفسها، ومن فوقها عرج بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء ليلة الإسراء، وأما حائط البراق الذي يثير اليهود حوله جدلا بزعم أنه حائط المبكى فقد أيدت لجنة دولية في عام 1930م ملكية المسلمين له دون أن ينازعهم أحد فيه، وأيدت عصبة الأمم قرار اللجنة، وأصدرت قرارها الذي نص على أن «للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي «حائط البراق»، ولهم وحدهم الحق العيني فيه، لأنه يؤلف جزءا لايتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف».

ومسألة السيادة - في حقيقتها - أعمق من اجترار مزاعم عن مقتنيات وآثار؛ لأن شخصية المدينة لا تحتاج إلى بحث وتنقيب تحت الأرض، كتلك الحفريات التي يقوم بها اليهود في القدس، إذ تظل تنبئ عن انتمائها الحقيقي، مهما تكاثرت الأقوام التي مرت بها وأقامت فيها لمدة من الزمن.

والأمة المتحضرة هي التي تبقى على الآثار المختلفة من دون أن تمد إليها يد العبث والتشويه، ثقة منها في مكوناتها الحضارية، وهذا ما فعله المسلمون حين فتحوا القدس، إذ أبقوا على ما فيها من آثار الأقدمين من عرب وغيرهم دون أي محاولة لتغييرها أو طمس ملامحها.

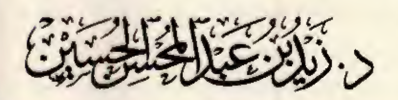
وإذا كان المسلمون هم الذين وضعوا أساس احترام التاريخ، وثقافات الأمم الأخرى، بالإبقاء على آثارها، فإن هذا الأساس الحضاري الراكز انتقل من الفكر الإسلامي إلى أدبيات العصر الحديث، وتبنته المنظمات الدولية، وليس أدل على ذلك من الاهتمام الذي تعامل به هيئة الأمم المتحدة ومنظمتها للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) قضايا المدن التاريخية، ونقل الآثار المعرضة للخطر للحفاظ على التراث الإنساني من الضياع. كما يتضح هذا الاهتمام أيضا من كم القرارات التي صدرت بخصوص القدس من الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنظمة اليونسكو، وكلها يرمي إلى منع إحداث أي تغيير في المعالم التاريخية للمدينة المقدسة، وضرورة احترام عروبتها وإسلاميتها، وعدم الاعتراف بأي إجراء يمس شخصيتها.

وخطورة مخطط محو الشخصية العربية الإسلامية للقدس ومحاولة تهويدها - برغم الاعتراض الدولي - تكمن في بعده الإعلامي الثقافي، ولاسيما أن في الإمكان تمرير الأفكار والمفاهيم المغلوطة بامتلاك وسائل الإعلام المؤثرة وتوظيفها لترويج قناعات محددة.

وإذا كان التدفق الإعلامي اليومي يتصف بعدم النصفة كونه يتوجه إلى العامة، ويرمي إلى إعادة تشكيل مفاهيمهم حول القضايا المختلفة بالطريقة التي تريدها، فإن من المفترض أن تكون الأوعية العلمية والمعلوماتية التي تحاط بهالة من التقدير متصفة بالمصداقية واحترام عقول من تخاطبهم، لاسيما إذا كان الموضوع المتناول تأريخا وتوثيقا لثوابت وحقائق يعرفها أصحاب الاختصاص. فالموسوعة البريطانية THE NEW CAXTON ENCYCLOPEADIA أسقطت تاريخ القدس بكامله، ولم تشر بأي صورة إلى حق العرب والمسلمين فيها، والشيء نفسه في الموسوعة الفرنسية LA GRANDE ENCYCLOPEDIA LA-ROUSSE فهي تذكر أن القدس عاصمة إسرائيل، كما أن THE WORLD ATLAS الصادر قبل سبع سنوات يحمل المضمون ذاته. ومن المؤكد أن كل محاولات طمس الحقائق وتزييف التاريخ ستبوء بالإخفاق، لأنه من الصعب أن تفقد مدينة عريقة كالقدس هويتها وشخصيتها مهما كانت قوة المزاعم والممارسات والإجراءات التي ترمي إلى ذلك؛ لأن المكان يستمد شخصيته من الإنسان الذي عَمَّره وتفاعل معه في كل مراحله وأطواره. كما أنه - حسب رأي جورج مونتارون - : «لخطأ فادح فصل القدس عن شعبها. فالمدينة عربية، والتاريخ يظهر ذلك، والثقافة التي تعبر عن نفسها في أبنيتها تشهد بذلك».

ومع ذلك فلابد من تصحيح المعلومات الخاطئة التي تتبناها بعض الدوائر العلمية ذات التأثير، وذلك بتوفير المعلومات الصحيحة والحقائق لأولئك الذين يحترمون قدسية العلم، ويهتمون بتجلية الحقائق دون أن تؤثر فيهم دعاية مغرضة، أو تغلبهم العاطفة. وهؤلاء - كما هو واضح - كثيرون، وإنما تحتاج آراؤهم إلى إبراز إعلامي ودعم أصحابها بالحقائق التي يستندون إليها.

و«الفيصل» إذ تقدم في هذا العدد ملفًا عن تاريخ القدس، وكتابًا لباحث متخصص في الموضوع نفسه، لتأمل أن تسهم بهذا الجهد المتواضع في إضاءة جوانب من موضوع القدس في هذه المرحلة المهمة التي تمر بها هذه المدينة العربية الإسلامية؛ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.



الفيصل
العدد (232) - السنة (20) - شوال 1416هـ - فبراير/ مارس 1996م



القدس وشهادة التاريخ

حين يقف التاريخ شاهدًا على الأحداث، فإنه يسجل وقائع الأيام بتجرد وموضوعية. وبهذه الصفة تؤكد كتب التاريخ ومصادره الأصيلة أن القدس عربية، تتجذر في تربتها العروبة، وإسلامية منذ أن أراد الله لها ذلك، حين بعث أنبياءهُ برسالة التوحيد؛ مما يعني أنها عربية من قديم، إسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وفي هذا العدد خصصت «الفيصل» ملفًا يتناول تاريخ القدس ومسوغات عروبتها وإسلاميتها.

طالع من ص12-40.

العيد ومفهوم التجديد

العيد في المفهوم الإسلامي ينطوي على دلالات عميقة ومعان جليلة وأهداف سامية بعيدًا من المظاهر الاحتفالية الخالية من أي مضمون. فالعيد ، بتوقيته (عيد الفطر في نهاية رمضان وعيد الأضحى بعد الحج)، دعوة لوقفة مع النفس، تتزامن مع انقضاء شعيرتين عظيمتين. وهو مناسبة ليفرح المسلم بانتصاره في جهاده الأكبر مع النفس، واستبشاره بقبول الخالق أعماله الصالحة، ومظهر راق تتجسد فيه الوحدة الإسلامية وتآلف المسلمين وتآزرهم. طارق عبدالفتاح شديد ناقش في مقالة بعنوان «العيد.. رؤية حضارية» مضامين التجديد في احتفاء المسلمين بعيدي الفطر والأضحى.

طالع ص71.

هواجس ركوب الطائرة!!



الأمان من أهم المتطلبات الحياتية التي ينشدها الإنسان، ولكن يبقى تقدير درجات الأمان ومستوياته نسبيًا، فما يعده مجتمع ما حادثًا مؤرقًا قد يعده آخر صغيرًا بالموازنة لما يشهده من حوادث أشد خطرًا. كذلك يختلف الأفراد في تقديرهم حدود الأمان، فهناك من يستشعر الخطر عند قيامه بأعمال معينة، أو عند مخالطته أناسًا آخرين. ولكن عندما يتجاوز هذا الحذر الحدود يصبح مكبلاً للإنسان، ويجعله أسير تصورات وهواجس من صنع خياله.

م. عبدالله عكش أعد موضوعًا بحث فيه عن إجابة للسؤال: لماذا يخاف بعض الناس ركوب الطائرة؟ وأورد مواقف طريفة ومفارقات حدثت من جراء هذا الخوف.

طالع ص103

ملف العدد

القدس

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

من كتاب العدد

فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

- من مواليد مدينة الشماسية، القصيم 1354هـ.
- نال شهادة كلية الشريعة عام 1381هـ، ثم الماجستير 1397هـ برسالة عنوانها: التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية، ثم الدكتوراه 1399هـ، وكان عنوان الرسالة: الأطعمة حلاً وحرمة استدلالاً وترجيحًا.
- عمل في التدريس الجامعي بكلية الشريعة وأصول الدين، ثم في إدارة المعهد العالي للقضاء، وهو حاليًا عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
- من مؤلفاته: شرح العقيدة الواسطية، نقد كتاب الحلال والحرام، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الخطب المنبرية [أربعة أجزاء]، والملخص الفقهي [جزءان]. ومن بحوثه المختلفة التي نشر بعضها في رسائل خاصة: الفرق بين الربا والبيع في الشريعة الإسلامية، الولاء والبراء، نظرات وتعقيبات على كتاب: السلفية ليست مذهبًا، ومن أعلام المجددين.

د. عبداللطيف عبدالحليم

- دكتوراه الدولة في الأدب المقارن من جامعة مدريد.
- أستاذ بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- عضو لجنة الدراسات الأدبية واللغوية، المجلس الأعلى للثقافة بمصر، وعضو لجنة منح جوائز الدولة بالمجلس نفسه.
- صدرت له مجموعة من الكتب والدواوين الشعرية، وتحقيق التراث والترجمات.
- كُتبت عنه دراسات عديدة، وبعض الرسائل الجامعية.
- شارك في عدد من المؤتمرات المحلية والخارجية.
- له قصائد وبحوث منشورة في الصحافة العربية والإسبانية.

شاكر سليمان شكوري

- من مواليد مكة المكرمة 1944م.
- تدرج في عدة مناصب، وهو حاليا وكيل إمارة منطقة عسير المساعد.
- شارك في عدة مؤتمرات محلية.
- له بحث في علم الإدارة، ومشاركات أدبية وشعرية في الصحافة المحلية.

د. فاطمة يوسف محمد

- من مواليد القاهرة.
- حاصلة على ليسانس آداب، جامعة القاهرة 1974م، وماجستير في النقد الفني، أكاديمية الفنون 1989م، ودكتوراه في دراما الأطفال 1994م.
- تعمل بالتدريس في أكاديمية الفنون بالقاهرة.
- لها اهتمامات بالمسرح عامة وبمسرح الأطفال خاصة.
- نشر لها كتاب: المسرح والسلطة 1993م، إلى جانب مقالات كثيرة متخصصة.

محمد سعيد فائق المولوي

- من مواليد دمشق 1935م.
- تخرج في كلية الآداب من الجامعة السورية 1957م، وفي كلية التربية من جامعة دمشق 1958م، وفي كلية الشريعة من جامعة دمشق 1962م.
- حصل على الماجستير في آداب اللغة العربية وعلومها، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1964م.
- مارس التدريس الثانوي والجامعي داخل سورية وخارجها ثم تفرغ للعمل الأدبي.
- عضو رابطة الأدب العالمي الإسلامي.
- من مؤلفاته: الإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (تخريج وتعليق)، شرح حديث النزول لابن تيمية (تحقيق)، المربي محمد صلى الله عليه وسلم، الحركية والخمسية في الإسلام، ديوان عنترة، (تحقيق ودراسة)، ظاءات القرآن الكريم لإسماعيل التجيبي (تحقيق)، الفرق بين الظاء والضاد لسعد الزنجاني، (تحقيق)، كيف يربي المسلم ولده، قصص لليافعين، والعديد من المقالات والقصائد الشعرية.



جريمة تحت الأرض!!

تتقارب المسافات بين شعوب العالم، مما يجعلها تزداد كل يوم معرفةً بعضها بعضا. وقد أبرز هذا التقارب وجود هموم إنسانية مشتركة، كان من المأمول أن تتوحد حولها الرؤى والجهود في سبيل إيجاد حلول لكل ما يواجه الإنسان من مشكلات على هذه الأرض. ولكن ـ للأسف ـ تنعكس الأوضاع وتتحطم الآمال؛ إذ لم يزد هذا التقارب الإنسان إلا طغيانا وظلمًا، وما تحمله الأخبار من كل بقاع الأرض يصور الإنسان تجاه أخيه في شكل يباعده منه، بل يجرده من الإنسانية .

من ذلك ما جاء في مجلة «TIME» الأمريكية عن اكتشاف مقابر جماعية حول مدينة بركو البوسنية بالقرب من سربرنيستا، تحوي آلافا من المدنيين المسلمين والكروات دُفنوا في تلك المقابر، وصنع الصرب علفًا للحيوانات من بعض الجثث، حيث كانت تُطحن في مصنع للعلف.

وأوضح مهندس كهربائي كرواتي أنه أُجبر في عام 1992م على مد خطوط كهربائية، وبينما هو ومَن مَعَهُ يقومون بعملهم، إذا بهم يرون أجزاء من جثث لا تزال في ملابسها تبرز من حفرة كبيرة، فتجمد أفراد من الصرب في مكانهم، بينما تظاهروا هم بأنهم لم يروا شيئًا خوفًا من بطشهم. ويضيف هذا المهندس أن الملابس المتعددة الألوان أوحت لهم بأن الموتى كانوا من المدنيين.

ويشير تقرير صادر عن الأمم المتحدة في العام 1994م إلى أن هناك مالا يقل عن 187 موقعًا للقبور الجماعية في يوغسلافيا السابقة، معظمها في البوسنة. وعند سقوط سربرنيستا بعد هذا التاريخ بعام اختفى ما يقرب من ثمانية آلاف مسلم من رجال ونساء وأطفال.

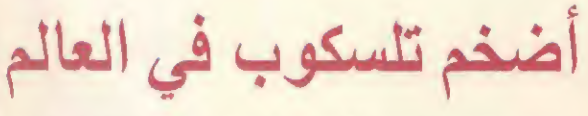
كما أن تقريرًا للخارجية الأمريكية صدر في العام 1992م يبين أنه تم ذبح ما لا يقل عن ثلاثة آلاف بوسني في معسكرات بركو وشوارعها، وأن الجثث كانت تُحرق في أفران المصانع، وهذه ليست إلا ملامح مما حدث من أعمال وحشية في حق المسلمين من البوسنيين والكروات حسب ماورد في «TIME» الأمريكية.

وفي ألمانيا الغربية، لقي عشرة من الأجانب مصرعهم على يد جماعة من النازيين الجدد، وقد بدأ هؤلاء في استخدام شبكة الإنترنيت لترويج فكرهم المعادي للأجانب، إذ يحصلون من خلالها على المعلومات التي تغذي فيهم هذا الفكر. وفي مقابل ذلك، فإن هناك تفنيدًا علميًا وإحصائيًا لتلك الأفكار المعادية. فقد كتب الصحفي جون ويجنر مقالة بعنوان «المهاجرون يعززون الرخاء الاقتصادي» بيّن فيها أن ما تحقق لألمانيا من طفرة اقتصادية في أعقاب الحرب العالمية الثانية إنما يرجع الفضل فيه إلى إسهام المهاجرين الأجانب، وأشار إلى أنه لابد من إبراز الحقائق التي توضح الجهل المطبق لأولئك الذين يتعاطفون مع الآراء العنصرية.

فالعمال الأجانب كانوا سببًا في انتعاش سوق العمل في ألمانيا؛ لأنهم يعملون في الأعمال التي لا تتوافر فيها عمالة ألمانية، ويتم ذلك وفق قواعد قانونية، ومجال المنافسة الوحيد يتركز في قطاع الإسكان، إذ أدى تزايدهم ـ حوالى سبعة ملايين نسمة ـ إلى إحداث زيادة كبيرة في أجور السكن.

وتوضح الأرقام أن الأجانب دفعوا للحكومة الألمانية ما مقداره 30 مليار مارك ألماني في شكل ضرائب وتأمينات مقابل 16مليار مارك تصرفها الدولة عليهم، مما يعني أن 14مليار مارك تعود إلى الحكومة الألمانية، وهذا يدحض الآراء العنصرية التي تتهم العمالة الأجنبية بأنها العامل الرئيس لانتشار البطالة.





أضخم تلسكوب في العالم

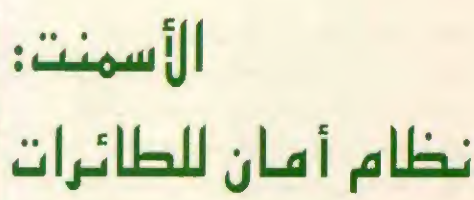
اشتركت عدة مراكز للبحوث في أوروبا - مؤخرًا - في بناء المؤلفات الأساسية لتلسكوب ضوئي متعدد المرايا أُطلق عليه اسم «التلسكوب فائق الضخامة» VERY LARGE TELESCOPE بغية تركيبه في قمة جبل سيرّو بارانال في الشيلي على ارتفاع 2660 مترًا عن مستوى سطح البحر، وتكلف بناؤه 26 مليون دولار. ومن المنتظر أن تتكلف عملية إنشاء المرصد، الذي يتضمن أربعة من هذه التلسكوبات يبلغ قطر كل منها 8,2 مترا، 320مليون دولار. وتثبت المرايا الثانوية فوق كل من المرايا الأولية لإعادة توجيه الضوء المجمّع باتجاه وحدة الاستقبال.

وفي هذا المشروع الطموح، يقتضي الأمر أن تتم مكاملة الإشارات الآتية من كل من هذه التلسكوبات الأربعة بواسطة حاسوب لتشكيل تلسكوب واحد فعّال يبلغ قطره 16 مترًا. وعندما سيصبح هذا التلسكوب جاهزًا في نهاية هذا القرن فإنه سيكون التلسكوب الضوئي الأكثر قوة في العالم من حيث قدرته على الغوص بعيدًا جدًا في أعماق الفضاء لاكتشاف الأهداف الفلكية ذات البعد الهائل من الأرض.

ويتم تثبيت كل مرآة ثانوية على ارتفاع 14مترًا فوق المرآة الأولية المقعّرة المواجهة لها. وضوء النجوم الساقط على المرآة الأولية ينعكس ثانية على سطح المرآة الثانوية فتتجه الحزمة الضوئية عبر فتحة في المرآة الرئيسة لتوجه من هناك نحو الكواشف الضوئية المختلفة.

وتحتوي المرآة الثانوية أيضًا على مجموعة من الدارات والضابطات الآلية المعقدة التي تسمح بتدوير المرايا حول خمسة محاور بالسرعة المطلوبة. ويمكن، مثلاً، حرف المرآة بزاوية معينة لتعاد إلى وضعها الابتدائي خلال جزء من عشرة أجزاء من الثانية. ويقتضي الأمر إنجاز عملية التوجيه بدقة جزء واحد من عشرة آلاف جزء من الدرجة خلال فترة زمنية لا تتجاوز جزئين من مئة جزء من الثانية. ويمثل تحقيق مثل هذه الدقة والسرعة تحديًا هائلاً لنظام التحكم الآلي والإلكتروني. ويجب أن تكون المرايا خفيفة الوزن، لاتقبل الفتل وتغير درجة التقعّر بتأثير تغيرات درجة الحرارة. ولتحقيق هذه المتطلبات لابد من صناعة المرايا الثانوية من عنصر البيريليوم الذي يتميز بخفته الشديدة وصلابته. ولقد تم التخطيط لاستعمال مادة خزفية هي كربيد السيليكون لصنع المرايا الأخرى. وهكذا ستزن المرآة الواحدة 40 كيلوجرامًا فقط عند اكتمالها.

ومن المنتظر أن تقوم إحدى الشركات الأوروبية بتسليم أولى المرايا الثانوية في شهر مارس من عام 1997م، بينما ستقوم بتسليم المرايا المتبقية في حدود سنة 2000. ويأمل الفلكيون بأن يمثل استكمال التلسكوب فائق الضخامة دخولاً حقيقيًا في عصر جديد من عصور الكشوف الفلكية.



الأسمنت: نظام أمان للطائرات



من المخاطر العظيمة التي تتعرض لها الطائرات حين هبوطها على المدرج الأرضي فشل الكباحات (الفرامل) في إيقاف الطائرة، مما يعرضها للاصطدام بأبنية المطار، وهنا تحل الكارثة التي قلّ أن ينجو منها أحد إلا من رحم الله.

هذه القضية كانت هاجسا يؤرق علماء الطيران ومهندسي السلامة في الملاحة الجوية، ولكن يبدو أنها لن تمثل مشكلة في المستقبل؛ إذ تم اختراع حواجز من الأسمنت المسلح الهش الرقيق توضع في نهايات مدارج الطائرات تنزلق إليها الطائرات بسهولة ويسر وتغوص عجلاتها بنعومة في داخلها فتقف الطائرة بلين على الأرض.

وقد أُجري اختبار ميداني على هذا الاختراع في المركز الفني لإدارة الطيران الفيدرالي في مدينة أطلانتك بنيوجرسي الأمريكية وأثبت فعالية عظيمة؛ إذ استطاع أن يوقف طائرة من طراز بوينج 727 كانت تسير بسرعة ٥٥ ميلا في الساعة دون استعمال الفرامل خلال مسافة 400 قدم ودون حدوث أي ضرر أو تلف للطائرة أو الركاب. وسيتم تشييد أول منشأة من هذا النوع في مطار كينيدي بنيويورك العام القادم.

ونظام الإيقاف هذا مصنوع من أسمنت خلوي يكون تماسكه كتماسك كريم الحلاقة، ويجب أن يكون قويًا بحيث يتحمل عربات الإطفاء، وفي الوقت نفسه يكون ضعيفا بحيث لا يلحق ضررًا بتروس الهبوط. وحسب رأي جيم وايت مهندس إدارة الطيران الفيدرالي، فإن العنصر الأساسي المستخدم في هذا النظام هو البروتين الحيواني الذي يسمى (البوليبيتايد) شبه القلوي، وهو المادة نفسها التي تحول بياض البيض إلى الكريمة البيضاء التي تكسى بها الحلوى والكعك.



عندمـــا يغني القـــاتل!!

بينما كان محمد جابر بور يبيع الأيس كريم في عربة (مستر سوفتي) على إحدى الطرق في فيلادلفيا الأمريكية، حاول شاب في السادسة عشرة من عمره أن يبتزه، ولما رفض جابر الخضوع لابتزازه أطلق عليه ذلك الشاب النار في الحال فأرداه قتيلاً. وبينما جابر مضرج في دمائه التف حوله بعض الصغار المراهقين يضحكون ويسخرون مقلدين حركاته وهو في النزع الأخير، وهم يغنون: لقد قتلوا المستر سوفتي.

هذا ليس مشهدًا روائيًا في دار الخيالة (السينما)؛ وإنما هو حادث حقيقي وقع تحت مرأى ومسمع كثير من المارة. يقول زميل للضحية: إن الناس كانوا يضحكون ويطلبون مني أن أبيعهم الآيس كريم، وكانوا يتصرفون وكأن قطة قُتلت وليس نفسًا بشرية.

وقد هز الحادث الأوساط الإعلامية والتربوية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مثار تعليقات عديدة. يقول أحد الصحفيين: إن ذلك يكشف الحقيقة التي خلفها التعليم السيئ في أمريكا، والتي تتمثل في جيل متبلد الأحاسيس.

عملية تنظيف بالمجان

هناك نوع من تبادل المصالح والمنافع بين الكائنات في عالم الطبيعة، ومن ذلك أن علماء البيئة كانوا يستغربون كثيرًا خلو أنواع معينة من الغزلان من الأمراض المعدية التي تنقلها الحشرات، وبوضع آلة تصوير تلفازية (كاميرا) خفية ترصد حركة الغزال، سجلت طيرًا من نوع (الغراب) وهو يقوم بعملية تنظيف شاملة لجسد الغزال، وذلك بالتقاط جميع الحشرات الملتصقة بجسد الغزال، حيث إنها غذاؤه الشهي، والغزال يقف مستكينًا وسعيدًا بهذه العملية التي تخلصه من آلامه دون عناء.



استنشاق عبير زهرة يخفض الوزن

عندما صعدت (تانيا رايت) ممر تكريس حفلة زواجها عام 1993م كانت تزن مائتين وسبعة وأربعين رطلاً، كما كان حجم ثوب عرسها 26، وذلك نتيجة سنوات عديدة من التهامها للشوكولاتة والحلويات.

ولكن بعد نحو ثلاث سنوات أصبحت تزن أقل من مائة وأربعة وخمسين رطلاً ومقاس ملابسها أصبح من 12-14. بل الأكثر من ذلك أنها ما عادت تطيق مذاق الشوكولاته، كما أنها أصبحت على ثقة من أنها قد شفيت تمامًا من إدمانها أكل الحلوى.

وسر نجاحها ـ كما تزعم ـ عائد لاستنشاقها عبير وردة من الورود الاستوائية التي لها تأثير يبعد الناس من تناول الأطعمة الحلوة، حسب ماتقول مستكشفة هذه الوردة، والتي تعمل طاهية بأحد فنادق يوركشير في بريطانيا، وكانت هي أيضًا مدمنة للشوكولاته، حتى عثرت على تلك الفكرة مصادفة بعدما لاحظت أن رائحة إحدى الأزهار الاستوائية قد أوقفت رغبتها في الاقتراب من علبة الحلوى.

ولقد أثبتت هذه الزهرة فعاليتها في صد من يستنشقها عن أكل الحلويات، وتفترض إحدى النظريات بأن إمطار حاسة الشم بهذه الرائحة يوقف إرسال رسائل معينة للدماغ، وبذلك يحول الرغبة إلى الأشياء الحلوة عن مسارها. ولكن لا أحد يعرف لماذا يحدث ذلك؟! إلا أن البحوث توحي بأن روائح معينة يمكن أن تؤثر في استثارات معينة من الدماغ سلبًا وإيجابًا.

ويؤكد أحد التربويين أن فكرة المسؤولية تصبح بلا معنى إذا ساد الشر والأنانية والتعصب الأعمى، وعدم تقدير المرء لعواقب أعماله. وينبه آخر إلى أن الطلاب أصبحوا يتلقون صورًا زائفة عن الحقائق، وقيمًا سلبية عن ثقافات الآخرين.

وهناك حادثة أخرى تصب في الاتجاه ذاته؛ فقد تلقى رئيس مجلس إدارة إحدى الشركات العلمية التي تجري اختبارات على الحيوانات تهديدًا بتفجير الشركة إذا تضرر حيوان من تلك الاختبارات، وكانت المفاجأة أن الرسالة من طالب في الصف السادس الابتدائي، كلفهم المدرس بكتابة رسائل للشركات تتعلق بتلك الاختبارات.

وقد كشفت رسائل الطلاب العنف المدمر الذي يسكن دواخلهم، وخلصت إحدى الباحثات إلى أن هناك جهدًا كبيرًا يجب أن يُبذل لتأكيد الانتماء لعالم يؤمن بالقيم العليا وتوجهات الإنسان، ويخدم ثقافات الأمم الأخرى ومعتقداتها النبيلة، وعدم الحط من قدرها.

وفي إطار المراجعات التربوية لنظام التعليم، أوضح أحد التقارير تفشي ظاهرة الغش بين طلاب المدارس الأمريكية.

فقد علمت مدرسة الرياضيات في إحدى المدارس أن طلابها يخزنون معلومات الاختبار في حاسباتهم الآلية؛ مما دعاها إلى إلغاء ذاكرات جميع الحاسبات قبل كل اختبار؛ إلا أنها فوجئت ذات يوم بأحد الطلاب يستخدم حاسبة مزودة ببرنامج متطور جدًا يحتفظ بالذاكرة حتى لو مُحيت.

وقام عالم النفس التربوي فريد سكاب بمسح لطلاب المدارس الثانوية عامي 1969و1989م. فوجد عام 1969أن 58٪ من الطلاب سمحوا لغيرهم بأن ينقلوا الأجوبة عنهم، وفي عام 1989م ارتفعت هذه النسبة إلى 98٪.

وفي مسح آخر قام به ستيفن. ف. ديفس أستاذ علم النفس شمل ثلاثة آلاف طالب جامعي من شتى أنحاء أمريكا، أجاب 78٪ منهم بأنهم قد مارسوا الغش في المرحلة الثانوية.

وقد دعا كثير من التربويين إلى ضرورة وجود مادة للأخلاق توضح للطلاب القيم الفاضلة التي ينبغي التزامها، ينبهون من خلالها إلى أن الطلاب الذين يغشون في الاختبارات قد يغشون في أعمالهم وفي حياتهم الزوجية. ويتساءل التربويون: عندما تكون في بلد لا تقدر قيمة الإخلاص والأمانة، وتعتقد أن الأخلاق ليست بذات أهمية، فأي نوع من المجتمع تنتمي إليه؟

هل الديناصور طائر؟

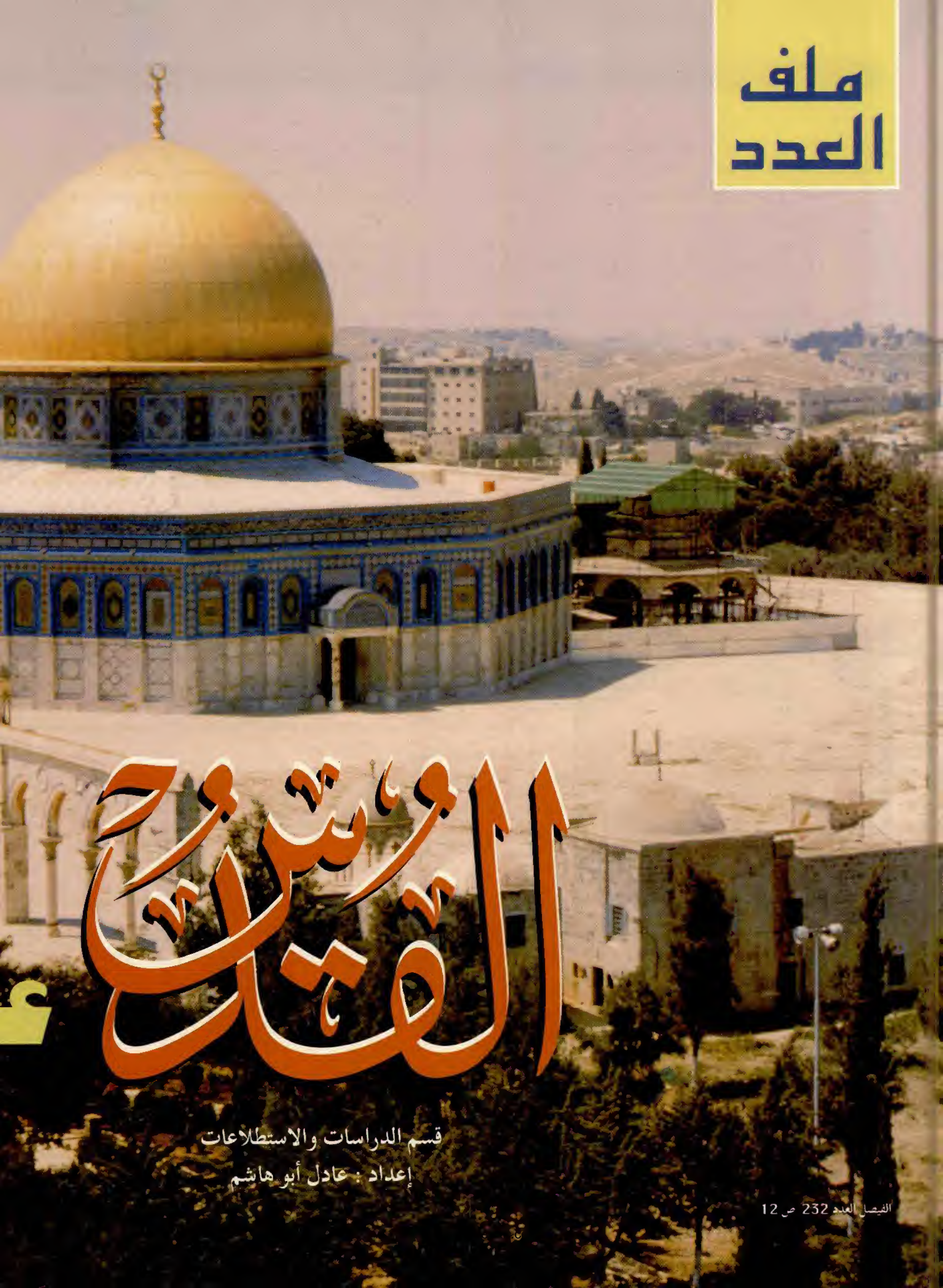
إن اكتشاف ديناصور متحجر راقد على البيض يعزز فكرة أن الطيور هي أقرب المخلوقات صلة بفصيلة العظاءات (السحالي).

فقد قام علماء المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي برحلة قطعوا فيها نصف المسافة حول العالم لاستكشاف أكثر مناطق الأرض ثراءً بالآثار والأحافير، وهي عبارة عن واد على شكل صحن مجوّف يدعى أوكا توجود UKHAA TOLGOD في صحراء جوبي النائية في منغوليا. وبينما كان عالمان ينقبان خلال حجر رملي ضارب إلى الحمرة إذا بهما يعثران على عش من البيض المتحجر تحت العظام موضوع بكل حرص في دائرة على مستويين مع بروز جميع أطراف البيض المستدقة للخارج. ومع انتهاء العلماء من كشف الستار عن ذلك الأحفور؛ تبيّن أنهم توصلوا إلى اكتشاف علمي كبير. وكان ذلك الديناصور - وهو بحجم النعامة ومن آكلات اللحوم ويدعى أوفيرابتور OVIRAPTOR - راقدًا بطريقة تحمي بيضه، وكانت رجله مثنية بحرص تحت جسمه وأذرعه ملتفة حول محيط العش بالضبط مثل كتكوت الحظائر. ولهذا السبب كان الاكتشاف على درجة كبيرة من الأهمية. فقد كافح العلماء لعقود لمعرفة صلة الديناصورات من الناحية التطورية بالطيور



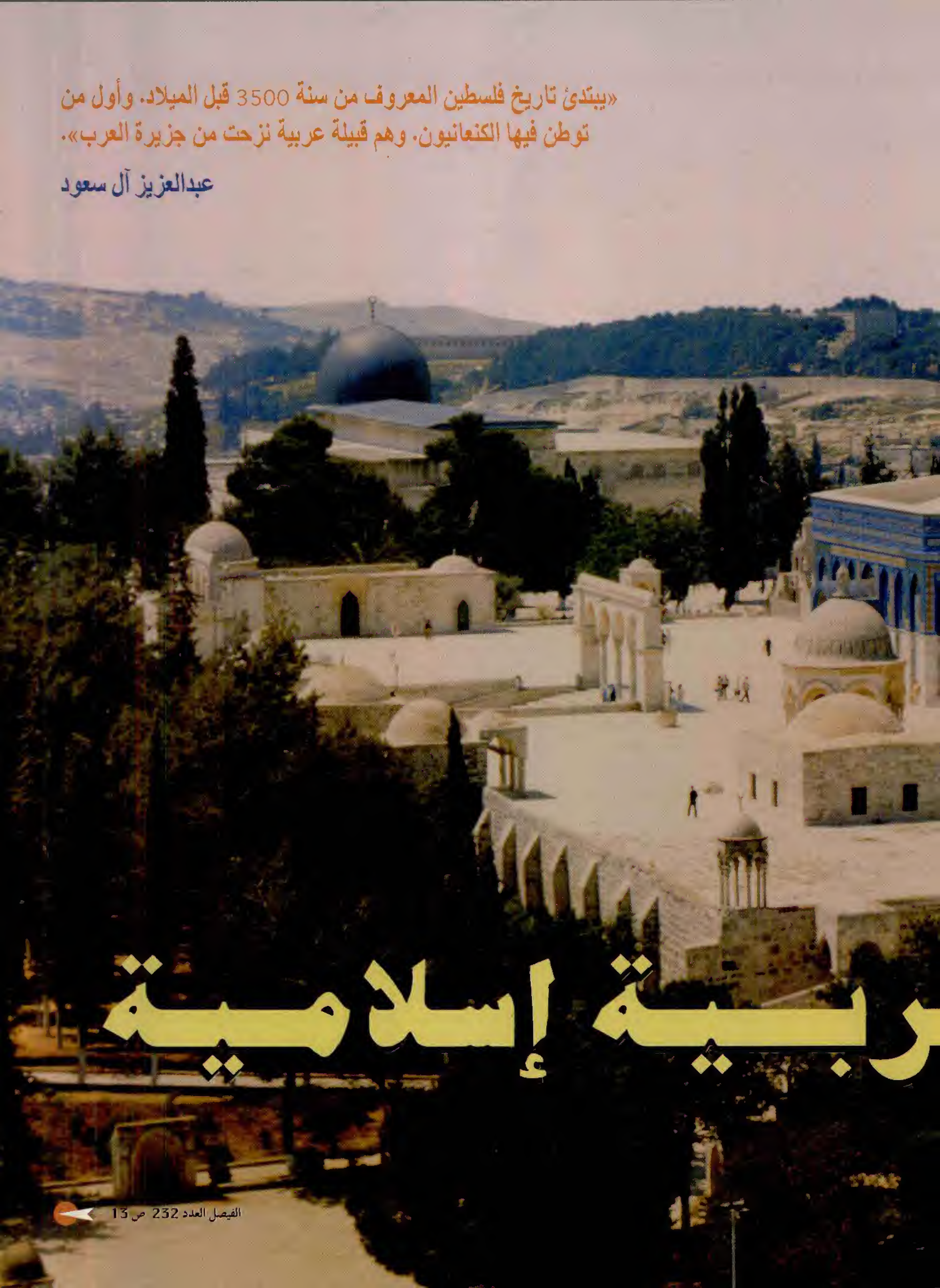
الحديثة. وتقول الأغلبية من العلماء بوثاقة تلك الصلة، ويحاجُّون بأن التماثل في الهياكل العظمية يبين أن الأوفيرابتور والتيرانوصور وأنواع أخرى من الديناصورات آكلات اللحوم هي أقرب للطيور من الديناصورات آكلات النبات مثل الأسطفور أو التريسيراتوب.

ويرجح الاكتشاف الجديد كفة من يقولون بالشبه بين الطيور والديناصورات. وهذا الأحفور الجديد يجعل من الواضح أن هذه الديناصورات ليست على شكل الطيور فحسب، وإنما تتصرف مثلها أيضًا.



القدس

قسم الدراسات والاستطلاعات
إعداد : عادل أبو هاشم



«يبتدئ تاريخ فلسطين المعروف من سنة 3500 قبل الميلاد. وأول من توطن فيها الكنعانيون. وهم قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب».

عبدالعزيز آل سعود

...ربية إسلامية

القدس هي أم قضايا الشرق الأوسط وأشدها حساسية على الإطلاق. وقد دلت التطورات الأخيرة المتشابكة إلى درجة التعقيد على أنها قضية لاتحتمل الانتظار، وبخاصة بعد توقيع اتفاق طابا وما صاحبه من مشكلات بإثارة قضية مدينة الخليل، وهي المدينة التي تعد القدس الصغرى في العرف الإسرائيلي.

والانتظار هنا حتى مايو/أيار من عام 1996م، وهو الموعد الذي تحدد في اتفاق أوسلو للبدء في بحث مستقبل القدس حتى يتسنى إحراز تقدم في نواحٍ أخرى مهمة لعملية السلام؛ سواء بين إسرائيل والفلسطينيين، أو بين إسرائيل والدول العربية الأخرى المعنية بالسلام معها في المنطقة. لكن ما ظهر من التصرفات الإسرائيلية الأخيرة يشير إلى أن قضية القدس قد لا تنتظر حتى موعد بحثها في المرحلة المذكورة من مفاوضات السلام الفلسطينية الإسرائيلية؛ بل الأرجح أن تشتد سخونتها ويكثر إلحاحها على موائد المحادثات والمفاوضات من الآن فصاعداً. خاصة إذا ما عكس واقع الخليل ـ كلما تقدمت خطوات الحل المرحلي والمؤقت ـ خيبة أمل الفلسطينيين في تبدل الواقع نحو رفع الغبن عنهم وتحرير إرادتهم في وطنهم، وأضحت حقائق الواقع متطابقة مع إرادة المحتل في تكريس شرعية الاحتلال بقناع جديد.

ففي أوائل شهر سبتمبر/أيلول الماضي، في ذكرى مرور عامين على توقيع إعلان المبادئ الفلسطيني ـ الإسرائيلي في واشنطن، أعطى إسحاق رابين ـ رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي اغتيل مؤخرا على يدي يهودي ـ الإشارة لبدء الاحتفالات التي تنظمها حكومته بعنوان «القدس3000»، التي ستستمر أكثر من عام، في محاولة إسرائيلية مكشوفة للاحتفال بسيطرة اليهود على المدينة المقدسة بكاملها.

ورغم ما تدّعيه الحكومة الإسرائيلية بأن هذه الاحتفالات جاءت في ذكرى مرور ثلاثة آلاف سنة على احتلال الملك داود مدينة القدس وإعلانها عاصمة لمملكته؛ فإن الحقائق تؤكد زيف الادعاءات الإسرائيلية، وأنها احتفال بالواقع الذي أوجدته في مدينة القدس، متجاهلة بذلك أن القدس عربية منذ أكثر من خمسة آلاف عام، وأن القدس إسلامية منذ أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، وكانت القبلة الأولى للمسلمين.

وقد يظن البعض أن الاستيلاء على المدينة المقدسة والشروع في إجراء الضم والتهويد، وإلغاء صبغتها الإسلامية والعربية، والشروع في تغيير تركيبتها السكانية، والسعي إلى تحويلها مدينة (مليونية يهودية) قد تزامن مع بداية الاحتلال الكامل للمدينة عام 1967م؛ إلا أن الحقيقة التي تثبتها وثائق الحركة الصهيونية وتصريحات قادتها تؤكد أن تلك النوايا والمخططات كانت مبيتة بشأن المدينة المقدسة قبل تاريخ الخامس من حزيران/يونيو 1967م بعشرات السنين، وأن قادة الإرهاب الصهيوني: بيجن وشامير وشارون وليفجر وكاهانا لم يكونوا وحدهم التلاميذ النجباء للحركة الصهيونية؛ إذ سبقهم آخرون من حزب العمل، وجميعهم يترجمون على أرض الواقع أقوال تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ـ في المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة بال بسويسرا عام 1897م ـ الذي قال: «إذا حصلنا يومًا على القدس وكنت لا أزال حيًا وقادرًا على القيام بأي شيء، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدسًا لدى اليهود فيها وسوف أدمر الآثار التي مرت عليها القرون».

وإلا فماذا يعني السعي الحثيث والمتواصل لتدمير المقدسات الإسلامية في المدينة بالحرق والحفر والتدمير والتدنيس المتواصل إن لم يكن تطبيقًا عمليًا وأمينًا لقول دافيد بن جوريون أول رئيس للحكومة الإسرائيلية في ادعائه: «لامعنى لفلسطين من دون القدس ولا معنى للقدس من دون الهيكل»، وماذا يقول غلاة الصهيونية اليوم غير ما قاله ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي في 1967/6/17م من أن إسرائيل لن تتخلى مطلقًا عن الجزء القديم من القدس وأنها ستعمل من أجل حدودها الجغرافية الحقيقية.

وها هو ذا إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق يجدد مفهوم الأمن في أنه يمكن أن يتأمن في السيطرة على وادي الأردن وعلى القدس موسعة وموحدة وعاصمة أبدية لدولة إسرائيل!

ويخرج علينا من يُطلَق عليه كبير أحبار اليهود ويدعى شلومو جورين ليؤكد أن الصهيونية وأهدافها ستبقى معرضة للخطر مادام المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة قائمين أمام أعين المسلمين وأفئدتهم لذا يجب إزالتهما من على سطح الأرض!!

من هنا يتضح أنه منذ أن نشأت الصهيونية العالمية وهي تخطط لتدمير المقدسات الإسلامية في مدينة القدس والتحضير الجاد لإقامة هيكلها المزعوم، وفرض الأمر الواقع على أرض الإسراء والمعراج، وتحقيق حلم اليهود القديم الجديد بإقامة هيكل سليمان.

وقد جرت محاولات عديدة لتنفيذ مخطط الصهاينة بدءًا من محاولة إحراق المسجد الأقصى، ووضع المتفجرات فيه، وحفر الأنفاق، واقتحام ساحاته، وإطلاق الرصاص على جموع المصلين من المسلمين، والمحاولات الصهيونية المستمرة للصلاة فيه، إلى تطبيق



سلطات الاحتلال الاسرائيلي في المدينة المقدسة التدبير الصهيوني المتبع والقائم على التطويق والإبادة:

* تطويق استيطاني وسكاني واقتصادي.

* وإبادة للوجود الإسلامي بشتى الوسائل.

وفي هذا المقال صورة لواقع المدينة الإسلامية المقدسة في الماضي والحاضر والمستقبل.

جغرافية القدس

تقع القدس في منتصف القلب من فلسطين، مع ميل واضح باتجاه الشرق، على جبل تتراوح ارتفاعاته بين 720و780متراً عن سطح البحر الأحمر، وتحيط بها عدة أودية من ثلاث جهات. ففي الشمال وادي الجوز وفي الشرق وادي قدرون وفي الجنوب وادي يهوشافاط وفي الغرب واد لا اسم له، غير أن أسهل جهة تعبر منها إلى المدينة هي الجهة الشمالية الغربية التي دخل منها الفاتحون.

ومحيط القدس صخري قاحل، لا سهل فيه ولا بحيرة ولا ينابيع، واعتمد أهل القدس على ماء عين أم الدرج ومياه الآبار التي تعتمد على مياه الأمطار، وكثيرا ما حصلت أزمات في مياه الشرب وانقطعت المياه بسبب قلة الأمطار أو تأخرها، غير أن هذه المشكلة حُلَّت إبان الانتداب البريطاني الذي جلب مياه العروب - بين الخليل والقدس - بأنابيب إلى مدينة القدس.

وَجَوُّ مدينة القدس معتدلٌ صيفًا بارد شتاءً وأمطارها متوسطة(1)، أما التلال القائمة على القدس فمنها جبل الموديا القائم عليه الحرم الشريف، وجبل بزيتا بالقرب من باب الساهرة، وجبل أكرا حيث توجد كنيسة القيامة، وجبل صهيون الواقع على سفحه الجنوبي الغربي مقام النبي داود.

والمدينة آخذة في الامتداد إلى كل الجهات؛ حيث تقع على عدة تلال متقاربة الارتفاع وسط سلسلة جبال تنحدر غربا وشرقا وتكتنفها الأودية من كل جانب(2).

والقدس قسمان:
المدينة القديمة وتشبه شبه المنحرف في شكلها، وهي محاطة بسور قديم يبلغ طوله أربعة كيلو

المسجد الأقصى المبارك، القبلة الأولى للمسلمين، وثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال

مترات تقريبًا، وقد بناه السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1542م، وله سبعة أبواب: باب الخليل، وباب الحديد، وباب العمود، وباب الساهرة، وباب (ستنا) مريم، وباب المغاربة، وباب النبي داود (لمعلومات أوفر عن هذه الأبواب انظر مقالة بعنوان: بوابات القدس: روايات لها تاريخ، في العدد (203) من الفيصل).

وقد بقيت هذه الأبواب مفتوحة إلى ما قبل نشوب حرب فلسطين 1947/1948م. وشوارع المدينة القديمة ضيقة مرصوفة وبها عدة أحياء مقسمة ومسماة تبعًا للطوائف الدينية والمهنية والعرقية، وبها جميع الأماكن المقدسة لأصحاب الديانات السماوية الثلاث(3).

أما القدس الجديدة فتقع خارج السور وهي أكبر من المدينة القديمة مساحة وأكثر سكانًا، وشوارعها فسيحة ومبانيها حديثة وجميلة، وبها الحدائق والمتنزَّهات، وهي مستمرة في التوسع والامتداد.

وتتمتع مدينة القدس بموقع متوسط بين كبرى المدن الفلسطينية والعواصم العربية المجاورة، وهي أشبه بواسطة العقد.

وفيما يلي بعض المسافات بين القدس وبعض المدن العربية بالكيلو مترات، وذلك من القدس إلى: عكا 175- نابلس 65 - يافا 62 - حيفا 150- الخليل 36- غزة 94 - عمان 90 - بيروت 360 دمشق 308 - القاهرة 530(4).

تاريخ القدس عبر العصور

يُجمع المؤرخون القدامى والجدد على حقيقة أن الكنعانيين أو من تفرع منهم أو تفرعوا منه، كالعموريين واليبوسيين، هم الذين سكنوا فلسطين - جنوب بلاد الشام - منذ نحو 3000ق.م أي منذ فجر التاريخ(5).

وفي وصف هؤلاء الكنعانيين يقول المؤرخ الفلسطيني عارف العارف: إنهم إحدى القبائل العربية التي خرجت إلى بلاد الشام من شبه الجزيرة خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وقد سميت فلسطين بأرض كنعان نسبة إليهم. ومن الكنعانيين تَحَدَّر اليبوسيون الذين بنوا مدينة القدس.

ويضيف عارف العارف: إن الكنعانيين استوطنوا معظم أنحاء فلسطين وبنوا فيها مدنًا كثيرة محصنة، منها القدس وشكيم وبيت شآن ومجدو وأشكلون (عسقلان عند العرب) وغزة وغيرها. وكانوا يجيدون الزراعة وصناعة الفخار والنسيج والبناء. وقد عرفوا المعادن والتعدين، وشرّعوا القوانين، كما عرفوا حروف الهجاء والكتابة والتأليف، وكانوا يعبدون الأصنام، ومن آلهتهم المعروفة «بعل» إله الشمس(6).

أما الدكتور كامل العسلي فيذهب إلى أن العموريين هم أول من أنشأ مدينة القدس، ويستند في ذلك إلى ما يلي:

1- أول اسم عرف لمدينة القدس (أورسالم) هو اسم عموري.

2- أول اسمين عرفا لأول أميرين لمدينة القدس وهما: باقر - عمو، و سز - عمو، وهما اسمان عموريان.



الصخرة المشرفة، منها عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء

قبة الصخرة أقدم معلم من معالم العمارة الإسلامية في القدس، ومسجدها في غاية الجمال الفني المعماري. وقد قال المؤرخ فرغوست إنه لم يشاهد مثل تناسبها البديع في الأحجام والألوان في أي بناء آخر

3ـ أن تلة موريا ـ وهي إحدى التلال الأربع التي تقوم عليها مدينة القدس ـ اعتبرها العلماء أرض العموريين، سواء كان المؤسسون هم العموريين أو الكنعانيين؛ فالمسألة واحدة لأن الكنعانيين من العموريين كما أن اليبوسيين من الكنعانيين(7).

«أورسالم» أول الأسماء

أول اسم ثابت لمدينةالقدس هو أورسالم أو أورشالم، وقد ورد هذا الاسم في النصوص المصرية القديمة المعروفة باسم (نصوص تل العمارنة) التي ترجع إلى القرن19ق.م، ويتألف الاسم من مقطعين هما سالم أو شالم وهو اسم إله سامي قديم، وأور وهي كلمة تعني (أسس) فيكون معناها إذن (أسسها سالم).

ويذهب علماء الآثار إلى أن القدس الأولى (أورسالم) بنيت أول مرة في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد(8)، وقد أقيمت على تل الضهور (تل أوفر) وفي سفوحه، وهذا التل هو أحد التلال الأربعة التي قامت عليها مدينة القدس فيما بعد.

ويقع تل الضهور هذا إلى الجنوب الشرقي من البلدة القديمة الحالية (جنوب السور الجنوبي للمسجد الأقصى) ويطل على قرية سلوان التاريخية، وتحيط به من الجهات الثلاث الأخرى ثلاثة أودية: من الشرق وادي قدرون، ومن الجنوب وادي الربابة (هنوم)، ومن الغرب وادي صناع الجبن (الواد).

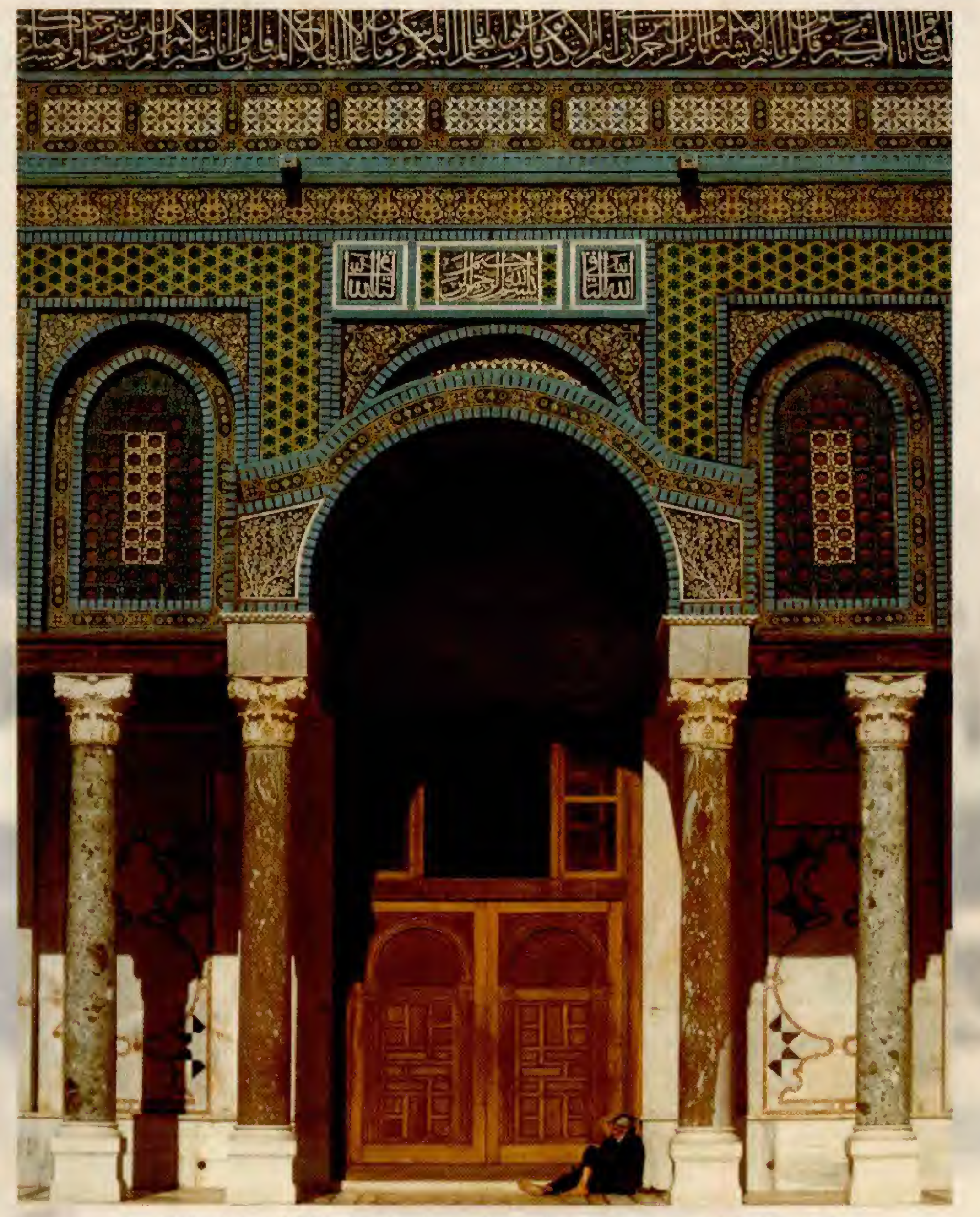
وقد أقيمت المدينة في هذا الموقع نظرًا لوجود عين ماء في السفح الشرقي لتل الضهور هي عين سلوان أو عين أم الدرج، وكانت تدعى قديمًا عين جيحون، وقد حفر اليبوسيون فيما بعد نفقًا تحت الأرض يوصلهم إلى هذه العين في حالات الحصار، يضاف إلى ذلك أن هذه الأودية (قدرون والربابة والواد) التي تحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث كانت تؤلف خطوطًا دفاعية طبيعية تجعل اقتحامها أمرًا صعبًا جدًا في الأيام القديمة، وأما جهتها الشمالية والشمالية الغربية فقد كانت مكشوفة وليس ثمة ما يعيق الجيوش عن اقتحامها، ولهذا فقد كانت معظم الحملات تنتهي بدخول المدينة من هذا الجانب(9).

تلك هي تخوم القدس الأولى (أورسالم) التي أسسها العموريون/الكنعانيون في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد.

وقد ظلت حدودها تتغير تبعًا لهدمها وإعادة بنائها حتى استقرت



جزء من السور الجنوبي لمدينة القدس يحيط بالقلعة التي شيدها المماليك واهتم بها العثمانيون من بعدهم


دقة عمل الفنان المسلم تتجلى في جمال الخط والزخرفة والفسيفساء في هذه الواجهة الرائعة من واجهات قبة الصخرة

على ما هي عليه الآن؛ حيث تمتد أسوار البلدة القديمة فوق أربعة تلال هي: صهيون ويقع إلى الغرب من تل الضهور، ويقوم عليه الآن حي النبي داود، وموريا إلى الشمال من تل الضهور، ويقوم عليه المسجد الأقصى وساحاته، وتل بزيتا إلى الشمال الغربي لتل موريا حيث تقوم الآن أحياء باب حطة والسعدية وباب الساهرة، وما بينها. وتمتد أسوار البلدة القديمة إلى الغرب والشمال الغربي لهذه التلال الأربعة(10).

وعلى سفوح تل الضهور (أوفل) كانت تكثر الكهوف التي سكنها قدماء الكنعانيين في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. ثم بدأ الكنعانيون (أو العموريون) في بناء بيوتهم فوق المغر وحولها إلى أن أقاموا المدينة وأطلقوا عليها اسم إلههم (سالم)(11). وعلى هذا الأساس تكون (أورسالم) من أقدم مدن الأرض؛ فهي أقدم من بابل ونينوى ولا يسبقها في القدم ـ كما يقول مصطفى مراد الدباغ ـ إلا (أون) وهي أولى عواصم مصر الفرعونية، وتقع شمال القاهرة، وتعرف اليوم باسم هليوبوليس، و(ممفيس) وهي ثانية العواصم الفرعونية ونشأت في حوالي 3400ق.م.

القدس والغزو اليهودي

تعرضت أرض كنعان للغزو العبري في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد؛ ففي هذه الفترة وصلت القبائل العبرية التي خرجت من مصر مع موسى عليه السلام إلى جبال أدوم وموآب في شرقي الأردن، وكان خروجها من مصر ـ وفقًا لمعظم الروايات ـ في عهد الفرعون مرن بتاح (1221ق.م) وهو خليفة رعمسيس الثاني (1292-1225ق.م)، وإن كان ذلك مايزال موضع بحث وخلاف شديدين حتى الآن.

وقد توفي موسى عليه السلام قبل أن يعبر بهم إلى أرض كنعان، فتولى قيادتهم يوشع بن نون الذي عبر بهم نهر الأردن، وبدأ بمهاجمة المدن الكنعانية، وكانت أريحا أول مدينة تسقط في يده بعد حصار دام ستة أيام، وخيانة قامت بها راحاب الزانية التي خبأت جاسوسي يوشع بن نون(12).

ويرى المؤرخون المعاصرون أن القبائل العبرية بدأت بالانتشار التدريجي في أنحاء البلاد، دون أن تتمكن من احتلال المدن الكنعانية كلّها أو كل الأراضي الكنعانية، وذلك خلافًا لما يستفاد من التوراة. وقد ظلت مدينة يبوس ـ أي القدس ـ مستعصية عليهم أكثر من قرنين من الزمان، حتى تم فتحها على يد الملك داود عام 997 أو



1000ق.م، وذلك يعني أن الحرب بين اليبوسيين والعبريين استمرت ما يتراوح بين 200-250 عامًا دون أن يتمكن اليهود من إحكام قبضتهم على الأرض الفلسطينية كلِّها أو عاصمتها يبوس.

الحكم الفارسي

استمرت سيطرة اليهود على أورشليم منذ عهد داود - حوالي سنة 1000ق.م - إلى أن فتحها نبوخذ نصَّر في سنة 586ق.م، ودمرها ونقل السكان اليهود إلى بابل (السبي البابلي). وبعد أن استولى الفرس على سورية وفلسطين، سمح الملك قورش سنة 538ق.م لمن أراد من الأسرى اليهود بالرجوع إلى أورشليم وأمر بإعادة بناء الهيكل(13).

الإسكندر المقدوني

ظلت البلاد تحت الحكم الفارسي إلى أن فتحها الإسكندر المقدوني سنة 332ق.م، وتأرجحت السيطرة على أورشليم في عهد خلفائه البطالمة والسلوقيين، وقد تأثر السكان في هذا العهد الهلينستي بالحضارة الإغريقية. وقام الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع حوالي سنة 165ق.م بتدمير الهيكل، وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية، وكانت نتيجة ذلك أن اندلعت ثورة المكابيين، ونجح اليهود في نيل الاستقلال بأورشليم تحت حكم الحاسمونيين من سنة135ق.م حتى سنة 78ق.م(14).

تحت حكم الرومان

استولى الرومان على سورية وفلسطين ودخل القائد الروماني بومبي أورشليم في سنة 63ق.م. وفي عهد الإمبراطور نيرون بدأت ثورة اليهود على الرومان، فقام القائد تيتوس باحتلال أورشليم في سنة 70م، وحرق الهيكل وفتك باليهود. ولما قامت ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخبا سنة 132م أسرع الإمبراطور هادريانوس إلى إخمادها سنة 135م، وخرب أورشليم وأسس مكانها مستعمرة رومانية أطلق عليها اسم (إيليا كابيتولونيا) وحَرَّم على اليهود دخولها. ولما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها(15).

مع الفتح الإسلامي

تبوأت مدينة بيت المقدس في الدعوة الإسلامية منذ البداية مكانة مهمة؛ فقد أشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وكانت قبلة المسلمين الأولى، وإليها كان إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها كان عروجه.

وفي أيام هرقل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك عصره كتبا يدعوهم فيها إلى الإسلام، دين الحق والخير والعدالة والإنسانية ، فكفر به من كفر، وجامله من جامل، واشتبكت قوات الإسلام مع الفرس على نطاق واسع، ومع الروم في حروب محلية، واكتسح جيش الإسلام الأراضي العربية التي كانت تحت سيادة الفرس اكتساحًا لا نظير له في تاريخ الحروب على يد خالد بن الوليد، (ت:14هـ) والمثنى بن حارثة الشيباني (ت:14هـ) ووصلت أنباء انتصاراتهما إلى الروم وهرقل.

وكان خليفة المسلمين الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ت:13هـ)قد أمَّر - في بداية الأمر - على جيش المسلمين خالد بن سعيد (ت:14هـ) وكان أمر أبي بكر له: «أقدم ولا تُحجم واستنصر بالله»، فانطلق خالد بن سعيد إلى فلسطين العربية، وخاض عدة معارك مع الروم وانتصر عليهم، ثم انهزم في إحدى معاركه.

ثم رأى أبو بكر تجنيد أربعة من أعظم قادة الإسلام وهم: أبو عبيدة بن الجراح (ت: 18هـ) وقد ولّي على حمص، وشرحبيل بن حسنة (ت:18هـ) سيَّره إلى وادي الأردن، ويزيد بن أبي سفيان (ت:18هـ) وجهه إلى دمشق، وعمرو بن العاص (ت:43هـ)، أمّره على فلسطين.

وواجهت جيوش المسلمين الذين كانوا قلة جيوش الروم، وقبيل أن يبدأ أي من الفريقين القتال أمدهم أبو بكر بخالد بن الوليد.

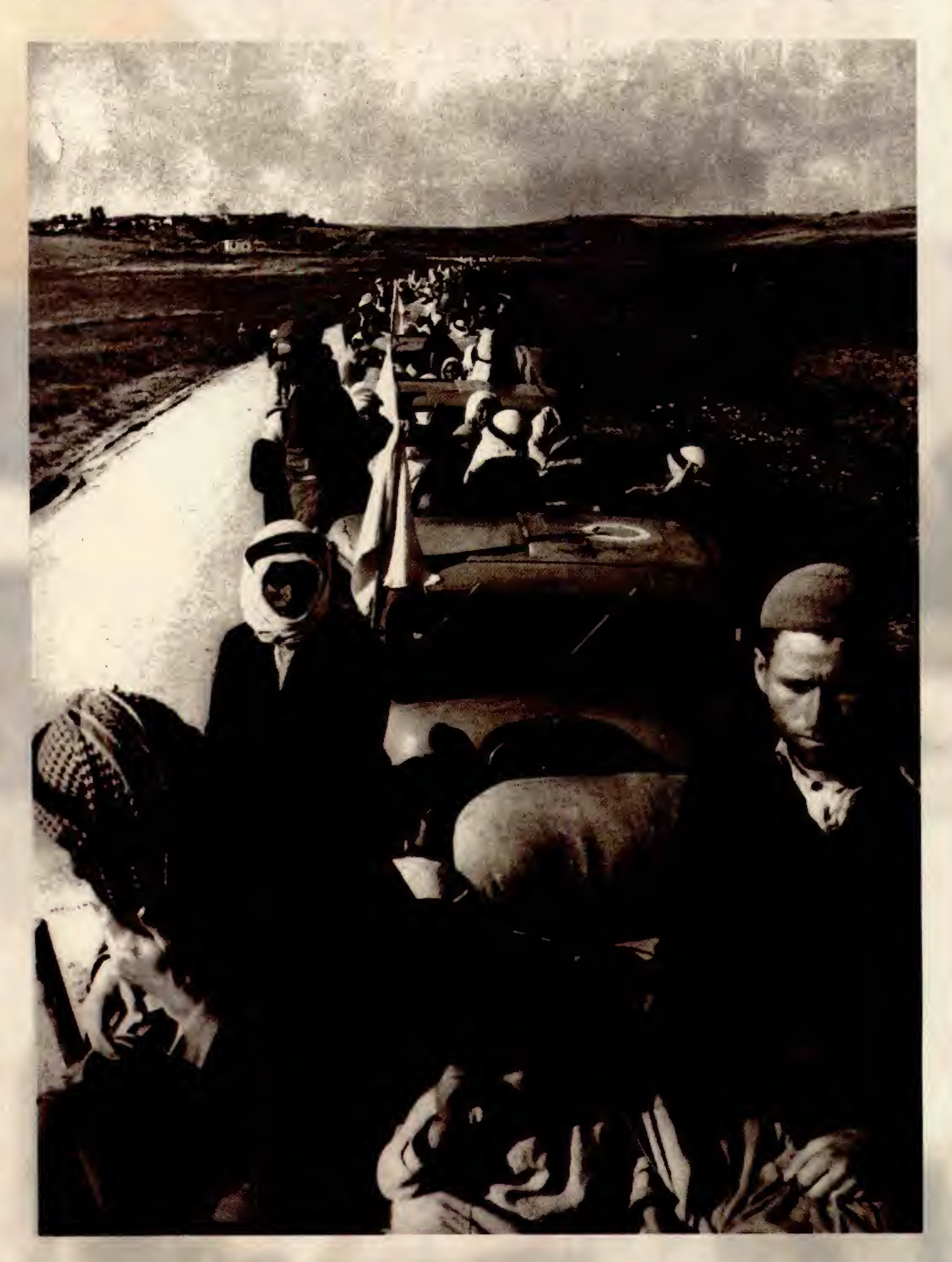
وكان كل قائد أميرًا على من تحت يده، ووحد سيف الله خالد بن الوليد القيادة، وتولى هو نفسه

كنيسة القيامة، من معالم القدس، بناها الإمبراطور قسطنطين عام 335م، وأعطى أمير المؤمنين الفاروق لأساقفتها «العهدة العمرية»

القيادة العامة لجيش يحوي عدداً من الصحابة الأجلاء، وكلهم من أعاظم الفرسان. ونشبت الحرب في مكان يسمى بهزيمة الروم، ثم كانت حرب أجنادين بين الروم والمسلمين تحت قيادة عمرو بن العاص، وانتصر المسلمون على الروم وهرب قائد الروم إلى إيلياء - أي القدس - يتحصن بها، فانحسرت السيادة الرومانية عن فلسطين وقسم كبير من الشام.

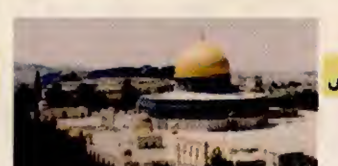
وبعد وفاة أبي بكر وتولي الفاروق عمر بن الخطاب (ت:23هـ) الخلافة أرسل إلى قائد جيش المسلمين أن يحرر القدس «إيلياء»، وسمَّى المسلمون المدينة «بيت المقدس» وهو الاسم الذي ورد في رسالة أمير المؤمنين عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما، وهذا نصها:

«أما بعد.. فإني أحمد الله الذي لا إله الا هو، وأصلي على نبيه، وقد وصلني كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه. وقد أشارابن عم رسول الله بالمسير إلى بيت المقدس فإن الله يفتحها على يديك، والسلام».



سار أبو عبيدة والمسلمون لفتح بيت المقدس مستبشرين بنصر الله؛ وقد حاصروا المدينة لمدة أربعة أشهر في فصل الشتاء حتى اضطرت إلى طلب التسليم بشرط أن يتم ذلك على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فغادر الفاروق المدينة المنورة إلى فلسطين، وقد استقبله «صفرونيوس» بطريرك إيلياء وكبار الأساقفة في مكان يسمى «جبل الطور». وبعد أن اتفقوا على شروط التسليم أقروا الوثيقة التاريخية الخالدة الدالة على عظمة التسامح الديني عند المسلمين وعلى صدق معاملتهم وحبهم للسلم والسلام، وذلك عام 15هـ/636م. وقد عرف هذا العهد في التاريخ بالمعاهدة العمرية، وهذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، ألاّ تُسكن كنائسهم ولاتُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرَهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولايسكن بإيلياء معهم



أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصُلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة)(16).

وبعد هذا الاتفاق دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مدينة إيلياء في يوم الخميس الموافق 20 من ربيع الأول عام 15هـ الموافق لليوم الثاني من شهر أيار/مايو عام 636هـ. وبعدها دخلت جيوش المسلمين المدينة مهللة مكبرة.

ولايزال هذا العهد الذي أُعطي لسكان القدس محفوظًا لدى سدنة كنيسة القيامة، ويُعدّ أقدم ميثاق دولي رفيع يدعو إلى احترام الشعائر الدينية وصيانة الأماكن المقدسة.

وهناك أمر تنبئ عنه وثيقة التسليم يخص اليهود، فهم لم يكن لهم أي وجود، أو أي حق سواء أكان تاريخيا أم مدنيا أم سياسيًا أم أي نوع من الحقوق. ومع هذا احتاط أهل بيت المقدس من المسيحيين للحاضر والمستقبل وطلبوا ألا يُسمح ليهودي بالسكن في إيلياء، وكان لهم ما اشترطوا. ولم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين على الإقامة في القدس(17).

بيت المقدس في العهدين الأموي والعباسي

شيد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (ت:86هـ) الحرم القدسي الشريف عام (685م)، وهذا الحرم الشريف يتألف من مسجد الصخرة والمسجد الأقصى المبارك، ومساحته في حدود مئة وأربعين دونما من الأراضي المرتفعة الواقعة على جبل موريا في القدس، وقد أوقف لهما عبدالملك بن مروان خراج مصر لمدة سبع سنوات، فأصبح هذا الحرم آية في الجمال تدل على مدى اهتمام المسلمين ببيوت الله. ويغطي سقف مسجد الصخرة قبة واسعة كان عبدالملك قد أمر ببنائها عام 72هـ/691م، وقد وُجِدَ نص مكتوب بالخط الكوفي يقول: «بنى هذه القبة عبدالله عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه».

أما المسجد الأقصى فقد شُرع في بنائه في عهد عبدالملك بن مروان عام 74هـ/693م وأكمله ابنه الوليد عام 86هـ/705م، ويقع في الجهة الجنوبية من هضبة الحرم الشريف. ويبلغ طول المسجد الأقصى ثمانين مترا وعرضه خمسين مترا، ويقوم على ثلاثة وخمسين عمودا من الرخام وتسع وأربعين دعامة مربعة.

وللحرم الشريف أربع مآذن هي: مئذنة باب المغاربة، ومئذنة باب السلسلة، ومئذنة باب الأسباط، ومئذنة باب العمود، وفي خارجه إحدى عشرة مئذنة أخرى.

وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين قام الخليفة أبو جعفر المنصور (ت:158 هـ) بزيارة القدس عام 758م فهاله الدمار الذي حل بالمسجد الأقصى من جراء الزلزال الذي حدث عام 747م فأمر بإصلاحه وترميمه، وقد تم الانتهاء من هذه الإصلاحات عام 771م.

وفي عام 774م حدث زلزال آخر أضر بالمسجد الأقصى من جديد، وعندما قام الخليفة المهدي (ت:169هـ) بزيارة القدس عام 780م أمر بإصلاح وترميم ما أحدثه الزلزال في المسجد الأقصى من خراب، وفي عهد الخليفة المأمون بن الرشيد (ت:218هـ) تم ترميم مسجد الصخرة وجددت عمارته.

لكن العمال استبدلوا باسم الخليفة الأموي عبدالملك اسم الخليفة العباسي المأمون، غير أنه فاتهم أن يغيروا السنة فبقيت على حالها تشهد لبانيها الأول. والكتابة هي: «بنى هذه القبة عبدالله «الإمام المأمون» أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه»(18).



المسجد الأقصى من الداخل

قبة الصخرة

تُعدّ قبة الصخرة أقدم معلم من معالم العمارة الإسلامية في القدس، وهي تشكل أعلى بقعة في الحرم الشريف، ومازال أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصخرة منذ ليلة عروجه إلى السماء.

والصخرة المشرفة التي أنشئ عليها هذا المبنى تبلغ مقاييسها الداخلية حوالي 5م×7م×3م الارتفاع) ومقاييسها الخارجية (2X13,5X17,50م السُمك)، ويتكون مبنى الصخرة المشرفة من قبة خشبية قطرها 20,44م متكئة على اسطوانة تشتمل على 16شباكا، وترتكز على 4 دعامات و12عمودا منظمة في شكل دائرة بحيث يوجد 3 أعمدة بين كل دعامتين.

تقع القبة في مركز مثمن يبلغ طول ضلعه 20,59مترا وارتفاعه 9.50 أمتار، ويوجد في الجزء العلوي من كل جدار خمسة شبابيك، كما يوجد أربعة جدران خارجية يبلغ قياس كل منها 2.55م العرض×4.35م الارتفاع.

وقبة الصخرة مسجدها في غاية الجمال الفني العمراني الإسلامي، وقد شهد بذلك عدد كبير من أساتذة الفن.

يقول الكابتن كروزويل أستاذ فن العمارة الإسلامية بجامعة القاهرة سابقًا: لقبة الصخرة أهمية ممتازة في تاريخ العمارة الإسلامية؛ فقد بهرت ببنائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين»(19).

وقال البروفسور ت. هايتر لويس: إن مسجد الصخرة بلا شك من أجمل الأبنية فوق البسيطة، لا بل إنه من أجمل الآثار التي خلدها التاريخ.

وقال المؤرخ فرغوست إنه زار كثيرا من القصور والمباني الجميلة في الهند وأوروبا وفي معظم أنحاء العالم، ولكنه لم يشاهد أجمل من قبة الصخرة ولا أبدع ولا أفخم، وإن التناسب البديع في الأحجام والألوان لم يجده في أي بناء آخر (20).

الطولونيون والأخشيديون

عندما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية ببغداد دخلت

فلسطينيون يحملون علم فلسطين



القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين (265-292هـ/878-905م)، وتلاهم في حكمها الأخشيديون سنة (327-359هـ 939-969م)، وكان للقدس منزلة خاصة عند الأخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعا دفنوا فيها بناء على وصاياهم(21).

الفاطميون والسلاجقة

في سنة359 هـ/969م استولى الفاطميون على القدس، وقد أسسوا - في عهد الحاكم - دار علم فيها لنشر الدعوة الفاطمية، وأقاموا مستشفى في المدينة. ثم وضع السلاجقة حدًا لحكم الفاطميين (643 هـ/1070م) وعادت الخطبة في القدس للخليفة

ولم يبق حكم الصليبيين في القدس أكثر من 88 سنة. وبعد هزيمتهم في معركة حطين عام 583هـ/1187م على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي، أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة، ووضع فيها المصاحف، وعين لها الأئمة، ودشن إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس ومستشفى كبيرا وسورا للمدينة(24)

مع المماليك

دخلت مدينة القدس في حوزة المماليك سنة561هـ/1253م، وقد حظيت في عهدهم باهتمام كبير، وقام سلاطينهم بزيارات عدة للمدينة، وأقاموا منشآت دينية ومدنية مختلفة فيها كانت آية في جمال العمارة، وأجروا تعميرات

كثيرة منها سور القدس وعمّر كذلك قبة الصخرة(26).

وفي الفترة من سنة 1831-1840م كانت القدس تحت حكم إبراهيم بن محمد علي حاكم مصر؛ الذي احتل سورية كلها إثر خلاف نشب مع الدولة العثمانية. وقد فرض التجنيد الإجباري والضرائب الكثيرة؛ مما أدى إلى ثورة ضد حكمه دعمتها الدولة العثمانية، وقد اضطر إبراهيم باشا إلى ترك البلاد سنة 1840م تحت ضغط الدول العظمى.

وبعد نشوب حرب القرم سنة 1853م بين روسيا وفرنسا

الصهيونية؛ حيث صدر في 1917/11/2م وعد بلفورالمشؤوم - نسبة إلى بلفور وزير الخارجية البريطاني آنذاك - الذي ينص على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين(27) بعد تأسيس يهود أوربا جمعية «أحباء صهيون».

إن فكرة الدولة اليهودية وتوطين اليهود في فلسطين كانت امتدادًا لسياسة التوسع الإمبريالي الغربي بعد الثورة الصناعية؛ لتصبح فيما بعد أداة من أدواته في المشرق العربي؛ تؤمن مصالحه وتحرس مواقعه. وبرحيل الانجليز عن القدس وفلسطين في 14أيار/ مايو 1948م أعلن الزعماء الصهاينة قيام دولة إسرائيل. وفي 1949/4/3م وُقّعت اتفاقية الهدنة بين الأردن والكيان الإسرائيلي، فقسمت مدينة القدس إلى الأقسام التالية:(28)

العهد الذي أعطاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل القدس وثيقة تدل على عظمة التسامح الديني عند المسلمين، وعلى صدق معاملتهم وحبهم للخير والسلام، وهو أقدم ميثاق دولي يدعو إلى احترام الشعائر الدينية والأماكن المقدسة

العباسي. وفي سنة 849هـ/1096م استولى الخليفة الفاطمي المستعلي بالله على القدس لثلاث سنوات فقط(22).

تحت الاحتلال الصليبي

احتل الفرنجة القدس سنة 492هـ 1099م، وارتكبوا مذبحة رهيبة في منطقة الحرم الشريف؛ حيث بلغ عدد ضحاياهم سبعين ألفا، ونهب الصليبيون ما كان في الصخرة والأقصى من كنوز، ووضعوا صليبًا على قبة الصخرة، وحولوا الأقصى إلى مقر لفرسان الداوّية، وجعلوا القدس عاصمة لمملكتهم اللاتينية(23).

كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وغدت القدس زمن المماليك مركزًا من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله، فكان يفد إليها الدارسون والمدرسون من مختلف الأقطار (25).

مع العثمانيين

في سنة 922هـ/1516م وضع السلطان سليم العثماني حدّاً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره عليهم في معركة مرج دابق، وفي السنة التالية احتل القدس. ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه إسماعيل القانوني الذي اهتم بالقدس وأقام فيها منشآت

وإنجلترا، أخذت الدولة العثمانية تسمح بتعيين قناصل لإنجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول، وبدأ التغلغل الاستعماري في البلاد، وجرًّ معه ازدياد الهجرة اليهودية، وازداد عدد اليهود في القدس تدريجيا.

ومع قرب نهاية الحرب العالمية الأولى قُضي على الحكم العثماني الذي أظل بيت المقدس 400 عام. وفي التاسع من شهر كانون الأول/ديسمبر 1917م دخلت القوات البريطانية مدينة القدس بقيادة الجنرال اللنبي، وفي الوقت نفسه كانت المفاوضات قائمة بين الساسة البريطانيين وزعماء الحركة

أ- القدس المحتلة (القطاع اليهودي) ومساحته 4065 فدانا؛ أي مايعادل 84٪ من مساحة القدس.

ب - القدس العربية (القطاع العربي) ومساحته 555 فداناً؛ أي ما يعادل 11,5٪ من مساحة القدس.

جـ - قطاع هيئة الأمم المتحدة والأراضي الحرام ومساحته215 فدانا أي ما يعادل 4,9٪ من مساحة القدس.

وبقيت معظم الأماكن الإسلامية في القطاع العربي الذي كان يحوي المدينة القديمة بأجمعها.

وفي يوم الأربعاء

7حزيران/يونيو 1967م استولى الصهاينة على القطاع العربي من القدس، وفي اليوم التالي؛ أي الخميس، تم احتلال الضفة الغربية بكاملها لتبدأ مرحلة جديدة لبيت المقدس هي مرحلة التصفية الحضارية والتهويد.

وبتاريخ 1980/7/30م أقر الكنيست الإسرائيلي قانونا خطيرا أثار العديد من ردود الفعل العربية والعالمية، وهو ما عُرِفَ بقانون ضم القدس سياسيا إلى الكيان الصهيوني وجعلها عاصمة له خلافا للقرارات الدولية.

حائط المبكي هو حائط البراق الإسلامي

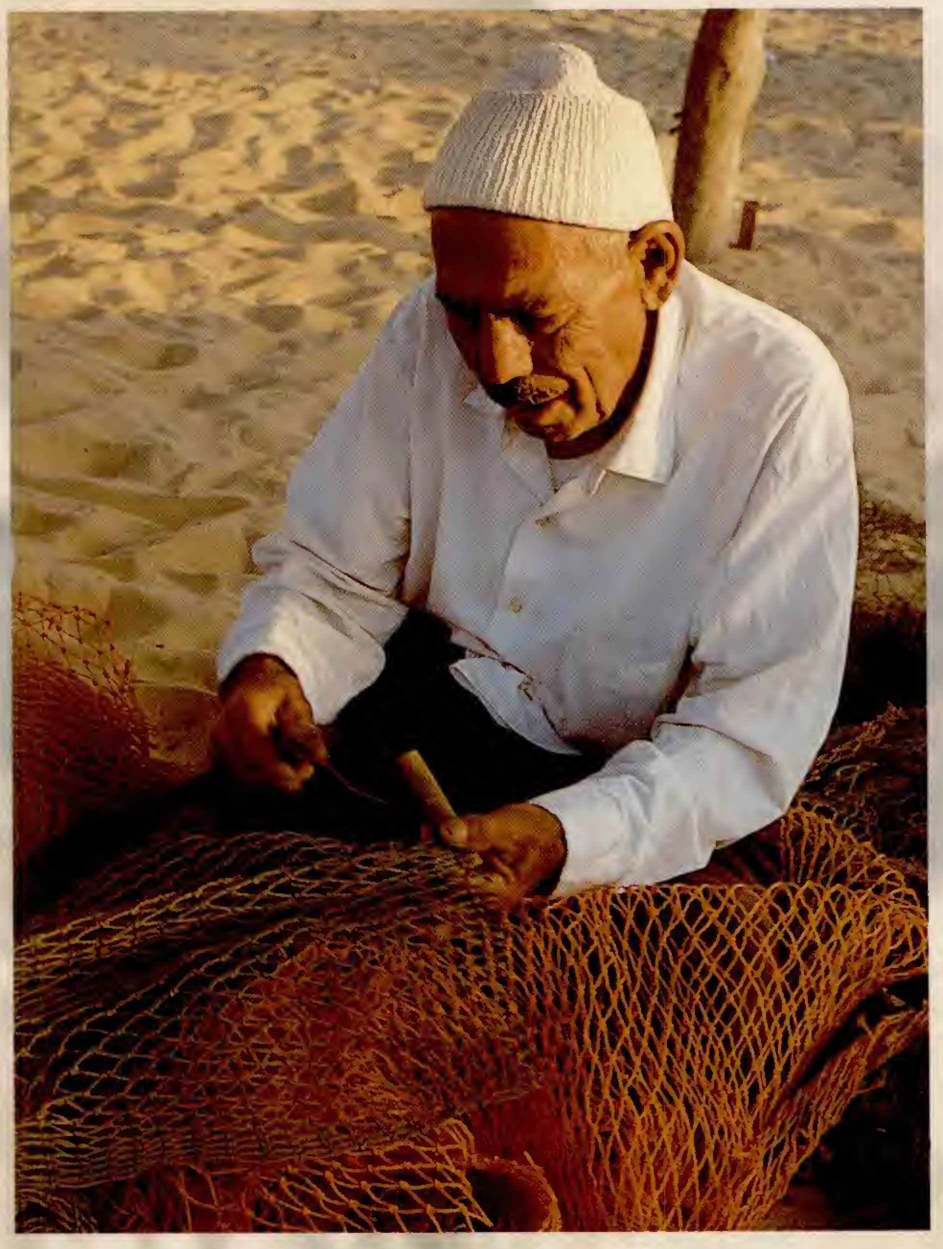
إن ما يسمى لدى اليهود «حائط المبكي» إنما هو في حقيقته «حائط البراق» الإسلامي الذي ربط فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي عرج به إلى السماء، وهو أثر إسلامي خالص يدل عليه طراز البناء، ومن أعظم المقدسات الإسلامية، وذخر من ذخائر المسلمين وتراث إسلامي محض(29).

ودعوى اليهود بأن حائط المسلمين هو حائطهم لم تظهر إلا في عهد الانتداب البريطاني. وما أعلنوها إلا ليجعلوها مسمار جحا؛ فهم لايهمهم الحائط ولكنهم يجعلونه قاعدة من قواعد الانطلاق إلى اعادة مملكة داود التي لاتتم إلاّ ببناء الهيكل كما يزعمون!

وزعموا أن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة قائمان على الأراضي التي كان بها الهيكل، فإعادة بنائه تعني إزالة للمسجدين تمهيداً لإزالة كل أثر إسلامي، حتى تكون القدس وفلسطين خالصتين لليهود! وتجب الإشارة إلى نقطة مهمة، هي أنه لحكمة إلهية لها مغزاها لم تنزل التوراة على نبي الله موسى عليه السلام في فلسطين. بل إن موسى لم يعش فيها حتى لاتقول اليهود إن فلسطين أرض التوراة وأرض اليهود.

وإنما كانت فلسطين معاشا ومقاما لأبي الأنبياء الحنيف المسلم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين﴾ آل عمران:67. وكانت معراجا لخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ويوجد محل معروف عند أهل القدس يُسمى «البراق»، وهو عند باب المسجد الأقصى المسمى باب المغاربة، ويوجد مسجد يسمى مسجد البراق يلاصق الجدار الغربي للمسجد الأقصى، وقد هدمه الإسرائيليون حين احتلالهم للقدس عام 1967م فيما هدموه من مساجد وآثار وأبنية. وأغلب الظن أنه المكان الذي رُبط فيه البراق.



رغم الاحتلال والمعاناة يعكف هذا الشيخ على شباك يصنعها ليقتات منها



معنى كلمة القدس

عندما أطلق المسلمون على هذه المدينة اسم «القدس» و«بيت المقدس» نظروا إلى معاني القدس والتقديس وسموها بما يشعر على الدوام بقداستها الثابتة.

فالقدس تعني البركة، والتقديس تنزيه الله سبحانه وتعالى من كل الصفات التي لاتتفق مع كماله المطلق، والتقديس التطهير والتبريك، والقدوس من أسماء الله الحسنى ومعناه الطاهر المنزه من كل النقائص والعيوب.

وفي القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام: ﴿يا قوم ادخلوا الأرضَ المقدسة التي كَتَبَ اللهُ لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ المائدة: 21.

صياد سمك وبسمة للمحصول

والأرض المقدسة تعني المباركة المطهرة، وهي أرض الشام التي منها أرض فلسطين. ويقول سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ونجيناهُ ولوطًا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ الأنبياء: 71.

ويشير إلى ذلك في سياق الحديث عن الإسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنُرِيَهُ من آياتنا إنّه هُوَ السميع البصير﴾ الإسراء: 1.

فالمسجد الأقصى مبارك في ذاته، ومباركة الأرض التي حوله وهي أرض فلسطين.

وقال تعالى: ﴿وجعلنا ابنَ مريم وأمَّه آيةً وآويناهما إلى ربوة ذات قرارٍ ومَعين﴾ المؤمنون: 50 قالَ ابن عباسٍ: الربوة هي بيت المقدس.

وذكر القرآن الكريم أسماء للقدس منها «القرية» في قوله تعالى: ﴿وإذا قلنا ادخُلُوا هذه القرية فَكُلُوا منها حيثُ شئتُم رَغَدًا وادخُلُوا الباب سُجَّدًا وقولوا حطَّةٌ نَغفرْ لكم خطاياكم﴾ البقرة: 58.

والساهرة في قوله تعالى: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ النازعات: 14 كما روي عن عثمان بن أبي العالية.

والزيتون في الآية الكريمة: ﴿والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البَلد الأمين﴾ التين: 1-3 فالتين ـ كما ذكر بعض المفسرين ـ بلاد الشام، والزيتون بلاد القدس، وطور سينين الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام، والبلد الأمين مكة المكرمة(30).

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاتُشَدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (31).

وما أخرجه الإمام أحمد عن ميمونة بنت سعد قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال لها: «فأرض المنشر والمحشر. اؤتوه فصلوا فيه فإن صلاتكم فيه كألف صلاة» قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: «فيهدي إليه زيتا ويسرج فيه، فإنه من أهدى كان كمن صلّى فيه»(32).

وما أخرجه الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أيّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: وكم بينهما؟ قال: «أربعون عاما»(33).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس»(34).

بهذا أصبحت مدينة القدس وما حولها من أرض فلسطين جزءا من الإسلام قبل أن تصبح جزءا من تاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم وثقافتهم.

فتقديس هذه المدينة المطهرة المباركة المقدسة لدى المسلمين ثابت بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

المؤامرة الصهيونية على المدينة المقدسة

لم تكن المدينة المقدسة هدفًا للصهاينة منذ احتلالها إثر حرب حزيران/يونيو 1967م فحسب؛ بل كانت هدفا لهم عبر التاريخ،



حاكوا لها مخططا استعماريا مدروسا منظما قديما قدم المطامع الصهيونية في فلسطين نفسها نظراً لعلاقة مدينة القدس بالعرب والمسلمين.

فقد اتخذت المؤامرة الصهيونية ضد المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة أساليب متعددة ترمي في مجملها إلى تخريب هذا الأثر الإسلامي المقدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وإنهاء الارتباط الإسلامي التاريخي بمدينة القدس التي يمثل المسجد الأقصى المبارك رمزاً أساسيًا لها.

وقد تراوحت هذه الأساليب بين أعمال الحفر المبكرة حول المسجد من الناحيتين الغربية والجنوبية والتي انتهت بامتداد الحفريات إلى الأنفاق أسفل المسجد، ومحاولات التسلل التي لا حصر لها تحت ستار إقامة الصلاة في المسجد. في حين أن الهدف الحقيقي لها هو فرض الأمر الواقع اليهودي على الحرم كما حدث في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل؛ حيث انتهت عمليات الدخول إليه والصلاة فيه إلى تقسيمه بين المسلمين واليهود، ثم محاصرة أماكن المسلمين والتضييق عليهم فيه تمهيداً لإخراجهم وتهويد الحرم نهائيًا.

ومن الأساليب الصهيونية الرامية لتهويد الحرم المقدسي:

أولاً: حريق المسجد الأقصى: كانت جريمة إحراق المسجد الأقصى أولى محاولات تدمير هذا المكان المقدس وتخريبه؛ ففي 1969/8/21م أوعزت جهات صهيونية لسائح استرالي من أصل يهودي يدعى مايكل دينس روهان بإشعال النار في المسجد الأقصى، وقد أسفرت هذه الجريمة النكراء عن إحراق منبر صلاح الدين بأكمله والسطح الشرقي الجنوبي للمسجد ومنبر السلطان نورالدين الشهيد والكثير من التحف والآثار.

وقد اكتفت سلطات الاحتلال الصهيوني باعتقال المجرم وتقديمه إلى محاكم صورية ادعت خلالها بأنه مجنون، وقامت بتبرئته على هذا الأساس وإطلاق سراحه؛ حيث سافر إلى الخارج لمدة عام عاد بعدها للاستقرار في فلسطين المحتلة.

ومما ينفي عن المجرم المذكور صفة الجنون ويؤكد تدبير السلطات الإسرائيلية لحادث الحريق؛ بل وإصرارها على أن تأتي النار على المسجد بأكمله الأدلة التالية:

1ـ قطع المياه عن منطقة الحرم فور ظهور الحريق وتتحكم في هذه المياه الجهات الإسرائيلية في بلديةالقدس المحتلة.

2ـ تأخير وصول سيارات رجال الإطفاء التابعة لبلدية القدس المحتلة وعدم إسهامها في إطفاء الحريق.

3ـ أن الذي أسهم فعلاً في إخماد الحريق هم المواطنون العرب أبناء القدس وإطفائيتا بلديتي رام الله والخليل.

4ـ تؤكد تقارير المهندسين في لجنة إعمار المسجد الأقصى أن الحريق نشب في أكثر من موضع وأن شخصًا واحداً لم يكن قادراً على القيام بهذا العمل بمفرده مما يؤكد أن أكثر من شخص واحد اشترك في جريمة الإحراق.

ثانيا الحفريات: كانت الحفريات حول المسجد الأقصى وتحته من الناحيتين الغربية والجنوبية أحد الأساليب التي اتبعت لتخريبه وتصديع جدرانه، وهي تبدو في ظاهرها محاولة للبحث عن بقايا الهيكل المزعوم إلا أنها تهدف في حقيقتها إلى:

1ـ هدم وإزالة المباني الإسلامية من معاهد ومساجد وأسواق ومساكن ومقابر قائمة فوق منطقة الحفريات، وملاصقة أو مجاورة لحائط المبكى «حائط البراق الإسلامي» وعلى طول امتداده، وقد دمرت القوات الإسرائيلية بعد أيام من احتلالها مدينة القدس المنطقة الواقعة أمام حائط البراق وسوَّتها بالأرض تمامًا. وفي عام 1969م أزيلت حارة المغاربة بكامل أبنيتها ومدارسها ومساجدها التاريخية.

2ـ الاستيلاء على الحرم الشريف وتخريبه وإنشاء الهيكل في الموقع الذي يقوم عليه حاليا المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

وقد بدأت الحفريات الإسرائيلية في القدس في أواخر 1967م، ومرت حتى الآن بما يزيد على عشر مراحل، كانت أخطرها مرحلة النفق الذي يصل بين أسفل حائط البراق وأسفل قبة الصخرة ويمتد تحت الحرم القدسي الشريف.

وقد اكتشفت الأوقاف الإسلامية عمليات الحفر الإسرائيلية في هذا النفق عن طريق المصادفة في 1981/8/17م



الحياة تسير بالرغم من الاحتلال البغيض، وهنا الناس يتسوقون من فاكهة فلسطين الشهيرة وخضرواتها



فأرسلت فريقًا من العمال والفنيين لإغلاق النفق يوم 1981/9/2م إلا أن المتطرفين اليهود تصدوا للفريق الفلسطيني واشتبكوا معه مما أدى إلى جرح ثلاثة من العمال العرب.

إزاء ذلك أصدرت الهيئة الإسلامية بيانات دعت فيها إلى إعلان الإضراب العام يوم الخميس 1981/9/3م وفي هذا اليوم تمكنت الهيئة الإسلامية من إغلاق فتحتي النفق.

ويتبين من الضجة التي أثارتها أجهزة الإعلام الإسرائيلية حول هذا النفق أن هناك محاولة للإيهام بأن اكتشافه ينطوي على بعض الدلالات الأثرية التي تخدم أسطورة البحث عن الهيكل المزعوم، لكن هذه الادعاءات لاتنطوي في الحقيقة على أية دلالات باعتراف علماء الآثار اليهود أنفسهم؛ فقد صرح مئير بن دوف أحد علماء الآثار الإسرائيليين بأن العثور على هذا النفق لايعد اكتشافًا، فالنفق كان معروفًا منذ 110سنوات عندما اكتشفه الكولونيل البريطاني تشارلز وارين، وهو جزء من شبكة قنوات مائية أقيمت في عهد الصليبيين ولم تكن هذه القنوات سرية.

ويفيد التقرير الذي أصدره مهندس أعمال المسجد الأقصى أن النفق أثر إسلامي خالص، وهو يمتد من أسفل الحائط الغربي للحرم القدسي في الموقع المسمى «المطهرة»، ما بين بابي السلسلة والقطانين، باتجاه الشرق مسافة 25 مترًا وبعمق ستة أمتار حتى يصل إلى مقابل سبيل قايتباي المواجه لقبة الصخرة المشرفة وعلى بعد 30 مترًا منها إلى الجهة الغربية.

ثالثا: المزاعم حول تشابه الحجارة: زعم فريق الحفر التابع لوزارة الأديان الإسرائيلية أثناء الضجة التي أثيرت في أواخر آب/أغسطس 1981م حول النفق الممتد ما بين المطهرة وسبيل قايتباي، أن حجارة النفق هي من نوع حجارة الهيكل، وذلك في محاولة للزعم بأن الهيكل كان قائما في المكان الذي تقوم عليه حاليًا قبة الصخرة المشرفة.

ومثل هذه المزاعم كانت الجهات الإسرائيلية قد حاولت الترويج لها في وقت سابق حين نشرت صحيفة الجروسالم بوست الصهيونية على صدر صفحتها الأولى يوم 1980/3/21م تحقيقًا زعمت فيه أنه قد عثر على حجارة من العهد الهيرودي في إحدى قباب ساحة الصخرة المشرفة (قبة الرياح)، وهذا يدل ـ على حد زعم الصحيفة ـ على أن الهيكل كان قائمًا في المكان نفسه.

إن الترويج لمزاعم العثور على حجارة تشابه حجارة الهيكل هو محاولة للتشبث بالأباطيل بعد أن عجزت الحفريات التي استمرت ما يزيد على ربع قرن حول المسجد الأقصى وتحته عن الكشف عن أية آثار للهيكل المزعوم.

رابعا: المحاولات المتكررة للصلاة في المسجد الأقصى: بدأت المحاولات الإسرائيلية لاقتحام المسجد الأقصى وساحاته الخارجية في وقت مبكر. فقبل ثلاثة أيام من حريق الأقصى المدبر وفي 1969/8/18م قام نفر من الشبان اليهود بالتسلل إلى الحرم القدسي ثم الطواف حول قبة الصخرة وهم يرتلون المزامير والأدعية وبعض فقرات من التوراة.

وفي 1973/8/7م قام عضو الكنيست الإسرائيلي «بنيامين هاليفي» والحاخام لويس رابينوفيش بالدخول إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه.

وفي مطلع مايو/أيار 1975م قامت مجموعة من العصابات الصهيونية بالتسلل إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه، وقد تصدى لهم حراس الحرم والمواطنون الفلسطينيون. ثم توالت عمليات انتهاك حرمة المسجد الأقصى ومحاولات الصلاة فيه. وفيما يلي أبرز هذه المحاولات التي قامت بها الجماعة الصهيونية المتطرفة التي تطلق على نفسها اسم «أمناء جبل البيت»:

1ـ اقتحمت هذه الجماعة ساحة الحرم القدسي يوم 1980/10/3م يرافقها الحاخام موشيه شيفل وبعض قادة حركة هتحيا المتطرفة وأدوا الصلاة، وهم يرفعون العلم الإسرائيلي ويحملون التوراة.

2ـ كررت هذه الجماعة عملية الاقتحام وأداء الصلاة دون أن يتعرض لها رجال الشرطة يوم 1981/4/23م.

3ـ بعث الحاخام «م. غالش» بمذكرة إلى وزير الأديان الإسرائيلي يطالبه فيها بالسماح لليهود بدخول المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه (صحيفة هارتس 1981/6/25م).

4ـ أصدرت الهيئة الإسلامية في القدس بيانًا في 1981/7/7م نددت فيه بالمحاولات المتكررة التي قام بها أعضاء حركة أمناء جبل البيت لإقامة الصلوات في ساحة المسجد الأقصى، ونددت بالدعم الذي تتلقاه هذه الجماعة من قبل شخصيات سياسية إسرائيلية مسؤولة.

5ـ كان من أعنف هذه المحاولات ما حدث يوم 1981/8/9م الذي صادف ما يسمى بذكرى خراب الهيكل؛ فقد حاولت مجموعات كبيرة من الشبان اليهود أكثر من مرة التسلل من عدة أبواب إلى داخل الحرم القدسي لإقامة الصلاة فيه. فقد كسروا باب المغاربة وحطّموا قفل الباب، وصعدوا إلى بناية التنكرية، ولكن المسلمين تصدوا لهم وحالوا دون دخولهم.

6ـ خلال الفترة من آب/أغسطس 1981م وحتى محاولة الاقتحام المسلح للحرم القدسي والتي جرت يوم 1983/3/10م حدثت محاولات عديدة لاقتحام المسجد والصلاة فيه من قبل المجموعات الدينية المتطرفة التي تنتمي إلى حركة كاخ وحركة أمناء جبل البيت وحلقة المخلصين للأقصى. وفي بعض الحالات تمكن هؤلاء من الوصول إلى المسجد وأداء الصلاة في ساحاته الخارجية. وفي 1982/3/2م قامت مجموعة من أعضاء حركة أمناء جبل البيت وعددهم حوالي 15شخصًا مسلحين بالبنادق والسكاكين باقتحام باب السلسلة إلى الحرم القدسي بعد أن اعتدوا على أحد الحراس وطعنوه بالسكاكين ودخلوا إلى المصلى الذي يقع بين باب المغاربة والمسجد الأقصى، وحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين الحراس الذين هرعوا إلى المكان أسفرت عن إخلاء المقتحمين. وقد أثار هذا الاعتداء موجة عارمة من السخط في

مختلف أنحاء الأراضي المحتلة، وشهدت مدينة القدس إضرابًا شاملاً يوم الخميس 1982/3/4م، كما تظاهر المواطنون الفلسطينيون في الأراضي المحتلة.

7- في 1990/10/8م ارتكبت القوات الإسرائيلية مجزرة في مدينة القدس عندما أقدمت على إطلاق النار على جموع المواطنين الفلسطينيين المحتشدين في ساحة المسجد للدفاع عنه؛ مما أدى إلى استشهاد عشرين مواطنًا فلسطينيا، منهم إمام المسجد الأقصى الشيخ يوسف أبو سنينة، وسقوط المئات من الجرحى من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال الذين هبوا للدفاع عن المقدسات الإسلامية ضد جماعة «أمناء جبل الهيكل» التي قامت باقتحام ساحات المسجد الأقصى بالآلاف للاحتفال بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث بحماية القوات الإسرائيلية.

وفي 1993/9/22م أصدرت المحكمة الإسرائيلية العليا قرارًا باعتبار الحرم الشريف في القدس جزءًا من أرض دولة إسرائيل ووضعته تحت وصاية جمعية (أمناء الهيكل).

وفي 1995/8/3م قررت المحكمة الإسرائيلية العليا السماح لجماعة (أمناء الهيكل) بالدخول إلى الحرم القدسي الشريف والصلاة فيه. والغرض من هذا القرار هو تقسيم المسجد الأقصى وتهويده ثم يدّعي اليهود بعد ذلك بأن لهم حقًا شعائريًا في المسجد الأقصى.

خامسًا: الاقتحام المسلح وتفجير الأقصى: لم تتوقف المحاولات الصهيونية لتهويد المسجد الأقصى عند هذه الأساليب، ولكنها تجاوزتها إلى الإعداد لتفجير الأقصى. فكانت أولى المحاولات الخطة التي وضعها الحاخام مائير كهانا زعيم حركة كاخ، وشرع في تنفيذها في مايو/أيار 1980م بحجة الرد على عملية الدبوية التي نفذها رجال المقاومة في الخليل.

وقد وضع المتطرفون اليهود مخزنًا كبيرًا للمتفجرات يوم 1980/5/11م على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية للإعداد لنسف الأماكن الإسلامية المقدسة، وقد اكتُشف مخزن المتفجرات قبل أيام معدودة من الساعة التي حددها كهانا لتفجير المسجد الأقصى.

وفي يوم 1982/1/15م اعتقلت الشرطة الإسرائيلية طالبًا يهوديًا يدعى مردخاي مندل بعد أن أعلن عن عزمه على إحراق المسجد الأقصى ولكن المحكمة الإسرائيلية أطلقت سراحه.

وفي يوم 1982/4/11م حاولت جماعة من اليهود من أتباع كهانا ولجنة أمناء جبل البيت الدخول إلى المسجد الأقصى فتصدى لهم الحراس والمواطنون العرب، وفي هذه الأثناء قام أحد الجنود الإسرائيليين ويدعى آلان جودمان باقتحام الحرم القدسي وهو يطلق النار؛ مما أدى إلى قتل اثنين من حراس المسجد هما محمد اليماني (56 عامًا) وجهاد بدر (21 عامًا)، ثم واصل إطلاق النار بشكل عشوائي على المصلين داخل المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وفي الوقت نفسه كان عدد كبير من الجنود الإسرائيليين والمستوطنين المسلحين يقتحمون ساحات المسجد الأقصى، ويطلقون النار على المواطنين الذين هرعوا لحماية الأقصى تلبية للنداءات التي انطلقت من المآذن، وقد أدت الاشتباكات إلى سقوط 120جريحًا وإلى حدوث حريق في سجاد قبة الصخرة وإلى أضرار مادية جسيمة.

سادسًا: محاولة احتلال الأقصى: ثم جاءت المحاولة المسلحة لاحتلال المسجد الأقصى والاستيطان فيه أو إقامة كنيسة بالقوة على ساحته الداخلية، وكان المستعمرون المزودون بالأسلحة والمتفجرات، والذين بدؤوا باقتحام المسجد الأقصى عبر النفق السري الذي كشفت عنه الحفريات الجنوبية، ينوون الوصول إلى ساحات المسجد الأقصى حيث يعلنون العصيان المسلح في داخله، ويقيمون - حسب ماورد في اعترافاتهم - نواة استيطانية ومركزًا يهوديًا مسلحًا داخل الحرم القدسي.

وقد جرت هذه المحاولة ليلة 1983/3/11م، وقد كشفت أن وراءها تنظيمات مدعومة بالمال والسلاح، من بينها - بالإضافة إلى حركة كاخ وأتباع موسيه ليفنغر - حركة أمناء البيت وصندوق جبل البيت، وهما حركتان متطرفتان تتطلعان - كما هو معلن - إلى إقامة الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.

سابعًا: محاولة إدخال المتفجرات: في ليلة الجمعة 1984/1/27م قامت مجموعة يهودية مسلحة بمحاولة لاقتحام الحرم القدسي من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة. وقد نصبوا السلالم من الحبال وبدؤوا بالصعود؛ إلا أن حراس المسجد اكتشفوا أمرهم قبل أن يتمكنوا من ذلك. فلاذوا بالفرار تاركين وراءهم قنابل يهودية وحزمًا من المتفجرات وبعض الأمتعة؛ وقد تبين من التحقيقات أن أفراد هذه المجموعة ينتمون إلى جماعة دينية متطرفة تطلق على نفسها اسم أبناء يهوذا. وقد اعترف وزير الشرطة الإسرائيلي أن كل القنابل والمتفجرات التي عثر عليها لدى





بائع الشربات وماسح الأحذية، من مظاهر الحياة الشعبية في مدينة القدس

المجموعة اليهودية هي من صنع الجيش الإسرائيلي.

ثامنًا: اقتحام مبنى المحكمة الشرعية: في يوم الاثنين 1991/11/18م قامت قوات من الجيش الإسرائيلي تساندها وحدات من حرس الحدود باقتحام مبنى المحكمة الشرعية في القدس. وقامت بسرقة ملفات ووثائق تاريخية مهمة تحتوي على وقفيات



فلسطينية منذ 500 عام، وعلى وثائق عن تاريخ القدس خلال حقبات مختلفة وذلك لطمس الأثر العربي والإسلامي للمدينة.

وهذه الخطوة لم يسبق لها مثيل لا قديما ولا حديثًا نظرًا لأهمية الوثائق التي تمت سرقتها وخطورتها وقيمتها التاريخية. ويقارب عددها 600 سجل تتضمن عقودًا للبيع والشراء

بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين(36).

وبعد حرب 1967م واحتلال إسرائيل بقية الأراضي الفلسطينية ومن ضمنها القدس، وأجزاء من أراضي الدول العربية المجاورة، تهيأت للكيان الصهيوني الفرصة المناسبة لاحتواء تلك المناطق مع تهويدها التدريجي سيادة واقتصاداً وأرضا وثقافة، وبشكل خاص مدينة







صور من معاناة أهل القدس، بل أهل فلسطين في البحث عن لقمة العيش في ظل الاحتلال

والوقف بأسماء أشخاص وجماعات وهيئات الخير والبر وتشمل العقود أملاكًا وعقارات ووقفيات في فلسطين عامة(35).

الاستيطان في القدس وما حولها

شكل الاستيطان اليهودي في القدس منذ النصف الثاني للقرن الماضي الأداة الرئيسية للحركة الصهيونية في تحقيق برنامجها

القدس لما لها من أهمية سياسية واستراتيجية.

لقد كان الاندفاع الاستيطاني الجنوني مستمرا في القدس بمساعدة الحكومة الإسرائيلية وبتشجيع منها. وفي أول جلسة للحكومة الإسرائيلية بعد الحرب يوم 11حزيران/يونيو 1967م اتخذت الحكومة الإسرائيلية قرارًا بالبدء في استيطان مدينة القدس العربية.

وفي الثاني والعشرين من حزيران/يونيو 1967م أعلنت الحكومة الإسرائيلية «توحيد» القدس الشرقية مع القطاع الإسرائيلي للقدس «القدس الغربية»، وقد حُلَّت بلدية القدس الشرقية، وأُبعد أمين القدس روحي الخطيب مع عدد من زعماء القدس. وبعد ثلاثة أسابيع طبقت القوانين الإسرائيلية على القدس الشرقية، ووسعت حدودها بضم 72كم2 من أراضي الضفة الغربية إلى بلدية القدس الإسرائيلية، ودمج نحو 70 ألف فلسطيني كانوا يعيشون هناك.

وفي عام 1980م وافق الكنيست الإسرائيلي على قانون يضفي الصفة الرسمية على ضم القدس الشرقية القائم فعلاً، أما الأراضي التي ضُمَّت إلى الكيان الإسرائيلي فتشمل الأراضي التابعة لثمان وعشرين قرية فلسطينية مختلفة تقع أصلاً خارج حدود بلدية القدس الشرقية.

وقد وُضعت الحدود البلدية الجديدة للقدس بحيث يمكن زيادة أرض البلدية مع استبعاد أكبر عدد ممكن من الشعب الفلسطيني، وفي الوقت نفسه وضعت القيود على استغلال كثير من الأراضي الفلسطينية مما أدى إلى وقف التوسع السكاني الفلسطيني.

وفي عام 1968م صودر ألف فدان من أرض خاصة يمتلكها أحد الفلسطينيين لإنشاء أول مستوطنتين إسرائيليتين في القدس الشرقية، هما التلة الفرنسية وراموت أشكول، كما أنشئت منطقة صناعية هي عطروت.

وفي عام 1970م صودرت أراض أخرى يمتلكها فلسطينيون في القدس الشرقية وبنيت عليها أربع مستوطنات، هي راموت، وتلبيوت الشرقية، وغيلو، والنبي يعقوب.

وصودر مزيد من الأراضي قرب النبي يعقوب عام 1980م، وقُدِّم جزء منها لبناء مستوطنة بيسغات زئيف. ومنذ عام 1982م بدأت الحكومة الإسرائيلية بعملية تطبيق خطة «القدس العاصمة» التي وضعت بحيث تضم المزيد من أراضي الضفة الغربية وتضعها تحت السيطرة الاسرائيلية. وقد استخدمت الكثير من هذه الأراضي لإنشاء المستوطنات مثل معلية أدوميم. وإيفرات، وزئيف غيفون. ويوجد ما يقارب 120ألف إسرائيلي في حزام المستوطنات حول القدس الشرقية.

وقد اعترف عضو مجلس مدينة القدس «عميراف» بالمعاملة العنصرية التي تتعامل بها الحكومة الإسرائيلية مع الشعب الفلسطيني في القدس بقوله: «تم بناء 70 ألف شقة لليهود منذ عام 1967م، ولم يحصل العرب على 5 آلاف شقة خلال الفترة نفسها، وتم إنشاء عشر ضواحٍ يهودية حديثة ولم تنشأ للعرب أي ضاحية أو حيّ، وتمت إعادة إصلاح ستة إحياء من خلال مشروع التحديث لم يكن أي منها في القطاع العربي، وتمت الموافقة على عشرات الخطط الرئيسية للقطاع اليهودي خلال السنوات الأربع والعشرين الماضية، ولم يوافق على أية خطة للقطاع العربي وفي شمال وشرقي المدينة».

وقد أجبرت الأزمة السكنية الحادة التي يواجهها فلسطينيو القدس الشرقية السكان على

الانتقال إلى خارج المدينة أو البناء دون الحصول على إذن من السلطات الإسرائيلية ومن ثم فهم معرّضون لهدم مابنوه، وطبقا لإحصاءات وزارة الداخلية الإسرائيلية فقد تم خلال عامي 1987-1988م هدم ما مجموعه 800 منزل في القدس الشرقية وصدرت الأوامر بهدم 276 منزلاً، وكل المنازل التي هُدمت تعود لفلسطينيين لم يتمكنوا من الحصول على أذونات بناء إسرائيلية.

وفي نيسان/أبريل 1995م قررت الحكومة الإسرائيلية مصادرة 540 دونمًا من أراضي القدس الشرقية لأغراض بناء حي للاستيطان اليهودي ومركز للشرطة، وقد تم تجميد هذا القرار بعد عدة أيام تحت الضغوط الإقليمية والدولية.

وفي تموز/يوليو 1995م كشفت دراسة لجامعة الدول العربية عن وجود مخطط سري أقرّته الحكومة الإسرائيلية لمصادرة المزيد من الأراضي العربية المحتلة في مدينة القدس لإحداث تغيير شامل في المعادلة السكانية (الديموجرافية) لصالح المستوطنين اليهود. وأوضحت الدراسة أنه بموجب المخطط السري أصبحت القدس تضم حاليًا 70٪ من إجمالي المستوطنين في الضفة الغربية في إطار ما يسمى بالقدس الكبرى.

وأشارت إلى أن إسرائيل تخطط لكي يصبح سكان القدس نحو مليون يهودي عام 2010م مما يؤدي إلى تغيير شامل في المعادلة السكانية حتى يصبح العرب نقطة في بحر يهودي.

وذكرت الدراسة أن المخطط الإسرائيلي يأتي خلافًا للقرار الذي أعلنته إسرائيل في نيسان/أبريل الماضي بتعليق مصادرة 540 دونمًا في قريتي بيت صفاف وبيت حنينا.

وأضافت أن المخطط الاستيطاني السري يرمي إلى الاستيلاء على 4400 دونم من أراضي القدس لبناء مستوطنات يهودية جديدة بموجب خطة أقرتها الحكومة الإسرائيلية في آب/ أغسطس العام الماضي.

واستعرضت الدراسة عملية تهويد المدينة المقدسة منذ احتلالها عام 1967م، مشيرة إلى أن ذلك جاء ضمن عدد من الإجراءات العسكرية والإرهابية والتشريعية والإدارية بما يتناقض واتفاقية جنيف الرابعة وحقوق الإنسان.

وأشارت إلى ما يسمى بمشروع القدس الكبرى الإسرائيلي الذي يستهدف ضم تسع مدن وستين قرية عربية وإنشاء 28 مستوطنة جديدة على الأراضي العربية المصادرة، فيما باشرت إسرائيل ببناء 20 ألف وحدة سكنية كمرحلة أولى على أراضي مدينة القدس وضواحيها لتوطين المهاجرين الجديد.

وأوضحت أن ما تبقى من القدس للعرب لايتجاوز 21٪ من مساحتها في الوقت نفسه الذي أصبحت فيه ما يسمى بالقدس الكبرى تضم 70٪ من مجموع المستوطنين في الضفة الغربية.

وذكرت الدراسة أن نسبة المباني الجديدة التي أقيمت للعرب في المدينة منذ عام 1967م لاتتجاوز 12٪ رغم إقرار البرلمان الإسرائيلي بناء 7200وحدة سكنية للعرب وهو ما لم يحدث.

وأعادت إلى الأذهان ما زعمه وزير الخارجية الإسرائيلي - وقتذاك - شمعون بيريز بأن 62٪ من الأراضي التي صادرتها إسرائيل - مؤخرًا - تعود ليهود، بينما 8٪ منها غير معروف أصحابها، فيما يمتلك المواطنون العرب النسبة الباقية (37).

المملكة العربية السعودية وقضية القدس

ظلت قضية أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين في مقدمة اهتمامات القيادة السعودية الحكيمة؛ بل إنها قضيتها الأولى التي لم تدخر وسعا في جهادها واهتمامها بهذه القضية عبر تاريخها الطويل.

فاهتمام المملكة العربية السعودية بالقضية الفلسطينية قائم على أساس الطابع العربي والإسلامي لهذه القضية، وتجسد قضية القدس ذروة الاهتمام بالجانب الإسلامي من القضية الفلسطينية.

وقد كان من أهم دواعي قلق المملكة من تطورات الصراع العربي الإسرائيلي عام 1967م احتلال إسرائيل للقطاع الشرقي من المدينة المقدسة؛ حيث القطاع الغربي في يد السلطات الإسرائيلية منذ استولت عليه مع جزء كبير من الأراضي الفلسطينية عام 1948م.

ولقد تبنّت المملكة العربية السعودية قضية القدس، ووقفت بكل صلابة في مواجهة المؤامرات الصهيونية ضد المدينة ومقدساتها، ومحاولات طمس تاريخها الإسلامي، واغتصاب أراضيها، وتهجير أهلها، وصولاً إلى إحداث تغيير في تركيبة السكان يرجح الكفة اليهودية. وانطلق الموقف السعودي بشأن القدس من اقتناع راسخ بأن القدس هي صلب القضية الفلسطينية التي هي محور الصراع العربي الإسرائيلي.

ودعمت المملكة تمسك المواطنين العرب بأراضيهم ومقدساتهم، ووقفت إلى جانبهم تخفف عنهم وطأة الإجراءات التعسفية التي تمارسها السلطات الإسرائيلية ضدهم.

ولم يألُ الملك عبدالعزيز - رحمه الله - جهدا في توكيد عروبة القدس وإسلاميتها. ففي رسالة وجهها إلى الرئيس الأمريكي الراحل روزفلت في 1357/10/7هـ (29 نوفمبر 1938م) بيّن فيها - رحمه الله - قِدَمَ الوجود العربي في فلسطين،

«صندوق القدس» الذي تدعمه المملكة العربية السعودية، يرمي إلى المحافظة على الطابع العربي والإسلامي للمدينة، وهو واحد من مصارف الخير التي تقدمها المملكة لأبناء الشعب الفلسطيني



ومما جاء في هذه الرسالة قوله:

«إن سلطان العرب كان منذ الزمن الأقدم على فلسطين إلى زماننا هذا. وقد كان العرب في سائر أدوار حياتهم محافظين على الأماكن المقدسة، معظمين لمقامها، محترمين لقدسيتها، قائمين بشؤونها بكل أمانة وإخلاص...

ولذلك فهي عربية عرفًا ولسانًا وموقعًا وثقافة، وليس في ذلك أي شبهة أو غموض. وتاريخ العرب في تلك البلاد، مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة».

وفي لقاء مع مندوب مجلة لايف في 13 ربيع الأول 1362هـ (21 مارس 1943م)

مئذنة باب الأسباط

أما حقوق العرب في فلسطين، فإنها لاتقبل المجادلة. لأن فلسطين بلادهم، منذ أقدم الأزمنة. وهم لم يخرجوا منها. كما أن غيرهم لم يُخرجهم منها. وقد كانت من الأماكن التي ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهارًا يدعو إلى الإعجاب.

أكد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الحقائق المتعلقة بعروبة فلسطين وعاصمتها القدس، فقد قال ـ رحمه الله ـ:

«إن فلسطين كانت، من قبل البعثة المحمدية، للعرب».

كما كتب الملك عبدالعزيز رسالة إلى تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في 26 ربيع الأول 1364هـ (10مارس 1945م) يشرح فيها الحقائق التاريخية عن فلسطين، ومما جاء في رسالته:

«يبتدئ تاريخ فلسطين المعروف من سنة 3500 قبل الميلاد. وأول من توطن فيها الكنعانيون. وهم قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب»(38).

فبعد إحراق اليهود للمسجد الأقصى في 1969/8/21م وجه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ نداء إلى العالم الإسلامي، كما طلب عقد مؤتمر إسلامي لمعالجة الوضع والنظر في خطورة إحراق المسجد الأقصى. وبالفعل عُقدَ أول مؤتمر إسلامي في الرباط المغربية في الشهر الذي تلا حريق المسجد الأقصى؛ حيث وضع حجر الأساس لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي أُعلن ميثاقها في اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة في مارس/آذار 1972م؛ حيث نص هذا الميثاق على أن تكون مدينة جدة مقرًا لمنظمة المؤتمر الإسلامي بصفة مؤقتة لحين نقل هذا المقر إلى القدس بعد استعادتها(39).

وقد أنشئت لجنة القدس عام 1975م في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، ويرأس اللجنة الملك الحسن الثاني ملك المغرب، والمملكة العربية السعودية أحد أعضائها.

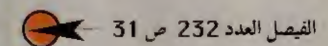
ولجنة القدس تأسست بتوصية من المؤتمر السادس لوزراء الخارجية الإسلامي المنعقد في جدة برئاسة الملك الحسن الثاني، ولكن المملكة اقترحت ـ تقديرًا لأهمية عمل اللجنة ـ أن تنعقد على مستوى وزراء الخارجية المسلمين.

ووافق على ذلك المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في مدينة فاس بالمغرب في مايو/آيار 1979م، والذي خصص مؤتمره هذا للبحث في قضية فلسطين والقدس. وفي ضوء الأهمية الجديدة لعمل اللجنة، كلفها المؤتمر العاشر أن تقوم بصفة خاصة بوضع وتنفيذ برنامج سياسي وإعلامي في العالم غير الإسلامي، بالإضافة إلى مهام اللجنة التي سبق للمؤتمر السادس تحديدها، وهي دعم قرارات هيئات منظمة المؤتمر الإسلامي على مختلف المستويات للمحافظة على عروبة القدس وطابعها الإسلامي. وتضم اللجنة حاليًا 15عضواً هي: السعودية وغينيا وبنجلاديش وإندونيسيا والأردن ولبنان وموريتانيا والنيجر وفلسطين والسنغال وسورية وإيران والعراق والأمانة العامة(40).

وتدعم المملكة العربية السعودية صندوق القدس، ووقفيته، وقد تأسس الصندوق في نطاق الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مايو/آيار 1976م بقرار من المؤتمر الوزاري عام 1976م المنعقد في اسطنبول.

ويهدف الصندوق إلى مقاومة سياسة التهويد والمحافظة على الطابع العربي والإسلامي، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني في القدس وبقية الأراضي العربية المحتلة. ويجتمع الصندوق عادة قبيل اجتماع لجنة القدس وفي مكانها، وتصادق لجنة القدس على قرارات الصندوق(41).

وكانت المملكة العربيةالسعودية في مقدمة دول العالم العربي



والإسلامي التي استنكرت قرار الحكومة الإسرائيلية بضم مدينة القدس واعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل. وفي هذا الصدد يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز:

«بعد أن قامت إسرائيل بإعلان القدس عاصمة موحدة وأبدية لها، مخالفة قرارات مجلس الأمن الدولي ومتحدية إرادة المجتمع الدولي وحقوق الأديان السماوية الأخرى؛ فإننا لا نُلام إذا اعتمدنا أسلوب الجهاد المقدس، فالحرب الدينية العنصرية العسكرية التي تشنها إسرائيل ضد العرب والمسلمين لن يوقفها إلا الجهاد، والمقصود بالجهاد المقدس هو مجابهة عربية وإسلامية واحدة شاملة وكاملة، نضع فيها جميع إمكاناتنا وطاقاتنا الروحية والثقافية والسياسية والمادية والعسكرية في جهاد طويل دؤوب نستهله بالجهاد مع النفس والذات حتى نطهر نفوسنا من الأحقاد والأدران والخلافات»(42).

وقد أصدر الديوان الملكي السعودي بيانًا ندد فيه بهذا القرار الإسرائيلي واعتبره خطوة عدوانية ضد الأمة العربية والإسلامية، وقال:

«إن هذه الخطوة تعتبر قرارًا خطيرًا يستوجب صحوة الضمير العالمي للوقوف ضد هذا الإجراء الإجرامي الذي يهدف إلى تدنيس القدس الشريف ووضعه إلى الأبد تحت السيطرة الإسرائيلية».

وأكد البيان أن المملكة العربية السعودية تؤمن إيمانًا مطلقًا بأنه لا سلام ولا استقرار في المنطقة ما لم يتحقق السلام العادل الذي يعطي الفلسطينيين حقهم في تقرير مصيرهم وإقامة دولتهم المستقلة على أرضهم ووطنهم وعودة الأراضي إلى ما كانت عليه قبل عام1967م.

وفور صدور هذا البيان بدأت المملكة اتصالات مكثفة عربيًا وإسلاميًا ودوليًا لمواجهة إجراءات الحكومة الإسرائيلية في ضم القدس(43).

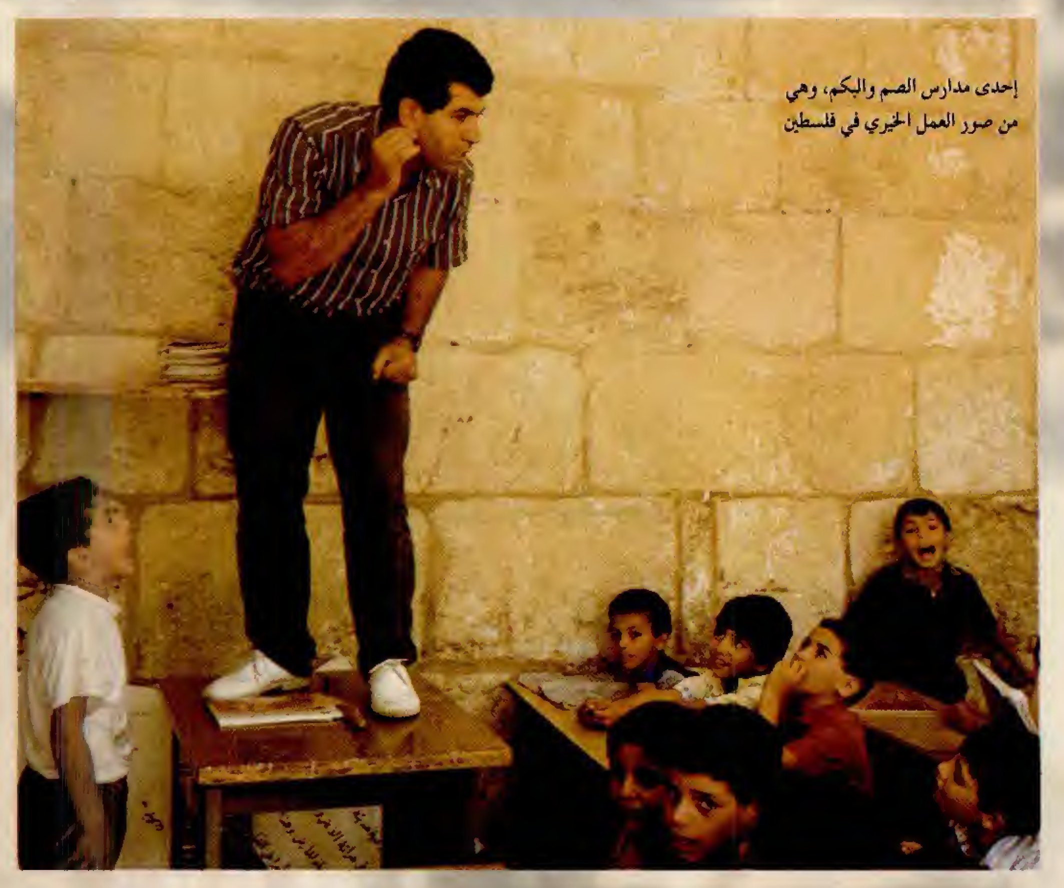
واضطلعت المملكة العربية السعودية بجهود دبلوماسية مكثفة على مختلف الأصعدة من أجل القدس، وتعاونت في هذا الشأن مع الدول الإسلامية حتى صدور قرار مجلس الأمن رقم 478 في عام 1980م الذي يطالب فيه جميع الدول التي أقامت بعثات دبلوماسية في القدس بسحبها فورًا، وهو القرار الذي أجمعت مختلف الأوساط على اعتباره نصرًا للدبلوماسية الإسلامية وإحباطًا لمخطط صهيوني تجاه مدينة القدس(44).

وبادرت المملكة إلى تنظيم ندوة عالمية خاصة حول «قضية القدس» دعت إليها قادة الفكر والرأي ورجال السياسة والأساتذة المختصين؛ فاجتمعوا في العاصمة البريطانية في كانون الأول/ديسمبر 1979م. وفي الرسالة التي وجهها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حين كان وليًا للعهد - أعلن أن قضية القدس هي أهم المرتكزات لسياسة المملكة الخارجية(45).

لقد أكدت المملكة العربية السعودية في جميع المحافل العربية والإسلامية والدولية بأنه لاسلام دائمًا في الشرق الأوسط دون حل عادل لقضية القدس الشريف.

وفي كلمة أمام اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة المخصص لمناقشة قضية فلسطين، أكد مندوب المملكة لدى الأمم المتحدة السفير جعفر اللقاني أن قضية القدس الشريف تمثل جوهر النزاع العربي - الإسرائيلي، ومن ثم لا يمكن قيام سلام دائم في الشرق الأوسط دون التوصل إلى حل عادل لهذه القضية، يأخذ بعين الاعتبار قرارات الشرعية الدولية، لاسيما القرار 242 الذي يقضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1967م، والقرار رقم 252 المتعلق بالقدس الشريف، ومن ثم فإنه على إسرائيل الالتزام بعدم القيام بأي تغييرات ديموجرافية من شأنها تغيير وضع القدس والتأثير في المفاوضات القادمة لوضعها النهائي.

وأضاف السفير اللقاني: إن



إحدى مدارس الصم والبكم، وهي من صور العمل الخيري في فلسطين



مدينة القدس الشريف هي بالنسبة لجميع مسلمي العالم أولى القبلتين وثالث الحرمين، ولن يهدأ بالهم حتى تعود إليهم جميع حقوقهم في هذه المدينة المقدسة(46).

وفي مؤتمر القمة الإسلامية السابعة التي انعقدت بالدار البيضاء بالمملكة المغربية في ديسمبر/كانون أول 1994م استعرض صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني رئيس وفد المملكة المشارك في القمة، رؤية المملكة العربية السعودية تجاه التحديات والمخاطر التي تواجه أمتنا الإسلامية وما تتطلع إليه من آمال سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الفكري أو الثقافي.

وأكد سموه أن قضية القدس تمثل جوهر النزاع العربي - الإسرائيلي إلى جانب كونها قضية المسلمين الأولى. وقال:

«حيث إن قضية القدس الشريف تمثل جوهر النزاع العربي الإسرائيلي إلى جانب كونها قضية المسلمين الأولى، فليس من الممكن أو المعقول قيام سلام شامل ودائم في الشرق دون التوصل إلى حل عادل لهذه القضية. وعندما اتجه الرأي - في إطار عملية السلام - إلى تأجيل بحث قضية القدس إلى المرحلة النهائية في المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية فإن الدافع لذلك لم يكن على الإطلاق عدم أهمية هذه القضية، وإنما كان الحاجة إلى توفير أجواء من الثقة تسمح بالتعامل مع هذه القضية بصورة ناجحة في مرحلة لاحقة من هذه المفاوضات».

وتابع سمو ولي العهد حديثه بالقول:

«إن مفهومنا الثابت للقدس الشرقية هو أنها أرض محتلة ينطبق عليها قرار مجلس الأمن رقم242 من حيث الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة، كما ينطبق عليها القرار 252الذي يعتبر إجراءات إسرائيل بضم القدس إجراء لاغيًا وباطلاً. وبناء عليه ينبغي لنا العمل من أجل ضمان عدم قيام إسرائيل بتغيير التركيبة السكانية للقدس الشرقية، وكذلك الحيلولة دون اتخاذها لأي إجراء من شأنه التأثير سلبًا على نتائج مفاوضات المرحلة النهائية»(47).

وفي مختلف المراحل التي مرت وتمر بها هذه القضية الإسلامية يقف العالم على ما تضطلع به المملكة من دور مؤثر يمتد في الأمة الإسلامية عمقًا واتساعًا، وتدرك الأطراف المعنية بتطورات القضية الفلسطينية بصفة عامة والقدس بصفة خاصة أن الموقف السعودي هو انعكاس لمشاعر المسلمين في جميع أرجاء العالم. وما تنفعل به المملكة هو صدى جَيَشَان قلوب ملايين المسلمين، ولذلك فإن الفضل - بعد الله - يعود إلى المملكة في الإبقاء على جذوة قضية القدس متقدة دون أن تُشوه معالم القضية أو تُطمس أو تذوب في المسارات الأخرى المتشابكة التي تتصل بالصراع العربي - الإسرائيلي.

فالجهود السياسية والدبلوماسية الفاعلة التي تبذلها القيادة السعودية مشهودة تحسبًا لتمرير الخطط الهادفة لتحييد القدس أو المساس بطابعها الإسلامي أو الإساءة لمقدسات المسلمين فيها.

ولذلك فإن المملكة من منطلق رسالتها ودورها الإسلامي حريصة على مدينة القدس حرصها على مكة المكرمة والمدينة المنورة والحرمين الشريفين، ولا تألو جهدًا في العناية بما تشتمل عليه من مقدسات تهفو إليها قلوب المسلمين.. وما كان تجاوب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للنداء الذي وجهه مدير عام اليونسكو فيديريكو مايور في أبريل 1992م لإنقاذ قبة الصخرة ومسجدها في مدينة القدس إلا استشعاراً لهذه المسؤولية الإسلامية التي تبادر إليها المملكة دومًا.

وقد أعرب خادم الحرمين الشريفين عن شكره لاهتمام منظمة اليونسكو بالمقدسات الإسلامية ووجه - يحفظه الله - إلى توسيع المشروع ليشمل إجراءات الإصلاحات اللازمة لمسجد الصخرة والمسجد الأقصى المبارك ومسجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصيانة مساكن الأئمة والخطباء والمؤذنين القائمين على المساجد الثلاثة(48).

وتتواصل مواقف المملكة التاريخية في دعم الأعمال الإسلامية الجليلة والدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية ومقدسات المسلمين. وكما قدم خادم الحرمين الشريفين كل الجهد لنصرة القضية الفلسطينية في كل مراحلها، فإنه - يحفظه الله - يضيف للمواقف الجليلة للمملكة وقيادتها عملاً نبيلاً يدل على التزام هذا البلد تجاه القضايا الإسلامية والتزام قيادته وشعبه وذلك ببدء حملة تبرعات من أجل إنقاذ مقدسات القدس الشريف.

فقد صدرت تعليمات خادم الحرمين الشريفين لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في شباط/فبراير 1994م برعاية حملة تبرعات شعبية على مستوى جميع مناطق المملكة يُخصص ريعها لأغراض إعمار المقدسات الإسلامية في القدس الشريف(49).

لقد أكد خادم الحرمين الشريفين بهذه الخطوة أنه الزعيم الإسلامي الذي حقق لأكثر من مليار مسلم تطلعاتهم بخصوص المقدسات الإسلامية ورعايتها ومتابعتها دومًا بالترميم والإصلاح المستمرين؛ فالمواقف العظيمة لها دائمًا رجالها الكبار، وسيظل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مضرب المثل الإسلامي النبيل الدال على عظمة القائد وعظمة إنجازاته وأعماله.

وفي إطار السياق العام والتوجهات السياسية الثابتة للمملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين، وجَّه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين نداء في 1995/2/17م لإنقاذ القدس الشريف، وقد تبرع سموه لحملة إنقاذ القدس الشريف بمبلغ نصف مليون ريال(50).

لقد أثبتت المملكة العربية السعودية طوال دعمها وتأييدها لأبناء الشعب الفلسطيني أن رؤيتها السياسية للقضية الفلسطينية بعيدة المدى، تنطوي على فهم سياسي عميق أعطى الدور السعودي طابعًا خاصًا، ومكّن المملكة من الإحاطة بتفاصيل هذه القضية ودقائق.

ومن بين العوامل الكثيرة التي ميزت جهاد المملكة إلى جانب الحق الفلسطيني أن صانع القرار السعودي

في جميع العهود قد أدرك أهمية البعد الروحي الكامن وراء القضية، وتيقن من أن توظيف المشاعر الدينية لدى المسلمين كما يجب وبالطريقة السياسية المثلى يرفع من درجة حرارة القضية ويذكي نارها، ولهذا برعت القيادات السياسية السعودية في توظيف هذا البعد الروحي، وحشد مواقف المسلمين الساخطة والمستنكرة لكل عمل يهودي عدواني يستفز المشاعر الدينية، ويمس المقدسات الإسلامية. كما اعتمدت المملكة في جهدها السياسي الطويل ضد المحتل الإسرائيلي على التأكيد على عنصر الوحدة، وذلك بإبراز جهود وحدة العالم الإسلامي في مواقف الصهيونية العالمية.

ونستطيع القول: إن هذه العناصر هي الأكثر أهمية والأكثر تأثيرًا في مختلف المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية، فلايزال المسلمون يذكرون كيف أن العالم الإسلامي بأسره قد اهتز لمشروع التقسيم.. وقد أدّى الجهد السياسي السعودي دورًا مهمًا في إذكاء السخط العام في أوساط المسلمين. وفيما يختص بتوظيف عناصر المشاعر الدينية في خدمة القضية الفلسطينية، تعد القدس هي القضية المحورية التي تمثل عمق البعد الروحي لدى المسلمين. وفي ترتيب التوجهات السياسية للمملكة العربية السعودية تأتي قضية القدس الشريف في مقدمة مرتكزات سياستها الخارجية. وقد أدت الدبلوماسية السعودية دورًا بالغ الأهمية لتركيز اهتمام العالم على قضية القدس؛ بالتأكيد على عروبة الإسرائيلي من وهم الشرعية التي يحاول أن يضفيها على نفسه بتطبيق سياسة الأمر الواقع وسلاح القوة والبطش.

الخاتمة

إن الإصرار الإسرائيلي على احتلال مدينة القدس والخطط والإجراءات الحثيثة لتهويدها، وتغيير معالمها ومقدساتها وآثارها التي صمدت آلاف السنين أمام الحروب والنزاعات، يستهدف وضع العالم كله - بما في ذلك الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية - أمام أمر واقع مفاده أن القدس جزء من إسرائيل!!

لكن الشعب الفلسطيني لايزال يدافع عن حقه الشرعي في أرضه، ويعدُّ القدس بمنزلة القلب من قضيته كلها. بالإضافة إلى الإصرار العربي والإسلامي على أهمية المدينة المقدسة واستعادتها استنادًا إلى الشرعية الدولية المتمثلة في قرارات الأمم المتحدة، وبدعم الدول التي لا تشاطر إسرائيل ادعاءاتها في حق السيطرة على مدينة القدس وضمها إليها.

إزاء ذلك كله ستحدد مسألة القدس ما ستؤول إليه الأوضاع في المنطقة والعلاقات المستقبلية بين دولها وشعوبها لعدة عقود قادمة.

إن أي مساس بالوضع الديني والقانوني للمدينة المقدسة أو جعلها محل مساومة، لا يعد تنازلاً فحسب، ولكنه يعني أن الوضع الناشئ عن تسوية كهذه محكوم عليه بانهيار يضع المنطقة على فوهة بركان جديد، ويحمّل الأجيال القادمة تبعات مقارنة تاريخ المدينة المقدسة وما آلت إليه بين الأجداد والأحفاد.

فمما لاشك فيه أن تمسك إسرائيل بالقدس يشكل عقبة أساسية أمام تحقيق أي سلام في المنطقة، ويعرقل أي تحرك لتحقيق تسوية سياسية في هذا الجزء من العالم.

فموقف إسرائيل من مسألة القدس وعدم تخليها عنها يضعها أمام خيارين:

أن تفرض ما تدعيه سلامًا بشروطها.

أو أن يستمر الوضع على ما هو عليه من احتلالها وتهويدها للقدس ومواجهة إصرار الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية في انتزاع القدس من مغتصبيها.

من هنا نقول: إنه لا سلام دائمًا من دون القدس.

وهذا ليس مجرد شعار، ولكنه استشراف للمستقبل لايستند إلى معرفة بغيب؛ بل هو استقراء لتراثنا وتاريخنا، ورؤية ممتدة عبر محطات تمتزج فيها شخصية أمتنا وإرثها وما يختزن في ضميرها من معان ارتبطت بالإسراء والمعراج والبراق والوثيقة العمرية وحطين وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

الهوامش:

1- رفيق شاكر النتشة وآخرون: تاريخ مدينة القدس، عمّان 1984م.
2- مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، الجزء التاسع، بيروت 1975م.
3- المصدر السابق.
4- خليل طوطح وحبيب خوري: جغرافية فلسطين، القدس 1923م.
5- خالد عبدالرحمن العك: تاريخ القدس العربي القديم - دمشق 1961م.
6- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس: ط1- 1969م.
7- كامل العسلي: الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس.
8- كامل العسلي: مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، عمان 1988م.
9- مصطفى مراد الدباغ: مصدر سابق.
10- عبدالحميد السائح: القدس تاريخًا وحضارةً ومستقبلاً، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، الجامعة الأردنية، عمّان 1980م.
11- محمود العابدي: قدسنا، القاهرة 1972م.
12- عارف العارف: مصدر سابق.
13- يحيى الفرحان: قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية.
14- المصدر السابق.
15- عرفان نظام الدين وعلي طاهر الدجاني: القدس إيمان وجهاد، بيروت 1987م.
16- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الجزء الحادي عشر، بيروت 1966م.
17- المصدر السابق.
18- مصطفى مراد الدباغ: مصدر سابق.
19- عرفان نظام الدين وعلي الدجاني: مصدر سابق.
20- عارف العارف: تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، القدس1955م.
21- يحيى الفرحان: مصدر سابق.
22- المصدر السابق.
23- ابن الأثير: مصدر سابق.
24- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، 1961م.
25- العماد الأصفهاني: كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة 1903م.
26- مصطفى مراد الدباغ: مصدر سابق.
27- عبدالوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، بيروت 1970م.
28- أمين عبدالله محمود: التوسع الاستعماري الغربي وفكرة اليهودية، دراسات، المجلد الخامس العدد 1.
29- أحمد عبدالغفور عطار: عروبة فلسطين والقدس، جدة 1974م.
30- رفيق شاكر النتشة: الإسلام وفلسطين، بيروت 1981م.
31- مسند أحمد 234/2.
32- المصدر السابق 463/6.
33- الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي (التاج /الجزء الأول)
34- رفيق شاكر النتشة: تاريخ مدينة القدس، مصدر سابق.
35- من سلسلة مقالات للكاتب في الصحف السعودية: المدينة، اليوم، الجزيرة، مجلة الدعوة، مجلة المستقبل الإسلامي.
36- سمير جريس: القدس والمخططات الصهيونية، بيروت1981م، وعبدالرحمن أبو عرفة: القدس تشكيل جديد للمدينة، عمان 1986م.
37- صحيفة الأنباء الكويتية، العدد 6894 - 1995/7/24م.
38- خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج 3، 4.
39- د. عبدالله الأشعل: المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، جدة 1989م.
40- المصدر السابق.
41- المصدر السابق.
42- د. عبدالله سعود القباع: السياسة الخارجية السعودية، الرياض 1986م.
43- عصام ساتي: فهد رجل السلام، الرياض.
44- صحيفة الرياض، العدد 8857 - 1992/9/23م
45- العلاقات السعودية - الفلسطينية: العمق والامتداد، الرياض 1990م.
46- صحيفة الشرق الأوسط، العدد 5847 - 1994/12/1م.
47- صحيفة الرياض، العدد 9670 - 1994/12/15م.
48- صحيفة الرياض، العدد 8711 - 1992/4/30م.
49- صحيفة اليوم، العدد 7557 - 1994/2/22م.
50- صحيفة الجزيرة، العدد 8182 - 1995/2/22م.



«إلى كاتب صديق يحب القدس»

شعر: د. عبده بدوى

بعـد عَـشْـرٍ من السِّنين وخـمْسٍ
الْتـقـيْنا كـفكْرتيْن برأسِ

في مساءٍ مُسْتلهم من حنين
وحنانٍ.. كـأنَّه ليْلُ عُرْسِ

هو قد عاش كالنَّسيم انْطلاقا
ومشى باسمًا بِسهْم وقوْسِ

فلهُ الفِكرُ من نقاءٍ مُصفًّى
ولهُ الصِّدقُ في مجالات حدْسِ

..ثم دار الحديثُ عذْبًا رقيقا
من رجالٍ تحلَّقوا حوْل شمسِ

كان كلُّ الكلام حوْل نِساءٍ
وعنِ الكأس طائرًا خلف كأسِ

فغدا القلْبُ موجعًا ودَّ أنْ لوْ
دار هذا الحديثُ منهم بِهمْسِ

..وببطْءٍ نظرتُ نحْوَ صديقي
فإذا وجْهُهُ خريطةُ بُؤسِ

قُلْتُ: «لَمَّا تزلْ تُغادِرُ منْفى
بعْد منْفى بلا عياءٍ ويأسِ

كلُّ أُفْقٍ لهُ عليك نجومٌ
كلُّ بحرٍ يقُولُ: أيَّان يُرْسى؟»

قال - والوجهُ مطرقٌ وحزينٌ
وعلى الهُدْبِ دمْعةٌ ذاتُ بأسٍ -

«كلُّ شيءٍ يهُون بيْن حياتي
إنْ تجئْ لحظة تُعاشُ «بقُدْسي»

كلُّ ماصِرْتُ أرْتجيه أخيرا
حين يأتي الرَّدى مكان لِرمْسي

يالحُزْنِ الغريب بين حياةٍ
ومماتٍ، وبيْنَ آتٍ وأمْسِ»

.. وارْتمتْ دمْعةٌ، وكان حريصًا
أنْ تظلَّ الدّموعُ خلْف التّأسّي!

لم نجِدْ مانقُولُه بعد حين
فسقطْنا ما بين همٍّ وتعْسِ

وغدا القلبُ مُجْهشًا في ضلوع
بعْد أنْ كان في فَتاءٍ وجرْسِ

فصمتْنا وبيْننا بيْتُ شوقي
يتنامى كأنَّهُ بعْضُ غرْسِ:

«وطنِي لوْ شُغِلْتُ بالخلد عنْهُ
نازعتْنِي إليْه في الخُلْد نفْسي»

الأوقاف الإسلامية في فلسطين

محمود إبراهيم الصمادي

تتعرض الأماكن المقدسة في فلسطين الحبيبة إلى هجمة شرسة من قبل المحتلين. وتدخل في هذه الهجمة أراضي الأوقاف الإسلامية هناك؛ ففي سجلات الأوقاف الشرعية أن 17٪ من الأراضي الفلسطينية كانت ملكًا للأوقاف قبل عام 1948م، وقد سنَّت الحكومة الإسرائيلية قوانين جائرة صادرت بموجبها معظم هذه الأراضي وحولتها إلى مستعمرات وحدائق وفنادق وغير ذلك.

زرت بلادنا الحبيبة بعد 45 عامًا من هجرتي، وعهدي بها قبل عام النكبة مملوءة بالمساجد والتكايا والعمارات الموقوفة. ولكنَّ القلب يأسى لما آلت إليه الأمور؛ فلم أرَ الحارات التي كانت موقوفة بأكملها لفقراء المسلمين، ولا الدكاكين التي كان يُصرف من ريعها لخدمة المساجد، ولا المساجد نفسها التي كانت تصدح بنداء «الله أكبر» خمس مرات كل يوم، وأكثر هذه المساجد التي تقع في الأراضي التي احتلت عام 1948م لم يبق منها إلا مآذن حزينة ومحاريب باكية وجدران متصدعة آيلة للسقوط، ولا نملك إلا أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل. بدأت رحلتي من أريحا وانتهت بتلال عمواس متذكرًا وحالمًا ومتمنيًا من الله عزَّ وجلَّ أن يعيد تلك الأيام السالفة لأفرح بالعودة الحقيقية.

في أريحا

وصلت إلى بلدنا فلسطين يوم 1993/6/30م، والقلب متلهف لرؤية الأحبة والسهول والوديان والأشجار بعد هجرة قاربت نصف القرن.

وبعد إجراءات الحدود المزعجة المملة كنت في مدينة أريحا بعد الظهر من ذلك اليوم. وأريحا مدينة عريقة جميلة هادئة، يقع في شمالها قصر الوليد بن عبدالملك الذي كان مشتى خلفاء بني أمية. وبها بعض المساجد الصغيرة والجديدة. شوارعها فسيحة وبيوتها بناؤها جميل، أكثرها مبنية من حجارة لتعطيها قوة وجمالاً.

ومن أريحا اتجهت إلى الجليل شمالاً مرورًا بالغور، وعلى بعد منها تقع مدينة بيسان. سرت منها إلى طبرية مرورًا بسمخ وجسر باب الفم، وعلى ساحل طبرية الجنوبي تقع حماماتها الشهيرة ومقاصفها الجميلة.

وكانت طبرية قبل 1948م مدينة عربية عريقة، واليوم لم يبق فيها من العرب إلا القليل النادر. وفي الجليل عشرات القرى الفلسطينية التي لم يهجرها أهلها، ومئات القرى التي تحولت إلى مستعمرات بعد هدم معالمها وطرد أهلها.

في صفد

تقع صفد في وسط الجليل، وكانت مدينة عامرة بالسكان العرب قبل عام 1948م، واليوم لم يبق من سكانها العرب أحد، وتشتهر بآثارها القديمة، ومن أشهرها برج الساعة في ساحةالبلدة، وبناء عظيم شُيِّد عام 1900م يسمى «السرايا» وكان مقرًا للحكومة، شيَّده العثمانيون بمناسبة مرور خمسة وعشرين عامًا على تولي السلطان عبدالحميد عرش السلطنة، ثم صار مدرسة، وبعدها دارًا للحكومة، وهو بناء في غاية الروعة والجمال. وفي وسط المدينة قلعة عظيمة على مقربة من السوق، وبجانبها مسجد يسمى «مسجد السوق» وقد غدا متحفًا على بابه لوحة من الرخام تدل على زمن بنائه ومن شاده، ويصعب على المرء قراءة ما فيها لقدمها ولكثرة الأوساخ عليها.

وفي شمال صفد تقع حارة «الجورة» وحارة «الأكراد»، ومازال شجر التين الذي غرسه أهلها باسقًا بين الدور العربية المدمَّرة، ومازالت خرائب

حارات الذيابية والعرامشة شاهدة على فظاعة العدوان على هذه المدينة الهادئة.

وهناك يقع الجامع الأحمر الذي كان قبل عام 1948م من أشهر مساجد صفد، وإذا هو الآن مسجد حزين لا مئذنة مرتفعة له، بل سُوِّيت بالأرض وتركت ولم يظهر فيه سوى قبة متواضعة، مغلق الأبواب تبدو عليه آثار الخراب والدمار.

ويذكر المؤرخون(1) أنه كان في صفد عدة جوامع منها: جامع اليونسي، والجامع الكبير، وجامع السويقة، وجامع الجوخداري، وجامع الصواوين، وجامع حارة الأكراد، وجامع الشعرة الشريفة، وجامع خفاجة، والجامع الأحمر، وجامع الظاهر بيبرس. ولم يبق من هذه المساجد إلا خرائب وأطلال لبعضها، وبعضها الآخر درس، ولم يبق منه إلا اسمه في ذاكرة التاريخ.

عكا

في الطريق من صفد إلى عكا عشرات القرى العربية، بعضها عامر بالسكان العرب، وبعضها مهجور، وبعضها أصبح مستعمرات إسرائيلية. وقبل الوصول إلى مدينة عكا العريقة يقع «تل الفخار» الذي نصب نابليون بونابرت معسكره عليه عام 1799م، ومنه عاد خائبًا أمام أسوار المدينة الحصينة. وأهم المعالم في المدينة «مسجد الجزار» الشهير نسبة إلى الوالي العثماني أحمد باشا الجزار، الذي لا يزال مفتوحًا أمام المصلين المسلمين تُؤدى به الصلوات الخمس وصلاة الجمع والأعياد.

وخان الباشا من أهم معالم مدينة عكا، وهو مكان أثري واسع به مئات الغرف ذات الطابع العربي الجميل، ومازال محافظًا على رونقه الأصيل.

القدس

فتح المسلمون القدس عام 15هـ، وقد تسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاتيحها من بطريرك القدس.

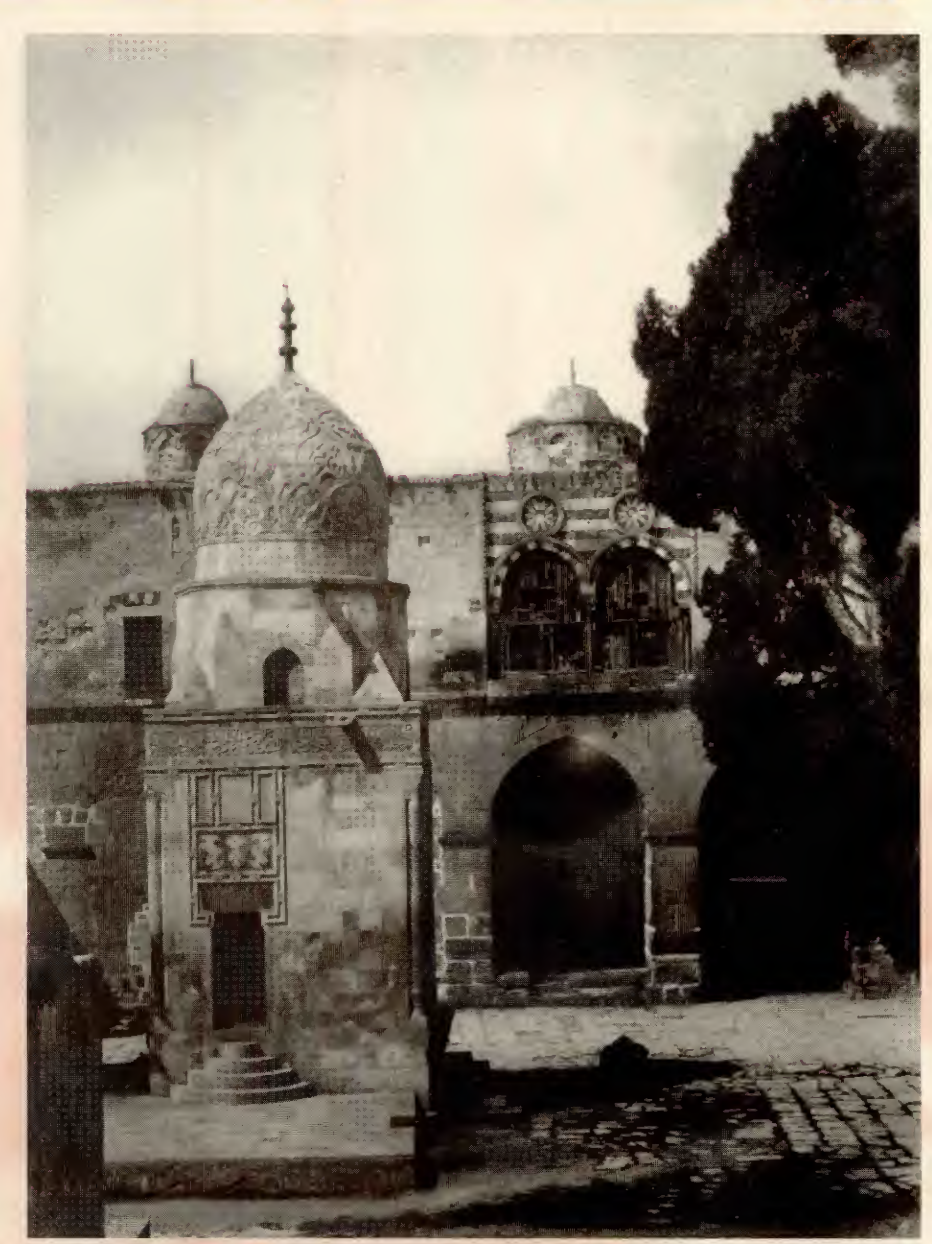
وقد تضمنت العهدة العمرية لأهالي القدس «أن لايسكن فيها معهم أحد من اليهود»، وقد

مسجد الجزار في عكا (1871م)، بناه أحمد باشا الجزار الذي هزم نابليون بونابرت، وفي داخله تقع المدرسة الأحمدية

حافظ أهلها ـ من مسلمين ومسيحيين ـ على هذا الشرط حتى سَمَحَ محمد علي باشا لعائلات يهودية بالسكنى في القدس نظير رُشًا طائلة.

وفي سنة 1387هـ/1967م احتل اليهود بقية أراضي فلسطين مع أجزاء من الدول العربية المجاورة، ودخلت القدس التي هي عند المسلمين أولى القبلتين تحت الاحتلال، وشرع اليهود في تهويدها، وأعلنوا ضم القسم العربي إلى الدولة اليهودية. وجعلوا القدس وما تحويه من مقدسات عظيمة تحت سيطرتهم، وشرعوا يتخذون الإجراءات القهرية لتهويدها، فاستولَوْا على مساحات واسعة من أراضي الوقف الإسلامي، كما استولوا على مكان البراق الشريف





المدرسة العثمانية في الجهة الغربية للحرم المقدسي، بنيت 1437م، ويقع أمامها سبيل السلطان قايتباي الذي بني 1482م وأعيد ترميمه 1883م (صورة نادرة تعود إلى العام 1884م)

والساحة المحيطة به، وهدموا المساجد والأملاك الإسلامية التي في جوار البراق، ودمروا عددًا من المساجد في أماكن أخرى، وأحالوا بعضها إلى كنيس يهودي. كما دمروا حيّين من الأحياء الإسلامية المجاورة للمسجد الأقصى تدميرًا كاملاً بما فيهما من مساجد وأوقاف عديدة تضم عمارات وأسواقًا وخانات وقرى ومدارس وتكايا يُصرف من ريعها على المسجد الأقصى وعلى الفقراء المسلمين هناك. وهذان الحيّان هما حي الشرف وحي المغاربة. وتضم سجلات المحكمة الشرعية في القدس مئات الوثائق والمستندات التي تثبت صحة هذه الوقفيات(2).

ومن هذه الوقفيات، التي مازالت في المحكمة الشرعية بالقدس، وقفية قرية عين كارم للمغاربة، وجاء فيها: «فإذا انقرضت المغاربة ولم يوجد أحد مقيم بالقدس الشريف سواء أكان ذكرًا أم أنثى فيرجع وقفها على مَنْ يوجد منهم في مكة المشرفة زادها الله شرفًا وعلى من يوجد منهم بالمدينة المنورة، وإن لم يوجد أحد منهم في الحرمين الشريفين فيرجع وقفها على الحرمين الشريفين»(3).

وهناك وثيقة تاريخها 26 شعبان 1004هـ تنصّ على وقف حارة كاملة للمغاربة جوار المسجد الأقصى، أوقفها الملك الأفضل نورالدين على جميع طائفة المغاربة.

اعتدى اليهود على جل الأوقاف في القدس، ومازالوا يتطاولون على المسجد الأقصى بحفريات خطيرة في البراق الشريف وحول ساحة الحرم القدسي وتحته لإقناع العالم بأن هيكلهم القديم الذي دمّره الرومان قبل ألفي عام كان يقوم في المكان نفسه الذي يقوم فيه المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة، وذلك لتمهيد السبيل لتنفيذ خطتهم المرسومة قديمًا بعد تدمير المسجد الأقصى (لاسمح الله).

والشيء نفسه يحدث مع الحرم الإبراهيمي في مدينة القدس؛ إذ تطالب جهات يهودية بهدمه وبناء كنيس إبراهيم ويعقوب وإسحاق فوق انقاضه(4).

يافا

في منطقة هرتسليا إحدى ضواحي تل أبيب الشمالية على شاطئ البحر المتوسط، التي كانت تسمى قديمًا «غابة عبوش»، يقع مسجد عظيم متسع يدعى مسجد سيدنا علي بن عليم «أو عليل». ومن فضل الله أن سَلِم هذا المسجد من عوادي الزمن، ويقع على مساحة تقدر بحوالي 18دونمًا، وقد جاء ذكر هذا المسجد في عدة مراجع تاريخية مثل كتاب «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»؛ إذ قال الشيخ مجير الدين الحنبلي: «ومن الأولياء المشهورين بأرض فلسطين المجاهد في سبيل الله أبو الحسن علي بن عليل، ونسبه متصل بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد توفي مجاهدًا مرابطًا بساحل فلسطين قرب أرسوف (قرية الحرم)».

ويوم فتح السلطان الظاهر بيبرس يافا وأرسوف زار المسجد وصلى هناك ودعا الله

سبحانه وتعالى أن يسهل عليه فتح الساحل. ثم أقام السلطان بذلك المسجد مدة متعبدًا، وقد نذر النذور وأوقف لذلك المسجد عدة أوقاف.

وحول المسجد عشرات الغرف موقوفة على الزائرين.. وهناك محاولات لهدم هذا الصرح الإسلامي العظيم، إذ حاول عدة متطرفين من اليهود وضع متفجرات فيه، وتم تفجير بعضها فسقطت بعض أجزائه. ولكنَّ همَّة أهل النخوة والإيمان جددت ما خرب منه وهو الآن لا يخلو من المصلين والزوار أغلب الأوقات.

وفي الطرف الشمالي من يافا يقع جامع حسن بك قرب الشاطئ، وقد أحاطته الفنادق المرتفعة، ويبدو المسجد حزينًا لما فيه من آثار الدمار؛ إذ حاول متعصبة اليهود نسفه وإسقاط مئذنته أكثر من مرة ولكن الله سلَّم. ومازالت المراكب العربية منذ عام 1948م واقفة مقيدة بالقرب منه على مرفأ يافا القديم تنتظر بحارتها من أبناء يافا الكرام أمثال آل الحوت والدباغ والكيال سادة التجار وزينة أهل العلم والأدب.

وهناك مسجد آخر قرب المرفأ هو اليوم خراب، ويبدو أن أهل الخير يقومون الآن بنقض أساساته كي يعود بناءً جديدًا على الطراز القديم.

وفي منطقة الطابية - وهي مكان مرتفع جدًا - يقع جامع الطابية، وهو الآن مغلق يسكنه شخص أرمني استولى عليه واتخذه بيتًا، ومئذنته بها بعض الخلل والشقوق ويمكن أن تسقط بعد فترة إذا لم تتداركها رحمة الله.

وفي الشرق من يافا آثار جامع آل الدباغ، ولم يبق منه سوى بعض الملامح القليلة، وبالقرب منه جامع آل السلسك وهو مغلق، وعلى بابه رخامة محفور عليها وقفيته ومَنْ شاده، عليهم رحمة الله.

وفي وسط البلدة جامع يافا الكبير، وهو صرح عظيم به باحات واسعة ومصلى كبيرٌ، وبداخله مكتبة عظيمة، بها الآلاف من الكتب الإسلامية، وكلها طبعات جديدة في متناول المصلين هناك.

وجامع يافا الكبير قديم، وكانت له أوقاف عديدة محبوسة على مصالحه وإعماره وتأمين مصاريفه على أكمل وجه، ومن تلك الأوقاف العقارات العديدة التي أوقفها منشئ الجامع المرحوم الشيخ محمد بيبي الإمام في وقفية مؤرخة في غرة شعبان عام 1158هـ ومسجلة في محكمة القدس الشرعية في مجلد 243 ص216.

كذلك أوقف حاكم غزة والرملة محمد أغا سلمور سنة 1227هـ كثيرا من العقارات الواقعة حول الجامع من دكاكين وأبنية كانت قائمة من الجهة الغربية عليه.وفي الطرف الغربي من تل أبيب عدة فنادق تطل على البحر، وأهمها فندق هيلتون المقام على رابية كانت قديمًا مقبرة إسلامية، إذ يقوم الفندق على نصف المقبرة الشمالي، أما النصف الجنوبي فمازالت به بعض الشواهد الإسلامية المحطمة، وفي ثراه أجساد أموات المسلمين، وقد غدا الآن حديقة يأوي إليها المشردون والسكارى من اليهود.

وكانت السلطات الإسرائيلية قد أعلنت عن



سبيل بركة السلطان، بني في بداية العصر العثماني 1537م (صورة تعود إلى العام 1884م)

نيتها تنفيذ مخطط يقضي بإقامة حي سكني يهودي على أنقاض المقبرة الإسلامية هناك(5).

وفي وسط يافا يقع المسجد العجمي وهو عامر بالمصلين. وافتتح عام 1989م جامع حي النزهة بعد معاناة كبيرة ودعاوى بالمحاكم كما أخبرني بعض أهل الخير هناك.

حيفا

عروس الساحل الفلسطيني فيما مضى وميناؤها المهم، وصارت اليوم مدينة غريبة في كل شيء.

كان في حيفا عدد من المساجد قبل عام 1948م أشهرها مسجد الاستقلال الذي كان مدرسة إسلامية تعلم الجهاد والوطنية الحقة، وكان الناس يأتونه من جميع القرى هناك للاستماع إلى خطبة المجاهد الشيخ عزالدين القسام، وقد سمي بالاستقلال تيمنًا باستقلال فلسطين، وتم بناؤه عام 1925م بمبادرة من الشيخ كامل القصاب أحد أصدقاء القسام.

ومن المساجد التي كانت، جامع النصر «الجرينة» الذي دنَّسه اليهود وحوّلوه إلى مسبح. وجامع «عين حوض» الذي أصبح مرسمًا للفنانين والفنانات من اليهود. وهناك عشرات من المساجد التي أزيلت وأقيم مكانها شوارع وحدائق وفنادق.

ولم يكتف المحتل بزوال المساجد؛ بل استولى على معظم الأوقاف هناك، وتحاك في هذه الأيام مؤامرة لدرس المقبرة القديمة والقريبة من المدينة؛ إذ صرح مدير إحدى المستعمرات عن نيته توسيع مستعمرته على حساب مقبرة «ياجور» التي تضم رفات الشيخ المجاهد عز الدين القسام، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

غزة

أكبر المساجد في غزة الجامع الكبير، وأدخلت عليه عدة تحسينات وإصلاحات أقدمها كانت في عهد سنقر السلحدار المنصوري سنة 697هـ، والثانية كانت سنة 730هـ في عهد محمد قلاوون الذي بويع له بالسلطنة في غزة.

وفي سنة 1292هـ تولى إصلاح المسجد الضابط كنج أحمد في زمن رؤوف باشا متصرف لواء القدس.

وفي الحرب العالمية الأولى هَدَمَتْ المدافع الإنجليزية القسم الأكبر من هذا المسجد وأسقطت مئذنته، وبذلك فقد المسجد كثيرًا من آثاره الفنية وزخارفه التي كان مشهورًا بها، وفي سنة 1926م تولى المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى إعادة بناء المسجد من جديد على غرار البناء القديم، ورفع مئذنته وحسَّن فيها، وبذلك عاد المسجد الكبير إلى ما كان عليه بناؤه من ضخامة وإتقان.

ومن المساجد الشهيرة في غزة جامع هاشم، وقد بني في عهد المماليك. وجامع ابن عثمان نسبة إلى أحمد عثمان المولود سنة 737هـ، والمتوفى في مكة سنة 805هـ، وجامع الشيخ زكريا التدمري المتوفى سنة 449هـ، بالإضافة إلى مساجد قديمة أخرى في القطاع.

الرملة

كانت مدينة الرملة من أنزه مدن بلاد الشام؛ حيث المناخ المعتدل لقربها من البحر غربًا ومن جبال عمواس واللطرون شرقًا، وكانت ملتقى العلماء والأدباء في العصور الخوالي.

ومسجد الرملة الكبير كان يضاهي مسجد دمشق الأموي، ويمتاز بمنارته البيضاء التي مازالت شامخة كأنها طود عظيم.

وقد جدد المسجد في القرن الثامن الهجري السلطان قلاوون رحمه الله، وبالقرب من المسجد مثوى المحدث الكبير الإمام النسائي رحمه الله.

كان هذا المسجد عامرًا بالمصلين قبل عام 1948م، واليوم بدا بآثاره الحزينة وأعمدته الباكية ومحرابه المتصدع يشكو ضياعه وغربته.

اللد

مدينة اللد اليوم بائسة فقيرة بها بعض العرب الفقراء، وفي وسط البلدة يقع جامع «دهمش» وهو متوسط الحجم عليه آثار الحزن والعدوان، وكان قد قتل وذبح فيه عام 1948م مائتان من أهل المدينة، ومازالت آثار الدماء على جدرانه إلى يومنا هذا شاهدة على جرائم المعتدين.

وعلمتُ أن هناك مساعي من أهل الخير لفتحه وتعميره مجددًا.

تلال عمواس

بعد جولتي في أرض فلسطين السليبة، وبعد أن تمزق قلبي غيظًا وكمدًا، اتجهت إلى تلال عمواس الشهيرة، وصعدت إليها من الطريق الرئيسي، وفي وسط التلال استنشقت رائحة الصنوبر المنبعثة من شجرها المرتفع. جلست تحت إحدى الأشجار وقد تخيَّلت أن جيش الفتح بقيادة أبي عبيدة مازال هنا مرابطًا في سبيل الله منتظرًا قدوم الروم لمنازلتهم. وبعد طول المرابطة شاءت إرادة الله أن يعطي هؤلاء الأبطال أجر الشهداء المرابطين، فابتلاهم بالطاعون وصار كل يوم يموت المئات منهم وهم صابرون. وبلغت أمير المؤمنين أنباءُ ذلك البلاء فأسرع بكتابة رسالة إلى أبي عبيدة يستقدمه إلى المدينة؛ ولكن البطل أبى وأرسل لأمير المؤمنين قائلاً: أحلَّني من عزيمتك يا أمير المؤمنين فإني في جند المسلمين، ولا أرغب في تركهم وأنجو بنفسي، وأحب أن أبقى في هذه الأرض المباركة.

طافت صور أولئك الأبطال في مخيلتي وأنا أنظر غربًا إلى سهول الرملة وجنوبًا إلى جبال الواد وشرقًا إلى منطقة الرملة وأقول: يا هذه الروابي والتلال.. كم احتويت من أجساد الصحابة رضوان الله عليهم. سلام عليكَ يا جبل عمواس؛ فكم سجد على ترابك سيدنا أبو عبيدة وسيدنا معاذ بن جبل. وهل تذكر أيها الجبل الأشم تكبير المجاهدين وصلاتهم. فهنيئًا لك بأجسادهم الطاهرة وقد فازوا بالشهادة هنا، وشرفوك بالثواء في ترابك وهم أمانة عندك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الهوامش:

1- مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت.
2- محمد أسعد الحسيني: المنهل الصافي في الوقف وأحكامه، القدس 1402هـ.
3- المصدر السابق.
4- مجلة فلسطين عدد 93 رمضان 1388هـ.
5- في بيان أصدرته جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية «أن عشرات الجرافات والناقلات والشاحنات قامت يوم الاثنين 1993/12/6 باقتلاع القبور، وقد تناثرت بعض العظام وألقيت مع التراب والرمل في أطراف مدينة تل أبيب».



مبادئ حق الكلام

د. محمد المصطفى

لايخفى على أحد اليوم أن تعبير الـ «تواصل COMMUNICATION» والمفاهيم التي يحملها تفرض نفسها بصورة واسعة في كل مجالات الحياة؛ ونسمع في كل مكان أن الحضارة التي نعيشها اليوم هي حضارة التواصل.

وليس التواصل أمراً جديداً في حياة الكائن البشري؛ فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، يشكل التواصل مع الآخرين جزءًا من حياته. ومن أهم ما يميزه من بقية الكائنات قدرته على «صنع» الكلمات وصياغة الرموز التي تمثل عالَمَيْه: الظاهر والباطن، والتي تساعده على تحقيق هذا التواصل. بيد أن الوسائل التي يستخدمها لنقل عباراته قد تطورت تطوراً كبيراً ولا تزال.

التواصل إذن هو عملية أساسية في حياة المجتمع، وإنَّ كل نشاط يتعلق بانتقال الأفكار والمعلومات من فرد إلى آخر، أو من جماعة إلى أخرى يدخل ضمن هذه العملية؛ بل إن إدوارد هول (*)-ED WARD HALL يرى أن «الثقافة هي تواصل»، وأن العادات والتقاليد والتراث والخبرات والقيم والمعارف تنتقل كلها بين الأشخاص والجماعات والأجيال، وأن هذا الانتقال هو الذي يعطيها صفة الاستمرار والبقاء.

مواقف تواصلية بارزة

يقوم الإنسان بالتواصل كلما أنشأ علاقة مع الآخرين، أيا كان مستوى هذه العلاقة أو قوتها. وإن قدرة الإنسان على إنشاء التواصل والمحافظة علي استمراره تحددان قدرته على النجاح في الحياة.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا بعض المواقف التي تؤدي فيها موهبة التواصل دوراً بارزًا:

فحص مقابلة من أجل عمل، خطبة خلال حفل، اجتماع عمل، مؤتمر صحفي، طلب يد فتاة، اجتماع أعضاء مساهمين في جمعية، عمل مسرحي، لقاء في فترة استراحة بعد عمل ما، حوار مع صديق، مرافعة قضائية، دورة تأهيل أو تدريب، محاضرة تعقبها مباحثة، حوار بين زوجين، خطبة الجمعة، التعليم في مستوياته كافة، الخ...

مفهوم التواصل

إذا كان تعبير «تواصل» من الناحية اللغوية يعني - ببساطة - نقل شيء إلي الغير، ثم فهم هذا الشيء من قبل الغير، ثم استقبال رد فعل الغير تجاه هذا الشيء، وإذا كان هذا التعبير في العلوم الإنسانية يعني - ببساطة أيضا - مجموعة الظواهر التي تحدث وتتفاعل عند شخص ما، لدى نقله معلومةً ما إلى شخص آخر من طريق لغة منطوقة، أو من طريق آخر؛ فهل التواصل هو بالفعل نقل معلومات؟ هل هو الكلام القليل الواضح أم هو الكلام الكثير المتفاصح؟ هل هو التفكير المنظم الذي يُنقَل من أجل أن يحقق مقصداً ما؟

مفهوم مدرسي (NOTION CLASSIQUE; CLASSICAL NOTION)

من وجهة النظر المدرسية ثمة علاقة وثيقة بين النطق الجيد والفهم الجيد، والتواصل بهذا المعنى ليس سوى أداة تسمح للفكر أن يعبّر عن نفسه. ولعل هذا التصور مستمد من الفلسفة الأفلاطونية التي تجعل التكلم مرآة الفكر. وكان المثل الأعلى للتكلم حسب وجهة النظر هذه هو الكلام الجيد المبني على الأسلوب والفصاحة أي PARLER BIEN; TO SPEAK WELL)

مفهوم جديد

لا شيء يسمح في الواقع بإنشاء رابطة وثيقة بين التكلم الجميل والقدرة على الإقناع؛ بل إنه في بعض الظروف يمكن أن يُوَلِّدَ التكلم المنقح جداً (التنطّع LANGAGE TRES CHATIE LANGUAGE VERY REFINED) أثرًا معاكسًا، ويُحكم عليه - في أبسط الأحوال - أنه غير ملائم. وقد جاء في حديث شريف برواية مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هلك المتنطِّعُون».

وليس من أهداف هذا البحث إعطاءُ أو شرحُ واحدٍ من تعاريف علم التواصل، حتى لانغلق بأيدينا الدراسة التي شرعنا لتوّنا بها. حسبنا أن نشير إلى أن مفهوم التواصل اليوم يعني بصورة مبسطة جداً أن يقوم طرف ما يسمى (المرسِل) بخطوة في اتجاه طرف آخر يسمى (المستقبِل)، وترمي هذه الخطوة إلى الإقناع أو الجذب ضمن إطار لازم من معايير

لغوية ومضامين اجتماعية متفق عليها؛ وقد يكون كل طرف من هذين الطرفين شخصًا واحدًا أو أكثر أو هيئة اجتماعية.

ويعني هذا المفهوم أن لدى المرسل إرادة في أن يكون لرسالته تأثير في المستقبل وليس مجرد تفهيم محتواها. وعلى هذا الأساس لايكون التواصل مجرد نقل معلومات بقدر ما هو جعلُ المقصدِ من المعلومات يصل مبتغاه.

وقد اهتم القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا بـ (القول) لأنه الوسيلة الفطرية في نقل أية رسالة؛ فقد ورد لفظ (قول) أو مشتقاته وتصريفاته في القرآن الكريم في أكثر من ألفي آية؛ وما من رسول إلا وقد قال شيئًا لقومه بلسانه بقصد إبلاغ رسالته وشرحها: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه ليُبيِّن لهم﴾ إبراهيم:4.

وإذا كان التكلم هو الأداة الأكثر تميزًا في علم التواصل؛ فإنه ليس أداته الوحيدة، إذ توجد اليوم أدوات أخرى كالرسالة والصورة والإعلان وغيرها. ويعتمد بناء الخطوة الأولى في هذا التواصل الكلامي - من بين أمور أخرى - على الاعتراف بحق الكلام للمتكلم، وعلى الاعتراف بالمتكلم نفسه.

الاعتراف بحق الكلام

ثمة تساؤل مطروح يكتسب أهمية كبيرة قلما يُنتبه إليها، وهو معرفة ما إذا كان من يقوم بالخطوة الأولى في التواصل الكلامي مفوضًا بالقيام بها! أي ما إذا كان له الحق في الكلام!

في بعض الحالات القليلة تكون المؤسسة التي ينتسب إليها من يقوم بالتواصل الكلامي هي المصدر الذي يعطيه مثل هذا الحق. كالأستاذ الذي يتكلم في الفصل الدراسي، أو الدليل السياحي الذي يشرح أمام فريق من السائحين تاريخ مَعْلَم سياحي، أو خطيب الجمعة... فمثل هذا الحق معترف به دون نقاش.

بيد أنه الأمر ليس كذلك دومًا، فعلى سبيل المثال: ما الذي يسمح لي أن أوقف أحد المارين في الشارع؟ لابد أن لي مقصدًا من ذلك:

فإذا طلبت منه معرفة الوقت أو سألته عن مكان محطة القطار؛ فإن أمامي فرصة أو فرصًا لأن يجيبني وأن يقبلني كمتكلم. أما إذا طلبت منه بعض المال، أو سألته ما إذا كان يعرف الرئيس السابق لدولة ما مثلاً؛ فإنه سيمضي على الأرجح دون جواب، عانيًا بذلك أنه لايعترف بي كمتكلم، بل كمُستفهم في الحالة الأولى، وربما كمجنون في الحالة الثانية.

يتطلب الاعتراف بحق الكلام إذن أن توضع مجموعة من السلوكيات (COMPORTEMENTS; BEHAVIOURS) موضع التنفيذ. فالمستمع حين يصغي إلى المتكلم فإنه - تبعًا لتطابق كلام هذا الأخير مع معايير اجتماعية ولغوية متفق عليها - يعترف بالذي فوّضه بالكلام من جهة، ويكرس وجوده كمتكلم من جهة أخرى.

الاعتراف بالمتكلم

إن الاعتراف بحق الكلام ليس كل شيء، إذ ينبغي أن يترافق أيضا مع الاعتراف بالمتكلم كشخص كفء ينقل رسالة ما. وعندما كان قوم رسول من الرسل يُعرضون عنه، فقد كان يعني ذلك - من بين أمور أخرى - عدم اعترافهم به كحامل رسالة؛ وكان هذا الإعراض يتمثل بمظاهر شتى؛ كالإعراض البسيط أو سد الأذنين أو الاستكبار والاستهزاء، مما كان يؤدي إلى (انقطاع) التواصل منذ بدايته.

فإذا أُسند إبلاغ رسالة ما إلى شخص معروف بقلة أو عدم كفاءته، فإن مثل هذا التواصل يثير شكوكا حول صحته، ويفقد جدواه، وربما تتزعزع ثقة المستمع في الجهة التي فوّضت المتكلم، حتى ولو كانت الرسالة التي ينقلها صحيحة وواضحة في الأساس.

دعنا الآن نتعرف بعضَ المبادئ التي يقوم عليها حق الكلام، وتساعد على نجاح التواصل.

مبادئ حق الكلام

يقوم حق الكلام على احترام مبادئ مهمة، يُفترض أن تؤخذ في الحسبان قبل الشروع في عملية التواصل الكلامي، وهذه المبادئ المعنوية تسير مجتمعةً، منها:

1ـ مبدأ الغَيْرِيّة (ALTERITE; ALTERITY):

يعني هذا المبدأ أن الشخص الذي يريد الكلام يطرح على نفسه السؤال التالي: «من أكون؟ وأخاطب مَن؟».

هذا السؤال يوجب على المتكلم (المرسل) أن يأخذ في الحسبان قبل البدء بحديثه نقطتين:

أـ كيان المستمع (المستقبِل)؛ أي المكانة التي أعطاها لنفسه وأعطاها المجتمع له. فطريقة حديث الإنسان مع أستاذه أو رئيسه ليست مثلما هي مع أخيه أو ابنه؛ وفي الآية 63 من سورة النور: ﴿لاتجعلوا دُعاء الرسول بينكم كدُعاء بعضكُم بعضًا﴾ إشارة واضحة إلى هذا المبدأ؛ لأن التواصل مع المربي يجب أن يتميز بالاحترام والتوقير، وفي هذا توقير لكل كلمة يقولها.

ب ـ حق المستمع (المستقبِل) في المشاركة بعملية التواصل: يغدو التواصل بهذا المعنى عملية تبادل بين شريكين، كل منهما يعترف بالآخر بوصفه نظيرا له، ومختلفا عنه في الوقت نفسه.

فالشريكان هنا نظيران لكونهما مدعوّين إلى مائدة تطابق وجهات النظر حول موضوع ما، وإلى تقاسم الدوافع نفسها والنتائج نفسها ولو جزئيًا. وهما مختلفان في كونهما يؤديان دورين مختلفين حينما يتناوبان إنتاج الحدث (ACTE; ACTION)التكلمي واستقباله محتفظين طيلة الوقت بقصديات (INTENTIONALITES; INTENTIONALITIES) مختلفة.

وانطلاقا من هذا المبدأ فإن كل شريك من شركاء عملية التواصل يلتزم ضمنًا الاعتراف بالشريك الآخر، أي يضفي صفة الشرعية على دوره.

2ـ مبدأ المكان (ESPACE; SPACE):

يعني هذا المبدأ أن الشخصي الذي يريد الكلام يطرح على نفسه السؤال التالي:

«في أي مكان سأتكلم؟»؛ أي أن يستشعر هوية المكان الذي سيُجري فيه التواصل الكلامي. فالتواصل في مكان عام كشارع أو حديقة يختلف - شكلاً وربما موضوعًا أيضا - عن التواصل في مكان خاص يمكن أن يدخله الناس، كالمقهى أو المطعم أو قاعة عرض سينمائي. وهذا بدوره يختلف أيضًا عن مكان خاص يدخله الناس بشروط خاصة كالمسجد أو قاعة محاضرات في جامعة؛ وهو بدوره يختلف أيضا عن مكان خاص لايدخله الناس إلا بإذن كالبيت أو صالة اجتماعات رسمية أو مكتب خاص...

ومن الأحاديث التي تبين بوضوح أهمية هذا المبدأ مارواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالته فقولوا: لا ردّها الله عليك».

إن عادات التواصل وتقاليده تختلف باختلاف المكان؛ وهذا يعني أن يُدار في المكان حديث يليق به.

من ناحية أخرى فإن المكان الذي يشعر فيه المتكلم بالاطمئنان والراحة يُضفي على التواصل نوعيةً تختلف عن نوعية التواصل الذي يحصل في مكان يشعر فيه المرء بالقلق أو الخوف.

3- مبدأ الملاءمة (PERTINENCE):

يعني هذا المبدأ أن الشخص الذي يريد الكلام يطرح على نفسه السؤال التالي: «أنا هنا لأتكلم عن ماذا؟».

إن معرفة الموضوع الذي سيكون محور التواصل والتمكن منه يقتضيان أن يختار المتكلم عبارات ملائمةً لسياق الحديث وأهدافه، وهذا بدوره يقتضي أن يكون لدى الأشخاص المشاركين في الحديث معرفة مشتركة حول القيم والمعايير التي تنظم السلوكيات الاجتماعية. فإن لم يتوافر ذلك لديهم فإنهم سيجدون سدوداً تُعوق تواصلهم ويغدو حديثهم أشبه بحوار صُمّ، هذا إن لم ينقطع منذ اللحظات الأولى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بكلمة بليغة في الآية 70 من سورة الأحزاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾، وتسديد القول هو إحكامه والتدقيق فيه بحيث يتلاءم مع الموضوع، قبل أن يصدر من فم صاحبه؛ بل ويذكر لنا القرآن في الآية: 104من سورة البقرة ضرورة انتقاء العبارة بما يتلاءم مع الموضوع، لأن اختيار العبارات يساعد على وضوح الحديث وفهمه ومن ثم تقبّل المستمع له: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظُرنا...﴾ لأن عبارة (راعنا) كانت تحتمل التحريف والإمالة، الأمر الذي كان يبعدها من معناها الأصلي وقد يعطيها معنًى مغايراً؛ أما عبارة (انظرنا) فهي مرادفة تفيد المعنى نفسه، ولاتحتمل التحريف أو الإمالة.

وهكذا، فالوالد حين يطرح موضوعاً مع ابنه الشاب لا يستعمل العبارات نفسها التي يستعملها مع ابنه الطفل، والمعلم في مدرسة ابتدائية لايستخدم مع التلاميذ العبارات نفسها التي يستخدمها أستاذ الجامعة مع الطلاب؛ كما أن المرء لايستعمل في مأتم العبارات نفسها التي يستعملها في مجلس فرح، فـ (لكل مقام مقال).

4- مبدأ التأثير (INFLUENCE)

يعني هذا المبدأ أن الشخص الذي يريد الكلام لا بد أن يجيب عن السؤال التالي: «بأية كيفية عليّ أن أتكلم هنا؟».

كل متكلم يتطلع من حديثه ـ كما سبق ـ إلى إقناع شريكه أو جذبه نحو حقله؛ أي التأثير فيه، لجعله يقوم بتصرف ما، أو لتوجيه دفة فكره أو لتحريك شعوره.

والكيفية التي يطرح المتكلم بموجبها حديثه تؤدي دوراً مهماً في بلوغ هذا الهدف؛ ولذلك ينبغي على المتكلم أن يتبنّى لحديثه خططاً (استراتيجيات) تختلف باختلاف ما يعرفه عن أحوال مستمعيه. وعلى سبيل المثال فإن الكيفية التي يقدم بموجبها ممثّلُ شركة سيارت يابانية دعاياته في الولايات المتحدة لايستعملها نفسها في فرنسا؛ لأن التأثير في مواطن أمريكي يتطلب طريقة مختلفة عن تلك التي يمكن استعمالها للتأثير في مواطن فرنسي. ولايكفي أن تكون الرسالة واضحة في ذهن المرسل؛ لأن وضوحها في ذهن المستقبل هو المقياس الأكثر أهمية في بلوغ الرسالة هدفها. وقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه»، وهذا في الحقيقة يتطابق مع وظيفة الرسول التي جاء ذكرها في القرآن الكريم: ﴿وما على الرسول إلا البلاغُ المبينُ﴾ النور:54؛ لأن البلاغ المبين وسيلة للفهم ومن ثم للتأثير.

وهكذا يغدو كل حدث تكلمي كأنه نضال من أجل كسب «رهان» التواصل.

5- مبدأ التعيير (REGULATION; REGULATION)

المقصود بالتعيير بشكل عام ضبط عمل العناصر كافة في نظام معقد ذي بنية تركيبية؛ بحيث يضمن هذا التعيير استمرار عمل هذا النظام على الوجه المطلوب.

والتواصل عمل معقد تتداخل فيه عناصر كثيرة؛ لذلك فإن مبدأ التعيير يعني أن الشخص الذي يريد الكلام لا بد أن يجيب عن السؤال التالي: «ما العمل كي يُضمن استمرار تبادل الحديث؟»

في الواقع إن كل عمل يرمي إلى التأثير في الغير قابل لأن يصطدم برفض ما وأن يثير تأثيراً معاكساً. ولابد لمن يريد الكلام أن يتوقع «أخطاراً» كهذه تتمثل في المجابهة أو الإعراض أو الانقطاع أو المزالق... حتى يهيّئ نفسه لها ويتحكم فيها إذا حصلت. وفي الحقيقة، يشكل مثل هذا التوقع جزءاً من (استراتيجيات) التواصل التي ترمي إلى ضمان استمرار تبادل الحديث، أو على العكس إلى قطْعه أو توجيهه وجهة مختلفة في اللحظة المناسبة. ولعل احترام الدور في الكلام، وقبول (أو رفض) كلام الغير، وإعطاء (أو انتقاص) شريك الحديث قيمته اللغوية والاجتماعية هي أمثلة على تطبيقات هذا المبدأ.

خلاصة

إن تمثل مبادئ حق الكلام واحترامها قبل الشروع في تواصل كلامي يجنّب أطراف الحديث أن يصلوا إلى نتائج سلبية قد تؤدي إلى انقطاع التواصل، ولعل في الآية 23 من سورة الإسراء ذكر بليغ لمثل هذه المبادئ:

- ﴿فلا تَقُلْ لَهُما أفٍّ﴾: احترام لمبدأ الغَيْرِيّة.
- ﴿ولا تَنْهَرْهُما﴾: احترام لمبدأ الملاءمة.
- ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾: احترام لمبدأ التعيير.

المراجع:

(*) عالم أجناس ETHNOLOGIST أمريكي (1914م)، وصاحب نظرية أنظمة التواصل غير الكلامية (1966)

1ـ محمد أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة 1412هـ/1991م.

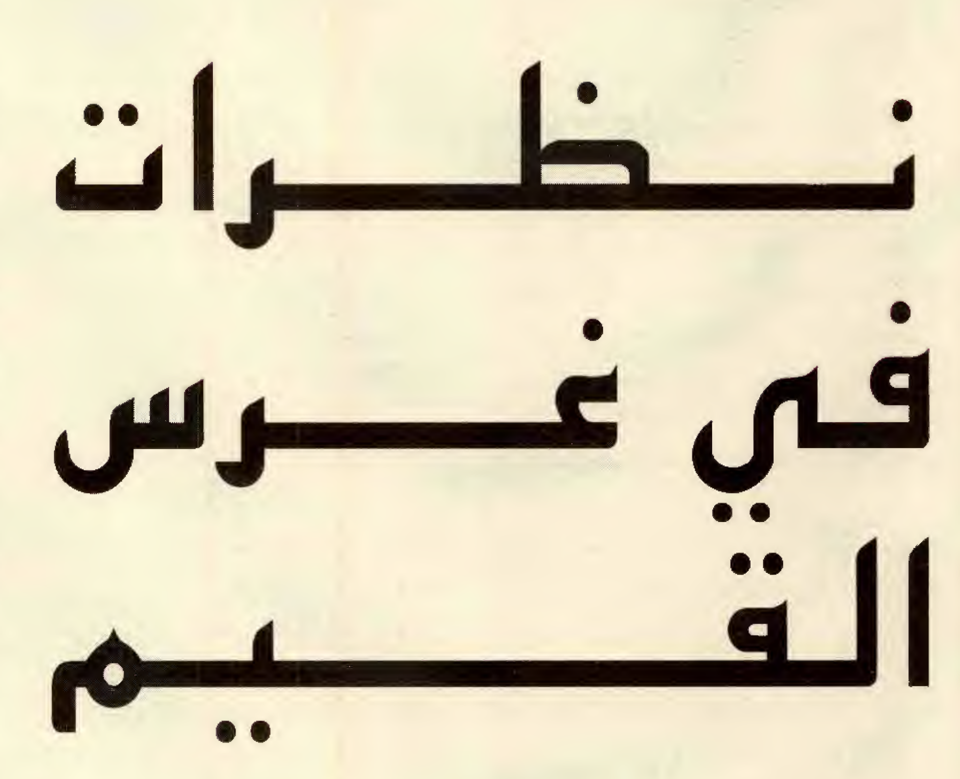
ـ عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة2 م.1990هـ/1411

3- BAYLON (C.) & MIGNOT (X.) LA COMMUNICATION; NATHAN UK., 1991

4- CHARAUDEAU (P.)
GRAMMAIRE DU SENS ET DE L' EXPRESSION; HACHETTE, 1992

5- DECKER (B.)
THE ART OF COMMUNICATING; CRISP PUBLICATION, 1988.

6- LE GALLIOT (J.)
PSYCHANALYSE ET LANGAGES LITTERAIRE; NATHAN, 1977.



نظرات في غرس القيم

دراسة تربوية

أحمد حسن الخميسي

عندما يُولد الإنسان، فإنه يُولد على الفطرة مفتوح العقل والنفس لأي بذرة تلقى إليه، فإن كانت خيّرة ازداد الإنسان بها سمواً ورقيّاً، وإن كانت بذرة شر حطت من قدره وأزرت به.

هذه المغروسات سُمِّيت في القرن العشرين «بالقيم»، وهي تنتمي إلى «علم النفس الاجتماعي» الذي يركز على همزة الوصل بين الفرد والمجتمع، ويضع القيم في سلم أولياته.

لقد بدأ الاهتمام بالقيم ينحو نحو المزيد من التزام المنهج العلمي، في بداية الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الحالي، ويعود الفضل في ذلك لاثنين من علماءالنفس: الأول: شبرانجر الألماني، والثاني: ثرستون(1).

معنى القيم

إن معنى القيمة ليس جديداً في لغتنا؛ فقيمة الشيء في اللغة قدره، وقيمة المتاع ثمنه، وتطلق القيمة على كل ما هو جدير بالاهتمام من قبل المرء وعنايته لاعتبارات أخلاقية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

ويطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية.

أما القيم التي هي موضوع دراستنا فلها عدة دلالات:

فالقيم، مجموعة من المعايير التي تحقق الاطمئنان للحاجات الإنسانية؛ كذلك هي معيار للحكم على كل ما يؤمن به المجتمع ويؤثر في سلوك أفراده، حيث يتم من خلاله الحكم على شخصية الفرد، ومدى صدقه في انتمائه للمجتمع بكل أفكاره ومعتقداته وأهدافه وطموحاته. وقد تكون هذه القيم إيجابية أو سلبية لكل ما هو مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه؛ يتمثلها الفرد بصورة صريحة واضحة أو ضمنية خفية تنعكس آثارها في سلوكه فتحدد مجرى حياته التي تتجلى من خلالها ملامح شخصيته (2). فالقيم بالنسبة للفرد دوافع محركة لسلوكه ومحددة لها، ولها دور فعال في تكامل شخصيته، ذلك التكامل الذي يعتمد إلى درجة كبيرة على اتساق نظام القيم لديه، بينما قد تؤدي الصراعات في نظامه القيمي إلى اضطرابات عصبية.

منظومة القيم

لقد حظيت القيم باهتمام الدارسين على مستوى العالم لما لها من أهمية في تربية الإنسان، كما أن الكتّاب العرب أولوها شيئاً من العناية؛ فقد قدم الكاتب العراقي خلف محيسن الهيتي صورة مطورة لمنظومة «وايت» راعى فيها الثقافة العربية، وبقي الأمر يحتاج إلى عمل جماعي، إلى أن عمدت منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية إلى وضع منظومة جديدة للقيم، وذلك عام 1986م بعد عمل دؤوب استمر أربع سنوات تقريباً، وتعد هذه المنظومة أول تقنين للهوية العربية الإسلامية يحظى بموافقة الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي. ولم تكتف الجامعة العربية بوضع الخطة؛ بل راحت تعقد الندوات لمناقشتها وتوضيحها وهذه صورة موجزة لهذه المنظومة:

من الناحية السياسية: تكريم الإنسان بوصفه إنساناً (نفي التمييز العنصري)، الشورى بوصفها أسلوباً للحكم، العدل، رفض الظلم، الحرية (أي إطلاق ملكات الإنسان، وتحرير الإنسان من الاستغلال، وحرية التعبير)،

المساواة في الفرص (استنادًا إلى معيار: قيمة المرء ما يحسن).

من الناحية الاجتماعية: احترام الأسرة (رعاية الوالدين والتراحم بين ذوي القربى) قضايا الإرث، قضايا الزواج، صون حقوق المرأة، إيثار المروءة (العفو هو الأساس في العلاقات الاجتماعية)، التكافل الاجتماعي (الرعاية الاجتماعية، توفير حاجات الإنسان الأساسية، نبذ الأنانية الفردية، الصدقات والزكاة، إشراف الدولة على المشافي، إحياء الأرض، المحاسبة، الوقف)، العدل الاجتماعي (تحريم الربا، إنكار استغلال الإنسان، التعليم المجاني)، المسؤولية الاجتماعية العامة للجماعة (تنظيم الحرف، مراقبة الأسواق والأسعار، منع الغش، الحفاظ على النظافة، الرفق بالحيوان، السهر على القضاء وتنفيذ الأحكام، منع الاحتكار).

من الناحية الاقتصادية: تقديس العمل النافع والإنتاج (العمل واجب ديني ودنيوي)، الاستثمار ومنع الاكتناز والاحتكار (معيار استثمار المال هو توفير الحاجات الأساسية للإنسان)، مسؤولية الدولة عن أعمال النفع العام، الثروات العامة ملك للدولة تديرها لصالح الجميع.

من الناحية الفكرية والثقافية: رفض الأمية وتكريم العلم والعلماء، الدعوة للإبداع والتفكير في آلاء الله والطبيعة والذات الإنسانية، البحث عن الحكمة والمعرفة (التلاقح الثقافي).

وقد بدأ المفكرون والباحثون يتدارسون هذه المنظومة لاعتمادها والإضافة إليها - إذا كانت تحتاج إلى إضافة - ومن هؤلاء الباحثين: الدكتور سمر روحي الفيصل؛ الذي درس المنظومة العربية وحاول أن يضيف إليها ويعدل فيها ما يراه مناسبًا لأن الأمر مطروح للنقاش. وقد راعى في التعديل ما يلي:

1- المحافظة على منظومة القيم العربية الإسلامية مع تعديل بعض القيم الفرعية فيها.

2- إضافة مجموعتي القيم الوطنية والقومية ثم الجسمانية التي أخذها من منظومة «وايت» مع تعديل بعض قيمها الفرعية.

3- إضافة القيم الروحية التي أدرجت في الخطة الشاملة ولم ترد في المنظومة العربية، وأشار في هامش الدراسة إلى ما هو معدل وإلى ما هو مضاف، ونشر ذلك في مجلة «شؤون عربية» الفصلية التي تصدرها جامعة الدول العربية، العدد 77 عام 1994م(3).

وكان الهدف الرئيس للمنظومة أن يلتقي الكتّاب والمربون وكل جهات الثقافة حول بنودها ليعملوا على ترسيخها في الصغار والكبار، وذلك من خلال ما يقدمونه من أدب وعلم لبناء الشخصية العربية الإسلامية المتماسكة التي تحمل قيمًا تربط بين الأصالة والمعاصرة.

أهمية القيم

تعد القيم أكبر مميز للمجتمعات بعضها من بعض، وكذلك تعد مميزة للأفراد. ولدراسة القيم أهمية كبيرة في عدة مجالات، كالتوجيه المهني؛ حيث يمكن انتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن، كما أن للقيم أهمية في الإرشاد والعلاج النفسي، وهي مهمة أيضًا لتأمين البيئة التربوية المناسبة التي تحقق المزيد من فهم التلاميذ واستيعابهم، والتفاعل الجيد بين المعلم وتلاميذه. كما أوضح «أتكنسون» أهمية وضع الطلاب في تجمعات أو فصول على أساس أنساقهم القيمية؛ فالجماعات التي تتشابه أنساقها القيمية أكثر تفاعلاً من الجماعات المكونة عشوائيًا.

وبالإضافة إلى ذلك تعد القيم التربوية أحد مرتكزات العمل التربوي؛ بل هي من أهدافه ووظائفه، وهي بغية الآباء والمدرسة، وبغية المؤسسات التربوية الأخرى التي يسعى كل من فيها إلى تأكيد النسق القيمي الإيجابي الذي ينفع المجتمع ويطوره ويرفع من قيمة الإنسان وينهض به نحو المثل العليا، وحذف القيم السالبة التي تعوق حركة التنمية أو تقيد الطاقات، أو تهبط بالإنسان إلى مهاوي الردى.

غرس القيم

كيف يتم غرس القيم وإكسابها في الناس وبخاصة في الأجيال الصاعدة؟

إن غرس القيم في الناشئة مسؤولية الجميع، ولكن قبل أن نتخذ الوسائل لذلك، ونقوم بعملية الإيصال والتوصيل القيمي، علينا أن نلاحظ بعض الأمور التي لابد منها:

أولاً: الفروق الفردية: من حيث السن والاستعداد للتقبل. ذلك أن غرس القيم لايكون بطريقة واحدة مع كل الناس؛ فإيصال القيمة للطفل تختلف طريقته عن طريقة إيصالها للبالغ الراشد، وكذلك قد تختلف بين الرجل والمرأة، كما أن بعض الناس يملك ذكاء وفطنة وقابلية تجعله يتشرب القيم بالإشارة أو العبارة الموجزة أسرع من غيره الذي يحتاج إلى وقت أطول وإلى وسائل مثيرة ومرغبة.

تتحول القيم إلى سلوك مدعوم بقناعة داخلية تتفاوت من شخص لآخر.

وتتحول القيم إلى سلوك مدعوم بقناعة داخلية تتفاوت من شخص لآخر حسب الاستعداد والقوة المعنوية والجسدية، شأنه في ذلك شأن الأراضي التي يبذر فيها القمح المتشابه، فتنبت كل أرض نباتًا يختلف خصبًا ونماء من الأرض الأخرى حسب تركيبة الأرض الترابية، والظروف الملائمة التي يؤمنها الزارع لحقله.

ثانيا: أن يراعى المستوى المعرفي؛ فلا تنقل القيم لمتعلم بالقدر نفسه الذي تنقل به لجاهل؛ بل كلٌ على قدر فهمه واطلاعه، وإلا فقد لاتؤتي القيَم ثمارها ولاتنمو غراسها أصلاً.

ثالثا: تهيئة المناخ الملائم لغرسها في المكان المناسب والزمن المناسب وبالقدر المناسب وسط بيئة اجتماعية مترابطة الجوانب لا انفصام بين دوائرها.

بالإضافة إلى ذلك يجب أن نلاحظ أن ارتقاء القيمة واستيعابها يمر بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: مرحلة التقبُّل، ويتضمن الاعتقاد بأهمية قيمة معينة وهو أدنى درجات اليقين.

والمرحلة الثانية: مرحلة التفضيل التي تعني

تفضيل الفرد لقيم معينة وإعطاءها أهمية مناسبة.

والمرحلة الأخيرة: مرحلة الالتزام وهي أعلى درجات اليقين؛ حيث الشعور بأن الخروج عن قيمة معينة يخالف المعايير السائدة.

وسائط غرس القيم

ما الوسائط التي تكسب الإنسان القيم وتغرسها في صفحات نفسه وعقله ووجدانه؟

في الحقيقة إنها كثيرة؛ إلا أن أهمها وأكثرها تأثيرًا في الفرد هي: الأسرةُ، والأصدقاءُ والمدرسةُ، ودور العبادة، ووسائل الإعلام، وما تخرجه المطابع من كتب..الخ (4). فالأسرة وهي المسؤولة الأولى عن تربية الأبناء تحاول جاهدة غرس القيم الإيجابية في نفوس أفرادها أو قلع القيم السلبية إن وجدت بأساليب مختلفة؛ كالنصح والإرشاد، أو المناقشة والحوار، أو بالقدوة، بحيث يقدم الآباء صورًا مشرقة من الأفعال والأحوال يتشرب الأبناء من خلالها القيم. إن ما يقوم به الآباء من سلوك خلقي هو أكبر مشجع للأبناء على أن يقتدوا بهم ويغيروا من سلوكهم واتجاههم، وبذلك تنمو في نفوسهم القيم النبيلة، لا سيما أن الأبناء يقضون في البيت فترة أطول مما يقضونها في المدرسة أو مع أصدقائهم. ولقد أوضحت الدراسات أن تبنّي الطفل قيم ومعايير الوالدين يعتمد على مقدار الدفء والحب اللذين يحاط بهما الولد في علاقته بوالديه، ولاسيما أثناء سرد القصص التي يقصها الكبار على الصغار.

وقد ينأى الأبناء عن الآباء مسافرين لطلب علم أو عمل أو أمر آخر؛ فيحرص الآباء على إرسال الرسائل المتتالية مزودة بهمسات قلوبهم تغذي القيم التي أنبتوا شجرتها في قلوب أبنائهم كما فعل الدكتور أحمد أمين في كتابه «إلى ولدي»، وكما فعل الأديب يعقوب العودات الملقب بـ «البدوي الملثم» في كتابه «رسائل إلى ولدي خالد»، وغيرهما من الأدباء والعلماء الذين سطّروا أجمل الرسائل وأروعها تسقي شجرة القيم بالماء النمير.

نفهم من ذلك كله أن الأسرة تؤدي دورًا أساسيًا في إكساب الفرد قيمًا معينة، ثم تقوم الجماعات الأخرى بدور مكمِّل ومدعِّم.

أما المدرسة، وما أدراك ما المدرسة؛ فهي أهم المؤسسات التربوية عناية بالقيم، حيث تهتم المناهج - بما فيها من دروس وأنشطة متعددة - بإيصال القيم وتوصيلها إلى التلاميذ، ويكون التأثير أقوى كلما كانت الأساليب ناجحة وطرق التدريس قائمة على أسس سليمة وحديثة، يقوم بها معلمون حكماء ومربون ناجحون يعرفون كيف ينمُّون القيم في نفوس الناشئة، كما أن تفاهم المعلمين مع المتعلمين، وإشاعة روح الأُلفة والمحبة والتعاون بين الجميع يساعد على تثبيت القيم عند التلاميذ في المدرسة. ولاننسى دور المكتبة المدرسية والإذاعة فيها، والإدارة التربوية الحكيمة والأقران في إكساب الطالب قيمًا جديدة وخيِّرة وبناءة. وإذا أرادت المدرسة أن تنجح في غرس القيم عليها أن تتعاون مع الأسرة؛ فتلتقي مع الآباء في مجالس ولقاءات متكررة تبحث توحيد السبل الكفيلة لبناء هرم من القيم في نفوس الجيل، فالتعاون بينهما ضروري حتى لا يعمل كل منهم في واد.

ولكي يغدو التلميذ أكثر اكتسابًا للقيم، ويكوِّن اتجاهات يحولها إلى سلوك حياتي، عليه أن يحب ويرغب: يحب معلميه وأقرانه، ويرغب في طلب العلم، عندها تنفتح كل نوافذ فؤاده لنسمات المعاني الفاضلة كي تستقر في داخله، وترتقي يومًا بعد يوم ليصبح مواطنًا صالحًا مثقفًا واعيًا.

وإلى جانب المدرسة والأسرة، هناك جهة مؤثرة في الإنسان سواء كان كبيرًا أو صغيرًا؛ ألا وهم الأقران الذين يألفهم المرء؛ فيحادثهم ويعيش معهم، يبثهم أحلامه وآماله ويشكو لهم آلامه، ويأخذ منهم ويعطيهم، ويبادلهم الود، ويتعاون معهم في السراء والضراء. وهؤلاء الأصدقاء يثبتون قيمًا، ويُغيِّرون أخرى في نفوس مَنْ يصحبهم، إذ كل قرين صورة مكررة تقريبًا من الآخر وبه يقتدي كما قال الشاعر:

عن المرء لا تسألْ وَسَلْ عن قرينه
فكل قرينٍ بالمقارَنِ يقتدي

والاقتداء يعني أن بينهما قاسمًا مشتركًا من القيم المتبادلة، فكل يتصف بمعان مطبوعة في داخل من يخالل تترجم إلى سلوك نابع من مواقف ترتكز على قيم مشتركة، ولقد صدق من قال: «الصاحب ساحب» و«من جالس جانس»، إذ إن من صاحب الصالحين صار منهم ومن صاحب الأشرار صار مثلهم، وهكذا.

أما دور العبادة فإن الدين بشكل عام يهتم بطهارة القلب والوجدان وتعميق قيم المحبة والسلام والتعاون والكرم والشجاعة، وغيرها من الأخلاق الفاضلة الحميدة التي تُبنى على عقيدة تربط بين الإيمان والعمل الصالح، وتعزز ذلك بثواب عاجل في الدنيا وثواب آجل في الآخرة، وتحذر من الضلال والركون إلى القيم الفاسدة. ومبادئ الدين لها شأنها في تقويم الأشياء والأعمال والحكم عليها، وخطاب الله هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح وعلى المباح والمحرم، فالحَسَنُ ما وافق الشرع، واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع وترتب عليه العقاب في الآخرة.

ما يقوم به الآباء من سلوك خلقي هو أكبر مشجع للأبناء على الاقتداء بهم.

ودور العبادة تغرس، من خلال الخطب والمواعظ، القيم على هذه الأسس، وتبرز ما للتعاليم والوحي السماوي من شأن في الحكم على قيم الأشياء والأعمال، مما يجعلها تكبر بشعور ما يترتب عليها من ثواب.

وإلى جانب الخطب والدروس ، فإن تأدية العبادة بشكل جماعي تثبت قيمًا إيجابية وتنفي قيمًا سلبية فيسمو الإنسان. ومما يجعل هذه الجهات أكثر نجاحًا أنها تخاطب العقل والعاطفة معًا مستمدة تعاليمها من الكمال المطلق.

دور وسائل الإعلام

ولوسائل الإعلام تأثير كبير في المعرفة الاجتماعية والسلوك الاجتماعي، ومن ثم في

ترتيب القيم والاتجاهات والأفعال المرتبطة بها، من خلال ما تعرضه من مشاهد ومواقف وفقرات ترفيهية، ومحاضرات وندوات إلى غير ما هنالك، فتقدم بذلك للناس القدوة الحسنة والإقناع العقلي والعاطفي، والخبرات الكثيرة المفيدة. ولقد صارت فاعليتها أكثر بعد دخول التلفاز والفيديو معظم البيوت، إذ إنها تشرك أكثر الحواس في عرضها المشوّق؛ فيتفاعل المشاهد معها صعوداً وهبوطًا، وتُبنى القيم في داخله على أساسها، وتتبلور الاتجاهات وتظهر بشكل مواقف ثابتة ومقنعة من قبل الناس.

فلْيقف المشرفون على إعداد البرامج كثيراً عند كل ما تبثه هذه الوسائل، وليتفكروا في نتائجها، فإن ما يعرضونه مسؤولية كبيرة وبخاصة بعد أن أصبحنا نتلقى السيل الجارف من البث التلفازي العالمي ليل نهار.

ويشارك المسرح وسائل الإعلام والسينما في المهمة؛ إلا أن المسرح يختلف في طريقته وعرضه زمانًا ومكانًا، وفي مضمون ما يقدم، فالمشاهد يشعر أن أشخاص المسرحية أقرب إليه من أشخاص التمثيلية المعروضة على الشاشة.

ولاننسى دور النشر والطباعة، وما تصدره من كتب؛ فإن الكلمة المقروءة لا تزال حتى اليوم لها دورها المهم في بذر القيم وترسيخها في الإنسان، ولايمكننا الاستغناء عن الكتاب، بالرغم من تقدم وسائل الخطاب الجماهيري؛ لأنه العمود الفقري للمناهج المدرسية، وهو الوسيلة الأساسية لتقديم المعلومات والقيم والأفكار والتجارب، وتكاتف المراكز الثقافية وغيرها من الوسائط الثقافية مع دور النشر في تقديم زاد ناضج من بناء النسق القيمي لدى أفراد الأمة.

إن ارتقاء القيم أو تغييرها من قبل الوسائط يتم من خلال التخاطب الذي يشتمل على عدة عناصر هي: المصدر، والرسالة، وقناة التوصيل، والمستقبل والمتلقي، وناتج أو مقدار ثبات القيم أو تغيرها، وأثرها في الاتجاه والسلوك(5).

فالمصدر: يجب أن يتميز بالمصداقية والجاذبية والقوة، ويزيد تأثيره إذا كان خبيراً وموضوعيًا ومخلصًا ذا سمعة طيبة، فالجاذبية تعني أن يكون كامل المظهر والهيئة يتمتع بمركز اجتماعي مرموق، واسع الصدر طيب اللقيا والمعشر، أما بالنسبة للحكم والقوة فيجب أن يكون ذا مهارة اجتماعية في إصدار الحكم المتعمق وقدرة على ضبط حالته الانفعالية وتفوق في إثارة مستمعية وجذب اهتمامهم وإثارة حماسهم.

أما الرسالة: فمن الخصائص التي تجعلها مؤثرة وفعّالة أن تتسم بالوضوح، وأن تقدم الحجج والبراهين لما تتضمنه من أفكار ومبادئ، وأن تراعي مستوى الجمهور المرسلة إليه ونوعه.

وأما قناة التوصيل: فإن ما تحدثنا عنه من مؤسسات تربوية أو وسائط اجتماعية كلها تُعدّ قنوات للتوصيل سواء كانت مواجهة مثل الأسرة والأصدقاء، أو غير مواجهة مثل وسائل الإعلام والمطبوعات من كتب ومجلات ورسائل. وقد تبين أن تأثير القنوات المواجهة أكفأ من القنوات غير المواجهة وأقدر منها على غرس القيم وتغييرها.

وتصل الرسالة إلى المتلقي: الذي تعدُّ شخصيته وذكاؤه ومستواه التعليمي وعمره وجنسه وحالته النفسية من أهم السمات المؤثرة في عملية الإقناع، فقد تبين على سبيل المثال أن الشخص الذي يشعر بالنقص وعدم الثقة يسهل تغيير قيمه وإكسابه قيمًا جديدة، وخاصة إذا كان الآخرون الذي يشكلون مصدر الرسالة يتصف كلامهم بالقطع واليقين.

وتتوجه الأنظار نحو الأثر المتوقع من عملية التخاطب، فيلاحظ أنه كلما كان المصدر صادقًا والرسالة واضحة المعالم، والمتلقي متقبلاً وراغبًا فيما يصل إليه، كان الأثر المتوقع ناجحًا مفيدًا.

ويشر العلماء إلى قضية جوهرية، تجمع بين كل طرق غرس القيم، وتركز على حرية الإنسان في اختيار مايراه صالحًا لأن يعتنقه ويحتضنه، وتتلخص هذه القضية في الأمور التالية:

1ـ الاختيار الحر: أي إن الفرد يختار قيمه بحرية حتى تكون عزيزة عليه ترتكز على اطمئنان وقناعة.

2ـ الاختيار بين عدد من الأبدال؛ بحيث يتوافر أمامه ما يتخير من عدد أو نوع فيأخذ الأحسن.

3ـ الاختيار بعد التفكير في عواقب كل بديل؛ أي يدرس كل احتمال وبديل بعد تفكير وروية.

4ـ الإعزاز والتقدير؛ أي أن تكون اختيارات المرء مما يسعده وتحتل مكانة عليّة لديه.

5ـ العمل بالمختار: فالقيمة المختارة يجب أن تُمارس لكي تؤثر في مسار حياة صاحبها؛ لأنها تُعرف بآثارها.

6ـ التأكيد؛ أي أن لايتردد صاحب القيمة عن إعلان اختياره ويدافع عنه ولايخجل منه.

7ـ التكرار؛ أي أن تظهر وتستمر في سلوك الشخص الذي اختارها، وتتكرر حتى تصبح من نسيج حياته(6). ولعل الاعتماد على هذه الطريقة ـ أي طريقة الحرية في اختيار القيم ـ يتطلب من التربية أن تنمّي لدى الفرد أساليب تفكير أصلية، وتنمّي لديه حساسية التزام القيم، كما تنمّي سلوكه في إطار قيمي اجتماعي.

إن غرس القيم طويل المدى، يحتاج إلى صبر وأناة، وربما يكون سريع المنال، وهذا يتوقف على براعة العملية التربوية، وتوافر الشروط اللازمة لها، ووضوح أهدافها، وتكامل عملية التخاطب والاتصال المباشر وغير المباشر بالجماهير أو الطلاب.

وهكذا عرفنا معنى القيم وارتقاءها وغرسها والوسائط التي تتعاون على صياغة رسالتها الموجهة إلى أبناء الأمة عبر القنوات المتعددة والمتنوعة، هذه الرسالة التي تُعدُّ صلة الوصل بين المصْدَر والمتلقي، تتطلع ـ كما أسلفنا ـ إلى تكوين إنسان ذي قيم يحمل مسؤولياته بأمانة، ويؤدي واجباته بصدق، ذلك أن الإنسان من دون قيم هو شيء تافه لا قيمة له.

الهوامش:

1ـ د. عبداللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م، العدد 160ص15.

2ـ د. أحمد كنعان: القيم التربوية في أدب الأطفال، مجلة المعلم العربي، العدد الرابع 1990م، ص61.

3ـ د. سمر روحي الفيصل: نحو أدب موحد للأطفال العرب، مجلة شؤون عربية 1994م العدد 77، ص181.

4ـ د. أحمد كنعان: القيم التربوية، مجلة المعلم العربي، العدد الرابع 1990م، ص63.

5ـ د. عبداللطيف محمد خليفة: مرجع سابق ص241.

6ـ د. ضياءزاهر: القيم في العملية التربوية، مركز الكتاب للنشر، كلية التربية جامعة عين شمس 1991م، ص76.

كيف نحصي أسماء الله الموعود بإحصائها الجنة؟



الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: زيادة المبنى لزيادة المعنى.

ومعنى ذلك أن اللفظ الأقل حروفًا يكون معناه هو الأصل لمعنى اللفظ الأكثر حروفًا.

ومادة «حصى» أقل حروفًا من مادة «أحصى» فيكون معنى حصى بلا همزة هو الأصل.

ومعنى الحصى الصلابة والشدة والمنعة، ومن هذا المعنى حصى الحجارة، وصلابته وشدته معروفة.

وشبهوا العقل بالحصاة فجعلوه حصاة.. قال ابن فارس: «يقال: ماله حصاة.. أي ماله عقل، لأن في الحصى قوة وشدة، والحصاة العقل لأن به تماسك الرجل وقوة نفسه»(1).

قال أبو عبدالرحمن: وسمي المنع حصوًا كما في قول الراجز:

ألا تخاف الله إذ حصوتني
حقي بلا ذنب وإذ عنّتني

لأن منع شيء لشيء لا يكون إلا عن قوة وصلابة في المانع. ثم جاءت أحصى - بزيادة الهمزة - لها معنيان:

أولهما: التجمع: قال ابن فارس عن حصى: «وإذا همزَ فأصله تجمع الشيء.. يقال: أحصأت الرجل إذا أرويته من الماء.

وحصئ هو.. ويقال: حصأ الصبي من اللبن إذا ارتضع حتى تمتلئ معدته.. وكذلك الجدي.

وثانيهما: عد الشيء وإطاقته»(2).

وقال الراغب وتابعه السمين: الإحصاء تحصيل الشيء بالعدد، وذلك من لفظ الحصى، لأنهم كانوا يستعملونه فيه كاستعمالنا فيه الأصابع(3).

وذكر أحمد بن محمد الفيومي أن أحصيت الشيء تأتي بمعنى علمته، وبمعنى عددته، وبمعنى أطقته(4).

وأضاف الفيروزآبادي.. حفظه أو عقله(5).

قال أبو عبدالرحمن: اتضح من هذا السياق المستوعب لأقوال اللغويين بإيجاز أن الأصل للوضع اللغوي التسمية للحصى، ثم اشتق للمادة معاني من صفة الحصى وهي الصلابة والشدة.

واشتق من ذلك المنعة والمانع، لأن ذلك لا يكون إلا عن صلابة وقوة. ثم زادت المادة بحرف الهمزة فكان للإحصاء عدة معان أستبعد منها معنى التجمع الذي ذكره ابن فارس، لأن هذا المعنى من مادة أخرى وهي مادة حصأ وأحصأ بالهمزة في آخرها لا بالحرف المعتل. والتجمع ينتج قوة.

فمن تلك المعاني تحصيل الشيء، وذلك التحصيل يكون بمعرفة عدده، وإحاطة العقل به حفظًا ومعرفة.

فالإحصاء خصوص تحصيل يعني إحاطة علم حاضر - وذلك هو الحفظ - بما يميز الشيء من عدد أو صفة.

ويبقى وجه الاشتقاق المعنوي لمعنى أحصى من معنى حصى ذا احتمالين:

أولهما: من المنع الذي هو نتيجة لصلابة الحصى، فمن أحصى شيئًا فقد منعه من أن يند عنه.

وثانيهما: ما ذكره الراغب، لأنهم يعدون بالحصى، ويكون نتيجة العد معنى الإحصاء وهو الإحاطة بالعدد، ثم ألحق بذلك الإحاطة بالصفات والسمات.

فكأن أحصى عد بالحصى.

قال أبو عبدالرحمن: والمعنى الثاني صحيح من جهة باطل من جهة.

فأما الصحة فمن جهة أن الحصى يُعَدُّ به كنوى التمر.

وقد أدركت التجار والشريطية بمدينتي شقراء أيام كان لماقفتها سوقٌ يخيرون صاحب البضائع التي تجلب للمدينة ثم تباع في دقائق، فيقولون له: تريد حساب بدو، أو حساب حضر؟

فإذا كان مدركًا حسبوا له حساب حضر جمعًا وطرحًا وضربًا وقسمة. وإن كان غير مدرك قال: أريد حساب بدو.

فيعدون له بحصيّات صغار، أو بنوى تمر، أو بنوى عبري، أو بحبات قهوة.

وأما البطلان فلأن العد بالحصى لا يُعَبَّر عنه بأحصى، إذ لا يعرف ذلك من معاني صيغة أفعل، وإنما يكون الإحصاء بالعد وإن كان العد بغير الحصى.

وإنما المعنى من أحصى من مادة الحصى: كان ذا حصى، وقرب من الحصى.

فتعين بذلك أن مأخذ أحصى حسب الوجه الأول.

قال أبو عبدالرحمن: وأحصيت الشيء (بمعنى علمته) تخصيص للتحصيل بأن التحصيل وجد بالعلم كما يتخصص التحصيل بالحفظ، وبالعدد.

وأما أحصيته بمعنى أطقته فليس من كلام العرب، وإنما هو اقتضاب من كلام علماء التفسير أدخل في كلام العرب.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿علم أنْ لنْ تُحصوه﴾ المزمل:20، كان من معاني الآية المحتملة: علم أن لن تطيقوا إحصاء أوقاته.

ثم جاء من اختصر العبارة فقال: علم أن لن تطيقوه.

والحاصل أن المعنى لن تطيقوا إحصاءه، وعدم إطاقة الإحصاء لا يعني أن الإحصاء بمعنى الإطاقة، لأن الإطاقة فعل واقع على الإحصاء، وليس معنى من معانيه.

وجاء الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مئة غير واحد من أحصاها دخل الجنة».

وهذا إحصاء يترتب عليه دخول الجنة، ولهذا اجتهد العلماء في معرفة الإحصاء الذي يحصل به دخول الجنة.

فمنهم من فسر الإحصاء بمجرد الحفظ كالبخاري في صحيحه.

ورجح ذلك النووي في شرحه لصحيح مسلم، وعزاه في الأذكار إلى الأكثرين.

وحجة هذا القول أنه ورد في بعض الروايات: من حفظها، وهي في صحيح مسلم وغيره(6).

ومنهم من فسر الإحصاء بمعنى عرف معانيها وآمن بها(7).

قال السمين: «أي من حصَّل معرفتها، وآمن بها، ولم يلحد فيها.. عكس من قال فيهم: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ الأعراف:180(8).

ومنهم من فسر الإحصاء بمعنى أطاقها بحسن الرعاية لها، وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها (9).

ومنهم من فسر الإحصاء بأن يقرأ القرآن حتى يختمه، فإنه يستوفي هذه الأسماء في أضعاف التلاوة.

هذا مذهب أبي عبدالله الزبيري، واحتمل الحافظ ابن حجر أن يكون مراده تتبعها من القرآن(10).

وقال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها.. يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها، فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، كقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾.

والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء، والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال (الرزاق) وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها من قول العرب: فلان ذو حصاة.. أي ذو عقل ومعرفة.

وقال القرطبي: المرجو من كرم الله تعالى أنَّ من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة.

وهذه المراتب الثلاثة: للسابقين، والصديقين، وأصحاب اليمين.

وقال ابن عطية: معنى أحصاها عدها وحفظها.. ويتضمن ذلك الإيمان بها، والتعظيم لها، والرغبة فيها، والاعتبار بمعانيها.

وقال ابن الجوزي: لما ثبت في بعض طرق الحديث من حفظها بدل أحصاها اخترنا أن المراد العَدُّ.. أي من عدّها ليستوفيها حفظًا.

وتعقبه ابن حجر بأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ حفظها تعين السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي.

وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حُلاها على عبده.. فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها.

وما كان يختص بالله تعالى كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها.

وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة.

وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة.

وتحدث ابن قيم الجوزية عن أنواع معاني أسماء الله وصفاته، وحصرها في ستة أنواع هي:

«أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات وموجود وشيء.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو: الخالق والرزاق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتًا، إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام.

الخامس (ولم يذكره أكثر الناس وهو): الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة؛ بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو: المجيد العظيم الصمد.. فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه استمجد المرخ والعفار وأمجد الناقة علفًا.. ومنه: ﴿ذو العرش المجيد﴾، صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، والعفو القدير، والحميد المجيد.. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف»(11).

وذكر ما يتعلق بإحصاء أسماء الله فقال: «إحصاء الأسماء الحسنى، والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما تكون خلقًا له تعالى، أو أمرًا.. إما علمًا بما كوَّنه أو علمًا بما شرَعه.

ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضي بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنى.. وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً ولا سدى ولا عبثًا.

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده تَبَعَ المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه، وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتًا، لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به، أو لعدم حكمته»(12).

ثم شرح المراد بالإحصاء ببيان المراتب فقال: «بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ الأعراف:180، وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة.. فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات: اغفر لي وارحمني.. بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم.

ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة.

وأحسن منها عبارة أبي الحكم ابن برهان وهي التعبد.

وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

فمراتبها أربعة أشدها إنكارًا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال التخلق، وأحسن منها عبارة من قال التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء، وهي لفظ القرآن» (13).

قال أبو عبدالرحمن: هاهنا وقفات:

الوقفة الأولى: تبين من استعراض أقوال اللغويين أن الأصل في الإحصاء إحاطة علم حاضر (وذلك هو الحفظ) بشيء يميزه العلم بعدد أو صفة.

ولهذا فرواية: مَنْ حَفِظَها ترادف رواية: مَنْ أحصاها.

الوقفة الثانية: لم يرد في الحديث تعيين المراد حفظه أهو الأسماء أم معانيها؟.

ولكن الظاهر من النص مجردًا الحمل على حفظ الألفاظ، لأن هذا هو المتبادر عرفًا عند إطلاق كلمة الحفظ أو مرادفتها، ولأن الضمير عائد للأسماء فالحفظ يتعلق بألفاظها، والفهم يتعلق بمعانيها، والنص عن الحفظ.

والحفظ يقع للمعاني من دون استحضار الألفاظ، إلا أن هذا الوقوع الصحيح لا يدل عليه ظاهر الحديث مجردًا لغلبة العرف كما أسلفت.

وهذا هو الصحيح، وهو مذهب الجمهور.

الوقفة الثالثة: تفسير الإحصاء بمعرفة المعاني والإيمان بها تفسير لا تدل عليه لغة العرب.

الوقفة الرابعة: ذم الله لمن ألحد في أسمائه بمقابل البشرى بالجنة لمن أحصى أسماءه لا يعني أن معنى الإحصاء ضد معنى الإلحاد، بل معنى الإحصاء والإلحاد يؤخذ من لغة العرب، وليس في لغة العرب أن نقيض معنى الإلحاد بمعنى الإحصاء.

الوقفة الخامسة: ليست الإطاقة من معنى الإحصاء كما أسلفت بيان ذلك في الإشارة إلى أن استنباط عالم كالمفسر لا يكون نقلاً عن العرب، بل يحقق النقل عن العرب بالإسناد إلى الفصحاء، وبالنقل عن القواميس وفق أصول اللغة.

ولهذا لا يكون الإحصاء بمعنى الرعاية والتخلق اللذين جُعلا من فروع الإطاقة.

الوقفة السادسة: تتبع القرآن الكريم لاستخراج أسماء الله وإحصائها من سبل الإحصاء، وليس هو معناه.

الوقفة السابعة: القول بأن تتبع كلام الله تلاوة يقتضي إحصاءها قول غير صحيح، لأنه لا يتم إلا بمقدمات أكثرهن غير محقق.

فالمقدمة الأولى: أن يكون حاصرًا لعددهن في ذهنه، مميزًا لهن عن غيرهن إن كان ما في القرآن أكثر من تسعة وتسعين اسمًا.

وهذا لا يتم بمجرد التلاوة العامة حفظًا.

والمقدمة الثانية: أن تكون التلاوة حفظًا.

والمقدمة الثالثة: أن يكنّ كلهن في القرآن الكريم.

والمقدمة الرابعة: أن يكن محفوظات في ذهنه يستحضرهن مجردات من بقية حروف التلاوة.

الوقفة الثامنة: ظاهر النص يدل على أن الوعد بالجنة من أجل حفظ ألفاظهن فقط، وتمييزهن من بقية أسماء الله اللاتي لا يشملهن حكم الإحصاء المترتب عليه الوعد بالجنة.

ومن المعلوم أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين اسمًا.

الوقفة التاسعة: بقية ما ذكره العلماء من الإيمان بها، ورعايتها، والدعاء بها.. إلخ.. كل ذلك أمور مطلوبة، ولها أجرها الخاص بها، والجنة منازل، ونعيم الله درجات.

ولكنها مطلوبة بأدلة من خارج، وليست شرطًا لتحقيق الوعد في هذا الحديث، بل الوعد في هذا الحديث حاصل بمجرد الإحصاء الذي هو حفظ لها، وتمييز لها من غيرها.

الوقفة العاشرة: كل وعد بالجنة على خصلة من الخصال فلا يكون إلا للمؤمن، لأن الجنة محرمة على الكافرين.

والمؤمنون منهم من يدخل الجنة بدءًا، ومنهم عصاة يُعذَّبون بذنوبهم ثم مآلهم إلى الجنة.

وإذن فالوعد بالجنة يقتضي دخولها بدءًا، لتتحقق فائدة الوعد، إذ العاصي المعذب سيدخل الجنة في المآل.

وإذن فإحصاء أسماء الله إذا وافق ما وعد به النص من حفظ وتمييز ما يدخل إحصاؤه الجنة سيكون ضمانة كونية لمن مات مؤمنًا أن يوفق لخيرات يلقى بها ربه فيكون راجح الحسنات.

ومن تلك الخيرات التوفيق لمثل ما ذكره ابن قيم الجوزية من الدعاء بها فيستجاب له.

الوقفة الحادية عشرة: عبارة التخلق بأسماء الله غير سديدة بلا ريب كما ذكر ابن قيم الجوزية.

ولكن عبارة التخلق حسب القدرة بمقتضى بعض أسمائه لا غبار عليها.

فالله سبحانه الرحمان، ونحن مأمورون بالرحمة التي تليق بقدرتنا، وقد نبه إلى ذلك المقارنة في حديث: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

الوقفة الثانية عشرة: تقسيم ابن قيم الجوزية لأنواع أسماء الله وصفاته أفاد من تقسيمات الرازي وغيره في كلامهم عن حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا...».

الوقفة الثالثة عشرة: قال ابن قيم الجوزية عن مثل القدوس: إنه يرجع إلى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتًا إذ لا كمال في العدم المحض.

قال أبو عبدالرحمن: كلمة القدوس في ذاتها لا تتضمن ثبوتًا، ولا شرط لتضمنها الثبوت لا في اللغة ولا في اصطلاح شرعي.

وثبوت الكمال لله سبحانه بصفات أخرى، وبراهين أخرى.

وإنما يأتي الثبوت أحيانًا بضرورة العقل لا دلالة اللغة إذا كان تقديس الله عن صفة نقص معينة ولا وسط بينها وبين نقيضها، والنقيضان لا يرتفعان معًا.

والقدوس لا تعني عدمًا محضًا، لأنها ليست نفيًا مطلقًا يقتضي عدمًا، وإنما هي نفي للنقائص بإطلاق، والانتفاء من النقائص كمال وليس عدمًا.

الوقفة الرابعة عشرة: سواء أكان المجد بمعنى السعة في مثل الكرم كما قال الراغب في المفردات - وبه استدل ابن قيم الجوزية -، أم كان بمعنى بلوغ الغاية في صفة محمودة كما قال ابن فارس؛ فإن المجد تدل على جملة أوصاف محمودة يتخلق بها العبد.. وربنا سبحانه له الصفات المحمودة بإطلاق فله المجد المطلق.

الوقفة الخامسة عشرة: ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله مالا يتحقق لا في لغة، ولا في عقل، ولا في خيال، وهو حصول صفة كمال للرب سبحانه من اقتران صفة بصفة مثل الغني الحميد!.

قال أبو عبدالرحمن: ما اسم هذه الصفة الناتجة عن هذا الاقتران؟

وترادف الكمالات وتواليها للرب سبحانه يعني الكمال المطلق بكل الصفات، والكمال المطلق في كل صفة.

ولكن هذا لا يعني أنه حصل من اجتماع الغنى والحمد صفة ثالثة!!.

الوقفة السادسة عشرة: الحميد ليست صفة معينة، بل هي وصف للرب سبحانه من أجل اتصافه بكل ما يُحمد عليه مدحًا وشكرًا.

وباجتماع الغنى مع الحمد فله ثناء سبحانه من غناه، وله ثناء من حمده (والحمد نفسه يتضمن الثناء).. ولا يقال كما قال ابن قيم الجوزية: وله ثناء من اجتماعهما، لأن غنى الله داخل في حمده، فهو ممدوح بالغنى (والمدح أحد معانى الحمد).

وهو مشكور على غناه (والشكر المعنى الثاني من معاني الحمد).

فالذي يحصل من اقتران صفتين زيادة العلم أو التعليم بصفة كمال أخرى لا تولد صفة ثالثة.

الهوامش:

1- مقاييس اللغة ص267.
2- المصدر السابق.
3- عمدة الحفاظ 488/1.
4- المصباح المنير 140/1.
5- القاموس المحيط 459/4.
6- تلخيص الحبير 192/4.
7- المصدر السابق.
8- عمدة الحفاظ 488/1.
9- تلخيص الحبير 192/4.
10- المصدر السابق.
11- بدائع الفوائد 144/1- 146.





عالم الأندلسيات
د. محمود علي مكي

الأسبان لاينكرون فضل العرب على الثقافة الأوربية

(الحلقة الأخيرة)

أجراه: د. خالد سالم

في الحلقة الماضية تحدث الدكتور محمود علي مكي عن ضرورة تجدد الحوار بين الثقافتين العربية والأيبرية لما كان بينهما في الماضي من علاقة تأثر وتأثير، وبيّن أن الدراسات العربية لم تهتم بالحضارة الأندلسية إلا مؤخرا، وأنها كانت قبل ذلك قائمة على أساس عاطفي لا على أساس علمي. ثم تحدث عن حجم الاهتمام العربي حديثا بالحضور العربي في الأندلس قديما، وأنه يجب ألا يقتصر على المؤتمرات التي عُقدت؛ ذلك أنهم في إسبانيا اهتموا بالدراسة عن الأندلس أكثر من اهتمامنا نحن العرب. وفي هذه الحلقة (الأخيرة) يواصل د. مكي طرح آرائه حول عدد من القضايا الفكرية والأدبية التي تهم المشتغلين بالدراسات العربية - الإسبانية.

هناك أخبار مفادها أن المتحف الوطني المكسيكي فيه وثائق تثبت مشاركة بحارة عرب في رحلة كولمبس الاستكشافية، في الوقت الذي تنفي فيه بعض المصادر الإسبانية هذا الدور؟

* المصادر الإسبانية لا أقول إنها تنفي أو تثبت، وذلك لأن اتجاه الإسبان ليس إنكار فضل العرب على الثقافة الإسبانية ولا الأوربية بشكل عام، إنما المسألة من الصعب القطع فيها وما زالت قيد البحث. لننظر إلى الوضع في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي حينما بدأت هذه المغامرة الكبرى في عام 1492م؛ حيث تبنى الملكان الكاثوليكيان الحملة الأولى التي توجهت لكشف بلاد الهند. هذه المغامرة تقوم على مبدأ شديد البساطة، وهو الذي قرره الجغرافيون العرب منذ البداية، والأندلسيون بصفة خاصة. وأشير سلفًا إلى ازدهار علم الجغرافية والملاحة والمصورات عند الأندلسيين، وإلى المغامرات التي قام بها البحارة الأندلسيون. لنذكر مثلاً قصة الفتية المغررين الذين خرجوا من ميناء لشبونة، عاصمة البرتغال، وكانت خاضعة لسلطان المسلمين، وتوجهوا غربًا إلى جزر يظن أنها جزر الباهاما، وهناك من يقول إنهم وصلوا إلى جزيرة كوبا أو البحر الكاريبي، والخبر ذكره الإدريسي.

وبصرف النظر عن ذلك، فإن فكرة الرحلة نفسها التي كانت تقول إننا إذا اتجهنا غربًا بحكم كروية الأرض فإننا نصل إلى بلاد الهند، وهي الفكرة التي طرحها الجغرافي الكبير أبو

جوامع

عالم الأندلسيات

د. محمود علي مكي

عبيد البكري في مؤلفاته، وعلى أساسها توجه كولمبس إلى الغرب، ولهذا عندما وصل إلى القارة الأمريكية كان يظن أنه في بلاد الهند الشرقية، ولذلك سميت بلاد الهند ثم أطلقوا عليها الهند الغربية.

ومعروف أن كثيرًا من البحارة الذين رافقوا كولمبس إلى القارة الأمريكية، وأن الأدوات المستخدمة كانت عربية، وأظنها حقيقة لم ينكرها أحد؛ فالنشاط البحري الكبير كان للمسلمين في القرن الخامس عشر، ومثال ذلك الملاح العربي أحمد بن ماجد (ت بعد:904هـ)، ويقال إن كولمبس توجه إلى رحلته بناءً على مصورات عربية. كل هذه القضايا قيد المناقشة، ولم يقطع فيها برأي تمامًا، ولكن يبدو أن الدراسات الحديثة تؤكدها، على الأقل استخدام كولمبس لكثير من الأدوات والمصورات العربية، وربما رافقه بعض الأندلسيين، ولاسيما من جنوب الأندلس إذ كانوا يقومون برحلات بحرية كثيرة.

أما فيما تذكره، بخصوص الوثائق الموجودة في المتحف المكسيكي فيتعلق بوجود الموريسكيين في العالم الجديد. وهي مسألة كانت مجهولة من قبل، إلا أن تزايد الدراسات عن الموريسكيين في السنوات الأخيرة أثبت أن عددًا منهم تستروا تحت رداء المسيحية ووصلوا إلى العالم الجديد، لا في المكسيك، بل في بعض البلاد الأخرى، ومنها بيرو. وفي ملتقى غرناطة من الحوار العربي/ الأمريكي اللاتيني، في آذار/ مارس 1994م عرض علينا سفير بيرو خورخي كشيريس عددًا كبيرًا من الوثائق التي تدل على أن هناك من دخل مع بيثارو، فاتح بيرو، من الموريسكيين بأسمائهم وصفاتهم.

- يضخم اليهود دورهم في الأندلس .. فهل الدور اليهودي، في سياق الحضارة العربية الأندلسية، كان بهذا القدر؟ علمًا بأن ابن النغريلا وابن ميمون - وهما من أشهر رموز الثقافة اليهودية بالأندلس - عاشا وتربيا في كنف مؤسسات عربية أندلسية. وهناك شعرهم الديني وهو أرقى ماوصل إليه اليهود في الأندلس، وهذا الشعر قائم على أساس العروض العربي... فما حجم هذا الدور من الناحية العلمية؟

* هذا سؤال مهم جدًا.. وطرح هذه القضية على قدر كبير من الأهمية، وهو مرتبط بما سبق أن تحدثنا عنه. إن اليهود حصلوا أولاً على هذا الاعتذار الرسمي، لأنهم يعملون بجد، وهم منظمون تنظيمًا جيدًا، بينما لم يحدث هذا بالنسبة للثقافة العربية، وهذا راجع إلى تقصير من جانب الحكومات والأنظمة العربية.

أما فيما يتعلق بدور اليهود بالنسبة لدور العرب، فمن الواضح - وهذا أمر لا يكاد يكابر فيه أحد، لا من الإسبان ولا من الدارسين الأجانب - أن دور اليهود كان هامشيًا. وأذكر أنه في مؤتمر «الثقافات الثلاث» - عقد عام 1988م في طليطلة - أنني قلت: إنه ليس هناك مجال للكلام عن ثقافات ثلاث. فكان هناك ثقافتان، الإسلامية والمسيحية، وكانت اليهودية تابعة للثقافة الإسلامية أولاً ثم للثقافة المسيحية.

قبل وصول العرب، كان اليهود يعانون أشد الاضطهاد في ظل الدولة القوطية، وهو ما حملهم على مساعدة المسلمين عند دخولهم الأندلس، وكانوا يعرفون تسامح الإسلام، وهو بالفعل ما ظفروا به في الأندلس، إذ عاشوا في ظل تسامح لم يعرفوه من قبل، لهذا فإن هذه الحرية وذلك التسامح - الذي تمتعوا به طوال الوجود العربي في الأندلس - هما اللذان سمحا لثقافتهم بالازدهار.

ولكن هذه الثقافة كانت تابعة للثقافة العربية؛ فاللغة العبرية كانت قد ماتت تمامًا، ولم تحيا إلا في الأندلس. وكبار الشعراء والمفكرين، ليس في الشعر الديني فقط، كما ذكرت، ولكن في كل ألوان المعرفة. نذكر على سبيل المثال إسحاق بن شبروط الذي عاش في ظل الخلافة، ثم بني حسداي الذين عاشوا مابين الأندلس في قرطبة وسرقسطة، وسليمان بن جبيرول، وبعد ذلك موسى بن عذرة ويهوذا الليبي، هؤلاء وغيرهم من كبار الشعراء والمفكرين العبريين كانوا يتقنون اللغة العربية لأنهم كانوا يعيشون مع العرب، وكثير منهم لم يكتبوا إلا بالعربية، والذين كتبوا بالعبرية كانوا ينقلون النماذج العربية في فكرهم وفي شعرهم، ليس من الناحية العروضية فحسب؛ وإنما في تصور العالم في شعر الطبيعة، في الصور، وفي الأخيلة، كثيرون منهم كانوا يقتبسون حتى الآيات القرآنية. بل إن أهم كتاب في النحو العبري لابن جناح ألفه على نهج كتاب النحو العربي «الجمل» للزجّاجي، النحوي العربي المعروف (ت:339هـ).

أما الشعر الصوفي العبري فكان نقلاً عن الشعر الأندلسي والعربي عامة. وفي مجال الفلسفة كانت لهم فلسفة خاصة دائمًا على هامش الفلسفة العربية، وكان نقلهم عن الفارابي (ت:339هـ) وابن سينا (ت:428هـ)، وابن رشد (ت:595 هـ). وكان واضحًا أن موسى بن ميمون اليهودي (ت:601هـ) كان أكثر مايكتب بالعربية. ونعرف أنه حينما هاجر من قرطبة استقر في مصر وعمل طبيبًا لصلاح الدين الأيوبي (ت:589هـ). وهذا يبين مدى التسامح الذي كانت تبسطه الدولة الإسلامية في الشرق والغرب على اليهود مما مكن ثقافتهم من الازدهار.

كل شيء لدى اليهود في العصور الوسطى كان نقلاً عن العربية. أنت ذكرت ابن النغريللا، فحتى هذا كان كاتبًا لولي عهد ملك غرناطة، ومعروف أنه كان يعرف العربية جيدا، وكان ينظم الموشحات على أساس الموشحات العربية، ودار حوار بينه وبين الإمام ابن حزم (ت:456هـ) حول بعض المسائل الدينية، وتفوق عليه ابن حزم لأنه كان عارفًا بالثقافة اليهودية ومتمكنًا منها .

ورغم أن الثقافة اليهودية لم تكن لها أصالة، لأنها كانت نقلاً وعلى هامش الثقافة العربية، فإنه كان لهم دور لايمكن إنكاره في وصل الثقافة العربية بالإسبانية، فكثير منهم، من منطق عملهم في ظل الثقافة الإسلامية، كانوا يجيدون العربية، إضافة إلى اللاتينية الدارجة، فقاموا بنقل وترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللاتينية، مما جعل من اليهود، إلى جانب وسائل أخرى، قنطرة بين الثقافة العربية وأوربا.

وإذا نظرنا إلى الأدب لوجدنا أن كل النماذج الأدبية الموجودة في العبري منقولة عن نماذج عربية، ففي المقامات وجدنا يهوذا الحريزي، الذي يختلف عن الحريري في حرف واحد، يقلد مقامات الحريري العربي في مقامات بعنوان «تحكموني» أي الرجل الحكيم، يقلدها في سجعها، وفي زخارفها اللفظية، وفي شخصية بطل المقامات. وفي الشعر ينظمون على البحور العربية، ونجد أنهم في قصائدهم يبكون الأطلال في مقدمة القصيدة، كما أن وصف الطبيعة، كان نقلاً عن شعراء الطبيعة الأندلسيين المشهورين مثل ابن خفاجه، وابن الزقاق وغيرهما.

والشيء نفسه ينطبق على الثقافة العلمية، ولهذا فإن اليهود لم يضيفوا شيئًا، رغم أنهم كانوا يعملون ويتمتعون بقسط وافر من الحرية في ظل الإسلام، إلا أنهم لم يضيفوا لأنهم كانوا مجرد نقلة. وكان لهم دور في نقل الثقافة العربية إلى المسيحيين. نذكر على سبيل المثال أن ألفونصو العاشر حينما استولى على مدينة مرسية صلحًا، لجأ إلى العالم المسلم محمد الرقوطي وأقام له مدرسة كان يعلم فيها المسلمين واليهود والمسيحيين، كلاً بلغته، إذ كان يعرف هذه اللغات، وكان يدرس لهم ما يسمى بالعلوم الأوائل، أي الطب والرياضيات، والموسيقى، وكان أعجوبة في فنه، واعترف الجميع بأستاذيته.

ولم يكن هذا هو المثل الوحيد، فهناك أمثلة أخرى كثيرة لهؤلاء العلماء الذين كانوا متفوقين رغم ضعف المسلمين حينئذ سياسيًا؛ فالحواضر الأندلسية الكبرى كانت قد سقطت في أيدي المسيحيين، ولكن التفوق الحضاري هو الذي ألجأ اليهود والمسيحيين إلى التعرف إلى العلماء العرب الذين يعتبرونهم أساتذتهم ويأخذون من علمهم ويترجمون عنهم.

- إذن، إلى أي مدى أفادت الثقافة الأوربية من الثقافة العربية في الأندلس؟

* هذا الموضوع من أكثر الموضوعات إثارة في الوقت الحاضر. وقد اهتم كثير من العلماء الأوربيين والإسبان بتتبعه. وكثير من الدراسات الحديثة فيه اتجهت إلى الموضوعية وإلى البعد من التعصب القديم، سواء في إسبانيا أو في غيرها من البلاد الأوربية. وبطبيعة الحال لم تنته نزعات التعصب الديني والقومي تمامًا، فهناك من يصرون على إنكار التأثير العربي في الثقافة الأوربية، لكن آراء هؤلاء اختفت شيئًا فشيئًا. وأضرب على ذلك مثلاً بالدراسة التي قام بها ميجيل أسين بلاثيوس في 1919م حينما أصدر دراسته عن دانتي والإسلام، وعن أثر قصة الإسراء والمعراج في الكوميديا الإلهية لدانتي.

حينما صدرت هذه الدراسة التي كانت قائمة على المقابلة بين النصوص العربية ونصوص الكوميديا الإلهية، قامت ثورة عارمة ضده، ولاسيما من جانب الإيطاليين الذين كانوا يرفضون أن يكون للثقافة الإسلامية تأثير في أديبهم الأكبر، ولكن بمرور الزمن استطاعت هذه الآراء لأسين بلاثيوس شق طريقها، لأنها كانت موضوعية ومكتوبة بدقة وعلى أساس الموازنة الذكية بين النصوص، ثم في سنة 1949م - بعد وفاة بلاسيوس بخمس سنوات - أصدر خوسيه مونيوث سينديو دراسته La escala de Mahoma، أي معراج الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وتبين للعلماء والباحثين أن هناك نصوصًا لقصة الإسراء والمعراج قد ترجمت إلى اللاتينية والإسبانية القديمة وإلى البرتغالية، وأن دانتي قد استطاع أن يعرف هذه النصوص بطريقة مباشرة، وذلك لأن أصحاب الاعتراض القديم كانوا يقولون: إنه صحيح هناك مشابهات بين قصة المعراج والكوميديا، ولكن كيف تمكن دانتي من الوصول إلى هذه النصوص؟ كان هذا هو الاعتراض الأكبر؛ بعد هذه الدراسة تبين بشكل قاطع أن دانتي قد اطلع على المصادر الإسلامية، فزال الاعتراض القديم.

مثل هذا من الممكن أن نطبقه على كثير من القضايا، فعلى مستوى الشعر الغنائي، نعرف أن بواكير الشعر الغنائي في أوربا هي الشعر البروفنسالي أو شعر التروبادور، ونعرف أن أول شاعر من شعراء التروبادور هو غيوم دي بواتيه (1070-1126م) تأثر بالشعر العربي. وكان أول من أثار هذه القضية خوليان ريبيرا في عام 1912م في بحث له عن الشعر الغنائي في إسبانيا، تناول فيه الشعر البروفنسالي، ونادى بنظرية تقول: إن هذا الشعر قد تأثر بالشعر العربي الأندلسي، سواء التقليدي، العمودي، أو بشعر الموشحات التي ابتكرها الأندلسيون. وقد عارض كثير من المستشرقين، ولاسيما الفرنسيين، آراءه بشدة. ولكن تبين بمرور الزمن وبكثرة الأبحاث التي تناولت الموشحات، بعد أن عُرف الكثير من الموشحات، وعن كونها نسيجًا لغويًا، هو مزيج من العربية واللاتينية الدارجة، ولاسيما في القُفل الأخير من الموشحة وهو الخرْجة، بعد ذلك شقت النظرية العربية طريقها إلى هذا الميدان، وأصبح كثير من الباحثين مقتنعين بتأثير شعرنا العربي الغنائي في مولد الشعر الأوربي.

أما فيما يتعلق بالشعر الإسباني، فإن الدراسات التي تمت حول شعراء القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، من أمثال أرثيبريستي دي إيتا في كتابه «الحب الطيب»، وغيره من النصوص الأدبية التي يبدو فيها الأثر العربي واضحًا، كل هذا مهد لبيان أن الشعر العربي كان له أثره في نشأة الشعر الغنائي الأوربي، لا في إسبانيا وفرنسا وحدهما، وإنما امتد إلى إيطاليا وألمانيا وغيرهما.

وحينما نتناول الشعر الملحمي، من الواضح أن أول ملحمة إسبانية هي ملحمة السيْد، أو El poema de mio cid، وهذه الشخصية نفسها كانت شخصية عاشت في أوساط ومجتمعات إسلامية ومسيحية، ورجاله كانوا من المسلمين، وقد عرف من خلال النصوص أن السيّد القمبياطور كما يسمى بالعربية (رودريجو دياث دي بيبار) كان مقبلاً على الثقافة العربية، وكان يتتبع سيرة المهلب بن أبي صُفرة، الذي كان يحارب الخوارج في أيام الدولة الأموية.

بعد ذلك تبين أن هناك أشياء كثيرة، سواء في النصوص أو في الملابسات التاريخية التي تحيط بهؤلاء الشعراء تأثروا فيها بالتراث الأندلسي تأثرًا كبيرًا. وقد أكد هذا نظرية تأثير الثقافة الأندلسية في نشأة الملحمة الإسبانية، ثم في نشأة بعض الملاحم الأوربية مثل أنشودة رولان.

فيما يتعلق بالنثر، تبين أن هناك تأثيرًا للمقامات العربية في نشأة هذا الفن الجديد الذي ابتكره الإسبان، وهو ما يسمى بقصة الشطارة والشطار، La novela picaresca وذلك

عالم الأندلسيات

د. محمود علي مكي

لأن شخصية بطل هذه القصص تشبه تمامًا شخصية بطل المقامة العربية. ومن المعروف أن المقامات العربية قد قلدها اليهود من ناحية، ثم تبين أن المقامات كانت معروفة في الأوساط الإسبانية، وأن كثيرًا من القسيسين في مدينة مرسية كانوا يحفظون المقامات العربية حفظًا كاملاً، ويجادلون المسلمين حول بعض القضايا المتعلقة ببلاغة المقامات. كل هذا دليل على مدى الاتصال الوثيق بين أدبنا العربي وهذه الآداب الأوربية.

بعد ذلك كانت هناك حركة أخرى من الترجمة تمت في إشبيلية وفي مرسية في ظل الملك ألفونصو العاشر الحكيم، وكان بلاطه يشمل علماء من المسلمين والمسيحيين واليهود، وكان جميعهم يشتركون في ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية الدارجة، التي نشأت عنها اللغة الإسبانية، وكان ذلك قائمًا على أساس الثقافة العربية، فقد كان ألفونصو العاشر نفسه متشبعًا بهذه الثقافة، وهو الذي كان يشرف على أعمال الترجمة، ويشارك فيها بنفسه. ونذكر هنا الكتاب المشهور الذي يعد من أكثر الكتب إيجازًا في بيان المناهج الفلسفية الإغريقية وهو كتاب «مختار الحكم» للفيلسوف المصري المبشر بن فاتك، وكان هذا الكتاب قد نال إعجاب ألفونصو العاشر، فتُرجم في أيامه، ويقال إنه شارك في ترجمته، باسم Los bocados de oro. ثم بعد ذلك تمت لهذا الكتاب أكثر من ٤٠ ترجمة إلى اللغات الأوربية المختلفة. وكان هذا الكتاب هو أول ما عرّف الأوربيين الفلسفة الإغريقية التي لم تعرف إلا من طريق الترجمات العربية.

ومثل هذا من الممكن أن يقال عن بقية الكتب العلمية مثل كتب الفارابي، وكتب الفلك، والفلاحة، والطب. ونعرف أن هناك طبيبًا وجراحًا مشهورًا، من الأندلس، هو أبوالقاسم الزهراوي، صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، ويعد من أهم كتب الجراحة، وقد سجل فيه الزهراوي الآلات الدقيقة التي كان يستخدمها في الجراحات الصعبة، من بينها جراحات في المخ. هذا الكتاب تُرجم إلى اللاتينية وانتشر في أوربا انتشارًا كبيرًا، وعلى أساسه قام الطب والجراحة الأوربيان حتى القرن التاسع عشر.

وحينما نأتي إلى التصوف، فنحن نعرف أن الأندلس عُرفت في الفترة الأخيرة من حياتها بالمتصوفة، منهم أبو العباس المرسي، الذي استقر بعد ذلك في الإسكندرية، ومنهم ابن سبعين المرسي، ومحيي الدين بن عربي المرسي، كل هؤلاء أثروا تأثيرًا كبيرًا في نشأة التصوف المسيحي. وقد نُشرت في السنوات الأخيرة دراسات عن سان خوان دي لا كروث، أول متصوف مسيحي كبير في القرن السادس عشر، وعن سانتا تيرسا دي خيسوس، وتصوفهما مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتصوف الإسلامي كما أثبت ذلك الباحثون الأوربيون أنفسهم.

فنحن نرى، في كل نواحي المعرفة، بصمات العرب واضحة في النهضة الأوربية التي كانت لها مراكزها - إلى جانب المراكز الموجودة في إسبانيا - في إيطاليا مثل نابولي، وباليرمو، التي كانت عاصمة صقلية. وصقلية كان وضعها مثل وضع الأندلس؛ إذ كان ملوك النورمانديين محاطين ببلاط من العلماء المسلمين، وكانت سياستهم في البداية سياسة تسامح مع هؤلاء العلماء فاستفادوا منهم.

لو أردنا أن نجمل فإننا نقول: إن الثقافة العربية كانت أساسًا للنهضة الأوربية في كل مجالات المعرفة تقريبًا. ولم يخلُ مجال من المجالات سواء في الأدب أو في الفلسفة أو في الدراسات الدينية أو في التصوف أو في علوم الطبيعيات والرياضيات والموسيقى وغيرها إلا وكان متأثرًا بما أخذه الأوربيون عن العرب من طريق الأندلس في المقام الأول.

- من خلال معرفتك بحركات الاستشراق في الغرب، أين تقف حركة الاستعراب الإسبانية من الاستشراق الغربي؟

* نحن نعرف أن حركة الاستشراق بدأت منذ عصر مبكر، ويمكن أن نقول إن حركة الاستعراب الإسباني كانت أقدم الوان الاستشراق، لماذا؟ الأسباب واضحة وطبيعية، لأن الإسبان كانوا أقدم الشعوب الأوربية اتصالاً بالعرب، بحكم أن المسلمين كان لهم حضور ووجود في قلب بلادهم. ولهذا نجد أن أول قاموس لاتيني - عربي تم في إسبانيا في القرن العاشر الميلادي.

ثم نجد أن حركة الجدل بين المسلمين والمسيحيين كان ازدهارها في الأندلس بحكم أن الصراع والصدام المتصل بين الطرفين كان على هذه الأرض، فابتداء من دخول المسلمين الأندلس في القرن الثامن الميلادي دارت مجادلات بين المسلمين والمسيحيين، وفي عهد الطوائف، لتزدهر هذه الحركة؛ لأنه وجدت حركة تواصل كان فيها صراع سياسي وعسكري، وفي الوقت ذاته كان صراعًا فكريًا.

بعد ذلك نعرف أن الاستشراق الإسباني مر بتطورات كثيرة؛ فبعد سقوط غرناطة كانت هناك حركة تعصب مسيحي، ومحاكم التفتيش التي تعقبت العرب وأحرقت الكتب العربية وحرّمت اللغة العربية. وهذا الجزء يستاء منه الإسبان أنفسهم اليوم ويدينونه. ومن الممكن أن نرجع إلى كتاب إدوارد سعيد عن الاستشراق الذي يبين فيه أن خدمة الاستعمار والتبشير كانت من أهداف الاستشراق. ولكن كان ذلك أوضح في البلاد الأوربية التي كان لها احتلال في بلادنا الإسلامية، وخصوصًا إنجلترا، وفرنسا، وهولندا، موازنة بإسبانيا، وإن كان لها صلات بالمغرب العربي باستيلائها على بعض أجزائه في حقب تاريخية معينة؛ إلا أنها لم تمتد إلى العالم الإسلامي كله. وكانت صلتها بالعالم الإسلامي أقل، ومطامعها فيه أكثر تواضعًا بكثير من البلاد الأوربية الأخرى. هذا كان أول وجه من أوجه الفروق بين الاستشراق الإسباني والأوربي. الفرق الثاني، وهو الأهم، هو أن الاستشراق الأوربي كان ينظر إلى بلاد العرب والمسلمين على أنها بلاد مستهدفة للسيطرة وللاستغلال، وغريبة عن البلاد الأوربية.

وينظر الإسبان إلى الدراسات الأندلسية على أنها جزء من تراثهم؛ لأن المسلمين كانوا مقيمين في أرضهم، وكان للإسلام حضور مستمر ليس لثمانية قرون كما يقال، وإنما نحو

عشرة قرون. فينظرون إلى الدراسات العربية من الداخل ليس كالمستشرق الأوربي الذي كان ينظر إلى العالم العربي والإسلامي كأنه عالم خارج عنه.

بدأت الحديث عن التراث الأندلسي الإسلامي في ظل التعصب الذي كان ابتداء من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، كانت دائمًا فكرة سلبية، ثم تغيرت تمامًا من خوسيه أنطونيو كوندي في أوائل القرن التاسع عشر، ثم جايانجوس، وريبيرا، وبلاثيوس، وجدنا تغيرًا فكريًا واضحًا ابتداء من التجاهل، ومن عدم المعرفة إلى الاهتمام بالبحث عن مصادر الثقافة الإسلامية في الأندلس العربية، ثم تقدير هذه الثقافة نتيجة للدراسات الموضوعية، ثم الإعجاب الكبير بها وبيان وجلاء إنجازاتها الكبرى لا بالنسبة لإسبانيا فقط وإنما بالنسبة للقارة الأوربية كلها.

نجد هذا في المدرسة الأخيرة للمستشرقين ابتداء من أسين بلاثيوس ثم أنخل بلنثيا، وجارثيا جوميث، ثم جيل المستشرقين من الشباب الذين يعملون الآن في الميدان الأندلسي؛ بل إن هناك فرعًا من الاستشراق الإسباني يهتم الآن بحاضر العالم العربي وبأدبه وثقافته، ويقوم بترجمة الأعمال الأدبية الكبرى إلى الإسبانية. وقد قام برعاية هذا الاتجاه بدرو مارتينث مونتابيث الذي أصبح إمامًا لمدرسة جديدة في الاستشراق الإسباني تهتم بهذه الموضوعات الحديثة.

من هنا وجدنا أن الاستشراق الإسباني يختلف عن الاستشراق الأوربي، خصوصًا في السنوات الأخيرة، اختلافًا جذريًا من هذه الناحية، وهو أنه استشراق ليس مستهدفًا لمطامع سياسية أو لسيطرة فكرية أو سياسية أو اقتصادية في العالم العربي. ثم إنه من ناحية أخرى ينظر إلى التراث العربي على أنه شيء حميم وجزء من ماضيه، من تكوينه ومن قوام شعبه. لذلك فإن هذه النظرة التي نراها متسمة بالإعجاب والتقدير لهذا التراث العربي سواء الحديث أو القديم، نجد أنها أوضح في الاستشراق الإسباني. كل هذا يجعله مميزًا عن الاستشراق الأوربي.

- وماذا عن تراث الموريسكيين؟ هل نال حظه من الدراسة مع ما يمثله من أهمية في تاريخ الحضارة العربية في الأندلس؟

* حظيت الدراسات المتعلقة بالموريسكيين بنهضة كبيرة واهتمام عظيم في إسبانيا في السنوات الأخيرة. ومعروف أن هذه الثقافة أنتجها الموريسكيون، وهم بقايا مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة، وكانوا من أهم عناصر المجتمع الإسباني طوال القرن السادس عشر وجزء من السابع عشر، إلى أن صدرت قرارات طردهم، في عامي 1605- 1614م، وشملت آلافًا كثيرة منهم. صحيح أنهم أُجبروا على التنصر، لكن معظمهم ظلوا يحتفظون بعقيدتهم، والدليل على ذلك الوثائق الكثيرة المتعلقة بمحاكماتهم والتي ظلت قائمة حتى نهاية القرن الثامن عشر.

ومع كثرة الوثائق الموجودة في دير سيمنكاس، وفي غيره؛ فإن هناك كتبا كاملة يُعثر عليها بين وقت وآخر بين جدران البيوت في مختلف أنحاء إسبانيا. لهذا فإن متخصصين كثيرين من إسبانيا يدرسون هذا الموضوع، لاسيما أن مؤلفات الموريسكيين مكتوبة باللغة الإسبانية وإن كانت بحروف عربية، لهذا فإن العمل في هذا الميدان يقتضي بالضرورة معرفة عميقة باللغة الإسبانية، خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهذا ماجعل الإسبان أقدر على العمل في هذا المجال.

أما في العالم العربي فنظرًا لما شرحته من ظروف، نجد أن المتخصصين في هذا الأدب قليلون جدًا. لربما كانوا أكثر في تونس، لأن آخر مجموعة من هؤلاء المسلمين نزلت في تونس، ونقلت إليه كثيرًا من التقنيات التي كانوا يستخدمونها في الري والزراعة في شرق الأندلس، وما زالت هناك أسر في تونس تحتفظ بأسمائها الموريسكية القديمة، وتعرف ماضيها، بل تحتفظ بمفاتيح بيوتها في تلك المدن الأندلسية القديمة. ففي الشرق العربي للأسف ليس هناك إلا عدد قليل من المتخصصين في هذا المجال.

- كانت البرتغال جزءًا من الأندلس، فهل لقيت الحضارة العربية في البرتغال حظها من الاهتمام والدراسة من قبل العرب والبرتغاليين؟

* الوجود الإسلامي في البرتغال يوازي الوجود الإسلامي في إسبانيا، فنحن نعرف أن البرتغال لم تظهر كدولة إلا على أساس المدن التي انتزعها البرتغاليون قبل أن تكون دولة من مدن غرب الأندلس. ومازالت الآثار العربية في البرتغال كثيرة وقائمة كما هي في إسبانيا، وخاصة المنطقة الجنوبية من البرتغال التي تسمى الغرب Algarve، وكانت تسمى غرب الأندلس، من هنا هذه التسمية. وهناك مدن من الواضح فيها الأثر الاسلامي مثل مدينة شليب العربية، وشنتارين التي منها ابن بسام الشنتريني، صاحب كتاب «الذخيرة»، شنتاريم بالبرتغالية. ومثل شينترة التي تسمى سينترا الآن، ويابورة Evoaraوغيرها من المدن.

غير أن البرتغال لم تهتم بهذا التراث الأندلسي اهتمامًا كبيرًا. هناك عدد من المستشرقين البرتغاليين ظهر في القرن الماضي والقرن الحالي، ولكنهم قليلون بالقياس إلى المستشرقين الإسبان، وذلك لأن البرتغاليين كانوا أكثر إمعانًا في التعصب من الإسبان في عصور التعصب المظلمة. لذلك فإنهم حاولوا طمس هذا الماضي العربي خلال القرون الماضية، وظل هذا مستمرًا حتى جزء كبير من هذا القرن العشرين حتى نهاية حكم الدكتاتور سلزار.

ولكن بعد الانفتاح الذي حدث في البرتغال، ومثله في إسبانيا، ابتداءً من منتصف السبعينيات فإننا وجدنا أن الاهتمام متزايد الآن بالماضي العربي في البرتغال، سواء من ناحية الآثار الاسلامية الموجودة في هذه البلاد، أو في غير ذلك من مظاهر الثقافة.

وهناك الآن تدريس للغة العربية في بعض الجامعات البرتغالية يقوم به بعض الزملاء المصريين، واهتمام كبير باسترجاع هذا الماضي العربي الإسلامي في البرتغال، إلى جانب مايقوم به بعض العلماء في البرازيل أيضًا بتتبع حركات المسلمين الذين قدموا من أفريقيا الغربية إلى البرتغال وأصبحوا يكونون جزءًا مهمًا من سكان البرازيل في الوقت الحالي، وأصبح هناك أدباء يتحدثون عن هذا الوجود العربي القريب العهد مثل الكاتب البرازيلي جورجي آمادو، وغيره من الأدباء البرتغاليين.



د. العواجي

قراءة في ديوان:
مدٌّ.. والشاطئ أنت!

شاكر سليمان شكوري

بعد «المداد» كانت «نقطة في تضاريس الوطن».. وبعد «هجرة القمر» جاءت «قصائد راعفة».. واليوم يطالعنا من جديد الشاعر الدكتور إبراهيم بن محمد العواجي بديوانه «مدٌّ... والشاطئ أنتِ» في سلسلته الذهبية يدق فيها قلب (الشاعر) ستة عشرة قصيدة عمودية وتسع قصائد من الشعر الحر، هي في مجموعها واحة في جنان الشعر الإنساني المعاصر يتفيأ في أرجائها عاشق الوطن أحلى أناشيده... ويتغنى بمزاميرها كل قلب ينبض بعاطفة نبيلة.

وتأخذك - عزيزي القارئ - تلك الحيرة التي أخذتني حين كنت أحاول أن أحط الرحال في قصيدة، ولكنني كلما سكنت واحدة نازعتني الأخرى.

على بوابة الديوان وقفت أطالع حروف العنوان بشيء من الدهشة وكثير من الحذر، أحاذر لجج البحر ومده.. وأنشد الشاطئ عبثًا؛ فالمد يأخذني بعيدًا حيث الغرق (اللذيذ) في بحر الإبداع... عقد منظوم لآلئ في طول الديوان وعرضه... موسيقى الحرف تتهادى إلى القلوب قبل الأسماع، وما إن تخفت مقاطعها حتى تتسرب من الجنة.. من بواطن (الأبيات) موسيقى (البحر) الهادر الهادئ...

وروح الشاعر الشفافة وعاطفته المتأججة عنوان كل قصيدة.. لا بل كل بيت.. كل مفردة وحرف.. فكل شيء هنا تراه صافيًا نابضًا.

ومع أن قراءة واحدة لرائعة (العواجي) لن تشبع أرواح المكدودين في شقوة الحياة ومادياتها، فإنني أوجه الدعوة لك عزيزي القارئ لنطّوف في أرجاء البستان دون أن نقطف وردة... فالورد هنا حق عام وشعور مشترك وتجربة إنسانية لكل البشر... يكفينا أن نستمع إلى وشوشة أغصان الشجر... وزقزقة عصافير الجنة في أردائه.

وحين ندلف في هدوء لاستكناه سلافة الديوان: «دعها تسافر»، نجد الحبيب يطلب حق اللجوء الإنساني في نسيج الشعر ونقاء العشق... في مهد العيون:

انسج لها من بيوت الشعر أردية
تحمي صفاها من الإعياء والمللِ
وافرش لها من نقاء العشق أنسجة
خيوطها زمني والحسّ يا أملي

ورغم المشيب - أو بسببه - لاندري:

كل المسافات تدنو كلما اقتربت
عيناي من وهج الإغرا بأعينك

ثم نتوقف على بوابة «الحب أنتِ» فيأخذنا الوقت:

تمر من حولنا الأيام في عجل
ونحن في غمرة الأشواق نأتمر

ويقودنا «حنين الدار»للمشهد الحزين.. مشهد أفول الشمس برحيل «العزيز»:

إذا اختفت من سماء الحي شمسهم
فأيّ نفعٍ شموعُ الحيِّ تمنحها

وعلى «أنقاض الليل» نجد شاعرنا يتوجس خيفة:

وكأن النجوم يعرفن سري
وهمومي وصحوتي وحنيني

ومن أعماق حلكة ليلة يهمس الشاعر:

أضيئي سمائي فأنت النجوم
وأنت الشموس وأنت البدرْ
فحين تطلين يزهو الربيع
وفوحُ الخزامى وزخ المطرْ

ونسمع في الأرجاء صرخته «لاتطفئ النار» فنجري ولكننا لانرى نارًا، وحين تعرونا الدهشة يوضح:

هذا هو العشقُ لولا العشقُ ما صَدَحَتْ
بَلابلُ الشعرِ يُحيي الصَّبَّ والأدبا
ولارسمنا وُشومَ الحبِّ خالدة
تزيّنُ الحِلمَ والحرمانَ والحقبا
ولا عرفنا جنون الحب من زمن
ولا افتدى فارس أرضًا ولا رهبا

ويعود يؤكد في قصيدته الحرة «حريق»:

فهذا هو العشق..
نار.. ووجد
تؤجج قلب المحب..
ولتصبح في لحظة القرب..
شهب..

ولأول مرة نعرف أن العشق سر التمرد:

ضد المحن ...
وضد شكوكي..
وضعفي وخوفي..
وضد الوهن..
وكل الذين..
يرومون أن يستبيحوا
تراب الوطن..
نقاء الوطن..
هواء الوطن..
أمان الوطن..
فكل تخوم بلادي..
مقدسة في بلادي..
مقدسة في وريدي..

وأخيرا يكشف لنا الشاعر عن أن عشقه وحبه هو للوطن:

وأعزف للدهر..
أحلى لحن..
لأجلك أنتِ..
لأجل الوطن..

وشاعرنا الفارس لايهدأ يفتش ظلام الليل فيستوقفه الشجن عند «عازف الناي» ويغريه بالعزف معه بالكلمات:

نسجت من لحنك الموتور أشرعةً
تميل حيث الهوى يختار أبحاري
تسابق الريح فوق اليمِّ راقصةً
والقلب ربّانها والدفق أشعاري
تعلو على الموج لاتخشى تقلبه
تقاوم الريح إعصاراً بإعصارِ

وحتى الأشهر (القمرية) كان لمناجاتها سهم في مواويل (العواجي) ففي «أرتاد عيدك»:

شوالُ ياسرِّ اتقاد مشاعري
وتألق الأشعار فوق لساني

وتصل الرمزية عند (العواجي) غاياتها في «أين السفر»، ولا أخفيكم أنني بين بدايتها ونهايتها تُهت ثلاث مرات في الطريق.

وتأتي «الحب مشاع»... دعوة للسلام:

صار الدرهم المعتوه..
مرفوع الشراع..
وسكنت منارته الضباع..
رُجم الهوى في الشعر..
وامتهنت
حروف النثر..
وانتحر اليراع

أقول وسط هذا الزخم اليائس يأتينا من الشاعر عهد:

وسنحمل المصباح..
للجيل الذي..
يومًا سيأتي..
وسنزرع الحب البريء..
برحم أزمان ستأتي..
حتى يصير الحب..
كل الحب..
في الدنيا مشاع..

أما ملحمة «بدون جواز سفر» فيصعب الاختيار منها، ولاتفتك متعة قراءتها كاملة فهي في حدها ديوان ولكني آخذ منها الخاتمة فهي ثمالتها:

وتدخل روضي كالنائحين...
وتعجب كالسائحين..
وترجع طفلاً.. كبيرًا.. صغيرًا.. شقيًا.. قريرًا
تراوح بين حقول الهوى..
وتعبث حيث تشاء..
بدون جواز سفر..

ويعتصر الشاعر قلبه وعقله ووجدانه.. حكمة الزمن، ثمار وقائع حياة متأنية مدركة:

خففي الوطء..
فهذا الورق المرمي على الأرض..
وتذروه الرياح..
تحت أقدام المشاة..
وعلى قارعة الدرب..
كان يومًا فوق أغصان الشجر..
تدلى كالصباح..
وتولى عهده..
مثلما تذهب بالقش..
الرياح..

وحين تقرأ «خذني يا عود» تشعر أنك أمام موسيقار يهضم الموسيقى ودربه الألحان... يغني كلمته بخبرة الموسيقي الشاعر.. استمع إلى أنغامه تقول:

خذني يا عودُ.. ودثرني
لحنا يحييك.. ويأسرني
يجتاح سكوني.. يسلبني
همي.. وخلايا من بدني

«العواجي» على «العود» يغني شعر «العواجي» في أروع وحدة بين الشاعر والموسيقي والمطرب... ويعبر شاعرنا عن قلق الفنان الدائم داخله في «الهجرة إلى الربيع»:

وما أنا إلا طائر يكره الشتا
ويحرقه صيف الصحارى ويقتل
فأبحث عن أرض شتاها وصيفها
ربيع كما عينيك شمس ومنهل

ويبلغ هيامه ولاسيما بالعيون مبلغه:

متيم سجانتي.. بالسجن.. داخل العيون.. بالحبس في مداها.. الرحب..
والعمر.. كل العمر.. شكلت أحلامه.. براءة الإغراء.. في أهدابها..

ويخرجنا العواجي من حدود الوطن المحدود.. إلى حدود وطن.. لنا:

أرضه منحورة.. وأطفاله.. حتى أطفاله.. لم يقبلوا الأسر، فقاوموا ظالما عاتيا بالحجر في «حجر» وشارة نصر..
كل صباح.. يرسم طفل الأرض.. المنحورة.. فوق جبين.. الغاصب.. شارة نصر..

ويفاجئنا العواجي بعد أن أحسسنا به شاعراً وموسيقاراً مجيداً بأنه أيضًا بحار.. ففي «كان الهوى نجدًا» يقول البحار:

نسجت شراعًا من أشعة لوعتي
وأبحرت حين الموج قد كان مشتداً
مجاذيف إبحاري إلى شاطئ الهوى
تباريح وجد تجهل الجزر والمدّا

وهكذا نصل مع شاعرنا الموسيقار والبحار العنيد إلى بر الأمان وأجمل أمانينا أن نعود برحلتنا من جديد إلى نقطة البداية.

المرأة المسلمة وتحديات المجتمع المعاصر

الحلقة الثانية

الشيخ: **فيصل أنور مولوي**

في الحلقة الماضية تحدث الشيخ فيصل مولوي عن المرأة المسلمة المستسلمة لأمر الله عز وجل في كل ما شرع من أحكام، وعن بعض التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في المجتمع المعاصر، وكيف أنها لا تستطيع مواجهة هذه التحديات إلا ضمن شروط معينة. ثم بدأ الحديث عن التحدي الأول، وهو المساواة، وتحدث عن الفروق بين الرجل والمرأة في الشريعة الإسلامية، وعند الفلاسفة القدماء والمعاصرين، وكيف أنهما لن يكونا شيئا واحدا أبدا.

وفي هذه الحلقة (الثانية) يواصل الشيخ الحديث عن بقية التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر.

التحدي الثاني: الأسرة

منذ وُجد الإنسان على ظهر هذه الأرض كانت الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى التي يقوم عليها المجتمع الإنساني. وتبدأ الأسرة من لقاء فطري بين رجل وامرأة ينتج منه الأولاد. وبقيت هذه الأسرة الخلية الاجتماعية الأولى في جميع العصور حتى جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948م وقرّر أنها الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع، ولها حقّ التمتع بحماية المجتمع والدولة. إلا أنه في العقود الأخيرة، من خلال المؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة التي تبنتها الأمم المتحدة، وعقد الأول منها في مكسيكو عام 1975م، والثاني في كوبنهاجن عام 1980م، والثالث في نيروبي عام 1985م، والرابع في بكين عام 1995م. في هذه المرحلة الأخيرة وفي مؤتمر بكين بالذات ظهرت مسألتان خطيرتان جداً:

ـ الأولى هي مسألة الإصرار على المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة وذلك من طريق إغفال التميُّز الجنسي بينهما، والإصرار على إبراز كلمة النوع GENDER بدلاً من كلمة الجنس SEX. وقد تكرّر هذا المصطلح الجديد أكثر من ثلاثمئة مرّة. ومن الواضح أن استعمال هذه الكلمة يراد منه استبعاد الاختلاف الأحيائي (البيولوجي) بين المرأة والرجل، والافتراض أن الاختلاف بينهما ناجم عن التنشئة الأسرية والاجتماعية وعن البيئة، ومن ثم فإن هذا الاختلاف يمكن أن يزول وأن تفرض المساواة المطلقة.

وأعتقد أن حديثنا حول مسألة المساواة المطلقة يكفي لنقض هذه النظرية، خاصة وأننا بيّنا بأقوال العلماء الفروق (البيولوجية) وما أدّت إليه من فروق جسمية ونفسية بين الرجل والمرأة.

ـ المسألة الثانية هي مسألة الأسرة، فلأول مرّة في حياة البشرية تطرح فكرة إمكان تعدّد أشكال الأسرة وعدم الاقتصار على الشكل التقليدي المكوّن من رجل وامرأة وأطفال.

لقد كان الحديث شائعًا في مؤتمر بكّين أن الأسرة يمكن أن تتألف بزواج رجل من رجل وهذا تشريع واضح للشذوذ الجنسي. كما أن وثيقة المؤتمر تحدّثت عن حقّ المرأة والرجل في اختيار أسلوب الإنجاب الملائم سواء بالتلقيح الصناعي أو تأجير الأرحام وغير ذلك من الأساليب، بحيث لايكون الزواج هو الوسيلة الوحيدة لإنجاب

الأطفال. وتتحدث وثيقة المؤتمر بكل صراحة عن الشريك في العلاقات الجنسية بدل الحديث عن الزواج، وتستخدم عبارة COUPLE التي تشير إلى اجتماع أي اثنين، سواء كان اجتماعًا شرعيًا ناتجًا من زواج بين رجل وامرأة، أو اجتماعًا غير شرعي ناتجًا من علاقات جنسية بحت بين رجلين أو بين امرأتين، أو بين رجل وامرأة، ولكن خارج نطاق الزواج.

إن مؤتمر بكين يسعى بكل وضوح إلى عدم الاكتفاء بالأسرة التقليدية، وإلى تشريع أنواع أخرى منها تخالف الفطرة الطبيعية وإن كانت تجاري الشهوات الجنسية. وأمام هذا التحدي المعاصر نجد من الضروري أن نتكلم عن وجهة نظر الإسلام حول الأسرة.

المرأة والزواج

إن المهمة المشتركة للرجل والمرأة في عمارة الأرض لايمكن أن تتحقق إلاّ من طريق التزاوج والتناسل. وإن الطريقة الفطرية هي بناء الأسرة من طريق الزواج الشرعي. قال تعالى: ﴿يا أيُّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شُعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ الحُجرات:13، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها النّاسُ اتّقُوا ربكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخَلَق منها زوجَها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ النساء:1. وقد أحاط الإسلام الزواج بمجموعة من الأحكام التي تشمله من البداية حتى النهاية. والملاحظ هنا أن التشريعات المتعلقة بالأسرة جاءت مفصلة تفصيلاً دقيقا في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الطاهرة، بينما اقتصر التشريع في سائر أنواع المعاملات على المبادئ العامة ولم يتعرّض إلا قليلاً إلى الأحكام التفصيلية. وهذا يدل دلالة واضحة قاطعة على أن الأسرة في الإسلام تُعدّ الخلية الاجتماعية الأساسية في حياة البشرية، والتي لايمكن أن تتغيّر أحكامها التشريعية؛ لأن هذه الأحكام تتعلّق بالفطرة الإنسانية وهذه ثابتة لاتتغير، وذلك خلافًا للنظرية الغربية - ومنها الشيوعية - التي تعتبر الأسرة نتيجة للظروف الاجتماعية، ومن ثم فإنها قابلة للتطور والتغيّر حسب هذه الظروف، وأن أحكامها التشريعية يمكن أن تتغيّر أيضًا.

وإنني هنا أُلخّص الأحكام الشرعية في موضوع الأسرة بما يلي:

1- لاتقوم الأسرة الإنسانية إلا على زواج بين رجل وامرأة. والزواج الشرعي عقد كسائر العقود يحتاج إلى رضا الطرفين وقبولهما، فالمساواة هنا قائمة، وإذا كانت العادة أن الرجل هو الذي يطلب الزواج، فإن الشريعة الإسلامية طلبت قبول المرأة بالذات وموافقة وليّها إضافة إلى ذلك. وإذن الوليّ هنا ليس انتقاصًا من حقّ المرأة، وإنّما هو من قبيل تكريم الولي، خاصّة وأن الزواج لاينشئ علاقة بين الزوجين فقط؛ وإنما يمتد لإنشاء علاقة اجتماعية بين العائلتين. ومع ذلك فإن الولي لا يملك إجبار البنت على الرضا بزوج لاتريده. ويروى عن خنساء بنت جزام الأنصارية: «أن أباها زوّجها وهي بنت فكرهت ذلك، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلّم فردّ نكاحها» رواه البخاري.

ومثل هذه الحادثة كثير في السنّة الصحيحة. كما أن الولي لا يملك أن يمنع زواج ابنته ممّن تريده تعسفًا وظلمًا، وقد شرع لها في مثل تلك الحالة أن ترفع أمرها إلى القاضي الذي يزوّجها رغمًا عن وليها إذا وجده متعسفًا في استعمال حقّه. ومن الواضح أن مثل هذه التشريعات إنّما جاءت لتحقّق المساواة بين الرجل والمرأة في إنشاء عقد الزواج.

2- بعد أن يتمّ الزواج تتفرّغ المرأة لمهمّتها الخاصة وهي الحمل والإرضاع، وهذا يستغرق منها ثلاثين شهرًا عادة لاتستطيع فيها أن تتعاطى عملاً آخر إلاّ أن يكون على حساب هذا العمل. ولذلك أمر الله تعالى الزوج بأن ينفق على زوجته بلا منّة: ﴿والوالداتُ يُرضِعنَ أولادَهُن حَولَيْن كاملين لمَنْ أراد أن يُتمَّ الرَّضاعة وعلى المولود له رِزْقُهُنَّ وَكِسوتُهُنَّ بالمعروف لاتُكلَّف نَفْسٌ إلا وُسْعَها لا تُضارَّ والدةٌ بولَدِها ولا مولودٌ له بولده﴾ البقرة:233. والمساواة هنا تظهر واضحة أيضًا ولو بين أمرين مختلفين. فإن واجب المرأة في الحمل والإرضاع يتناسب مع ما هُيّئت له، وإن واجب الرجل في الإنفاق يقابل هذا الواجب تكريسًا للعدالة والمساواة، وهو أيضًا مهيأ لذلك. وإن أي طريقة أخرى لإقرار المساواة طريقة خاطئة باطلة غير متناسبة مع الفطرة، فلو فُرض على المرأة العمل في فترة الحمل والإرضاع من أجل مساواة مزعومة مع الرجل؛ فإنها بلا شك ستكون مظلومة لأنها ستُكلف عملين في وقت واحد بينما يكتفي الرجل بعمل واحد. ولاشك أن الحمل والإرضاع والعناية بالطفل عمل لا يقلّ تعبًا ومشقة عن عمل الرجل خارج البيت.

3- بعد أن تنتهي فترة الحمل والإرضاع تأتي فترة الحضانة التي تمتد سبع سنوات بالنسبة للصبي وتسع سنوات بالنسبة للبنت، وفيها يظل الولد محتاجًا إلى رعاية أمّه، ويظل الزوج محتاجًا إلى منزل يرتاح فيه، وإلى زوجة يسكن إليها ويتعاون معها على تربية الأولاد. لذلك يظل واجب الرجل الفطري والشرعي أن يعمل خارج البيت للإنفاق على زوجته، ويظل واجب المرأة أن تتولى مسؤولية هذا البيت بما فيها من اهتمام بشؤون الزوج والأولاد. وتتكامل المهمّتان في بناء الأسرة.

من يقود الأسرة؟

وإذا كانت الأسرة في نظر الإسلام هي المؤسسة الاجتماعية الأولى في حياة الإنسان، وهي المؤسسة الأهم؛ إذ تتم فيها تربية الأطفال وإعدادهم لتحمّل تبعات المستقبل. وإذا كانت أية مؤسسة جماعية لابد فيها من رئيس يقوم على إدارة شؤونها؛ إذ لايُعرف في واقع البشرية أن مؤسسة جماعية مهما كان موضوع عملها بسيطًا يمكن أن تنجح بغير رئيس، فلايمكن أن تبقى قيادة الأسرة موزّعة بين الرجل والمرأة؛ لأن هذا التوزيع يفتّت القيادة ويضعفها، ومن ثم يؤدي إلى الفوضى التي تجعل الأسرة عاجزة عن تحقيق أهدافها. ولايمكن أن تعطى القيادة للمرأة وهي التي زوّدها الله تعالى بالرقّة والعطف وسرعة الانفعال حتى تستطيع التجاوب مع مطالب الطفولة مهما يكن فيها من مشقة وتضحية. إن الله تعالى الذي خلق الرجل والمرأة أدرى بمن هو أصلح منهما لقيادة الأسرة: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ الملك:14. بل إن البشرية كلّها لا تزال تعطي القيادة للرجل دون المرأة، ولايزال غير المسلمين يعتبرون المرأة بعد الزواج تبعًا لزوجها بحيث تفقد نسبتها إلى أبيها وتُنسب إلى زوجها.

إن اختصاص الرجل بقيادة الأسرة، وهو المعروف بالقوامة في التعبير القرآني، ليس تفضيلاً للرجل على المرأة بالمطلق؛ بل هو إشارة إلى تفضيل الرجل على المرأة بمزايا خاصة تساعده على قيادة البيت، وهي الرجولة أولاً والإنفاق ثانيًا. قال تعالى: ﴿الرجالُ قوَّامُون على النِّساء بما فضل اللهُ بعضَهُم على بعضٍ وبِمَا أنفقوا مِن أموالهم﴾ النساء:34.

وفي المقابل فإن المرأة مثلاً أفضل من الرجال في مسألة حضانة الأطفال ورعاية البيت، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلّم أشركها في شؤون قيادة البيت مع الرجل حيث قال: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها».

ونشير هنا إلى أن القوامة لاتعني مسؤولية عامّة للرجال على النساء، وإنّماهي قوامة الرجل على زوجته فقط، وربّما تولت بعض النساء مسؤوليات خارج البيت، وكان الرجال خاضعين لها فيها، وليس في هذا أي عيب على الرجال، كما لم يكن

في القوامة في البيت أي عيب على النساء، وإنما هي توزيع الأعمال بين الطرفين حسب الحاجة والاختصاص. وإذا كان القرآن الكريم ينص على أفضلية الرجال لأداء مهمّة القوامة في البيت فهو يشير إلى أفضلية النساء لأداء أدوار أخرى في الحياة ويقول بوضوح: ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض﴾ النساء:32. وهذا واضح في وجود مسائل يُفضّل فيها الرجالُ على النساء، ومسائل تُفضّل فيها النساءُ على الرجال حسبما فُطر عليه كل منهما، ولذلك منع الإسلام أن يتشبّه الرجل بالمرأة أو أن تتشبّه المرأة بالرجل وقد «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري. وما ذلك إلا لأن الله تعالى خلق كلاً منهما لمهمة، وأعطاه من الاستعدادات ما يساعده على أداء هذه المهمة.

والقوامة تتضمنّ حقّ التأديب للرجل على زوجته، قال تعالى: ﴿الرّجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغَيْب بمَا حَفظَ الله واللاتي تخافُون نُشُوزَهُنّ فَعظوهُنّ واهجُروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعْنَكُمْ فلا تَبْغوا عليهن سبيلاً إنّ الله كان عليّاً كبيراً﴾ النساء:34. هذه الآية نص واضح في حق الرجل بتأديب زوجته بما في ذلك الضرب عند الحاجة إليه. والضرب يلاقي استنكاراً واسعًا في المجتمع الغربي، كما أن كثيراً من النساء المسلمات يشعرن بالحرج أمام هذه المسألة، فضلاً عن أن الكثير من الرجال المسلمين يشعرون بمثل هذا الحرج، والله تعالى يقول: ﴿فَلا وربِّكَ لايؤمنون حتى يُحَكّموكَ فيما شَجَر بينهم ثم لا يَجدُوا في أنفسهم حَرَجًا ممّا قضيتَ ويُسلّموا تَسْليمًا﴾ النساء:65. فالإيمان الكامل لابد أن ينتفي معه كل حرج أمام حكم الله أو حكم رسوله صلى الله عليه وسلم. ولذلك فنحن نسلّم بأن إعطاء هذا الحق للرجل لابدّ أن تكون فيه حكمة إلهية، وإنما نريد في هذا المجال أن نوضح جوانب هذه المسألة فنقول:

أمر الله عزّ وجلّ الرجل إذا نشزت زوجته أن يعظها وينصحها ويأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر، وذلك بالرفق المطلوب في مثل هذه الحالة، فإذا لم تستجب لهذا النصح أباح له أن يهجرها في المضجع، بمعنى أن لاينام معها في الفراش، أو أن يدير ظهره لها كما يقول المفسّرون للدلالة على غضبه منها. إن الوعظ يكفي لدى أكثر النساء فتتراجع الزوجة عن خطئها. وإلاّ فإن الهجر في المضجع وسيلة ثانية تشعر المرأة بغضب زوجها، وتدفعها إلى مراضاته كما هي عادة النساء. فإذا لم ينفع هذان الأسلوبان فقد أباح الله تعالى الضرب، وفسّر الرسول عليه الصلاة والسلام الضرب بأن يكون غير مبرّح، وأعطى بعض المفسرين المثال على ذلك بالضرب بالسّواك، كما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام عند الضرب أن يجتنب الوجه. وليس الضرب مطلوبًا لدى أتفه الأمور، وفي الأحاديث ما يفسّر ذلك، فقد جاء في خطبة حجّة الوداع التي رواها مسلم عن جابر بن عبد الله: «ولكم عليهنّ ألاّ يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلْن فاضربوهنّ ضربًا غير مبرّح». وفي هذا الحديث مثال على الحالات التي يباح فيها الضرب، وهي أن تسمح المرأة لمن لا يريده الزوج أن يدخل إلى بيته بغير إذنه. وفي رواية ابن هشام أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «وإلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح». ومعنى هذا الكلام أن الزوجة التي تستحق الضرب إذا لم ينفع معها النصح أو الهجر في المضجع، هي التي ترتكب فاحشة مبينّة، ومعنى ذلك بوضوح أن الضرب على الهفوات الصغيرة لا يجوز.

الأسرة في نظر الإسلام هي المؤسسة الاجتماعية الأولى في حياة الإنسان، واختصاص الرجل بالقوامة إشارة إلى تفضيله على المرأة بمزايا خاصة

والضرب أسلوب ينفع في كثير من الأحيان مع بعض الناس. ولاتزال الدول كلها منذ القديم وحتى الآن تستعمل العقوبات الجسدية بالنسبة للمجرمين كالسجن والأشغال الشاقّة. والضرب عقوبة معروفة في شريعة الله عزّ وجلّ بالنسبة للمجرمين حيث تسمى الجلد. فإذا كانت بعض النساء لاترتدع عن نشوزها بالوعظ ولا بالهجر، فمعنى ذلك أن العائلة كلّها في خطر، وربّما كان الضرب عاجلاً يردعها عن خطئها قبل أن يؤدي هذا الخطأ إلى تهديم العائلة.

ونحن لاننكر أن بعض المسلمين يستعملون هذا العقاب في غير محله، ويستعملونه قبل النصح والوعظ، ومصحوبًا بالشتائم وبذاءة الألسن؛ إلاّ أننا نعتقد أن خطأ هؤلاء لا يمكن أن يبرر إلغاء العقاب، كما أن خطأ أحد القضاة بفرض العقوبة على بريء، لايجوز أن يؤدي إلى إلغاء العقوبة من أساسها، بل يجب أن يؤدي إلى كثير من الضمانات التي تُعطى للبرئ قدر الإمكان، حتى لايُعاقب بغير ذنب. ومثل ذلك يقال في عقوبة الضرب إذ ينبغي أن تحاط بكثير من التوجيهات الأخلاقية حتى لايساء استعمالها، ومن ذلك ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين لايستعملون الضرب للنساء بقوله: «اضربوا ولايضربُ خياركم» رواه أبو داود والنسائي والحاكم. وقوله: «لايجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم» رواه البخاري. ومن المؤكد بالنسبة للمسلم أن خُلُقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخلق العظيم، وهو مجال القدوة، والمعروف عنه أنه لم يضرب أي زوجة من زوجاته على الإطلاق؛ بل إنه لم يضرب خادمه أنس، بل لم يستعمل معه لفظًا شديدًا، قال أنس: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لمَ فعلته ولا لشيئ تركته لمَ تركته». فإذا كان هذا هو خُلق رسول الله مع نسائه، فمعنى ذلك أن المسلم الأمثل هو الذي لايستعمل هذه العقوبة ولو كانت مباحة.

المساواة بين الزوجين في نطاق الأسرة

وإذا تركنا مسألة القوامة، فإن المساواة في الحقوق والواجبات بين الزوجين طول الحياة الزوجية هي الحكم الشرعي. قال تعالى: ﴿ولهنّ مثلُ الذي عليهنّ بالمعروف وللرّجال عليهنّ درجة﴾ البقرة:228. ومعنى ذلك أن كل حق للرجل يقابله حق للمرأة، وكل واجب على الرجل يقابله واجب على المرأة، بحيث تكون مجموعة الحقوق لأحدهما مساوية لمجموع حقوق الآخر، ومجموع واجبات أحدهما تساوي مجموع واجبات الآخر. ولايمكن أن يضمن مثل هذه المساواة عند اختلاف الحقوق والواجبات بين الزوجين إلاّ ربّ العالمين الذي قال: ﴿لقد أرسَلْنَا رُسُلَنَا بالبيِّنات وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسط﴾ الحديد:25.

إنهاء عقد الزواج

وإذا كان عقد الزواج أصلاً لايتم إلاّ برضا الطرفين، فإنه أيضًا لايمكن أن يستمر إلا برضا الطرفين. لذلك كانت الأحكام الشرعية تنص على إنهاء عقد الزواج بالطلاق من قبل الرجل، أو بالمخالعة من قبل المرأة، أو بالتفريق من قبل القاضي بناءً على طلب أي من الزوجين.

ولقد جُعل الطلاق بيد الرجل لأنه يتحمّل المسؤولية المالية في دفع المهر المؤجّل، ولأنه عادة أكثر تبصرًا بعواقب هذا الأمر، بينما المرأة أشدّ تأثرًا وأسرع انقيادًا للعاطفة، وهي تغضب لأتفه الأمور. ومع ذلك فقد أعطيت الحق في طلب الطلاق من زوجها إذا تنازلت عن مهرها، وهذا ما يسمى بالمخالعة، والأولى بالرجل في هذه الحالة أن يقبل المخالعة ويُطلّقها. فقد روى البخاري عن ابن عباس أن إمرأة ثابت بن قيس أتت النّبي صلّى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتردّين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلّقها تطليقة».

أما إذا أصرّ الزوج على عدم التطليق، فإن بإمكان الزوجة أن ترفع أمرها إلى القاضي طالبة التفريق، كما أن بإمكان الرجل أن يطلب التفريق من القاضي، إذا كان يريد ألا يدفع المهر، لأنه يعتقد أن زوجته هي السبب في إنهاء الحياة الزوجية، والقاضي يحكم بالتفريق ويحدد مسؤولية كل من الزوجين في ذلك.

إذن فإن عقد الزواج يبدأ برضا الزوجين، ويستمر مادام هذا الرضا المتبادل مستمرًا، وإذا كان من حق الزوج إنهاؤه بالطلاق أو بالتفريق، فإن من حق الزوجة أيضا إنهاءَه بالمخالعة أو بالتفريق.

تعدّد الزوجات

ونجد من المفيد هنا أن نتحدّث عن تعدّد الزوجات في الإسلام. ذلك لأن الاختلاف بين الرجل والمرأة في التركيب الجسمي، وفي الوظيفة الفطرية، هو المبرر الأهم لإباحة تعدد الزوجات.

فالرجل يستطيع أن يبذر في أكثر من رحم، ولكن المرأة ليس لها إلا رحم واحد.

فإذا تعدد أزواجها اختلطت أنساب أبنائها، وكيف يتحمّل الرجل مسؤولية ولد لا يدري إن كان ابنه أم لا؟ وكيف ينفق عليه؟ إذا كان هناك مبرر شخصي أو اجتماعي للتعدد، يمكن تنفيذه بتعدد الزوجات، ولايمكن بتعدد الأزواج.

كثير من الفلاسفة الأوربيين طالبوا بتعدد الزوجات صونا للنساء من الضياع، وهو ما أقرته الشريعة الإسلامية منذ نزولها

هل لتعدد الزوجات مسوّغات؟

1ـ زيادة عدد النساء على عدد الرجال في الأحوال العادية، وهذا واقع في أكثر البلاد: ما الحل؟

إن التعدد أمر واجب أخلاقيًا واجتماعيًا، ولا بديل عنه إلا أن تتسكّع النساء الزائدات على الطرق لإغواء الرجال وانتزاعهم من زوجاتهم، أو البقاء محرومات من الزوج والولد، ولايقول بهذا عاقل.

2ـ زيادة عدد النساء على عدد الرجال بعد الحروب، كما حصل في أوروبا بعد الحربين العالميتين. ما الحل؟

لا مجال هنا للمكابرة إذ لا حل غير السماح بتعدد الزوجات، وهذا هو ما طالب به كثير من المفكرين الأوروبيين كالفيلسوف الإنجليزي سبنسر.

3ـ إذا كانت الزوجة عقيمًا لاتلد، والزوج يحب الذريّة، ما الحل؟

إما أن يطلقها ويتزوج غيرها، وفي هذا إضاعة لها، وإما أن يبقيها زوجة مكرمة ويتزوّج ثانية لإنجاب الولد؛ أيهما أفضل مروءة وأخلاقًا؟ وأية زوجة عقيم لا ترضى بذلك؟ ومن الذي يجبر الثانية أن ترضى بالزواج مع وجود ضرّة لها إلا أن لاتجد الزوج أصلاً.

4ـ يحدث أن تصاب الزوجة بمرض يمنع زوجها من معاشرتها. ما الحل؟ هل يطلّقها أم يتزوج عليها؟ أيهما أكرم للزوجة المريضة؟ ومن الذي يجبر الثانية على الرضا بهذا الزواج؟

5ـ إذا كان الرجل يتمتع بقوة جنسية زائدة، ولايكتفي بزوجة واحدة؛ إما لشيخوختها أو لكثرة أيام الحيض والحمل والنفاس والمرض. ما الحل؟ لاشك أن الصبر أفضل، ولكن من لايستطيع الصبر هل نبيح له الزنا أم الزواج بثانية؟

تعدد الزوجات أم الخليلات؟

والتعدد واقع في كل شعوب الأرض..

ـ لكنه عند المسلمين تعدد مشروع، تحتفظ فيه الزوجة الثانية بكرامتها كزوجة وبحقوقها كافة، وخاصة حقّها في إنجاب الولد وتأسيس العائلة.

ـ وهو عند الغربيين ممنوع رسميًا، قائم فعلاً، وبأضعاف ما هو عند المسلمين، فالرجل يتخذ له صديقات يعاشرهنّ جنسيًا لمجرد التّمتع وقضاء الشهوة، وليس لهنّ حقوق الزوجات، والزوجة أيضًا تتّخذ لنفسها أصدقاء على المنوال نفسه.

الفرق المهمّ أن الإسلام لا يسمح بالمعاشرة الجنسية إلا إذا أحيطت بسياج من حقوق، وضمن زواج شرعي يهدف إلى تأسيس عائلة وإنجاب الولد ورعايته بعد ذلك، أما عند الغربيين فالمعاشرة الجنسية مباحة، ولو من دون قيود، ولو بهدف الشهوة فقط كالحيوانات.

إن تعدّد الزوجات في الحقيقة يُعدّ في مصلحة المرأة بشكل عام، وإن من مفاخر الشريعة الإسلامية أنها أباحته ضمن قيود وضوابط وهو في الحقيقة حق للمرأة، وإلاّ فماذا تفعل المرأة التي لم تجد زوجًا لها، لأن جميع الرجال قد تزوجوا، وبقي عدد من النساء دون زواج؟ ألا تكون إباحة التعدّد رعاية لحق هؤلاء النساء في حياة زوجية كريمة؟

وإباحة التعدد تُعدّ حماية للأسرة أيضًا، إذ من الطبيعي للمرأة التي لم تجد زوجًا أن تستعمل كلّ ما تستطيع من أساليب النساء لإغواء أحد الأزواج، مما يؤدي إلى تخريب هذه العائلة.

وحقيقة المسألة أن الناس ليسوا مخيّرين بين مجتمع يقوم على زوجة واحدة ومجتمع يقوم على تعدّد الزوجات حتى يختاروا أحدهما، ذلك أن المجتمع القائم على الزوجة الواحدة لم يكن موجودًا في تاريخ البشرية كلها، وليس موجودًا الآن حتى في البلاد التي تدعو إليه. إنه موجود في الظاهر فقط. أما الحقيقة فإن أكثر الأزواج يتخذون خليلات لهم على مرأى ومسمع من الناس جميعًا، بل ومن القانون نفسه الذي يعترف بهذا الأمر الواقع.

إن الخيار الحقيقي هو بين مجتمع متعدّد الزوجات، يحفظ لكل زوجة حقوقها، ويحفظ الأخلاق العامة، ويحمي الأسرة من التهدم، ومجتمع آخر متعدّد الخليلات، لا يعطي لهنّ حقوق الزوجة، ويؤدي إلى مفاسد أخلاقية لا حدّ لها، ويهدم كثيرًا من الأسر.

إن الإسلام عندما اختار نظام تعدّد الزوجات فقد اختار النظام الذي يرعى حقّ المرأة الطبيعي بزواج شرعي، وحق الأسرة ألاّ تتهدّم بسبب إغواء الزوج، وحق المجتمع في حماية أخلاقه وقيمه، وإن من حقّنا ـ نحن المسلمين ـ أن نفتخر على الدنيا كلها بمثل هذا النظام.

مواقف من السيرة النبوية

د. عبدالعزيز عبدالله الحميدي

لقد كان حصار الأعداء لدعوة الإسلام شديدًا محكمًا، حيث لم يكتفوا بتنفير ساكني مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشويه سمعته عندهم، بل صاروا يتلقّون الوافدين إليهم ليسمِّموا أفكارهم وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه والتأثر بدعوته.

وإن من أبرز الأمثلة على ذلك ما جرى منهم مع الطُّفَيل بن عمرو الدَّوسي (ت: 11هـ)، وقد أخرج خبره محمد بن إسحاق (ت: 151هـ) رحمه الله حيث قال: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما يَرَى من قومه(1)، يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش ـ حين منعه الله منهم ـ يحذِّرون الناس ومَن قدم عليهم من العرب.

وإذا وكان الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي يُحدِّث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلاتكلّمنّه ولاتسمَعَنّ منه (شيئًا).

قال: فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا(2) فَرَقًا أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة. قال فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت حسنًا، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي؛ والله إني لرجل لبيب شاعر (و) ما يخفى عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من (هذا) الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتَّبعتُه حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكُرسُف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسنا، فأعرض عليّ أمرك. قال فعرض عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمرًا أعدل منه.

قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني أمرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا فيما أدعوهم إليه، فقال: اللهم اجعل له آية.

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية(3) تطلعني على الحاضر(4) وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَةٌ وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحوَّلَ فوقع في رأس سوطي، قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية، قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا، قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولستَ مني قال: ولِمَ يا بني؟ قال: قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم، قال: أي بني، فديني دينُك، قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهِّر ثيابك، ثم تعال حتى أعلّمك ما عُلِّمت.

قال: فذهب فاغتسل، وطهَّر ثيابه، قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم.

(قال) ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلستُ منك ولست مني، قالت: لمَ بأبي أنت وأمي؟ قال: (قلت: قد) فرّق بيني وبينكِ الإسلام، وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم، قالت: فديني دينُك، قال: قلت: فاذهبي إلى حنًا ذي الشَّرَى ـ قال ابن هشام: ويقال حمَى ذي الشرى ـ فتطهّري منه.

قال: وكانَ ذو الشَّرَى صنما لدوس، وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْهُ له، وبه وشَلٌ من ماء يهبط من جبل.

قال: فقالت: بأبي أنت وأمي. أتخشى على الصبية من ذي الشَّرَى شيئًا. قال: قلت: لا أنا ضامن لذلك، فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت.

ثم دعوت دَوسًا إلى الإسلام فأبطؤوا عليّ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له: يانبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزنى(5)، فادع الله عليهم؛ فقال: اللهم اهدِ دوسًا. ارجع إلى قومك فادْعُهم وارفق بهم.

قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

قال: ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فتح الله عليه مكة قلت: يارسول الله ابعثني إلى ذي الكفَّين، صنم عَمْرو بن حُمَمَة حتى أحرقه ـ وقيل: ذو الكَفَيْن بتخفيف الفاء ـ.

قال: فخرج إليه، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول:

ياذا الكَفَين لستُ من عُبَّادكا
ميلادُنا أقدمُ من ميلادَكا
إني حشوتُ النارَ في فؤادكا».

لقد رأينا مثالاً واضحًا للحجر الفكري الذي كان الكفار يمارسونه مع الدعوة الإسلامية في بداية عهدها، وقد استخدموا للتأثير في الناس ليصدوهم عنها مُختلف الوسائل، فنجدهم كما في هذا المثل يتلقون الوافدين إلى مكة المكرمة، ويقومون بمحاولة تسميم أفكارهم وملئها بالباطل ليحول ذلك دون وصولهم إلى الحق.

ونجدهم يخاطبون الناس بالأساليب المؤثرة فيهم كما في قولهم في إحدى روايات هذا الخبر للطفيل بن عمرو: إنك امرؤ شاعر سيد. فقد وصفوه بصفتين يعتز بهما العرب كثيرًا، وكأن لسان حالهم يقول: لقد تبوأت في عقولنا مكانة كبيرة لهذه المؤهلات فلا تنزل نفسك من هذه المكانة الرفيعة بسماع ما يقوله مَنْ ليس في مستوى عقلك وتفكيرك، وحيث إن الطفيل عالم بالشعر والكهانة؛ فقد اختاروا وصفًا آخر ينطلي عليه وعلى أمثاله وهو السِّحر، وعللوا ذلك بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرق بين الأحبة على حد زعمهم.

وهكذا نجد دعاة الباطل في كل زمن يصوّرون دعاة الحق على أنهم إرهابيون وعواصف مدمرة، ليكسبوا الناس إلى صفهم، فمايزال البسطاء والإمّعات، الذين ألفوا التبعية والتقليد وعَطّلوا جانبا كبيرًا من عقولهم، يرددون كلامهم ويُنَفّرون الناس من دعاة الحق.

ولقد تأثر الطُّفَيْلُ بن عمرو بكلام زعماء الكفار في مكة لمَا سبق أن استقر لهم من مكانة وسمعة عالية بين العربَ، بوصفهم جيران الحرم، وحُرّاسَ المشاعر المقدسة، حتى بلغ به الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم أنه سد أذنيه بالقطن حتى لايسمع نداء الحق.

وإذا كان الطفيل قد سد أذنيه حقيقة فما أكثر من فتحوا آذانهم ولكنهم سَدُّوا منافذ فكرهم وعطّلوا عقولهم فأصبحوا يسمعون صوت الحق ليل نهار فما يوقظ فيهم ضمائر ولايحيي فيهم مَوَاتا.

ولكن هل استطاع الكفار أن يحولوا بين الناس وسماع دعوة الحق؟

إنهم لم يستطيعوا ذلك لأن صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أقوى من أصواتهم، ووسائله في التبليغ كانت أبلغ من وسائلهم، وثباته على مبدئه السامي كان أعلى بكثير مما كان يتوقعه أعداؤه.

فالشيء الذي يجب أن يفكر فيه الدعاة وأن يجابهوا به الأعداء هو تطوير وسائلهم في التبليغ إلى الحد الذي يفوق وسائل الأعداء في صد هذا التبليغ؛ لأن الحيلولة بين الأعداء والوصول إلى الناس بالتضليل أمر غير ممكن غالبًا، وهكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تمكن من رفع صوت الإسلام، بالرغم من قوة أعدائه وكثرتهم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبع في بيته، ولم ينزو في زاوية من زوايا المسجد الحرام، ليستخفي بدعوته، وليقي نفسه سهام أعدائه المسمومة؛ بل إنه غامر بنفسه فكان يخرج إلى مضارب العرب قبل أن يَفدوا إلى مكة، وكان يجهر بتلاوة القرآن في المسجدَ الحرام ليسمع من كان في قلبه بقية من حياة، وأثارة من حرية وإباء، فيتسرب الهدى إلى مجامع لبه، وسويداء قلبه.

وكان من هؤلاء صاحب هذه القصة: الطُّفيل بن عمرو الدوسي الذي أدرك فور سماعه أن ما تلاه النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق فأعلن إسلامه، وقد هيأ له ذلك كونه متجردًا من اتباع الهوى، متحررًا من ضغط السادة والزعماء. فكم من إنسان في مكة آنذاك يدرك أن مايدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحقُّ الذي لامِريَةَ فيه، ولكن يمنعه من اتّباعه وقوعُهُ تحت ضغط الطغاة الذين يهددونه في حياته أو في مصالحه الدنيوية.

وكان إيمان الطُّفيل قويا إلى الحد الذي تخطّى به مجرد التزامه الشخصي تطبيق الإسلام، إلى الانطلاق به ودعوة قومه إليه، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجوع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام؛ وكم من مسلم يظل عمره كله في مرحلة الالتزام الخاص ولايتحول إلى الدعوة، وهذا مظهر من مظاهر ضعف الإيمان إذا كان ممن تعينت عليهم الدعوة، ويكون الوضع منكرًا ومُزريا حينما يتخلى عن الدعوة من ينتسبون إلى العلم الديني مع احتياج الساحة الإسلامية إليهم، بل إن في تخصصهم في هذا المجال وبعدهم من الدعوة فيه شيئًا من التناقض، وقد يُعَدّون بواقعهم هذا فتنةً للناس ومدعاةً للصدود عن الدعوة.

أما حينما تكون الدعوة فرضَ كفاية على المسلم، فإنه حين يتخلى عنها يكون قد حرم نفسه من باب كبير من أبواب الخير.

وإن ما أجرى الله تعالى على يدي الطُّفيل من هذه الكرامة، حيث أضاء له طرف سوطه واستجاب الله دعاءه يُعَدُّ كرامةً لهذا الولي رضي الله عنه ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي دعا له بذلك، وقد قدر الله تعالى وقوع ذلك لدعم الدعوة الإسلامية وتثبيت الدعاة.

وحين مارس الطُّفيل دعوته فلم يستجب له غالبية قومه أصابه شيء من اليأس منهم، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوهم ويطلب منه أن يدعو عليهم، ولما كان ذلك من التعجل في الحكم على المدعوّين واستظهار نتائج الدعوة المنافي لما تتطلبه الدعوة من الصبر والأناة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أجابه بضد ما طلب، حيث دعا لهم بالهداية، وهذا يُعدّ من أمثلة اتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بالتأني والصبر، إلى جانب اتصافه بالشفقة والرحمة والرغبة العظيمة في هداية الناس.

وإن ما ذكره الطُّفيل من توغل قومه في الزنى والربا، وأن ذلك منعهم من الدخول في الإسلام، يُرى واقعًا ملموسًا في حياة الناس؛ حيث إن الوقوع في الشهوات المحرَّمة يترتب عليه قسوة القلب وانغلاق منافذ الفكر أحيانا، بحيث لايحب المصاب بذلك سماعَ دعوة الحق التي ستحول بينه وبين الاستمرار فيما هو متوغل فيه من المعاصي.

لذا فإن مما يختصر الطريق على الدعاة ويعينهم كثيرًا على الوصول إلى قلوب الناس أن تبذل جهود مكثفة للحيلولة بين الشباب والوصول إلى مواقع الفتنة، وذلك بإزالة معالم الجاهلية المتمثلة بدور البغاء والملاهي المحرمة، وحانات الخمور ومعاقل الربا، ونحو ذلك من مظاهر الجاهلية.

هذا وإن امتناع قوم الطُّفيل عن الإسلام لأنه يمنعهم من الربا والزنى دليل على أنه كان في حسّ أهل الجاهلية وشعورهم أن دخول الإنسان في الإسلام يعني التزام أحكامه فورا، والامتناع من المنكرات المحرمة. ولم يكن في مفهومهم أن يدخل الإنسان في الإسلام ثم يستمر في ممارسة ما كان يمارسه من الشهوات المحرمة، وإنهم بذلك أعظم فهما للإسلام من عصاة المسلمين الذين يجمعون بين إعلان الإسلام والإصرار على المنكرات التي نهى الله تعالى عنها.

وحينما كثر المؤمنون من قوم الطفيل ورأى أنه قادر على إزالة الرمز الأكبر للجاهلية في بلاده وهو صنم «ذي الكفين»، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يزيله، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بما يبين أهمية ذلك وضرورته.

الهوامش:

(1) يعني: من العداوة.
(2) يعني: القطن.
(3) الثنية: المكان المرتفع.
(4) يعني: أهل بلده.
(5) وفي رواية أخرى: «الزنى والربا».



مونيكا من البوذية إلى الإسلام

علمَّوها في طفولتها أن تعبد إلهًا صنعه خيال البشر، فسواء كان «بوذا» شخصية حقيقية وُجدت في حقبة ما أو خيالية لم توجد قط، فإن أمر عبادته أو القول بربوبيته هو من صنع خيال بشري أغرق في تهويمات فلسفية، أراد صاحبه أن يقدم بعقله المحدود المعرفة تفسيرًا يرضي البسطاء ويطوّعهم، ويجعلهم أداة مسخرة لخدمة أهدافه النبيل منها وغير النبيل.

وكانت مونيكا كأية فتاة يابانية تتوجه إلى المعبد لتحرق الشموع، متوهمة أنها بذلك تضيء لنفسها درب الحياة، وتكسب رضا الإله، صحيح إنها لم تكن في قرارتها وثيقة الصلة بعقيدتها البوذية، ولم تشعر كثيرًا بالانتماء إليها؛ إلا أنها مع ذلك لم تكن تعرف عقيدة سواها، فهي العقيدة الغالبة في بلادها، فإذا أضفنا إلى ذلك أنها نعمت منذ طفولتها بدفء الأسرة وترابطها، أدركنا السر في استمرارها على هذه العقيدة ستة وعشرين عامًا هي كل عمرها قبل أن يهديها الله إلى نور الإسلام.

تساؤلات غامضة

دارت في نفس مونيكا تساؤلات غامضة منذ طفولتها، أو بالأحرى بدت لها غامضة إذ لم تستطع عقيدتها الوثنية أن تقدم لها إجابات شافية عنها. كانت تتساءل عن الكون والوجود والحياة، وتحاول أن تعرف شيئًا عن ذلك من الكهنة والرهبان، لكنهم كانوا يواجهون أسئلتها واستفساراتها بابتسامة عريضة، وانحناءة شديدة، وتهويمات فلسفية لا تشفي غليلاً، ولم تعترض هي على ذلك، بل قبلت ما كانوا يردُّون به عليها دون تفكر أو تدبر، فالأمر - من وجهة نظرها آنذاك - لايستحق العناء، فلاتوجد عقيدة أخرى تعرفها.

وما إن تخرجت مونيكا في الجامعة، حتى بدأت تلك التساؤلات تؤرق ذهنها بإلحاح، وبرغم عملها مضيفة في شركة طيران يابانية؛ فإن الوظيفة لم تعطها راحتها النفسية، وأحست بنفسها تحيا وحيدة برغم وجود عناصر الألفة من حولها، وبدا لها كأنما هناك حلقة مفقودة تريد أن تصل إليها، ففيها سر حياتها، وخلاص روحها.

بداية الرحلة

وجاءها أول الغيث عام 1988م إذ انتدبت لمدة عام للعمل مترجمة للوفود اليابانية في شركة مصر للسياحة، وبدأ تعرُّفها الإسلام من خلال احتكاكها بزملائها وزميلاتها من المسلمين، فوجدت أشياء لم تسمع بها قبلاً، وتكشَّف لها زيف ما تُروِّج له الدعايات في بلادها من أن الإسلام دعوة تبيح القتل، ويتلذذ معتنقوها بمناظر الدماء، وأن المسلمين يعاملون المرأة كسقط المتاع، بل على العكس من هذه الدعايات المضللة، وجدت أخلاق الذين التقت بهم من زملائها المسلمين راقية، تتعامل بروح حضارية سمحة، محبة للخير، مبادرة إلى بذور المحبة والتعاطف والمشاركة فيما حولها. لذلك ما إن عادت مونيكا إلى اليابان في عام 1989م حتى كانت صورة الإسلام والمسلمين في ذهنها قد تغيرت تمامًا، فلم تعد ترى في الإسلام عقيدة تدعو إلى العنف، ولم يعد المسلمون - في نظرها - قتلة وسفَّاحين يتلذذون بمناظر الدماء، ويستعبدون نساءهم. بل أكبرت فيهم روح التحفظ والتكريم الذي تحظى به المرأة المسلمة أمًّا وزوجة وأختًا وابنة.

قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم

ودفع بها هذا إلى أن تتوجه إلى المركز الإسلامي في طوكيو عساها تجد لديه نسخة مترجمة من معاني «القرآن الكريم» كتاب المسلمين المقدس، لتتعرف أسرار هذا الدين الذي يسمو بأخلاق معتنقية، ويكسبهم صفات نادرة تستحق أن يتحلى بها كل إنسان. ووجدت بغيتها في المركز من خلال نسخة مترجمة إلى اللغة اليابانية، لكنها لم تكتف بها، ولثلاثة أعوام متصلة حرصت على التردد على المركز لتدرس الإسلام على أيدي نخبة من علمائه، حتى اكتمل فهمها ووعيها به، وبدأت تدرك أن هذا الدين القيم لايمكن إلا أن يكون من لدن رب عظيم، وأحست بأن المولى - عز وجل - له كتابان أولهما ناطق هو القرآن الكريم، وآخر صامت هو الكون بما يحتويه من آيات عظمة الخالق، من شمس وقمر ونجوم وسماء وأرض وبحار ومخلوقات، وشعرت - للمرة الأولى - أنها عرفت الله، واهتدت إليه أخيرًا من خلال آياته الكونية، وعظمته المتجلية في سائر مخلوقاته.

وساعدتها أقدارها للمرة الثانية على إنقاذ روحها، إذ عملت بعد ذلك لمدة عام مضيفة في شركة الطيران الأندونيسية، واختلطت بالشعب الأندونيسي المسلم، الذي لم يبخل عليها أفراده بالمساعدة التي تحتاج إليها لفهم الإسلام حق فهمه؛ فإن الأندونيسيين ـ كشعب ـ يتميزون بالطيبة والرقة المتناهية إلى جانب تمسكهم بعقيدتهم الإسلامية، وحرصهم على تطبيق تعاليمها في حياتهم الخاصة والعامة.

عندئذ أحست مونيكا أن الأوان قد آن لتشهر إسلامها، برغم كل الصعوبات التي واجهتها مع أسرتها حين وصل للأسرة نبأ اعتزامها اعتناق الإسلام ونبذ البوذية، فكل شيء حولها كان يصرخ أن تتمسك بحبل الله المتين، وأن لاتطيع الأسرة في أكبر معصية، وكان أن تغلبت الفطرة السليمة على كل الصعوبات، وقر قرارها على اتخاذ الإسلام دينًا.

إشهار إسلامها

اتجهت مونيكا إلى مصر، لتشهر إسلامها في رحاب الأزهر الشريف، تلك الجامعة الإسلامية التي كانت تشع نورًا وحضارة منذ ألف عام وما تزال، وأمام علماء الأزهر أشهرت إسلامها، واختارت أن تتسمى باسم «منى» لتبدأ بهذا الاسم مولدها الحقيقي بعد أن عاشت ستةً وعشرين عامًا من عمرها في ضلال الجاهلية، واستقرت في مصر بعد أن حصلت على عمل يعينها على البقاء.

استقرت أحوال منى في مصر، وما تزال مقيمة فيها حتى الآن، لكنها تركت العمل بعد أن مَنَّ الله عليها بزوج مصري مسلم، وتفرغت لبيتها وزوجها وتأدية حقوق ربها، الذي أكرمها بطفلة جميلة، اختارت أن تسميها «مريم». فهذا الاسم هو الوحيد الذي ورد ذكره في القرآن لامرأة، وهي تحيا الآن حياة إسلامية صالحة؛ تطالع كتاب الله، وتتدارسه مع الأخوات المسلمات، ومع زوجها كلما أتيح لها الوقت، وتربي ابنتها على القيم الإسلامية النبيلة، لتشبَّ منذ الصغر وقد تشربت نفسها مبادئ الإسلام.

نداء الصفاء

شعر:
د. محمد إياد صلاح الدين العكاري

نهر الحنين تُراه هل جافاني؟ — أتراه يجري في دُنا النسيان
أتراه يخترق الضلوع مجانبًا — أتراهُ يسري لايمسُّ حناني
لو كان رَوَّاني لأثلج خافقي — وروى شغاف القلب بالتحنان
لكنه جافي رواء فؤاده — فغدت شجيرته بلا أغصان
ماذا دهانا أم تُراه أصابنا؟ — ومتى سنصغي للنّداء الحاني؟
ماذا تجيب أمام طفل حائر؟ — أبتاه مهلاً مَنْ ترى يرعاني!
أبتاه رفقًا بالبنين وحالهم — أبتاه أمي بُعْدُها أضناني
أين التي أعطت فؤادي رُوحَها؟ — أين التي جادت بكل حنان؟
أين التي غذَّت بكل كيانها؟ — فالأم نبعُ الخير للإنسان
والأم بحرٌ بالمحبة زاخرٌ — والأم يا أبتاه بَرٌّ أماني
هيا أبي أعط الأمور نصابها — لغةُ السلام سعادةُ الولدان
لغة الوفاق هي المبرة والهدى — سَدِّدْ إلهي خطْوَ من ربّاني
لغة الشقاق فمن تراه يريدها — كم أججت في القلب من نيران؟
كم أورثت شكوى وأعلت أنَّةً — كم تُغرق الأهلينَ بالأحزان؟
وتصيب أفلاذًا بحد قناتها — وتصيبُ أفئدةً بجرح قاني
هذي صروحٌ بالبنين تسامقت — فأترى تُهَدَّم دونما حسبان؟
لاتترك الشيطان يعبث بالعرى — فعُرى الزواجِ بغاية الإتقان
وعرى الزواج عنايةٌ ورعايةٌ — وعُرى الزواجِ مشاعر الإحسان
هيا لنكسوَ بالصفاء قلوبنا — هيا نُخَلِّصها من الأدران
هيا لنبني بالوفاق سعادة — نُحيي الوشائجَ دونما خُسران
هيا استمع صوت المحبِّ بحكمة — فالصلح خير في هدى القرآن
والصلح خير في مقالة ربنا — والرَّحْمُ مشتق من الرحمن
حلِّق بروحك في سماء هداية — واخفق بفكرك في سنا الإيمان
وانشر جناحك كي تحلق عاليا — في جو إشراق بلا أشجان
لتجود أعماق النفوس بهديها — وترف أغوار الشعور العاني
وتجيش قاعات الضمير برعشة — ليعود قلب الحب للخفقان
فتموج أنهار المحبة والندى — وتسيل أنهار من التحْنان
ويقام صرح الود ملء ضُلوعكم — يهب الجميعَ مشاعرَ الرضوان
وبشائر الصبح العليل ندية — تحيي القلوب ببلسم بتدان
لتزغرد الدنيا بفرحة أسرة — والخيرُ كل الخيرِ في اللُّقيان

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :
صالح بن فوزان الفوزان

يسعد مجلة «الفيصل» أن تستكتب فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، في باب «طريق الهدى»؛ كي يتولى الرد على أسئلة القراء الفقهية واستفساراتهم، شاكرين لفضيلته كريم تجاوبه؛ ليفيد القراء بعلمه إن شاء الله.
كما وافق فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ـ مشكورا ـ على أن يكون من المساهمين في هذا الباب. ويسر «الفيصل» أن ينتفع القراء بعلم هذه الكوكبة من العلماء الأفاضل.

معنى آية، وتكبيرة الإحرام

ما معنى قوله تعالى: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ الحجر:12؟

ومتى تفوت المصلي تكبيرة الإحرام، وهل لمصلي النافلة في المسجد ثم تقام الصلاة ويشتغل بإكمالها تفوته التكبيرة كمن هو خارج المسجد؟

غ. ر. ص، الرياض

معنى الآية الكريمة: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ أن الله سبحانه وتعالى يُدخل التكذيب في قلوب الذين اتصفوا بالظلم والبهت عقوبة لهم. فإنهم لمَّا ساروا على منهج الكفار الذين سبقوهم في تكذيب الرسل أعمى الله بصائرهم فصارت لاتقبل الهداية ولهذا قال: ﴿لايؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾، وفي هذا تحذير من تكذيب شيء من أخبار الرسل بأنه يسبب زيغ القلب وعمى البصيرة فلا تقبل الحق بعد ذلك.

وتفوت المصلي تكبيرة الإحرام إذا لم يُكبِّرها بعد الإمام مباشرة. فإذا أقيمت الصلاة وهو في نافلة فإن تمكن من إتمامها خفيفة أتمها، وإن لم يتمكن في إتمامها، وعلم أن ذلك يسبب له فوات الصلاة المقامة فإنه يقطعها لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة». وبعض العلماء يرى أنه يقطعها مطلقا لهذا الحديث.

نية المؤمن وعمله

ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «نية المؤمن خير من عمله»؟ وأرجو توضيح ذلك بمثال، وهل يُعاقب إذا نوى فعل المحرم؟

عبدالله الصالح، الرياض

معنى الحديث أن العبرة بالنيات والمقاصد لا بصورة العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». ومن نوى فعل المحرم ثم ترك فعله خوفًا من الله؛ فإنه يُؤجر على ذلك ولاتضره نيته السابقة. وإن تركه لعجزه عن تحصيله فإنه يأثم على نيته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: هذا شأن القاتل فما بال المقتول. قال صلى الله عليه وسلم: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه».

صور ذوات الأرواح

هل يجوز الاحتفاظ بالمجلات والجرائد التي تحوي صورًا كاملة لذوات الأرواح؟ وما المقصود بالصور التي تمنع دخول الملائكة، علما بأن طالب العلم لايستغني عنها لما تحتويه من بحوث ومقالات جيدة ومفيدة؟

أحمد سالم

يجوز الاحتفاظ بالكتب والمجلات التي فيها فائدة علمية لا من أجل الصور؛ وإنما من أجل ما فيها من فائدة علمية مع طمس الصور إن أمكن. وإذا كانت الصور صورا فاتنة كصور النساء فإنه لايجوز الاحتفاظ بها إلا بعد طمسها كليا. والصور التي تمنع دخول الملائكة هي الصور غير الممتهنة، أما الصور الممتهنة كالتي تداس أو يجلس عليها فإنها لاتمنع.

قطع آذان الغنم

يقوم بعض الناس بقطع آذان الغنم وخاصة الماعز لغرض التجميل وإغلاء السعر كما يزعمون، فهل يجوز لهم ذلك؟

مصطفى. س، الرياض

لايجوز قطع آذان الغنم بقصد إغلاء سعرها لما في ذلك من تعذيبها، والبهائم لها حرمة تجب مراعاتها، ويجب الرفق بها والعناية بها وعدم إيذائها وتعذيبها.

سلطان الشعر أم سلطة الرواية؟

أحمد الطريق أحمد

هو سؤال مطروح، في ساحتنا الثقافية والأدبية.. وقبل أن يأخذ السؤال حيِّزه من الفراغ، أو من فصاحة البياض؛ فإن له ـ كذلك ـ كينونة حافرة في منطقة الوعي النقدي؛ لا باعتبار ما يرمي إليه التساؤل ـ لأول وهلة ـ من اكتساح مُثْقل بوهْم المُنافسة، أو بهاجس يراود المبدعين من الضفتين معًا، يُوحي بالصراع ـ الوهمي ـ من أجل البقاء، أو من استجابة مجانية لجدلية الناسخ والمنسوخ! فمثل هذه الاعتبارات والحيثيات المتناسلة، لا ترقى إلى قوة الجدل الأدبي المسؤول؛ علمًا منا (منتجين، ومتلقين، ومبدعين، ونقادًا..) بأن الفنون الأدبية بأجناسها وألوانها، قديمها وحديثها، تليدها وطريفها، إنما يتحكم فيها، وعبر تاريخها الوجودي، قانون التعايش وناموس التّضايُفِ: تقاطعًا، وتلاقيًا، وتماسًّا..

من هنا، يسقط كل كلام عن المزاعم والنزعات ـ أو النزوعات ـ التي ترمي إلى فك الارتباط ـ غير العسكري ـ بين الجنسين الأدبيين: الشعر من جهة، والرواية وحفيداتها، من جهة ثانية.

وبهذا التقديم، عن براءة الذمة، وبياض الطوية، هل يمكن اعتبار السؤال المطروح له ما يسوّغ وجوده، وبأنه ـ فعلاً ـ موضعُ تساؤلٍ ـ لا سؤال ـ وجيه؟؟

سلطان الشعر: لماذا؟

سُلطة الرواية: إلى أين؟؟

الشعر ميراث الأمة

وإن الإجابة عن التساؤلين مرهونة أولاً، بتحديد جغرافي ـ داخل الخريطة العربية ـ كما أنه، يتحددُ ثقافيًا، على كل خريطة إبداعية، ولكلا الجنسين الأدبيين: الشعر، والرواية. ثم إن الإجابة، مشروطة ثانيًا بحصاد الاستبانات والنشرات، والإحصاءات، وهي تنتمي إلى (الميدان) غير الإبداعي، لارتباطها بمجالات الإنتاج والتسويق، والنشر والتوزيع.. إلخ. ولن يدخل هذا العمل الميداني في حُسبان الظاهرة وتراكماتها على صعيد الإبداع الخالص. ولكن الإفادة من المجال السالف الذكر، قد تعزز الظاهرة، ولو بالأرقام المحدودة.. وهنا نشير ـ فقط ـ إلى المعرض الدولي للكتاب، الذي انعقد مؤخرًا بالقاهرة؛ فقد احتفظ هذا المعرض برقم واحد له دلالته في سياق التعزيز والتراكم؛ ذلك أن معرض القاهرة قد سجل رقمًا ملحوظًا، يؤكد على أن «الظاهرة الشعرية» قد حفرت وجودها في ذاكرة الحضارة العربية: خمسة آلاف ديوان من الشعر العربي، قديمه وحديثه، كان لها أقوى الحضور، بين المعروضات الثقافية المجسدة في الكتاب العربي، صناعة وتأليفًا..

إن هذا الرقم، النسبي في دلالته، لَيُشكّلُ رصيد الأمة العربية، وقد انحدرت من سلالات الشعراء وصانعي القافية العربية. ولا ضير على هذه الأمة، إنْ قيسَ «قلبُها الحضاري» بذبذبات الوزن، ورعشات الوجدان.، وإيقاعات الكلِم الساحرة بالبيان. «الشعر

ديوان العرب» هي المقولة الجامعة المانعة، لهوية الثقافة العربية وحضارتها. وقد فطن الجاحظ، في مصنفه الشهير (الحيوان) إلى هذا الملمح الحضاري، والذي كرّس خلود «الكلمة» العربية في موازنة مع ما شادته وشيدته الأمم الأخرى من القصور المشيدة والمآثر القائمة على الحجر والطين(1).

ولن يضيرنا - نحن العرب - حالما نؤرخ لآدابنا، أن لا نجد غيرَ «الموروث الشعري» المنحدر إلينا من عهد المعلقات، وزمن القصائد.. وقد ارتعشت - برعشاتها - حباتُ الرمال وسعفُ النخيل، ومنعرجاتُ الأودية والسُهوب والمتاهات.. حتى إذا ماتقادم العهدُ بحضارتنا وبآدابنا وبعلومنا، أبدعنا فنونًا من القول وأجناسًا أدبية تنتمي إلى الهُوية، وإلى المحيط، وإلى مناخ الكلمة العربية. نعم لن يضيرنا، إن لم نجد من بين هذه المخلوقات العربية - في فن القول - مايُلحق بالفن الروائي، كما ترعرع في مكانه، وكما نما في محيطه، وكما استوى على حضارة بيئته! ولطالما أتعبنا أنفسنا، وخدعنا الآخرين، بالتخريجات والتأويلات، معتمدين على (مجاهر) خادعة، وعلى (مكبرات) للصوت خائنة، بحثًا عن ومضات وإرهاصات قد تشفع لنا حضورنا الباهت في سوق «التأصيل»، وكأننا نبحث عن وليد غير شرعي ضاع منا في متاهات البرية..هو الجري، وهو اللهاث وراء سراب التأصيل.

وهل يضير التاريخ الأدبي لأوروبا أن يكون محرومًا من تشكيل الخامات بأشكالها العربية كما أبدعها الحريري والهمذاني؟ وهل يضير الأدب الأوروبي إن هو افتقد عواصف «التوابع والزوابع»، أو إن هو عَدِمَ ملكة التخيل كما هي مجسدة في «رسالة الغفران»؟(2).

فالقانون الأدبي، ليس مفصولاً عن بنياته الحضارية والسياسية والتاريخية والاجتماعية، وتأسيسًا على القانون الأدبي، بمحدداته ومكوناته، فإن الأدب العربي لم يعرف فنًا ينتمي إلى الجنس الروائي؛ لأن الرواية - بوصفها معطى فنيًا وأدبيًا - لها جذور في تاريخ الفكر، وهي انعكاس لمرايا اقتصادية، وتعبيرٌ عن تفاعلات سياسية واجتماعية. وعبثًا نحاول خلع «البنطلون» الروائي على «العباءة» الفضفاضة، وقد خرجت منها «تفصيلةُ» المقامات العربية؛ فهذه وأمثالها ونظائرها وأشباهها، ما هي بالجنس الروائي، ولا هُو منها بنسب أو قبيل.

فلنغلق هذا الجدل المفتوح.. وهو من باب الكلام المعاد المكرور.. ولنحمد الله، على أن الأمة العربية قد استوفدت الفن الروائي، واستضافته؛ فالرواية ضيف جديد، وفن حداثي نزل بديارنا، فاستضفناهُ، وأكرمنا ضيافته. حملتْهُ إلينا حركةُ التحديث التي شهدتهاَ الأقطار العربية في بداية نهضتها؛ احتكاكًا بآداب الغرب وفنونه، وتشوفًا إلى معالمه الأدبية الجديدة..

التجريب الروائي والشعر

ولا يهمنا في هذا السياق، أكانت «زينبُ» أم غيرها، هي الصورة المحاكية «لذاتية» الضيف الجديد، و«لكينونته» الفنية.؟ فحسبُنا القول بأن إطلالة «زينب» - لهيكل - علينا هي من قبيل الخطوات الأولى، إلى أن تفاعلت الكلمة العربية مع المعطيات الوافدة، فاستوى عندنا الفن الروائي، بصوره وألوانه.. وبدخولنا زمن الرواية(3)، نكون قد دخلنا عصرًا أدبيًا جديدًا، وبعد زمن التجريب الذي نسخت عقوده أجيالٌ وأجيالٌ. وحاول روادنا هذا التجريب، كل من موقعه الذاتي والفني، حتى عباس محمود العقاد، خاض تجربة «سارة» في قالب يبعدُ من الفن الروائي - القصصي، بمقدار ما تبعد موازنة العقاد بين الشعر والرواية من القسطاس المستقيم؛ فلقد صدرت عن العقاد - وهو في «بيته» - مقولة مفادها إن أكياسًا من الفن القصصي لا تساوي، في ميزان القيمة، بيتًا من الشعر!؟

ظل الشعر العربي متربعا على القلوب رغم دخولنا- خلال نصف قرن- زمن التجريب الروائي

وخلال نصف قرن أو يزيد، وداخل زمن التجريب الروائي، ظل الشعر، والشعر العربي، متربعًا على عروش الأفئدة العربية، فكان حضور القصيدة يواكبه الزهو، ويصاحبُه الاعتزاز. ومن ثم، فإن هذا الحضور كان متسمًا بالزخم وبالتراكم، على صعيد الكم وعلى صعيد الكيف.. وكان طبيعيًا أن تنشأ المدارس النقدية، في محاولة منها لفهم الظاهرة الشعرية وإيصالها إلى المتلقي العربي.

حدث هذا، في بداية النهضة الأدبية، وخلالها وأثناءها.. يوم كان شوقي، وحافظ، ويوم كانت جماعة «أبولو»، ويوم ناحت حماماتُ الأيك على أغصان «المهاجر» العربية... وحدث مثل هذا، بعد أن انشقت الطيور عن «إيقاعات» الخليل بن أحمد وموازينه الكلامية؛ فطلعت الكواكب، وهلَّت المواكب، بحداء فيه من أصالة الصوت ما فيه، وفيه من طرافة «الموّسيقى» ما فيه، على يد رواد القصيدة التفعيلية، الذين أرادوها صورةً جديدة لتجربة الشعر العربي المعاصر، ليس بالخروج عن «قوانين الخليل بن أحمد»؛ بل بإقحامها - أو رميها - في «أتون» العصر وملابساته الحضارية وتلاطمات أمواجه الفكرية(4).

لقد كانت تجارب أولئك، وتجارب هؤلاء، بمنزلة الإكسير الذي ينعش الأرض الموات فينا؛ حيث كان العالم العربي (وقد عاش الملاحم والحروب، والأزمات والنكبات، والظلمات والنكسات، والتجارب والنزعات والانقلابات، والمآسي والغارات) يتململُ في كفِّ الأحداث والمتغيرات، وداخل هذا المعترك كانت القصيدة العربية تؤسس حضورها الجديد إلى جانب المحاولات المجربة لفن القصة والرواية، وعلى امتداد الساحة العربية للثقافة، من الماء إلى الماء.

وكان طبيعيًا، أن يتم التفاعل بين الشعر من جهة، والرواية - وحفيداتها - من جهة ثانية؛ فلقد رأينا شعراء(5) يُدلُون بدلوهم في مقاربة النصوص الروائية. بل إن بعضهم شارك بنصيب في العمل القصصي، في المشرق العربي، كما في المغرب العربي عملاً بمقُولة التعايش بين الأجناس الأدبية. وتكريسًا للتضايف بين النزوعات الفنية في ذات الشاعر، كما في ذات القاص.. وإن كان الفنُ، بوجه عام، والشعرُ بخاصة يتأبى «الشريك»، ويرفض «الضَّرَّة»، وينشد التوحد والتوحيد؛ فالشعراء هم شعراء، والروائيون هم روائيون.. وقلَّما تجد واحدًا منهم جمع بين فن السرد وفن القريض، وبرّز فيهما معًا. وإن كانت «الشعرية» بمفهومها النقدي - اليوم - آخذةً من بيان الشعر وفنيته داخل النسيج الروائي وهو مصطلح عائمٌ بين «الأدبية» و«الإنشائية»(6).

للشعر العربي «سلطان»!

وإذا ما حاولنا تحديد الإطار الزمني لهذا الحضور؛ فإن عقود الستينيات والسبعينيات شكلت الفضاء الزمني لما يمكن أن يطلق عليه «عصر» القصيدة العربية. وجاوز ذلك حدود الثمانينيات، حيث توطّدت بنياتُ القول الشعري وترسّخت جذوره في تربتنا الثقافية، بما صاحب ذلك، من بناء نقْديّ شامخ، فيه من المواكبة، وفيه من التشيع، كما فيه من تصورات فاعلة في التأثير والتوجيه. كما أن الفعاليات الإعلامية، ومهرجانات التبشير، ومنابر النشر المختلفة، شكلت هي الأخرى مظلات الوقاية والاسْتِرواح. وكاد بعضنا يجهر بالقول - يومها -: بأنّ العصر الثقافي العربي قد جرفته «أرجوحات» الصُّور الشعرية، رغم ما يتخللُ هذا العصر من أعاصير لا تقف دونها ألفُ أرجوحة وأرجوحة، ولكنهُ «سلطان» الشعر العربي!

ولم يكن ليحدث هذا منفصلاً عن الحركة الشعرية العالمية، وقد اهتزت لها أرض الثقافة وَرَبَتْ؛ حيث إن أقطاب الشعر العالمي كانوا حاضرين في ذاكرة الشعر وفي حركته الإبداعية؛ فـ «إليوت» و«لوركا» و«باوند» و«نيرودا» و«ناظم حكمت» و«أراجوان» و«اليوار» و«رامبو» إلى آخر جمهرة شُعراء الغرب، كلهم كانوا شهادات عن «مُثاقفة» شعرية حاصلة، بالاستيحاء الهامس حينا، وبالتوظيف الصّارخ المختفي وراء «حركة الترجمة» وإبداعاتها أحيانًا. نعم إن الشعر العالمي تحدّد حضوره من زاويتين اثنتين: زاوية الموقف الشعري، وزاوية الرؤية الشعرية.

كما نشطت، بفعل هذا الحضور، الترجماتُ الشعرية العالمية من عقالها، ولأهم المنجزات التي حققها الشعر في غير لغة الضاد. وكانت المجلات التي تُعنى بالآداب الأجنبية وبالثقافات الأجنبية هي المجال في عملية التواصل بين الأدبين؛ العربي كمتلق، وغير العربي كمخْترِق ومؤثر. ومع مرور الزمن، وتوالي العقود الأخرى - وبعد جيل الرواد - عاشت القصيدة العربية ما اصطلح عليه بـ «التّجايل» الزمني. وهو مصطلح مرفوضٌ لتضاد التصور الأدبي مع تصديقات الزمن التقويمي المنظّم للأحداث (الكرونولوجي)، إذ الظاهرة الشعرية لا تمتصها - أو تنسخها - أو تتجاوزها العشراتُ من السنين. إضافة إلى أن الشاعر - أي شاعر - يمكن أن يعايش تجارب شعرية مختلفة، وتحت ظلال الجيل الزمني الواحد. فالستينيون، إلى اليوم، مازالت أصواتُهم الشعرية ترتفعُ، وبنبرات حادة، تأكيدًا على الحضور المكسر لنسق التجايل الوهمي. وتنبري - أحايين - موجاتُ «التجاوز» المحمولة على الوهم، لتدّعي أن اختلافًا حاصلاً بين جيل الستينيات وغيره، ممن انخرطوا في أسلاك الثمانينيات وسواها من العقود!

ونحن لا ندّعي الثبات ضد التحوّلات الفكرية منها والأدبية، ولكن الذي نريد تأكيده هو أن كلَّ حركة شعرية لا تُقاس بمسطرة العقود والأعوام؛ لأن من طبيعتها أنها تتحرك نوعيًا وبخطوات لا تخضع للإحداثيات الفيزيائية، ومن ثم فإن كلَّ «تجريب» لا يُراعي نوعية التحول سيجرفه غثاءُ السَّيل.

وأثناء هذا التقاطع، بفعل التجايل، وتحت ظلال الوهم بالتجاوز وأقنعة التجريبات... تراكمت في سماء القصيدة العربية سُحُبٌ نذيرةٌ بالحالة/ الأزمة؛ مما جعل المتتبعين لحياة القصيدة العربية المعاصرة، يطرحون سؤالاً يتسم بالتركيب:

أهي أزمةُ نص؟ أم أزمة نقد؟ أم أزمة مُتَلَقٍّ؟(7).

وبطرح السؤال التركيبي، نكون قد اقتربنا من منطق التساؤل المطروح في الساحة العريضة من ثقافتنا الأدبية.

لا يماري أحد في أن الرواية بسطت سلطتها على المجتمعات المعاصرة. ولكن هل يستمر ذلك؟

القصيدة بين العقل والوجدان

إن المشهد الشعري في عالمنا العربي، بعد إطلالة الثّمانينيات، ليترجم، بقوة وشهادة، بأن القصيدة العربية - ولا أقول الكلامية - هي حُبْلى بالتفاعلات، على إيقاع المتغيرات النابتة والطالعة من تُربتنا الأدبية والثقافية، وبما يُخصبُها من بذور التفاعل الاجتماعي والسياسي..

وإذا شئنا تحديد الصّورة أكثر، فإن جذور الأزمة مترسخة داخل العمق الحضاري المعتلج في أعماق الوجود البشري عامة، والعربي منه بصفة خاصة. إنه عمق مرشح لأي زلزال، مُحتملُ الافتراض وممكنُ الوقوع. مادامت المعادلة الحضارية مشدودة إلى قوانين التقنية البحتة، ومن ثمَّ - أيضًا - فإن صراعنا الحضاري، ظاهريًا، يدور بين قطبي الرحى: (عقلنة) الواقع، (وشعرنة) الذات.

وحالما ينتصرُ الواقع على همسات الوجدان، يصيح الإنسان: «لا وقت للشعر»! وحالما ينهزمُ العقلُ، تتحسسُ الذات أقاليمها المجهولة في بحث حميمي عن واحة للشعر ظليلة وهادئة.. وإن الشعر لحاضرٌ، حتى في قلب الدهاليز، حيث يخترق «المترو» أحشاء المنفى والملكوت..

لكن هذا المعطى الحضاري - المفروض وجوديًا، لا يُلغي من حساب المعادلة، أن الشعر العربي المعاصر، قد زاغ قليلاً - أو كثيرًا - عن إطاره الجوهري، كما حافظ عليه الرواد ومن تبعهم بإحسان.. وافتقدت القصيدةُ العربية، تحت طغيان التجريب، الذي ينسخ بعضه بعضًا، حرارة «الانتماء» وفرادة الذات، وخصوصية التجربة، وعمق الرؤية، وصفاء اللغة.. وظلت تعيش، بفقد هُوية الشعر وماهيته، حالة استنساخ، ودلفت بخطوات عرجاء إلى مايشبه البيوتات النَّمطية الجاهزة، وأحس المتلقي العربي الواعي بلحظة الشعر، وبلغة الشعر، وبجوهره الوجودي، بأنهُ يضعُ أصابع وجدانه على هلوسات استنساخية، لا حياة فيها ولا حركة، ولا طعم فيها ولا لون؛ لا وجود ولا تاريخ، ولا نكهة ولا رائحة للزمان أو للمكان.. فهي قد استوت بالحروف العربية، على هيئة عربية، إن شئت قلت: إنها عراقية، مغربية، حجازيةٌ، لبنانية، سورية، أردنية، موريتانية. أو: مهجرية: في لندن، ومدريد، ونيويورك، وباريس...

هل يشفع لها، والحالةُ هذه، أنها عربيةُ الحروف، تجريديةُ الرؤى، مُعْجمية «اللسان»..؟ ولكنها ضائعةٌ بلا هُوية، لذاتيتها، وذات شاعرها، لزمانها ولمكانها.. ضحلة في تصورها، مُسفَّة في لغتها، هُلاَمية في موسيقاها.. تُعاني من فقر الدم..

تلك هي الحالة، وشيء من الأزمة، يعتور القصيدة العربية المعاصرة، وهي ظاهرة تتحرك على الساحة، من الماء إلى الماء..

لكنها لا تزال شامخة!

إن المشهد الشعري العربي، يعج بهذه المتغيرات، ولكن شيئًا من شموخ القصيدة مازال يشع عند هذا الشاعر، أو ذاك.. ولا داعي للأمثلة.. هنا أو هناك، مما يشكل البقية الباقية من كينونة الشعر الحق، والقياس يطرد حتى مع القصيدة العمودية الكلاسية...

وفي ضوء الصور المتلاحقة، وعن المشهد الشعري العربي المعاصر، ومواكبة لحركات النقد وموجاته الوافدة علينا، من خلال نوافذ ولغات ومثاقفات، لوحظ أن تراجعًا حاصلاً في ما يخص المقاربات النقدية لنصيّة القصيدة وشعريتها، وهو تراجع ملحوظ، يتفاوت من قطر عربي إلى قطر عربي آخر؛ إذ إن الاقتراب من جسد النص الشعري واختراق عوالمه الباطنية، وبحميمية الناقد الذواق، لا يُشكل ظاهرةً متُواترة ومطردة، في عالمنا العربي، ولأسباب متعددة، من أبرزها غيابُ شروط الاقتراب في ثقافة الناقد الأدبي.. من نصّيّة القصيدة وهي تعجُّ بالامتلاء وتضجُّ بما هو مسكونٌ فيها من مجهول البيان، ومجهول العرفان..

ثم إن ملكات الاختراق والاكتشاف من جانب الناقد، قد لا تُعلّمُ أو تلقّنُ، لعلاقتها بصميم الإبداع النقدي الذي يحاور الإبداع الشعري، وإلا لكان النقد الأدبي في وظيفته التحليلية أشبه بمن يتعلم إحدى اللغات في عشرين يومًا! ولكن هذا لا ينفي امتلاك الناقد لناصية العلوم الأولية التي ينطلق منها ـ معرفيًا ـ ليصهرها بإشعاع الذوق، ونار الحدس، ولهب المعرفة.

إنَّ النص الشعري يستعصي على من لا يمتلك الأدوات.. وعلى من يعتمدُ على الأدوات بمفردها؛ ولقد شكل هذا الغياب، في مكونات الناقد الأدبي للشعر، إضافة إلى أزمة النص الشعري، انزياحًا إلى الاقتراب من نص آخر لا يتسم بالكثافة، ولا بالتركيب اللغوي، كما هو الشأن في القصيدة التي تركن إلى اختزال الحُدُوسات، واستجماع الرؤى، وتقاطع الأبعاد بالقياس إلى النص الآخر الذي ينساق إلى عوامل التفكيك، ومبادئ التشريح.

فالرواية ـ مثلاً ـ قد تفتح مغالقها بمفاتيح لها مواصفات معرفية استغرقتها حواشي التنظير النقدي، بما فيه الكفاية، لسلطة هذا الفن السّردي داخل المجتمعات المعاصرة. بل إن القارئ العربي ـ طالبًا كان أم أستاذًا جامعيًا، متلقيًا عاديًا أم غيره ـ قد جرفَتْه الموجات السردية، بفعل سُلطتها، وأمام ما هي عليه القصيدة، من حال، يتراوح بين التعالي، أو التدني، وأمام ما هو عليه نَقدُ الشعر من نوبات الانحسار، والابتعاد من المكونات الحقة لذلك النص الشعري الخارق(8).

ومن هذا الملحظ ـ شبه النقدي ـ كان الإقبال ـ كما قلنا ـ على جنس الرواية، كما كان الإحجام حاصلاً عن جسدية الشعر وعمقيته. ولا يعني هذا بحال من الأحوال، أن مقاربة النص الروائي محفوفة بالورود دون الأشواك، ولكنه يعني أن نفرًا من الدارسين ـ ولا أقول النقاد ـ قد استرخصوا نص الرواية، وبآليات غير ذاتية تنوءُ بالإسقاطات المعرفية/النقدية... ووصلت هذه العدوى إلى ساحات الكليات والمعاهد؛ فانعدمت جواهرُ المقاربات تحت ركام من الأعراض العارضة.. وهي وظيفة تلمسنا عوارضها حتى في المقاربات التي تناولت النصوص الشعرية؛ مما يوحي بأن الأزمة مزدوجة: أزمة نص، وأزمة نقد.. ولكن المفارقة في أن النص الروائي أخفّ في الوطء من النّص الشعري.. داخل الأزمة المفترضة أو الواقعة..

وملاك الأمر، هو أن الرواية، وحفيداتها في مجال السرديات.. لا يجادل أحد في بسط سلطتها على المجتمعات المعاصرة، بما فيها المجتمع العربي؛ لأنها تُعْنى بالتفاصيل، وبالجزئيات (العادي، اليومي، السائد، الراهن)، كما أن هذا الجنس من الكتابة لا يشترط دومًا قوة التركيز المفترضة في كل قراءة للشعر.. ولعل الرواية، بفصولها وغاياتها، وبنفسها الملحمي الطويل، سيضيقُ عنها وقتُ الإنسان المعاصر المشدود إلى زمن السرعة، فَمَنْ من الجيل اللاحق سيصبر على قراءة تولستوي، ودستويفسكي، وزولا، وجوركي، وغيرهم ممن صنعوا الملاحم الروائية؟ فهل هو زمن للرواية.. كما يقال؟

أم سينوبُ عنها، في الوراثة السّردية، حفدةٌ لها، تقصر، وتقصر، حتى تشاكِل بنية النّص الشعري.

وهل هو زمن للشعر؟

وقد انحدرنا ـ نحن العرب ـ من سلالة المعلقات، والمقطعات، والمسمطات؟

إن أمامنا ـ نحن العرب ـ في الميدان الأدبي، رهان التحدي: الاحتفاظ بروح الشعر فينا، في غمار التراكم الإبداعي الذي صنعته الرواية الوافدة علينا.. لنحقق عملية التوازن بين الأصيل فينا والوافد علينا.

الهوامش:

1ـ كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت:255هـ)، 72/1، شرح وتحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، لبنان.
يقول الجاحظ: «ثم إن العرب أحبت أن تشارك العجم في البناء، وتتفرد بالشعر...»، ثم يقول في موطن آخر: «.. وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلم بلسان العرب..» ص74 من الجزء الأول.

2ـ انظر كتاب «مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم»، أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية، كلية الآداب منوبة، تونس، من 22 إلى 24 نيسان/أبريل 1993م...

3ـ انظر العدد الخاص من مجلة «فصول» المصرية عن الرواية.

4ـ هناك عشرات المراجع التي تناولت الموضوع، ابتداء من كتاب د. عزالدين إسماعيل، إلى د. إحسان عباس.. إلى غيرهما من اللاحقين. دون أن ننسى الرواد الأوائل في هذا المجال من الدراسات، ككتاب الشاعرة العراقية نازك الملائكة، وكتاب النويهي... والمجال هنا لا يسمح بعرض القضية بالمنظور (الأكاديمي).
ثم إن قضية تحديد الأسبقية في اختراق قانون الخليل بن أحمد، أصبحت متجاوزة؛ فالشعر أدب، والأدب من العلوم الإنسانية.. وهذه مشاعة، ويصعب على أي مؤرخ أن يرصد السابق فيها من المسبوق...

5ـ من الشعراء الذين زاوجوا بين النقد والدراسة الأدبية من جهة، والكتابة الشعرية من جهة أخرى، صلاح عبدالصبور في عدة كتب له، أهمها «حتى تقهر الموت»، و«قراءة جديدة في شعرنا القديم». كما أن أحمد عبدالمعطي حجازي، والشاعر السوري أدونيس (علي أحمد سعيد) في المشرق العربي، شغلتهم هموم النقد والدراسة. وفي المغرب العربي، هناك الشاعر أحمد المجاطي (المعْداوي) الذي قارب «أزمة الحداثة في الشعر العربي المعاصر».

6ـ لقد حاول العقاد، والمازني، (من جماعة الديوان) أن يدليا بدلوهما في مجال الشعر ومجال الرواية؛ إلا أنهما لم يحققا ولو نصيباً قليلاً من الطموح الذي راودهما، لا في الشعر ولا في الرواية.. وإن كان العقاد أميل إلى الانتصار للشعر لا للرواية. انظر كتابه الصغير «في بيتي»، سلسلة اقرأ. وانظر كتاب الأستاذ خليفة التليسي «قصيدة البيت الواحد» ص34 (كتاب الشعب، رقم 4) المنشأة العربية للنشر والتوزيع والاعلان. (1392هـ ـ 1983م) طرابلس. أما العقاد، فمقالته الشهيرة، تقول: (إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذي يعطيكه بيت...)

7ـ فقد حاولت ندوة فاس 12/9 تشرين الأول/أكتوبر 1994م) في دورة «أبوالقاسم الشابي» أن تجيب عن هذه التساؤلات، ويكاد الإجماع ينعقد على أن الأزمة مركّبة.
وستطبع أعمال هذه الندوة ضمن منشورات مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، كما أن أطروحة الشاعر أحمد المجاطي عن «أزمة الحداثة في الشعر العربي المعاصر» قد حاولت تشخيص الداء، ولو أن الطبيب كان قاسياً جداً...

8ـ يمكن للباحث الميداني أن يخرج بحصيلة في هذا الموضوع؛ لأن مجال التأليف، خاصة في المغرب ـ في مجال الدراسات الأدبية ـ استحوذ عليه النزوع إلى تفكيك الأعمال السردية، ويكاد ينفرد بالمجال الشعري كل من الأستاذ محمد مفتاح، والأستاذ أحمد الطريّسي أعراب، وقد ينسحب القياس ـ نسبياً ـ على المساحات الثقافية العربية (من الماء إلى الماء).
وقد يعزى العزوف عن مقاربة الشعر إلى ضعف الآليات المسْعفة، وإلى نُضُوب المواهب الشاعرة، لدى الدارسين والباحثين.. لا النقاد! لأن الفيصل حاصلٌ بين الناقد، كناقد، وبين الدارس كباحث!

العيد.. رؤية حضارية

طارق عبدالفتاح شديد

منذ نحو ستين عامًا، كتب أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي مقالاً نشره في مجلة الرسالة، وضمنه الجزء الأول من كتابه الذائع الصيت «وحي القلم» عن اجتلاء المعنى الحقيقي للعيد في الإسلام.. فقال: «ما أشد حاجتنا - نحن المسلمين - إلى أن نفهم أعيادنا فهما جديدًا، تتلقاها به ونأخذها من ناحيته، فتجيء أياما سعيدة عاملة، تنبه فينا أوصافها القوية، وتجدد نفوسنا بمعانيها، لا كما تجيء الآن كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى، أكبر عملها تجديد الثياب، وتحديد الفراغ، وزيادة ابتسامة على النفاق.

فالعيد إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليوم نفسه، وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم؛ وكان العيد في الإسلام هو عيد الفكرة العابدة، فأصبح عيد الفكرة العابثة، وكانت عبادة الفكرة جمعها الأمة في إرادة واحدة على حقيقة عملية، فأصبح عبث الفكرة جمعها الأمة على تقليد بغير حقيقة؛ له مظهر المنفعة وليس له معناها..

كان العيد إثبات الأمة وجودها الروحاني في أجمل معانيه، فأصبح إثبات الأمة وجودها الحيواني في أكثر معانيه، وكان يوم استرواح القوة من جدها، فعاد يوم استراحة الضعف من ذله؛ وكان يوم المبدأ، فرجع يوم المادة!»(1).

ورغم مرور العقود الطويلة على هذه الكلمات المعبرة، إلا أننا نستشعر أنها كتبت لتخاطب المسلمين في واقعهم المعاصر؛ حيث غاب عنهم الفهم الصحيح والعميق للمعاني الرفيعة والأهداف السامية التي تنعشها أعيادهم، كما زاغت رؤيتهم وغاب عنهم الفهم العميق لأكثر قيمهم ومفاهيمهم الإسلامية الأخرى.

إن المسلمين يستقبلون عيديهم: عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى المبارك، ويتبادلون التهاني يومًا أو يومين أو ثلاثة أيام، ثم يعودون إلى حياتهم الصاخبة بجميع ما فيها من ألوان وأساليب المعاملة والكد والعمل، وقليل منهم من ينتبه إلى شيء من معاني العيد التي قصد إليها الإسلام وأراد منهم أن يفقهوها، ويعملوا على تحقيق هدفها وغايتها؛ فيحصلوا على خيرها وينعموا بفضلها وثمارها في أنفسهم، وفيما بينهم.. لاينتبه كثير منهم إلى شيء من تلك المعاني سوى الانطلاق والحرية في المأكل والمشرب بالنسبة لعيد الفطر، وسوى كثرة اللحوم التي يملؤون منها البطون بالنسبة إلى عيد الأضحى!..

وفي ظل هذه المعرفة المادية، التي جعلت معنى (العيد) في تصورهم وحياتهم شأنا جسمانيا بحتا، نسي الناس - أو تناسوا - المعاني الحقيقية التي ربطها الإسلام بهذين اليومين حينما اتخذهما عيدين للمسلمين، والتي ترجع في حقيقتها إلى عوامل التقويم الخلقي، والتركيز في بناء الأمة ونهضتها، والسير بها في طريق التقدم الذي يوحي به استحضار تلك المعاني(2).

لقد غاب عن المسلمين أن المعنى المباشر للعيد هو فرحة المسلم بتوفيق الله في أداء ما افترضه عليه - الصوم قبل عيد الفطر، والحج قبل عيد الأضحى -، واستبشاره بقبول الرحمن ورضاه، لا تلك الفرحة الساذجة التي تقف عند حد الزهو بالجديد، والشدو بالمظاهر الخلابة وبكل ما له بريق.

وغاب عنهم استيعاب أن فكرة العيد في الإسلام لم ترتبط بمناسبة دنيوية أو بما يمكن أن يكون صورة من صور النفاق الاجتماعي الذي تعارف عليه الناس، وإنما يزف الإسلام فرحة العيد بانتصار إرادة المسلم على الشهوات، ومعارك القرب والتقوى، ومعارك السمو بالروح والنفس؛ حيث ارتبط العيد بالتوفيق في أداء الفريضة، وبذلك يبقى معنى العيد في الإسلام متجددًا بتجدد الأعوام، ويبقى ميراثًا أبديًا يبرهن حقيقة خلود الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وإدراك أن للعيد في الإسلام ملمحا مهمًا، وهو التوحيد الإسلامي في الشعور والزمان والصور وفي كل شيء، إلى جانب أن أعيادنا في ذاتها توحيدية لا صلة لها بمظاهر الطبيعة، ولا صلة لها بالمظاهر الوثنية، حيث أوجب الإسلام عبادة الله عبادة مطلقة مجردة من كل تشبيه وتمثيل، واستطاع أن يفهم الناس، حتى العامة منهم، فكرة التوحيد فهمًا واضحًا بينا مقنعا، فاحترم بذلك العقل الإنساني وخلّص الإنسانية من شوائب الوثنية مرة واحدة.

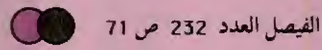
ومعرفة أن الإسلام يقرن العيد بفرحة النظام الاجتماعي والتكافل الاجتماعي معًا.. ورؤية يوم العيد كيوم يحاسب فيه الإنسان نفسه على ما يمكن أن تكون قد جنته من موسمي العبادة في الأيام السابقة على العيد (أيام رمضان وأيام الحج).

واستشعار قيمة الحرية الإنسانية في أعيادنا الإسلامية؛ فهذه الحرية ينبغي في سبيل ممارستها أن تكون تمسكًا بمنهج الله سبحانه وتعالى، وأن صاحبها على استعداد للتضحية في سبيلها بالنفس والمال، ففي عيد الفطر حرية العودة إلى الطعام والشراب في النهار، والثمن زكاة الفطر، وفي عيد الأضحى حرية التحلل الأصغر والأكبر من الإحرام، والثمن ذبح الهدي وكذلك الأضحية(3).

فما أقصى حاجتنا اليوم، إلى رؤية مفاهيمنا وجميع مفردات حياتنا - ومنها الأعياد - رؤية حضارية شاملة عميقة، نستلهم معانيها ونستحضرها في حركتنا وممارستنا، خاصة ونحن نولي وجهنا شطر إسلامنا نستخلص منه مشروعنا للنهضة والخروج من أسر دائرة التخلف والجهل والتبعية.. تلك المعاني التي كانت حاضرة في ضمائر سلفنا الصالح وقلوبهم، فشيدوا وبنوا أمة الإنسانية الموحدة والموحِّدة، أمة التحاكم إلى الحق والعدل، والعلم والحكمة، والهدى والرشاد، أمة التعمير والبناء، والسعادة في الدنيا والآخرة، والشهادة على الناس أجمعين.

الهوامش:

1- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، ص34وما بعدها.
2- محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ص221.
3- طارق عبدالفتاح شديد: مجلة «التضامن الإسلامي» (الحج الآن)، وزارة الحج بمكة المكرمة، السنة الثامنة والأربعون، الجزء الرابع، ص42:.44





صداقة ذوي السلُطة

د. محمود جبر الربداوي

قال إبراهيم بن العباس الصُّولي عندما نكبه محمد بن عبدالملك الزيّات يعتب على صديقه الحميم الحارث النديم:

تغيّرتَ لي، فيمن تغيَّر، حارثُ
وكم من فتًى قد غيَّرتْهُ الحوادثُ
أحارثُ إنْ شوركتُ فيك فطالما
نَعِمنا، وما بيني وبينك ثالثُ

وكتب بهرام بن عبدالعزيز بن جلال الدولة إلى المهذب أبي نصر محمد بن مرزوق بهذين البيتين متمثلاً، فأجابه المهذب:

فلا، وأبي، ما إن تغيَّر حارثُ
ولا عبثتْ بالودِّ منه الحوادثُ
ولستُ بمن يعتاض غيرك ثانيا
فيدخل ما بيني وبينك ثالثُ

وكتب المعتمد بن عباد إلى وزيره ابن عمار عند تغيُّره عليه بهذين البيتين، فأجابه ابن عمار:

لكَ المَثَلُ الأعلى، وما أنا حَارثُ
إذا غيَّرتْ منه عليكَ الحوادثُ
وما شاركتك الشمس فيَّ، وإنه
لينأى بحظي منك ثانٍ وثالثٌ
فديتُكَ، ما للبشْرِ لم يَسْرِ برقُه
ولا نفحتْ تلك السجايا الدمائث؟(1)
أظن الذي بيني وبينك أذْهبتْ
حلاوتَه عنكَ الرجال الأخابثُ
تنكرتَ، لا أنِّي لفضلك كافرٌ
جَحُودٌ، ولا أنِّي لعهدك ناكثُ
ولكنْ ظنونٌ ساعدتْها نمائمٌ
كما ساعدت صوتَ المثاني المثالثُ
فنحتٌ يدًا بي هكذا وتركتني
نهابًا، وللأيام أيدٍ عوابثُ
وما أنا إلاّ عبدُ طاعتك الذي
إذا متُّ عنها قام بعديَ وارثُ
أعِدْ نظرًا، لاتعْجل الرأيَ، إنه
قديمًا كبا هافٍ وأدرك رائث(2)
ستطلبني إن بان حبلي وأصبحتْ
تحلّ بكفيك الحبال الرثائثُ
وتَذكرني إنْ غاب للرأي خاطرٌ
وقد مات مني للخواطر باعثُ
أعوذ بعهد نُطنُهُ بك أن يُرى
تَحُلُّ عُرَاهُ العاقدات النوافثُ(3).

استأثر الحديث عن الصداقة والصديق بجهودٍ كبيرةٍ من الأدباء، سواء أكانوا شعراء أم كُتَّابًا؛ ذلك لأن الصداقة ظاهرة اجتماعية، لايخلو منها مجتمع من المجتمعات سواء في القديم أم الحديث، وسواء أكان مجتمعًا بدويًا أم حضريًا؛ ولأن الإنسان اجتماعي بالطبع ـ كما يقرر علماء الاجتماع ـ فلابد له من إقامة علاقات بين أفراده، تتصف بالمودة والحب والقبول تارة، وبالبغض والكره والنفور تارة أخرى. ومن هذه العلاقات الإيجابية حينًا والسلبية حينًا آخر تنشأ الصداقة، وتنمو، وتتطور بين اثنين أو أكثر من أفراد الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين.

ويصنّف العلماءُ الصداقات القائمة بين البشر إلى صنفين، حسب الدوافع والحوافز والمنافع التي تساعد على نشوء الصداقة: الصنف الأول: دوافع منفعية، يهدف أحد الصديقين، في هذا النوع، إلى جلب مصلحة أو منفعة من الصديق الآخر، قد تكون عاجلة أو آجلة، مادية أو معنوية، ظاهرة أو خفية. والصنف الثاني: الصداقة الخالصة لوجه الصداقة المبرأة من المنافع أيًا كان نوعها، وهي بمقدار ما تبتعد من الجانب المادي أو المنفعي تقترب من الحب الأفلاطوني، الذي يحمل شعار الصداقة للصداقة، وإن كان هذا الصنف أقل الصنفين إلا أنه لايخلو منه مجتمع من المجتمعات.

وتاريخ الشعر العربي يوقفنا على أنماط مختلفة من الحديث عن الصداقة، ويصوّر لنا شتى أشكال الصداقة وموقف الشعراء والكتّاب منها، ومنذ العصر الجاهلي وقف امرؤ القيس ليعلن تغيّر الصديق على صديقه، ، وتنكره لمودته فقال:

إذا قلتُ: هذا صاحب قد رَضِيتُه
وقَرَّتْ به العينانِ بُدِّلت آخَرا
ألا ليت شعري، ما أصاحب صاحبًا
من الناس إلا خانني وتَغَيّرا

وهذا بشار بن برد دلَّته تجربته في الحياة على أنْ يَقْبَل صديقه بكل علاَّته، وأن يغضَّ الطرف عن بعض مساوئه، ليستمتع ببعض حسناته في أبياته المشهورة:

إذا كنتَ في كل الذُّنوب معاتبًا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وهذا أبو حيان التوحيدي يؤلف كتابًا في «الصداقة والصديق». أمّا ما تناثر من حديث عن الصداقة والصديق والألفة والأُلاّف في كُتب الأدب فهو أكثر من أن يُحصى. وطَلَعتْ علينا في العصر الحديث كتب تتحدث عن كسب الأصدقاء، وتقدم القواعد الأخلاقية والسلوكية لجذب الأصدقاء معتمدة في ذلك على مبادئ علم النفس ومسلّمات علم الطباع؛ كالكتاب الذي ألفه ديل كارنيجي بعنوان «كيف تكسب الأصدقاء؟».

غير أنني أريد أن أمسك زمام القلم الذي استفاض في الحديث عن الصداقة. والحق أن الحديث عن الصداقة يُغري القَلم بالاسترسال؛ لأن الموضوع متعدد الجوانب متفاوت الأبعاد، وأكتفي بالحديث عن لون واحد من ألوان الصداقة، وهو صداقة الناس لرجال السلطة؛ فقد عرض لنا التاريخ السياسي نماذج كثيرة من صداقة الناس للرجال الذين يكونون في مواقع السلطة، ورغبة البشر في التقرب من ذوي الجاه والسلطان، وهذا شيء طبيعي مسوَّغ عند الباحثين عن صنف الصداقة الأول: الصداقة المنفعية أو (المصلحية). ولكن المرفوض اجتماعيًا وأخلاقيًا أن يتنكر هؤلاء الأصدقاء في الغد لأرباب نعمتهم بالأمس، عندما تنقلب أوضاع رجال السلطة وتعصف بهم السياسة فتحط بهم من عل إلى أدنى، فينفضّ الناس من حولهم، وأقلّ ما يفعلونه أنهم يكفّون عن صداقاتهم، ويتحاشَوْنَ مُلاقاتهم، ويؤثرون الابتعاد عنهم، خوفًا من أن ينالهم سوء من هذه الصداقات التي جرَّتْ لهم منافع في يوم من الأيام، ونعموا بفيء ظلالها أيام كانت سلطة هؤلاء الناس وارفة الظلال. ولايعوزنا المثال على ذلك؛ فمما يُستشهد به في هذا المجال ما ذُكر عن إبراهيم بن العباس الصولي الذي كان واليا على الأهواز في زمن وزارة صديقه محمد بن عبدالملك الزيات، فما كان من محمد إلا أن غضب من إبراهيم وسخط عليه وأمعن في الانتقام منه لاعتبارات لا لزوم لذكرها، فانفضّ الناس من حول إبراهيم، وتحاشَوْا مجالسته، ومنادمته خشية أن ينالهم سخط السلطة، حتى إن صديقه المفضَّل الحارث بن بُسخُنَّر(4) المغنّي الذي كان ملازمًا له أيام الرخاء والعز والرفاهية انقطع عنه وتحاشى لقاءه، وتوالى انقطاعه عنه ردحًا، فلما استمر غيابه، وطال تحاشيه، كتب إليه إبراهيم بن العباس الصّولي البيتين التاليين عاتبًا عليه. قال:(5)

تغيّر لي فيمن تغيّر حارثُ
وكم من خليل غيّرته الحوادثُ
أحارثُ، إن شوركتُ فيك، فطالما
غَنِينا وما بيني وبينك ثالثُ

لقد قُيِّض لهذين البيتين أن يسيرا وكأنهما من سوائر الأمثال وشوارد الأبيات، فكلما انقلب الزمان على شخص، وتبدل عزه ذلاً، وتفرق الأصدقاء والأخلاء من حوله، تمثّل بهذين البيتين. وكذلك فعل بهرام بن عبدالعزيز بن جلال الدولة عندما تغيّرت به الحال، حيث كتب بهذين البيتين لصديقه المهذب أبي نصر محمد بن مرزوق متمثلاً، فرد عليه المهذب ببيتين غايةً في لطافة الرد. قال المهذب:

فلا، وأبي، ما إن تغيّر حارثُ
ولا عبثتْ بالود منه الحوادث
ولستُ بمن يعتاض غيرك ثانيًا
فيدخل ما بيني وبينك ثالث

وانتقل التمثُّل بهذه الأبيات التي سارت مسير الأمثال من الأوساط السياسية المشرقية إلى أوساط السياسة المغربية وتحديدًا في الأندلس، وكان ممن تمثّل بهذين البيتين المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية وقرطبة وما حولهما، واتسع سلطانه إلى مدينة مُرسية، وأناب مكانه في مرسية وزيره المشهور ابن عمار وهو وزير أديب ينسب إليه البيتان المشهوران:

مما يُزهِّدني في أرض أندلسٍ
أسماء معتمد فيها ومُعتضدِ
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهرّ يحكي انتفاخًا صولة الأسد

ولكن ابن عمار عندما تمكن بمرسية عصى بها وتملكها، فخاطبه المعتمد متمثلاً بيتيْ إبراهيم بن العباس الصولي على القافية الثائية: تغير لي فيمن تغيّر حارث... الخ، فرد عليه ابن عمار بقصيدة على قافية الثاء ـ على وعورة في هذه القافية ـ ردًا (دبلوماسيًا) ليس فيه صلف المتمرد، فقال:

لك المثل الأعلى، وما أنا حارث
إذا غيَّرتْ منه عليك الحوادثُ
وما شاركتك الشمس فيَّ، وإنه
لينأى بحظي منك ثانٍ وثالث...

الخ الأبيات التي هي موضوع حلقتنا، ولكن هذه الحيلة الدبلوماسية لم تنطلِ على المعتمد، وقابله بالتلطف في الحيلة إلى أن دُفع ابن عمار في يده فذبحه صبرًا بإشبيلية، ثم دارت الأيام وعصفت السياسة بالمعتمد فألقته في غياهب السجون، فظل في سجن (أغمات) حتى وافته المنية. وللحديث عن قصة مأساته والشعر الذي رافق تلك المأساة مكان آخر. أما الأبيات الثائية وبطلها الحارث فمازال الناس يتمثلون بها كلما تبدلت الحال برجل من أصحاب السلطة، وما أصدق ما قاله الشاعر في هذا الصدد حينما قال:

ماالناس إلاّ مع الدنيا وصاحبها
فكيف ما انقلَبَتْ يومًا به انقلبوا
يُعَظِّمون أخا الدنيا، فإن وثَبَتْ
يومًا عليه، بما لايشتهي، وثبوا

الهوامش:

1ـ السجايا الدماثث: السجايا السمحة.
2ـ هافٍ ورائث: متعجل ومبطئ.
3ـ نطته: علقته. النوافث: السواحر اللواتي ينفثن في العُقَد، وفي ذلك إشارة إلى الآية: ﴿ومن شرّ النفّاثات في العُقَد﴾ الفلق:4.
4ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، طبعة دار الكتب 45/10.
5ـ الدر الفريد في بيت القصيد، لمحمد بن آيدمر 155/2.

كتب التراث بين عرض وحلول

محمد سعيد المولوي

تطلق كلمة التراث لغة على الإرث والورث. ونصت بعض المعاجم على ذلك؛ فقد أورد لسان العرب عن ابن الأعرابي قوله: «الوِرثُ والإِرث والوَراث والإِرَاث والتُّراث واحد(1).

لكنّ كلمة التُّراث تتسع في عصرنا الحاضر بمعناها لتصبح دالة على كل ما ترك لنا الآباء والأجداد من ثقافة وفكر وفنون وآثار متنوعة. وقد خلف لنا الآباء والأجداد تراثًا ضخمًا متفردًا في خصائصه لا يوازيه تراث آخر لدى الأمم الأخرى. وما لدى أمم الأرض من تراث متنوع ومختلف ومتمايز في صوره وخصائصه هو تراث للبشرية وللإنسانية جميعًا تشترك فيه، ويمكن أن تستفيد منه.

ونجد أن كلمة التراث في دلالتها المذكورة آنفًا قد وردت في كتابات كثير من المفكرين والباحثين؛ ففي تقديم كتاب تراث الإسلام: «إن كلمة تراث لا تُفهم هناك في الغرب ولا يجب أن تُفهم هنا في الكتاب بمعنى الإرث الذي مات صاحبه، ولكن بمعنى ما قدمت هذه الأمة أو تلك إلى سوق الإنسانية من خير، وما أضافت إلى حضارة الإنسان من منجزات وقيم، وما تركته من أثر في الناس»(2).

ضخامة التراث الفكري الإسلامي

وإذا كانت كلمة تراث قد حملت في عصرنا الحاضر المعاني المختلفة التي أشرنا إليها سابقًا، فإننا نقصد في بحثنا هذا تخصيصًا لهذا العموم، ونعني بكلمة التراث ما خلّفه لنا آباؤنا وأجدادنا من كتب ومخطوطات؛ وما يعانيه هذا التراث من أخطار وصعوبات، وما يمكن أن يقدم لإخراج هذا التراث مما يعانيه من صعوبات.

ونحب أن نشير بداية إلى بعض الخصائص والحالات التي خضع لها هذا التراث أو لايزال يخضع، فإنه لا يمكن إدراك الأخطار ومعرفة الحلول ما لم نلم بهذه الخصائص، ونصف هذه الحالات التي تعطي الجو العام والخاص الذي يخضع له هذا التراث.

مما لا شك فيه أن هذا التراث تراث ضخم غني في عدده ومضمونه وقيمته التاريخية، والمتقصي لواقعه يجد أنه ندر أن يوجد مثله عند أية أمة من أمم الأرض اليوم. فما من أمة اتصل حاضرها بماضيها لغةً وأدبًا وفقهًا وعلمًا وتاريخًا.. كما اتصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها مكونًا وحدة عضوية متصلة لا انقطاع فيها. وإذا كان الناطق باللغة الإنجليزية اليوم يجد صعوبة في قراءة أدب شكسبيرالذي نشأ قبل أربعة قرون؛ فإن الطالب العربي في المرحلة الثانوية في أية مدرسة عربية قادر على أن يقرأ شعر الأعشى وامرئ القيس المنظوم في العصر الجاهلي الذي يرجع إلى أكثر من أربعة عشر قرنًا مضت بسهولة أكبر من قراءة من يقرأ شعر شكسبير.

وقد بلغ هذا التراث حدًا من الضخامة والوفرة في العدد، بحيث أصبح عسيرًا على أي باحث أن يحصي أعداد هذه الآلاف المؤلفة من المخطوطات. وأذكر أني حين انقطعت للاطلاع على المخطوطات الموجودة في مدينة استانبول، ذُكر لي أن عدد المخطوطات الموجودة في المكتبة السليمانية وحدها يبلغ مائة وخمسين ألف مخطوطة. فما بالك إذا أضفت إلى ما في هذه المكتبة ما يوجد في مكتبات أخرى كأيا صوفيا وكوبرللي وبيا زيد والجامعة وضوله باهجه.. الخ، وما يوجد في المكتبات الأخرى والمساجد المتناثرة في أرجاء تركيا.

وإذا انتقلنا إلى إيران كان الأمر مشابهًا، ومع أنه لم تتهيأ الفرصة كاملة لتعرف المخطوطات الموجودة في المكتبات العامة والخاصة هناك، فإن استذكار أسماء بعض هذه المكتبات قد يقرب الصورة إلى ذهن القارئ. فمن هذه المكتبات: المكتبة الوطنية في طهران، ومكتبة الجامعة المركزية، ومكتبة مجلس الشورى، وهي من أقدم مكتبات إيران، وفيها مجموعة كبيرة من المخطوطات المهداة إليها من طريق الوقف(3)، ومكتبة سيباسالار التي تضم أربعة آلاف مخطوطة نادرة(4)، ومكتبة المرعشي في قم التي تحوي خمسة وعشرين ألف مخطوطة.

فإذا استحضرنا في الذاكرة أن هذا التراث قد طاف في أرجاء الأرض وتناثر في جنباتها فاستقر في مكتبات البلاد الأجنبية(5) والعربية والإسلامية، وحاولنا أن نتصور مقدار هذه المخطوطات أدركنا أي تراث ضخم خلفه آباؤنا.

إن وجود هذا العدد الضخم من التراث وتناثره في أرجاء الأرض قد أحدثا مشكلة يعسر إيجاد حل لها، وهي صعوبة الإحاطة بهذا التراث وتصنيفه وتهيئته للاستفادة منه من غير تضارب أو تداخل، وهي مشكلة سنتعرض لها

السلب والإيجاب

(الحلقة الأولى)

فيما يأتي من بحثنا هذا.

ولا يخفى أن هذا التراث قد استقطب اهتمام الباحثين والمحققين والأدباء منذ زمن بعيد. وكان المستشرقون من السباقين إلى هذا التراث دراسةً وتحقيقًا وتقديمًا وطباعةً، وقد صدرت طبعات متقدمة من كتب التراث بعناية المستشرقين(6) أودعوها جهودهم وآراءهم. وبصرف النظر عن قيمة هذه الآراء، والصدق الذي صاحبها أو لم يصاحبها، فإن هذه الجهود كانت تجربة حية أغرت الباحثين من العرب والمسلمين بالالتفات إلى هذا التراث وإعطائه ما يستحق من العناية.

ولم يكن هذا التراث بحاجة إلى تحقيق ودراسة فحسب؛ بل كان بحاجة، قبل ذلك، إلى تسجيل وإحصاء. وإذا كانت كتب الفهارس(7) والمشيخات التي عهدها المسلمون قديمًا هي الخطوة الأولى والسباقة في هذا المضمار؛ فإننا لم نعدم في بدء العنايةَ بكتب التراث من تسجيل الكتب وذكر أسماء مؤلفيها، وكان لحاجي خليفة القدح المعلَّى في هذا الميدان، ولا يزال الباحثون حتى يومنا هذا يرجعون إلى ما تركه هذا المؤلف من كتاب نفيس وقيم(8). وقد نبغ عدد كبير من المؤلفين الذين أعطوا كتب التراث حقها من التسجيل(9) والجمع والتعريف ضمن ترجمتها أو الترجمة لأصحابها(10).

بدء الاهتمام بالتراث في العالم العربي

ومع بداية عصر النهضة كان لابد أن تعم تلك النهضة كتب التراث، فتتسع الجهود التي أعطت هذا التراث مزيدًا من الاهتمام والعناية وتكثر. وازدادت العقول والأقلام التي التفتت إلى هذا التراث تنظر إليه بعين التقدير، وتعتقد ضرورة خدمته وبعثه من جديد. فقد امتدت النشاطات إلى مراكز أخرى في الميدان الثقافي وانضمت هذه النشاطات إلى حلبة خدمة التراث وإخراجه إلى النور. ومن هذه المراكز الجامعات التي أنشئت في أنحاء مختلفة من الوطن العربي؛ فقد كان من جملة نشاطات هذه الجامعات تكليف طلابها دراسة بعض كتب التراث وتحقيقها، وشجعتهم على ذلك بمنحهم درجات علمية تعطيهم مكانة خاصة في الميدان العلمي والأدبي، وتؤهلهم لممارسة نشاطاتهم العلمية في الجامعات وغيرها.

وكان بعض الطلاب العرب قد مارسوا هذه التجربة في وقت مبكر لدى الجامعات الغربية فقدموا دراساتهم إلى أساتذتهم في هذه الجامعات، وحصلوا على إرشاداتهم وتوجيهاتهم، وأحيانًا على شكوكهم وريبهم(11)، وحملوا آراءهم وأفكارهم ومناهجهم وطرائقهم ونقلوها معهم إلى بلادهم حين عادوا إليها فطبقوها، وطالبوا طلابهم بتطبيقها، فاتسعت الدائرة وعمت عددًا كبيرًا من الكتب التراثية، وقُيِّض لهذه الكتب أن ترى النور مزودة بميزات التحقيق والدراسة التي اكتنفتها.

ونحن لا نريد أن نسمي جامعة دون أخرى في هذا الميدان فقد كانت الجامعات المتقدمة الإنشاء سباقة إلى خدمة كتب التراث، ولكن الجامعات الحديثة لم تعدم شرف هذه الخدمة بعد أن كثرت التجارب والخبرات واستفادت من هذه التجارب والخبرات فائدة كبيرة، فأصبح الجهد أكثر والعمل أكبر والفائدة أعم.

واستطاعت هذه الجامعات أن تنقي كثيرًا من الجهود من الأدران التي علقت بها قديمًا، وبانت صورة الهدف الذي تتطلع إليه هذه الجامعات أكثر نقاء وصفاء وأشد بريقًا وتأثيرًا.

ولا يخفى أن الإمكانات المادية التي تتمتع بها الجامعات تفوق كثيرًا الإمكانات الفردية التي يمكن أن تخدم التراث وتساهم في نشره، ولا تزال التوصية بالتبادل في المرتبة العلمية الممنوحة من قبل لجان المناقشة لرسائل الدكتوراه حلمًا لكل دارس من دارسي التراث. فهذه التوصية مفتاح لقفل احتجاب هذا الكتاب، ونور يضيء له الدرب إلى أيدى القارئين والمستفيدين.

إن الدور المزدوج الذي قامت به الجامعات ولا تزال تقوم به قد ساهم بشكل مقبول ونافع في نشر التراث، ولكن المتقصي لمجموع ما طبعته هذه الجامعات من كتب محققة يجد أن الدور الذي كان يرجى لهذه الجامعات أكبر وأعظم. وربما كان لدور المنافسة الذي قامت به مؤسسات أخرى سنشير إليها ـ بإذن الله ـ ما أضعف دور الجامعات في الطباعة.

ومن هذه المؤسسات المنافسة ـ والمنافسة هنا خير وبركة ـ بعض المؤسسات والدوائر الحكومية التي أخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على كتب التراث وتحقيقها ونشرها. فقد انتشرت الأوقاف الخيرية في جميع أطراف العالم الإسلامي، فَوُقِفَت المدارس والمساجد والتكايا، ووُقفَ عليها البَساتين والضياع والدور والقرى والحَمامات لتقوم بنفقتها.

ومن أهم ما وقف على هذه المساجد والمدارس والتكايا الكتبُ المختلفة التي ملأت خزائنها وكانت عونًا للطلبة في تحصيل العلوم والآداب.

ومع مرور الأيام فُقد كثير من هذه الكتب، فتنبهت دوائر الأوقاف إلى الخطر المحدق بهذه الكتب، فبادرت بعض هذه الدوائر إلى إحصائها وجمعها والتعريف بها، كما بادرت

تقاعس بعض دوائر الأوقاف عن حفظ المخطوطات ترك الفرصة لسُرَّاق كتب التراث والمتاجرين بها أن تمتد أيديهم إلى ما في مكتبات الأوقاف سرقة وبيعًا

إلى الاستعانة ببعض الأساتذة الدارسين والمحققين؛ فعكفوا على بعض هذه المخطوطات دراسة وتحقيقًا وتهيئة للطبع. ورأت بعض هذه الكتب النور.

ومن المؤسف أن نذكر أن كثيرًا من دوائر الأوقاف قد تقاعست عن تأدية هذا الدور مما ترك الفرصة سانحة لسُرَّاق كتب التراث والمتاجرين بها أن تمتد أيديهم إلى ما في مكتبات الأوقاف سرقة وبيعًا، وخسر العالم الإسلامي قسمًا لا يستهان به من تراثه بسبب هذه الإساءات.

وإذا كان ما سبق يشكل إحدى الصور السلبية التي أحاطت بالتراث، فإن هناك صورًا إيجابية عديدة ومشرفة تبعث على الراحة في النفس. وتتركز هذه الجهود في المكتبات والمراكز العلمية لحفظ المخطوطات وتصنيفها، والمجامع العلمية ودور النشر.

وتبرز المكتبات العامة أهم عنصر فاعل في هذا الميدان، وكان الغربيون هم السباقين إلى إعطاء مكتباتهم الدور الكبير في احتواء كتب التراث العربي الإسلامي، حيث قامت إدارات هذه المكتبات بجمع كثير من المخطوطات العربية عن طريق الشراء أو السرقة التي قام بها المستعمرون للبلاد الإسلامية. وقد صنفت هذه المخطوطات ووُضعَت لها الفهارس المعرِّفة بها، كما مُدَّت يد العناية والصيانة إليها فرُمِّم ما تعرض منها لعوادي الزمن من أرضة أو رطوبة أو تكسر أو تمزق...الخ. كما قامت هذه المكتبات بتصوير هذه الكتب على شرائح لدنة (ميكروفيلم)، وحفظت هذه المخطوطات في أجواء خاصة وخزائن معينة مهيأة بأسباب وأدوية خاصة للمحافظة عليها من التلف. وأصبح في مقدور المراجع لها أن ينال أربه من الاستفادة من المخطوطة التي يريد؛ بالرجوع إلى هذه الشرائح على مُكَبِّرات ضوئية مساعدة على القراءة، حيث تبقى الأصول المخطوطة محفوظة ومصونة من الضياع أو التلف إلى جانب وجود نسخة احتياط مصورة يمكن الرجوع إليها دون المساس بالنسخة الأم.

وقد اتسعت ظاهرة حمل المكتبات لمسؤوليتها نحو كتب التراث لتعم بعض المكتبات الموجودة في العالم الإسلامي، فأقيم في مكتبة جامع السليمانية في إستانبول مركز للجمع والصيانة والتصنيف والترميم والتصوير، كما أقيم في مكتبة دار الكتب المصرية مركز آخر حيث صُنِّفت الكتب المخطوطة التي دخلت الدار وأحيطت بالرعاية ووضعت لها الفهارس اللازمة(12)، وأقيم لها فرع لتصوير المخطوطات، وتمكّن الدارسون من الاستفادة من هذه الكتب.

ومع ضعف الإمكانات التي كانت متوافرة في المكتبة الظاهرية بدمشق فإن هذه الإمكانات استطاعت أن تحفظ قسمًا كبيرًا من التراث الذي كانت تحفل به هذه المكتبة من الضياع أو التلف. ولكن الأمر أصبح أكثر إتقانًا وأعظم إفادة بعد إنشاء مكتبة الأسد التي زوِّدت بالأجهزة المتطورة والموظفين المختصين، وكرست الجهود بحق لإلحاق هذه المكتبة بمصاف المكتبات العالمية الأخرى التي تخدم هذا التراث.

ولا يخفى أن الدور الرائد الذي اتخذته المكتبات في البلاد الأجنبية كمكتبة المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية في باريس في تصوير المخطوطات والحفاظ عليها وتصنيفها ووضع الفهارس لها المعرِّفة بها لم يكن هو الحافز الوحيد للمكتبات في العالم الإسلامي كي تنطلق في الميدان نفسه، ولكن كان هناك حافز نفسي داخلي قام في نفوس الغيورين والخائفين على هذا التراث دفع بهم إلى تأدية الدور ذاته، ومحاولة الزيادة عليه، يحدوهم انتماء شعوري بالأصالة والواجب يجعل عملهم أكثر التصاقًا وجدًا في تأدية الواجب.

وقد وقف إلى جانب المكتبات عضدًا في خدمة كتب التراث والتعريف بها وصيانتها وطباعتها بعض المجامع العلمية التي قامت منذ مطلع القرن العشرين في البلاد العربية. ويبرز في هذا الميدان مَعْلَم لا يوازيه معلم: المجمع العلمي العربي بدمشق، فقد قيض الله لهذا المجمع عوامل فعالة في حفظ التراث، منها الصلة المكانية والمباشرة بين هذا المجمع والمكتبة الظاهرية، والتداخل بين بعض الأجهزة بينهما حيث يشعر الزائر لأي من هاتين المؤسستين أنهما تتمم إحداهما الأخرى، وأن الوشائج بينهما متينة يصعب تجاهلها. ومن هذه الميزات أيضًا أن الله قيض للمجمع مجموعة من العلماء الغيورين الذين امتلأت قلوبهم حبًا للغة العربية وإخلاصًا لها ورغبة في خدمتها وخدمة كتبها. فلم يكتف هؤلاء العلماء بخدمة اللغة العربية من طريق ما أوجدوه من مصطلحات واشتقاقات، وإنما انصرف قسم منهم إلى كتب التراث يعطونها حقها من التحقيق والدراسة والطباعة، ويخرجونها في أثواب علمية قشيبة تدفع إلى الطمأنينة والثقة، وقد استطاع المجمع العلمي أن يطبع عددًا من نفائس المخطوطات طباعة علمية محققة(13) اشتد الإقبال عليها حتى نفد القسم الأعظم منها.

ومن هذه الميزات أن قسمًا من أعضاء هذا المجمع كانوا مدرِّسين في الجامعات(14)، وكان عملهم العلمي فيها عونًا لهم في دعم جهودهم ودفعهم نحو كتب التراث، فكان هناك تواصل فكري عملي بين ما فعلوه نحو هذه الكتب وبين ما كانوا يقومون به من عمل مؤهلين بالمؤهلات العلمية الكبيرة والعميقة.

وإذا كنّا قد فصّلنا القول في دور المجمع العلمي العربي بدمشق فليس معنى هذا أننا نهمل أو ننتقص أي جهد قد بذلته المجامع الأخرى في هذا الميدان فهي جهود مشكورة ومثمرة.

دور معهد المخطوطات

ومن الواضح أن بحثنا هذا سيكون مبتورًا وناقصًا لو أغفلنا الحديث عن معهد المخطوطات الذي أنشأته الجامعة العربية، فإن هذا المعهد كان بداية لخطوة جبارة لو استكملت حدها لأدت خدمة عظيمة جدًا لهذا التراث العظيم. فقد كانت الغاية الأساسية من إنشاء هذا المعهد اكتشاف كتب التراث وحصرها وتيسيرها والمحافظة عليها. وقد ابتُعث من هذا المعهد عدد من المختصين طَوَفوا في أرجاء الأرض يُنَقِّبون عن نفائس المخطوطات؛ يتعرفونها ويصورونها،

معهد المخطوطات كان تجربة ناجحة أغرت أصحاب العقول وذوي الإخلاص إلى إنشاء مراكز لحفظ كتب التراث والعناية بها جمعًا وصيانة وتصويرًا وفهرسة وتيسيرًا للباحثين والدارسين

كتب التراث بين السلب والإيجاب

وينقلون صورها إلى ذلك الصرح، ويرتبونها ويصنفونها ويضعون لها الفهارس وييسرونها للباحثين والدارسين.

والحقيقة أن هذا المعهد قد قدم خدمة كبيرة للباحثين والدارسين والمحققين وطلاب الجامعات، وأصحاب الرسائل الجامعية، ويَسَّرَ لهم ما بَعُد منهم من الكتب المخطوطة المتناثرة في أرجاء الأرض. ولكن مشكلات السياسة التي ندر أن نجا منها جزء من أجزاء الوطن العربي أصابت هذا المعهد بنارها فرحل عن القاهرة ثم عاد إليها، وبدلاً من أن يسير إلى الأمام أصبح هَمُّ القائمين عليه أن يحفظوا عليه تماسكه. والأمل أن يعود لهذا المعهد نشاطه من جديد بإذن الله.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن معهد المخطوطات كان بداية تجربة ناجحة في ميدان التراث أغرت أصحاب العقول الراجحة وذوي الإخلاص إلى إنشاء مراكز لحفظ كتب التراث والعناية بها جمعًا وصيانة وتصويرًا وفهرسة وتيسيرًا للباحثين والدارسين، وتعريفًا وإعلامًا ودعوة إلى التنسيق بين جهود المحققين. ويأتي في طليعة هذه المراكز مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في مدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة.

وقد يذكرنا مذكر أن هناك مراكز قد سبقت هذين المركزين كالمعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في دمشق، والذي مضى على إنشائه سبعون عامًا، وكان له باع في البحوث والدراسات العربية والمطبوعات التراثية وتعليم الطلاب وطباعة الكتب. وهذا التذكير مقبول من حيث الزمن، ولكن الإمكانات والمخططات والإنجازات التي يتمتع بها هذان المركزان تفوق كل ما عداهما من المراكز المعنية بكتب التراث في الوطن العربي بخاصة. ولعلها تفوق كثيرًا من الإمكانات الموجودة أو الطاقات في مواطن مختلفة من العالم. كما أنه من العسير علينا أن نحصي كل ما هو قائم في خدمة التراث.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

لقد كان إنشاء مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عرفانًا بالجميل لجهود الملك فيصل رحمه الله وتخليدًا لذكراه، ولكنه كان أيضًا لحاجة ضرورية وماسة قامت في المملكة العربية السعودية بعد النهضة التعليمية العظيمة والباهرة التي شهدتها وسجلت نتائج مذهلة وخطت خطوات عظيمة. فقد اقتضت هذه النهضة أن يُلتفت إلى التراث العظيم الذي خلفه الأجداد، ولا سيما ذلك التراث الموجود في مكة المكرمة والمدينة المنورة. فمن المعروف أن هاتين المدينتين هما قبلة قلوب المسلمين ومحط الهوى والحب، وأكبر أمل لأي مسلم أن تتهيأ له الفرصة لزيارتهما والإقامة والجوار فيهما. وقد تحقق هذا الأمل لكثير من علماء المسلمين الذين أرادوا أن يتقربوا إلى الله عز وجل فوقفوا بعض كتبهم على أحد المسجدين الكريمين. وسنتوسع إن شاء الله في هذا الموضوع بعد قليل. لكن الذي يمكن أن نقرره نتيجة الاطلاع الذاتي الفردي أن هاتين المدينتين قد حوتا من نفائس المخطوطات الشيء الكثير. وإذا كانت تركيا تفخر بما لديها من مخطوطات عربية قيمة كثيرة العدد جيدة القيمة التاريخية والعلمية، إلا أننا نستطيع أن نقول بملء الثقة: إن ما يوجد في مكتبات هاتين المدينتين مكة المكرمة والمدينة المنورة من كتب نفيسة قيمة يوازي ما يوجد في تركيا أو قد يفوقه، وبالطبع نحن لا نقصد في قولنا العدد وإنما نقصد القيمة والندرة.

والحقيقة أنه كان من الممكن أن تخضع هذه المخطوطات والكتب التراثية النفيسة لما تخضع أو خضعت له مثيلاتها في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي من امتداد يد السرقة أو المتاجرة أو الإتلاف. وشعورًا من المسؤولين بهذا الخطر المتربص؛ فقد عمدت الحكومة السعودية إلى جمع الكتب الموجودة والمتناثرة في مكتبات متعددة ورباطات مختلفة في مكتبة مركزية واحدة. فقد جمعت في المدينة المنورة موجودات مكتبة عارف حكمت، وهي مكتبة عظيمة ندر أن تجد لها مثيلاً في العالم الإسلامي من حيث أهمية الكتب الموجودة فيها وندرتها، وموجودات المكتبة المحمودية بما حوته من كتب العالم الراحل العظيم محمد عابد السندي، وموجودات رباط مظهر الذي يكفيه فخرًا وجود كتاب تاريخ المدينة لابن شبة فيه، وأحد أجزاء كتاب الإشراف على مسائل الأشراف لابن المنذر، وموجودات المكتبة العامة المركزية في مكتبة واحدة عامة، حيث ضبطت أعدادها وأنواعها وفنونها. وقد جرى الأمر نفسه في مكة المكرمة فأحصيت الكتب وجمعت، وضمن لها السلامة.

وبالطبع ليست الكتب والمخطوطات الموجودة في المدينتين المشرفتين وحدها في المملكة، ففي كل بلد مكتبة وكتب. والمملكة شاسعة الأطراف مترامية الجوانب، فمن اضطر من باحث أو مؤلف أو دارس إلى كتاب من الكتب كان عليه أن يتحمل عناء السفر وعنت الغربة حتى يصل إلى بغيته وليس ذلك بالامر اليسير.

الهوامش:

1- لسان العرب، مادة ورث.

2- تراث الإسلام ص6، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

3- مجلة آفاق الثقافة والتراث ص 112، السنة الأولى، العدد الأول، محرم 1414هـ، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

4- المصدر السابق ص113.

5- من هذه المكتبات: مكتبة أوبسالا في السويد، والوطنية في باريس، والأسكوريال في مدريد، وروتردام في هولندا، والمتحف البريطاني في لندن، والبيت الأبيض في واشنطن، وجوته في ألمانيا، والفاتيكان في روما، والمكتبة الوطنية في فينا.

6- راجع كتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقي ج1/ص170وما بعدها، دار المعارف بمصر 1964، ففيه تفصيل كبير ومفيد عن أعمال المستشرقين وبداياتها.

7- مثل كتاب فهرسة ابن خير الأشبيلي، مكتبة المثنى في بغداد.

8- هو كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

9- انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ومعجم الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

10- معجم المخطوطات المطبوعة للدكتور صلاح الدين المنجد.

11- انظر العلاقة بين آراء طه حسين ومرجليوث فيما كُتبَ من ردود على كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي».

12- تراجع منظومة الفهارس التي وضعت لمكتبات دار الكتب المصرية، والفهارس التي وضعت لكتب المكتبة الظاهرية.

13- انظر فهرس مطبوعات المجمع.

14- منهم: علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار، والأساتذة: شفيق جبري، وشكري فيصل، وسامي الدهان، وسعيد الأفغاني، وعزالدين التنوخي، وأمجد الطرابلسي.



الرواية والبحث عن لغة خاصة

سعيد بكر

لم أكن أظن أنني سأكتب الرواية يومًا. بدايتي كانت القصة القصيرة.. ولا أدري بالضبط متى بدأت أكتبها؟ إذ وجدتها تقتحم حياتي وتستهويني كتابتها. أما بدايتي الحقيقية فكانت مع الشعر مثل كل بدايات الشباب الأولى. هذه الأشعار تواكب مرحلة المراهقة، وهي مشحونة بالانفعالات والأحلام والأماني. ولم يكن شعرًا حقيقيًا على ما أظن.. مجرد تفريغ لشحنة المشاعر المتضاربة في النفس. ذلك لأن هذه الفترة يكتنفها الخوف والقلق والاضطراب، الخوف من اكتشاف العائلة أنني أضيع وقتي بعيدًا عن الدراسة. أقرأ في الخفاء عن العيون والتوجس يملأ كياني. لم أعرف - إلا فيما بعد - أن أخي الأكبر كان يعلم، ولكنه لم يعترض طريقي. ضحكت كثيرا من تلك المخاوف، ورغم هذا لم أحقق ما كان يصبو إليه أخي من نجاح مرموق في الدراسة. لم أكن فاشلاً تمامًا، ولكني أواصل دراستي على قدر طاقتي التي شغل مساحة كبيرة منها التعامل مع الأدب قراءة وكتابة.

بدايات تتحسس الطريق

متى بدأت كتابة أولى قصصي؟ هذه بداية لا أعيها ولا يمكنني تحديدها بدقة. ولكن كتابة القصة تسللت إلى قلمي بلا سابق إنذار. تفتحت عيناي على عالم غريب من القص على يد إحسان عبدالقدوس الذي كنت أحفظ بعض فقرات من أعماله عن ظهر قلب. تشي هذه البداية القصصية بأن عالم ما كنت أكتب مشحون بالانفعالات الوجدانية. وللأسف لم أستطع الاحتفاظ بهذه البدايات، وإلا كنت ضحكت كثيرًا الآن. على كل حال جاءت النقلة الثانية مع نجيب محفوظ الذي تسرب إلى كياني تماما لدرجة أنني كنت أحاكيه كثيرا فيما أكتب.. وبالطبع شتان بين كتابات ذلك العملاق صاحب جائزة نوبل وكاتب يتحسس طريقه للمرة الأولى. كانت بدايات ساذجة بحق، ولكنها دليل واعٍ على أن الطريق إلى القصة قد تفتح أمامي. كنت في هذه الفترة بعيدًا من المحافل الأدبية؛ بل كنت أتهرب منها، ولا يمكنني اقتحام أروقتها بقلب جريء وعقل واثق. وجاءت الحقيقة التي جعلتني أتوقف عن الكتابة لفترة زمنية طويلة. قالها ببساطة: كل ما تكتبه يحتاج إلى الكثير من الدقة ومعرفة العالم الأدبي من حولك. وسألني كأنه يطعنني بخنجر حاد: هل قرأت لفلان؟ هل سمعت عن فلان؟ أسماء لا أعرفها وما طرقت سمعي من قبل. تعهدني تثقيفًا.. هذا الإسكندري الذي تخرج على يديه الكثير من الأدباء في الإسكندرية، إنه الصديق عبدالله هاشم. قد يسخر بعض المناهضين لجهوده، ولكنني أقر بهذه الحقيقة اعترافا بالجميل. فعبدالله هاشم له الأيادي البيضاء على الكثيرين سواء أبوا أم وافقوا، وأنا أدين له بالكثير. وتأتي بعد فترة توقف طويلة قصتي «أنغام مذبوحة على فراش يحتضر»؛ فيحتفى بها الكثير من جيلي الأدبي، وتجد القصة نفسها قبولاً حسنًا من د. غالي

شكري، فينشرها مع مجموعة من كتاب القصة والرواية في الملحق الأدبي لمجلة الطليعة آنذاك، التي كانت تصدرها مؤسسة الأهرام. كانت الفاتحة التي دخلت بها إلى عالم القصة القصيرة، فأصدرت فيما بعد مجموعات «الصعود على جدار أملس»، «عويل البحر»، «هزيمة فرس أبيض». وهذه الأخيرة فازت بجائزة المجلس الأعلى للثقافة «جائزة تيمور» عام 1992م.. رغم هذه البداية مع القصة القصيرة إلا أن أول كتاب أطبعه على نفقتي الخاصة كان رواية «البدء والأحراش» التي احتفى بها النقاد أيضًا، وأشاد بها عملاق القصة القصيرة الراحل د. يوسف إدريس. وتمر السنوات لأغرق في تيه الرواية؛ فتشق «وكالة الليمون» بكل ضجيجها مجرى في رأسي وتفكيري يتمخض عن رواية بالاسم نفسه تنشرها الهيئة العامة للكتاب؛ لتؤكد لي ولغيري أن الطريق إلى الرواية ممهد الآن، وما عليّ إلا أن أعبره بكل الثقة. فتتوالى أعمالي: «تحت السور»، ثم «السكة الجديدة»، تعقبهما رواية «الباب الأخضر». وكل هذه الأسماء أحياء في مدينة الإسكندرية قضيت فيها عمرا، عركتني حياة البيئة الشعبية فامتزجت بي وامتزجت بها، ويعلم الله ماذا تكون الخطوة التالية.

التجربة والكتابة

التجربة عملة ذات وجهين: أولهما: التجربة الحياتية، وهي حافز كبير للإبداع، ولعلنا نتمثل في حياة الأدباء الكبار العبرة والمسوغ. فكم شقي مكسيم جوركي ودوستويفسكي في حياتهما. وكم صقلت هذه التجارب القاسية وعيهم الأدبي، فأنجزوا لنا أعمالاً خالدة باقية في الأذهان. وثانيهما: التجربة اللغوية، وهي ذات أهمية كبيرة بالنسبة للكاتب، ومن خلالها تعطيه التفرد والتميز والقدرة الفائقة..

البحث عن لغة تخص الكاتب وحده عملية شاقة تحتاج إلى دراسة ومراس كبيرين باللغة. ولا أقصد باللغة النحو والإعراب وما إلى ذلك، وإن كانت ذات أهمية أيضًا للكاتب، ولكني أقصد بها هذا الزخم من التعابير التخيلية التي تحقق الهدف في كلمات معبرة تخفي أكثر مما تظهر.. ولعل علم البلاغة الحديث هو المطية التي يجب على كل كاتب أن يمتطيها جوابًا في دروب الثقافة والفكر والأدب..

البحث عن لغة خاصة كان همي الأول.. ومن الأعمال التي جاءت عن تجربة حياتية معيشة رواية «الفيافي» التي فازت بجائزة الدولة العام الماضي. وفي الحقيقة إنني لم أكن أتصور أنني سأكتب رواية عن تجربتي في هذا المكان، لأنها من ناحية كانت تجربة بسيطة، ومن ناحية أخرى لم يكن المكان مغريًا بالكتابة عنه. بعد عودتي من الإعارة لم أكتب شيئا لمدة عامين، إلى أن فاجأتني فكرة قصة قصيرة تخص المكان الذي قضيت فيه فترة زمنية محدودة. فأمسكت بالفكرة ورحت أكتبها، ولكن شيئا ما حدث جعل القلم يسترسل دون توقف حتى برز ذلك الكائن الروائي الجديد بالنسبة لي تماما. وظلت نهاية الرواية تقلقني حتى انتهت إلى ما صارت إليه في شكلها النهائي. والحقيقة أنني لم أكن أتصور أنني سأفوز بجائزة الدولة عن هذه الرواية بالذات، لأنني قدمت معها رواية «وكالة الليمون»، وهي رواية لها مكانة خاصة في نفسي، ولكن اختيار لجنة التحكيم يؤكد أحقيتها بالجائزة. وقد غمرتني فرحة كبيرة لا يمكنني وصفها أو تقدير حجمها، ولكنها على الأقل زادتني ثقة بنفسي وبما أكتب؛ فالحصول على تقدير لجنة كبيرة من النقاد والكتاب الكبار على رأسهم جابر عصفور هذا الأكاديمي الناقد الكبير، كفيل بأن يحقق الزهو والفخار والثقة بالنفس. وأعتقد أن فوزي بجائزة الدولة سوف يجعلني أتمهل في اختيار موضوعات رواياتي القادمة؛ لأني الآن أشعر بمسؤولية كبيرة أدعو الله أن يهبني القدرة التي أستطيع بها التمحيص والاختيار اللائق.

والحديث عن «الفيافي» أجده صعبًا وشاقا، خاصة أنني لا أجيد الحديث عن أعمالي، ولإيماني القوي بأن العمل يجب أن يتحدث عن نفسه ويفتح مغاليق أبوابه أمام القارئ. ولكني أوجز فأقول: إن الفيافي تعرض مجتمعًا صحراويًا له قوانينه الخاصة التي تحكم العلاقات البشرية، وتحدد القيم التي بها يتوافق المجتمع الصحراوي، فلا يشذ أحد فيخرج عن الطريق المرسوم له، وهذه المفاهيم لم يدركها ابن الحضر القادم من المدينة، الذي جاء محملا بمفاهيم ورؤى أخرى مغايرة، مما جعل الصدام حقيقة لا يمكن التغاضي عنها. ولكنه رغم هذا لم يدرك تمامًا بمحاولته فهم الأشياء أنه يخرج عن الطريق، وأن العاقبة ستكون وخيمة. والرواية قد استفادت من البيئة كمرآة عاكسة لكل المشاعر المهيضة والمنكسرة في نفسية هذا المغترب. فنجد الحشرات والحيوانات قد تناغمت مع شعور الوحدة والغربة الذي اكتنفه من أول لحظة وطئت فيها قدمه هذه القرية النائية على مشارف البحر، الذي كان هو الآخر متنفسا وأملاً بعيد المنال. والرواية لا يمكن تلخيصها ببساطة ولكنها يجب أن تُقرأ دفعة واحدة تحقيقا لحلم التجاوب معها والاقتراب من حدودها.

الكاتب في سطور:

- ولد بحي الجمرك بمدينة الإسكندرية في 1947/10/27م.
- تخرج في كلية الفنون الجميلة 1972م.
- تخرج في كلية الآداب 1982م.
- يعمل في التربية والتعليم.
- يكتب القصة والرواية، وفاز بالجوائز الأولى في مسابقات كثيرة.
- بدأ نشر أعماله منذ عام 1973م وكان أولها في مجلة الطليعة.
- حصل على جائزة التكريم من رئيس الجمهورية عام 1980م.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام 1994م عن الرواية.

الأعمال:

- البدء والأحراش، رواية، مطبعة الوادي بالاسكندرية 1980م.
- عويل البحر، قصص، المجلس الأعلى للثقافة 1983م.
- الصعود على جدار أملس، قصص، الهيئة العامة للكتاب 1986م.
- هزيمة فرس أبيض، قصص، وزارة الثقافة، 1992م.
- الفيافي، رواية، مديرية الثقافة بالإسكندرية 1990م.
- وكالة الليمون، رواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.
- السكة الجديدة، رواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م.

العنوان: لاتسلني، وبوح الشباب.
المؤلف: د. عبدالله الصالح العثيمين.
الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1415هـ/1995م.

د. عبدالله الصالح العثيمين.



غلاف الكتاب

ديوانان للشاعر د. عبدالله العثيمين، أطلق عليهما: لاتسلني، وبوح الشباب، وصدرا معًا عن دار العلوم في الرياض، ضمّ الأول - لاتسلني - خمس عشرة قصيدة، أما الديوان الثاني فقد ضمّ ثلاثًا وعشرين قصيدة.

ونرى الشاعر في الديوانين ملتزمًا قضايا اجتماعية ووطنية وعربية وإسلامية وإخوانية، فضلاً عن التعبير عن همومه الذاتية، ولكنها هموم لاتنفصم عن قضاياه السابقة العامة.

وكان كلا الهمين - الذاتي والعام - متلازمًا تلازمًا جوهريًا لدى شاعرنا العثيمين. وقد صاغ تلك الهموم في قالب شعري عربي تقليدي، سوى قصيدة يتيمة واحدة وردت في الديوان الأول هي: تساؤلات أمام العام الجديد، وكأني بالشاعر يود أن يؤكد مقدرته الشعرية على صياغة الشعر بهذه الطريقة، طريقة الخروج على القصيدة العربية المنهجية القديمة.

ومنذ القصيدة الأولى - لاتسلني - التي وسم بها ديوانه تتضح لنا شخصية العثيمين الشعرية، وهو يعبر عن همومه، وهي هموم عامة.. وقد وجدناه، حين تفاقمت لديه تلك الهموم، يحس بمرارتها.. لذلك راح يبحث عن إنسان قريب يعاني المعاناة نفسها، ويتجرع المرارة ذاتها.. ولهذا استحال خطابه إلى عزاء ومواساة لجراحات نازفة سببها واقع اجتماعي مترد. ومن هنا أخذ الشاعر العثيمين يعلن غضبه واستنكاره لبعض النماذج البشرية التي شوهت صورة الحياة النقية، وكدرت صفوها، ودنّست طهارتها، ومن تلك النماذج: المتلونون، والمراؤون.

يقول عنهم، وقد كشف عبثهم وغيّهم ومكرهم، بعد أن وجد قرينه كي يشاركه همومه:

أيها الساري وأشواك الردى
ملأت كل طريق قد سلك
لا تسلني عن خفايا ألمي
إنما آلمني ما آلمك
الرؤى السوداء قَسْمٌ بيننا
والأسى المرُّ غذاءٌ مشترك
والأحاسيس التي تغتالني
جُرِّدت أسيافها كي تقتلك
كل ما حولي طلاء زائف
لدماء الطهر والصدق سفك
لَبِسَ العاصي جلابيبَ التقى
وبدا الشيطان في زي مَلَك..

وينظر الشاعر العثيمين إلى التراث والتاريخ نظرة شعراء الأصالة العربية، في شعرنا الحديث، وينهج منهجهم، حين يعيشون أمجاد الماضي المشرق، ويسرحون بخيالهم وأفئدتهم ووجدانهم.. مع أيام العرب الزاهرة، ومع الأحداث البطولية والملحمية المشرفة التي صنعها رجال أفذاذ أمثال خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهما. كما يسلك العثيمين سلوك أولئك الشعراء العرب المعاصرين، وهم يعودودن إلى واقعهم وحاضرهم، وينكفئون على ذواتهم؛ ليجدوا واقعًا مؤلمًا ينزّ بالمساوئ والضعف والعجز. يقول في قصيدته «تراثية»:

وما انهزمت لابن الوليد كتيبة
ولا صعبت مما أراد مطالبُ
طوى بالركاب البيد مسرعة الخطى
وبالعزم تُجتاز القفار السباسبُ
وفوق ثرى اليرموك عطّر جندَه
سحائبُ من نصر الإله سواكبُ
وأمضي مع التاريخ أسبر غوره
وأتلو من الأمجاد ما خطّ كاتبُ
ويبدو صلاح الدين فوق جواده
بحطين والنصر المبين مُواكبُ
وعدت إلى نفسي فأبصرت واقعًا
يلفّ محياه الأسى والمصائبُ
فكم دولة شادت على الجور حكمها
ومزّق جسمَ الشعب منها مخالبُ
أما حان للفجر الجميل بوادر
بمقدمها الميمون تُجلى الغياهب؟

ويستحوذ الحسُّ العربي على الشاعر العثيمين، فلا نراه إلا في حومة الاحتدام مع أعداء العروبة، ومع المغتصبين للأراضي العربية، والمدنسين للقدس أطهر بقاع فلسطين، كما في قصيدته «تساؤلات أمام العام الجديد»، ذات المقاطع الستة؛ فيقول في أحد مقاطعها:

كنت أرجو أن أرى لي /في فلسطين بيارق/ أن تعيد القدس/من جيشي فيالق/ أن أرى يافا الشجية/تتباهى/مثلما كانت/عروسًا عربية.

ومع بوح الشباب نلمح سبحات روحية مع الله تعالى، في خطاب دعائي. ومع الراحلين رثاءً زاخرًا بالعبر والحكم والحزن.. ومع خطرات نفسه ينبش لنا أعماقه مستخرجًا آلامها، وما يؤرقها، ويذيبها مرارة وألمًا. ومع حسّه الوطني يزغرد حبورًا، ويجيش حماسة وأملاً وتفاؤلاً.

لقد كانت القصيدة الأولى في بوح الشباب، وهي «في ليلة القدر»، مفتاح شخصية الشاعر؛ إذ تفيض نفسه من خلالها بمعان جليلة من الدين والأخلاق، وبقيم إنسانية واجتماعية. والقصيدة بكاملها تسبح بملكوت الله ورحمته للعباد. ولذلك اتجهت مشاعره ورؤاه إلى الله بدعاء صادق عسى أن ينزع من قلوب العباد الأشرار كل ما يعشش فيها من كره وحقد وطمع، ويرحم العباد البائسين ويفرّج كربهم وآلامهم. يقول في المقطع الثامن والأخير:

يارب والآفاق تنذر بالتعاسة والحمام
والناس هاموا باقتراف الإثم وارتكبوا الحرام
وتفشّت الأحقاد لا حبٌ يسود ولا وئام
ولقد علمتك تكره الأحقاد.. تبغض أن ترام
فانزع بذور الحقد والبغضاء من مهج الأنام
وانشر على الآفاق رايات المحبة والسلام

العنوان: الوراقة وأشهر أعلام الوراقين.
المؤلف: د. علي بن إبراهيم النملة.
الناشر: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1415هـ/1995م (188ص).

د. علي بن إبراهيم النملة

غلاف الكتاب

يتضمن كتاب: الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، لمؤلفه د. علي النملة قسمين أوضحهما العنوان، هما: الوراقة: مفهومها ونظرة العلماء والمؤرخين لها وآدابها، وأشهر أعلامها. ويكاد يكون ثلاثة أرباع الكتاب عن أعلام الوراقين؛ إذ اتبع المؤلف سرد أسمائهم حسب التسلسل الهجائي مضيفًا إليها تواريخ وفياتهم، وأسماء المصادر والمراجع التي استمد منها معلوماته، ورجع إليها مع ذكر أرقام الصفحات. هذا بعد أن أورد مدخلاً حَسُن فيه الدخول للحديث عن الوراقة والوراقين غير كلامه الذي بدأ به قسمه الأول.

وبشيء من التوضيح يمكننا أن نتسع بالمعلومات السابقة، عسى أن تمنح القارئ فكرة عن محتوى هذا الكتاب الذي يعيد لأذهاننا حركة النشر والتأليف والكتاب في صورتها القديمة من تراثنا الفكري. ولقيمة هذا البحث، نجد المؤلف يهدي كتابه «إلى ياقوت الحموي ومحمد بن إسحاق النديم جزاء ما قدماه للمكتبة العربية الإسلامية، وإلى كل الوراقين الأوائل جزاء ما قدموا للتراث العربي الإسلامي».

لقد كان ظهور حرفة الوراقة في الإسلام مع بداية نسخ القرآن الكريم والسنة النبوية بعدئذ. ومما يذكر أن أول من اتخذ من الوراقة حرفة ورّاقان هما: مالك بن دينار وخالد بن أبي الهياج، وقد تخصصا في كتابة المصحف فالحديث بداية، ثم اتجها للشعر وغيره. وقد اكتسبت هذه الحرفة في بداية انطلاقها شيئًا من التقدير كما يقول المؤلف. كما أن التسمية الأولى للوراقين كانت تحمل اسم «الصحفيين» نسبة إلى نسخ المصاحف، ثم توسع المصطلح ليصبح «الوراقة والوراقين» عندما انطلق الناس إلى العلوم الأخرى والآداب ينسخونها، ولهذا رادف هذا المصطلح مصطلح آخر هو «النساخة والنساخون».

وكان انتشار الوراقة وكثرة الوراقين وأسواقهم في الحواضر الإسلامية في العصر العباسي من معالم الحضارة الإسلامية. وكانت دار الحكمة في بغداد مملوءة بالوراقين، وكذلك مكتبة الحكم بالأندلس، ومكتبة بني عمار في طرابلس الشام، ويذكر أنه كان بهذه المكتبة مئة وثمانون وراقًا يتبادلون العمل ليلاً ونهارًا بحيث لاينقطع النسخ، كما يقول إرشيد يوسف صاحب «الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينًا وتحقيقًا». هذا فضلاً عن وجود الوراقين في المكتبات الخاصة بالعلماء والولاة والأدباء؛ لأنهم أصبحوا يعدون جزءًا من أقسام المكتبة.

على أن ظاهرة الانتحال أو فقد الأمانة العلمية قد لازمت بعض الوراقين، حين أخذوا يضيفون للناس ما ليس فيهم باعتبارهم كانو ناشري عصرهم، ولهذا فقدوا ثقة الناس فيما يكتبون. وقد نقل عبد الستار الحلوجي - صاحب كتاب المخطوط العربي - عن المزهر قضية اختلاف النصوص من مخطوط لآخر، وما شاع عن بعض الوراقين من كذب واختلاق، وقد نبّه أبو العباس ثعلب إلى ذلك حين قال: «إن الكتاب قد حشاه قوم علماء، إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية، إنما وجد بنقل الوراقين، فلذلك اختل الكتاب». ولهذا إذا أراد المحققون الحصول على الحقيقة العلمية فإنهم يلجؤون إلى أكبر عدد ممكن لمخطوطات الكتاب الواحد للمقابلة فيما بينها. كما أن ابن النديم أورد كلامًا عما كان يسود أجواء الوراقين من دس وانتحال وتزوير رغبة في رواج الكتاب.

ومهما يكن من أمر؛ فقد كان للوراقين مكانة قيمة، ولاسيما عند العلماء والمؤرخين، حين اعترفوا بفضلهم على التراث. ومن هنا لم تكن حوانيت الوراقين مجرد محلات للوراقة، وإنما كانت أجلّ من ذلك. وهذا ما حدا بأحد الشعراء ليقول:

مجالسة السوق مذمومة
ومنها مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى
وهاتيك آلة أهل الأدب

ولكن ذلك لايمنع أن تُذَمّ تلك الحرفة، إذ اعتبرت دومًا حرفة مبتذلة يُنظر إلى صاحبها بشيء من الازدراء. يقول أبو حاتم، الذي كان وراقًا بنيسابور خمسين سنة:

إن الوراقة حرفة مذمومة
محرومة عيشي بها زمن
إن عشتُ عشتُ وليس لي أكلٍ
أو متّ متّ وليس لي كفن

والتزوير الذي صاحب مهنة الوراقة جعل العلماء يوجهون الوراقين ويُعلّمونهم آداب الوراقة، وفي طليعتهم الإمام السبكي، المتوفى سنة 771هـ، الذي قال في كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) عن آداب الوراق: «ومن حقه ألا يكتب شيئًا من الكتب المضلة، ككتب أهل البدع والأهواء، وكذلك لايكتب الكتب التي لاينفع الله تعالى بها... وليس للدين بها حاجة، وكذلك كتب أهل المجون... فنحن نحذر النساخ منها، فإن الدنيا تغرهم، وغالبًا مستكتب هذه الأشياء يُعطي من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم. فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه. ومن النساخ من لايتقي الله تعالى ويكتب عن عجلة، ويحذف من أثناء الكتاب شيئًا، رغبة في إنجازه إذا كان قد استؤجر على نسخه جملة، وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض».

وإن أبرز ما استخلصه المؤلف في هذا الكتاب وفي قسمه الأول، مجموعة من النتائج القيمة، كان قد أوجزها في إحدى عشرة فكرة، منها: أن ناسخي القرآن والحديث ليسوا من الوراقين، وأن معظم من اشتهر من الوراقين اشتهروا على أنهم علماء وأدباء، وكان لإسهام

ابن النديم وياقوت الحموي أثر واضح في إبراز الوراقين والعناية بهم وبمجهوداتهم، وأن حصر الوراقين من كتب التراث متعذر بجهد فردي، بل ربما تعذر حصرهم بجهد الجماعة، ويتعذر الاستدلال بالاسم، كأن ينتهي الاسم بالوراق، فلم يكن جميع الوراقين يلقبون بذلك. ويمكن أن تعد حوانيت الوراقين منتديات علمية وفكرية، يجتمع فيها أعلام الفكر والأدب في زمانهم. وقد فقدت حوانيت الوراقين شيئًا كثيراً من قيمتها العلمية والأدبية مع الركود الحضاري الذي انتاب الأمة بعد سقوط الخلافة العباسية.

ومن أبرز ما أشار إليه المؤلف في قسمه الثاني أمهات كتب التراجم القديمة والحديثة التي مرّ بها، منها: سير أعلام النبلاء للذهبي، والوافي بالوفيات للصفدي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات للكتبي، ومعجم الأدباء لياقوت، والفهرست لابن النديم، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر وغيرها.

العنوان: الموروثات الشعبية لغامد وزهران.
المؤلف: علي بن صالح السلوك الزهراني.
الناشر: دار العلم، جدة، ط1، 1415هـ (1494ص).


علي بن صالح السلوك الزهراني

غلاف الكتاب

جاءت موسوعة (الموروثات الشعبية لغامد وزهران) لعلي بن صالح السلوك الزهراني في خمسة كتب هي: قصائد الجبل اللّبيني - العرضة - اللعب والمسحباني والهزموج والعزاوي والسامر - الأناشيد الشعبية - الأمثال والحكم. وقدم لها سمو الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز أمير منطقة الباحة. ومما قاله: «الشعر الشعبي في الماضي يحفظ لنا تاريخ ما أهمله التاريخ». وأهدى المؤلف كتابه «إلى المهتمين بالموروث الشعبي واللهجات الفصيحة وبالعادات والتقاليد الأصيلة». ثم قدم كتابه أو موسوعته بكلام يشرح فيه مادته، ليدخل بنا إلى عالم شعره الشعبي بقصائده المقطعة، والمطولة. فمقطوعات الجبل كانت شعراً يشدو به الرعاة والمزارعون، والمسافرون، وكذلك النساء، عند الاحتطاب والطحن والعمل في المزرعة، وغالبا مايكون شعراً غزليًا. ومثله شعر اللّبيني في الأغراض، مع فارق في الأداء. أما قصائد العرضة فهي كذلك مقطوعات قصيرة مثل قصائد الجبل، وهي منتشرة بكثرة، وتنشد في مناسبات الزواج، والختان، والاحتفاء بضيف للقرية أو القبيلة، وفي الأعياد، والصلح فيما بين المجموعات القبلية أو الفردية. وتأتي كذلك قصائد اللعب مقطوعات قصيرة، ويأتي اللعب عادة بعد صلاة العشاء حتى وقت متأخر من الليل، ومناسبته هو مناسبة العرضة نفسها، مع اختلاف في الإيقاع والحركة، ويُنشد هذا الشعر من خلال صفين متقابلين، بحيث ينشد كل صف جزءًا من القصيدة. ومن القصائد التي تماثل قصائد اللعب شعر المسحباني والهزموج والعزاوي والسامري، والفكاهة وأهازيج الزراعة.

أما الأناشيد المطولة، فقد يطلق عليها «القاف»؛ لأنها تلتزم القافية، أو «الوسيلة» عند بعضهم، ولاسيما حين يبلغ الشاعر عمراً مديداً، فنراه يتوسل بها إلى الله من خلال أدعية دينية، أما أغراضها فكانت تدور - بشكل عام - حول تسجيل الأحداث التي عاصرها الشاعر.

وجاءت النصوص الحكمية الشعبية في موسوعة الزهراني مسلسلة هجائيا، وبلغت أربعمئة وثلاثًا وعشرين حكمة ومثلاً، ولاتختلف عن الأمثال العربية الفصيحة، بل ربما اتفقت معها لفظًا ومعنىً، كما يقول الزهراني. ورغم تعدد الشعراء الشعبيين في هذه الموسوعة، فإن للشاعر محمد بن غرم الله بن ثامره الثوابي الزهراني نصيبًا كبيراً منها نصًا وتعريفًا، إذ استشهد له بفيض من شعره في سائر أغراض هذا الشعر الشعبي.

وقام منهج الزهراني في موسوعته على شرح المفردات الشعبية الصعبة، والمعاني العامة للنص، ثم مناسبات نصوصه، بما فيها الأمثال والحكم، والمواقع التي تُضرب بها، بالإضافة إلى العناوين التي توّجت معظم النصوص.

وإن دارس مادة هذه الموسوعة الشعبية ليخرج بقيم ومعان عديدة عن طبيعة تلك المنطقة الاجتماعية والفكرية والقبلية.. فضلاً عن استخلاص دلالات شعبية قد تنسحب على مناطق أخرى من الجزيرة العربية، وإن كانت شروح الزهراني بعربيته الفصيحة لها من التأثير ما هو أبلغ من نصوصه الشعبية ذاتها، ولاسيما في من هو خارج تلك البيئة الشعبية، ولهذا جاءت شروح المفردات الصعبة مستفيضة، بحيث فاقت بكثرتها نصوصها العامية.

ولنستشهد بنص من هذه الموسوعة الشعبية، ولتكن القصيدة العاشرة (متهرج ودرّاج) لابن ثامرة الثوابي:

قال الثوابي جيت متهرج ودراج
وانتظر في مَطرَق العاج
استغفر الله يوم لقتني قفاها
يا شفا روحي شفاها
هني عقد البيت وهني الجدارة
وهني أهله وداره
وهني حتى الدلّة وهني الفناجيل
يوم التمّت بها الهيل
وهني ثوبٌ يلبسه وهني زاده
يوم يندر من فؤاده
يا ليت بطني قبر واضلاعي صلي له

ويشرح الزهراني قائلاً:

1- متهرج ودراج: كان من العادة في السابق زيارة الناس لبعضهم البعض، لوجود فراغ لديهم وهو معنى الكلمتين. 2- مطرق العاج: المطرق العصا المستقيمة، والعاج معروف. 3- هني عقد البيت: هني: هنيئ من التهنئة، وعقد البيت: سقفه. 4- الجداره: الجدار. المعنى العام: يصف الشاعر من رمز لها بمطرق العاج بالجمال المتناهي، ويهنئ أجزاء البيت الذي تعيش فيه، والأكل الذي تأكله، ويتمنى أخيراً أن يكون بطنه قبراً لمن وصفها.

دراسة لديوان:

تراتيل للغد الآتي

عبدالله الطنطاوي

بعد رحيل عمالقة الشعر العربي في عصرنا: بدوي الجبل، وعمر أبي ريشة، ومحمود حسن إسماعيل، وعمر بهاء الدين الأميري، وبدر شاكر السياب، وغيرهم. وبعد توقّف الشاعرة الكبيرة المبدعة نازك الملائكة عن قول الشعر، وبعد تراجع نزار القباني، وصمت محمد المجذوب، وبعد تقدّم شعراء الحداثة، الغرباء منا، من قيمنا الفكرية ومن قيمنا التعبيرية، ماعدنا نقرأ من الشعر (الشعر) إلا قصيدة هنا، وقصيدة هناك؛ فقد قلّ المبدعون، وتوزّعتهم تيارات الحياة، وشتّت بعضهم مواهبه بين القصة والشعر والفكر، فتراجع شعرهم، إلا قليلاً منهم. ومن هذا النفر الكريم القليل من الشعراء، صاحب هذا الديوان الذي سوف نطالع فيه شعراً حقيقياً..


د. محمد وليد

ولاعجب فالدكتور «محمد وليد» شاعر أصيل، استمدّ شاعريته من رهافة الأحاسيس التي حباه الله بها، ومن جمال طبيعة اللاذقية التي وُلد فيها، ونشأ وترعرع، ومن الذوق الرفيع الذي فطره الله عليه، ثم نمّى موهبته من عشقه لكتاب الله العزيز، وانكبابه على شعر الشعراء الفحول الذين شكّلوا بقصائدهم البليغة ديوان العرب، كما نمّاها كونه ابن هذه الحياة، عانى، ولايزال، من عُجَرها وبُجَرها، ففجّرت معاناته ينابيع الشاعرية في نفسه التي آدها ظلم الإنسان للإنسان، بعد أن آلت الأمور إلى من لايرعون في الناس إلاً ولاذمّة.. وتفاعلت مشكلات هذه الحياة في أعماق الشاعر، يحيا آلامها وأحزانها، ثم يترجم مايلقى فيها من الألاق.

ولعلّ أصحاب الأمّية الفكرية والسياسية والشعورية - إن صحّ التعبير - يأخذون على الشاعر شكاواه تلك، وحُقّ لهم هذا، لأنهم لم يستطيعوا التسامي إلى السُّموت التي يرتادها بفكره، وسبحات روحه، وقفزات خياله المجنّح الذي يحمل المشاعر على أجنحة الحسّ والإلهام معاً، غير دارين أنّ شكاواه مَعْلَمٌ شاعريّ، وحالة فذّة لإرهاف العواطف، وتجليّاتها الصادقة.

أحزان وإيمان

وشاعرنا في تنوّر الأحزان ينضج عواطفه، لما أصاب أمته من هوان، بعد أن كانت خير أمّة أُخرجت للناس.. إنه متفجّع للفوارق الهائلة بين أمته والأمم الأخرى.. صارت أمّة من الإمّعات الخانعين، فهوت من ذرى المجد.. هُنَّا على الناس، فُتنّا بالغرب وبالشرق.. إذا أمرونا بأن نشرك بالله، أشرك بعضنا، وأقاموا الأنصاب والأصنام، ومجّدوها وطافوا حولها.. ركعنا للظالمين وخضعنا، رأينا أوطاننا تباع فسكتنا، وماذلك إلا لما أصابنا من وَهْن.. من حبّ الدنيا وزينتها، فلبسنا، وركبنا، وسكنّا غير ما نصنع، وأكلنا غير ما نزرع، فكنّا تبعاً للآخرين، فتقدّموا وتأخرنا، بل قعدنا نطعم ونكتسي ولانلقي بالاً لمجد..

ولكن.. وبرغم كل الأحزان الناجمة عن المآسي والكوارث، يبقى شاعرنا شامخاً بأحزانه، شامخاً بإيمانه بالله الذي لن ينساه، ولن ينسى إخوانه:

لقد قالوا
بأن الظالم الملعون قد أفنى سرايانا
وماعلموا
بأنّ الله باقٍ ليس ينسانا
ودين الله باقٍ شاهدٌ أنّا

غذوناه ضحايانا

وقدّمنا له القربان أرواحاً وأبدانا

أرأيتم إلى هذه الصورة البديعة؟ غذونا ديننا بضحايانا.. على الرغم ممّا فيها من شعور شجي فاجع، ولكنه شعور مُلهِم، شعور يلهب المشاعر، ويحرّك الكوامن، ويغزو أرواح المستضعفين.

والطغاة الذين مردوا على الإجرام، كانوا ومازالوا مبعث أحزان الشاعر، وأحزان كل ذوي النفوس الحرة الأبيّة.. ولنتأمل معا هذا الرمز الواضح من خلال الصور الحيّة الموحية في (السفينة والطوفان):

الليل صار كلّه عيون

تطارد الأحلام في الجفون

أشباحه عقارب تدبّ في سكون

زعانف تلاحق الأفكار وهي تعبر الظنون

فتبعث الضوضاء في سكينة القمر

فالليل وعيونه وأشباحه وزعانفه من جهة، والأحلام والأفكار والقمر من جهة.. مصدر قلق نفسي، وإثارة شعورية مضنية.

والشهداء الذين قضوا نحبهم وهم في عنفوان الشباب، في سبيل عقيدتهم، ومن أجل تخليص شعبهم من أوضار الظالمين، وخطايا الحاكمين، لترتفع هامات المنسحقين والمستضعفين، وتستقيم قاماتهم التي طالما حملت من الأعباء مآدها، ومن المظالم ماقصم ظهورها.. هؤلاء الشهداء هم مصدر من مصادر أحزانه الكثيرة، ولكنك تراه وهو في عزّ شكواه، مستمسكاً بإيمانه، معتمداً على ربّه:

لكنّني، والهمُّ يحزبني

ماخانني الإيمان والرشد

ماخاب دون الخلق معتمدي

إني على الخلاّق أعتمد

حتى وهو في أوج أزمته النفسية، لما يرى في دياره من آلام وأتراح، تراه يدافع القنوط عن ساحة الضمير المؤمن: ﴿ومَنْ يقنَطُ من رحمة ربه إلا الضالُّون﴾ الحجر:56، وهو شاعر مؤمن:

غير أني وسياط القهر في روحي وقلبي

لست بالقانط من رحمة ربي

إنّ وعد الله بالتمكين لاحْ

إنني أرقب فرسان الصباحْ

وهي تسري في الدُّنا

تصهل من قلب الجراح

وأرى عبر البطاح

شجر الغرقد ينمو

فيميد النخل والزيتون والعرض المباح

وينادوني إلى حمل السلاح

وليس إلى اليأس، وهو يشهد زمن العلو الثاني المرموز له بشجر الغرقد، شجر اليهود:

وجيش محمد سيعود في عزّ وفي غَلَب

وأنّ الغرقد الملعون مقطوع بلا نسب

وأنّ السامريّ سيوقد النيران فوق مفاوز العرب

ويمضي مثلما ولّت

جميع كتائب الإفرنج من حقب

ويبقى تائها في الأرض

يعبد عجله الذهبي

أحزان تدعو إلى الكفاح

أحزان شاعرنا - إذن - إيجابية، وتدين المواقف السلبية والاستسلامية.. إنها تدعوه إلى العمل.. إلى الكفاح.. إلى حمل السلاح.. فكبرياء الجرح، كبرياء الإيمان، كبرياء الحق، تدعونا إلى الجدّ، لأنّ الأمة المجاهدة لاتعرف إلاّ الجدّ سبيلاً إلى المجد.. هذا ماتراه وهو يجوب آفاق هذه الدنيا، ويشاهد مآسي المسلمين، من مدريد إلى البوسنة والهرسك، إلى أفغانستان، إلى الجزائر، إلى تغييب الشعوب في عوالم القهر والإذلال.

الحنين إلى الديار

في قصيدته: (مكابدات ابن زريق الشامي) لا البغدادي، يوضح الشاعر سبب مغادرته بلاده، بأسلوب تقريري، فيه همسٌ وفيه رمز:

أنا ماهجرتك ياموطني

فهجرك في ملّتي مستحيل

أنا ماهجرتك

لكنْ هجرتُ الجراد بأرضك يغتال فيك الحقول

فهجرة الشاعر قسرية، وليست إرادية، ولهذا فإن حنينه إلى بلاده في توهج، وتصميمه على العودة لايُدافع.. إنه مصمّم ومتفائل:

سأرجع يوماً إليك

وأهجع في مقلتيك

سأرجع أحمل نور حروفي

وقلبي إليك الدليل

وأبذر فيك ضيائي وشمسي

وأحيا بظلّ ظليل

إنه سيعود، ولكن.. بعد أن ترحل جيوش الظلام.. سرايا الجراد.. وهيهات أن ترحل بدون صيال..

وفي قصيدته (حنين) شوق عارم للوطن الحبيب:

حنَّ الغريب وحنّت البلد

إلفان بينهما الهوى.. كبد

في النفس فيضٌ من لواعجها

والقلب بالأشواق يتّقد

كم كان يلقاني بها (بردى)

إذ رحتُ بين الدوح أبترد

فيبثّني الشكوى، يعاتبني

وأبثّه حزني.. وماأجد

وبعد هذه الشكوى وذلك العتاب والحزن والوجد، يهتف الشاعر في التياع:

يازهر، ياأنسام، يابلد

ياحبّ، ياأشواق، ياكمد

هل ترجع الأيام فرحتنا

والدهر يوفينا الذي يعد؟

في (اللاذقية) في مرابعها

حيث الحمى والأهل والولد

ويتذكر - دون أن ينسى - الأحبّة فيها،

والاصطياف في (سلمى) وجنّتها ورياضها، ولاينسى الشطآن اللازوردية في اللاذقية، عروس الساحل السوري الخلاّب.. لنتأمل هذا البثّ الحزين:

يا لاذقية أين مدرستي؟

أين الطفولة مالها أمد؟

أين الرفاق بها ومالعبوا؟

أين الأناشيد التي نشدوا؟

أين الطباشير الذي كسروا؟

أين التلاوين التي فقدوا؟

أين الحكايات التي نقلوا؟

أين المواعيد التي وعدوا؟

يتلاكمون إذا همو غضبوا

وتعود وحدتهم إذا سعدوا

ألا تذكّرك هذه الأبيات بالقصيدة الفريدة في بابها.. قصيدة (أب) لأستاذنا الشاعر الراحل: عمر بهاء الدين الأميري؟..ثم:

يالاذقيّة، يامعذّبتي

تهفو إليك الروح والكبد

ماكنتُ أحسبني مفارقها

أو أن إسلامي سيُضطهد

وتحسّ في قصيدة (شوق وحرقة) باختناق الشاعر، كلما ذكر وطنه:

فمتى أعود إليك ياوطني

وتعود لي روحي فأنطلق؟

إنه مقيّد، فقد روحه في فقدان وطنه، ولن ينطلق إلا بالعودة إليه:

إني لأذكر موطني وَلِهًا

في غربتي، فأكاد أختنق

والشاعر يبدئ ويعيد في هذه المعاني المشفوعة بالعواطف الجياشة، والمشاعر المستجاشة في أكثر قصائده، ولكن بأساليب متباينة، ولكنها متعانقة، وماذلك إلاّ لتملك حبّ الوطن من قلبه ومن روحه:

المسك ملء رباك والعَبَق

والنور ملء ثراك والألَقُ

شطّ المزار إليك وانقطعت

بالسالكين لحبّك الطرق

إنّ حبّ الوطن يسري في عروقه، والحنين إليه ملء جوانحه.. ولنستمع إلى هذه النفثات المحترقة، وهو يناجي وطنه الحبيب:

ياواهب الأيام بهجتها

إنْ غالها التسهيدُ والرَّهَقُ

في كل ركن من ثراك هوى

في خافقي مازال يحترق

قد مرّت الأيام تسرع بي

والسُّهد في عينيّ والأرق

وانصبّت الأحزان مترعة

في القلب، فهو بدمعه شَرِقُ

فمتى أعود إليك ياوطني

وتعود لي روحي فأنطلق؟

عالمية المسلم

شاعرنا الدكتور محمد وليد مسلم ملتزم هذا الدين، ولهذا الدين آفاقه الرّحبة، وآماده الأزليّة، فلايحسبنّ طاغية أنه يستطيع استئصال شجرة الإسلام ببتر أغصانها، أو تقطيع بعض جذورها، لأنها دوحة أصلها ثابت وفرعها في السماء يتفيأ ظلالها المسلمون في سائر أرجاء المعمورة، من بلاد الشام إلى الأندلس، إلى شنقيط، إلى السودان، إلى كابول، إلى لاهور، إلى أرض الكنانة، إلى بلاد الرافدين حتى السند وأوربا، ومن الصين إلى الدانوب.

وشهداؤنا الذين ضحّوا في سبيل هذا الدين، يلهمون الأجيال، من عرفان الشهيد في الهند، إلى جعفر الطيار في مؤتة.

ولهذا نرى الشاعر يجوب بحسّه وأحاسيسه أجواء العروبة والإسلام، فيرى الجرائم تُرتكب هنا وهناك؛ في فلسطين وكشمير، وفي أفغانستان والبوسنة والصومال. يرى اللقطاء من أدعياء بني إسرائيل، يكسرون عظام الفتيان، ينهبون الحمَى، يشرّدون الآباء والأبناء، يعذّبون الأطفال والنساء، يدمّرون المنازل، يهدمون المساجد، يحرقون المزارع، والعرب والمسلمون (يتفرجون) على هذه المأساة الإنسانية بعيون ناشفة، وأعصاب متيبسة، كأنهم في حفلة تمثيل، يتفرجون وهم ينعمون بأطايب الطعام، ولذائذ الشراب، كأن الأمر لايعنيهم.. يعبّر الشاعر عن مأساة الحسّ البليد هذا، عبر مجموعة من الصور المتلاحقة المتعانقة المتّشحة بأحزانه، المتغلغلة في حنايا موسيقاه الحزينة الثائرة:

الليل غطّى الكون في بحر السكون

والبدر غاب عن العيون

والوحش يفغر فاه يفترس الأماني والظنونْ

أطفالنا سُحقت وأنتم فوق ألوان الموائد تنعمونْ

بالله ياأهل الحميّة كيف أنتم تصبرون؟

تتفرجون على اليهود يقطّعون لحومنا..

فتحوقلون وتسكتونْ

فإلى متى تتفرجون؟

إلى متى تتفرجون؟

إنها نغمات هادرة، تعبّر عن نفس ثائرة، على أوضاع جائرة!.

بين الأصالة والتجديد

الدكتور محمد وليد طبيب، وطبيب عيون ماهر، وبين الطبّ والأدب وشائج إنسانية، ولكليهما وظائف إنسانية، ومع هذا، نقرأ للشاعر:

خُلق القلب أديبا

لم يكن يوماً طبيبا

عشقَ الشعر فؤادي

فاكتوى الجمر لهيبا

وتراه والهوى ألبسه ثوباً قشيبا!

يحمد الطبَّ ولكن

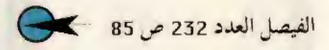
يعشق الشعر الحبيبا

ويغنّي لهوى الشعر خفوقاً... ووجيبا

إن أكن عشت طبيبا

فأنا أحيا أديبا!.

وهذا الشاعر الأديب الطبيب قد درس



الشعر والأدب، كما درس الطبّ، وعرف أنماطًا أدبية، كما عرف أنماطًا طبّية، ويبقى الشاعر هو الشاعر، ويبقى الشعر هو الشعر، سواءٌ أجاء على الأبحر الخليلية، أم تنكّبها وجاء على الأوزان الحديثة، أوزان شعر التفعيلة، فالذي يجيد هناك، يجيد هنا، ونازك والسياب ومحمود حسن إسماعيل ونزار شهود على صحة مانقول، والناكب الدّعيّ يبقى دعيًا هنا وهناك.. وهذا مانراه لدى شاعرنا الموهوب الذي كان يتنقل بين العمود والشعر الحديث، شعر التفعيلة، في أصالة وتجويد وتجديد، تشهد بالشاعرية له؛ فهو في شعره العمودي - إذا تجوّزنا في الاصطلاح - شاعر، وليس ناظماً كأولئك الذين يصفّون التفعيلات إلى جانب القوافي وحروف الرويّ، بلا وحدة متلاحمة الأوصال والوشائج، وبلامعانٍ شعرية، ولاصور ولاموسيقى، كالكثير مما نقرؤه في هذه الأيام وقبل هذه الأيام، لشعراء حسبناهم كبارًا، ولم يكونوا كذلك. وكذلك الأمر عندما يلجأ الشاعر إلى شعر التفعيلة، فإنه يبقى ذلك الشاعر المجيد، وقد ذكرنا نماذج من كلا النمطين من الشعر، المتقاربين في الأسلوب.

في (شوق وحرقة) اعتمد حرف القاف للرويّ، فجاء متسقاً مع ألفاظ القصيدة، متناسقاً مع المشاعر، مشاعر الاختناق والاحتراق (أختنق - تصطفق - الغسق - القلق - الحُرَق - المِزَق - الرهق - الأرق - الشَّرَق..).

ثم.. مآسي هذه القافية، بحرف رويّها (نا)، ومآسرَها وشدّة تأثيرها وتأثير موسيقاها في النفوس المضعضعة.. ضعضعها تآمر الأباعد، وخذلان الأقارب، وضعف الإمكانات، وقلة الحيلة في مواجهة المخططات الرهيبة التي يسهر عليها حاقدون مختصّون:

لقد قالوا..
بأنّ الظالم الملعون قد أفنى سرايانا
وهدّم في ظلام الليل
آخر مسجد تعلو مآذنه بنجوانا
وتيمورٌ يقيم اليوم أهرامًا من الهامات تنتثرُ
وأنّ بلادنا خربت
فلا بيتٌ ولا حجرُ
وأنّ العنكبوت ارتاح في أرجاء دنيانا
وقام يوقّع الأنغام ألحانا
ليشرب لحن موتانا

وأخيلة الشاعر ساعدت على دفق المشاعر، وتألق المعاني التي توصوص من خلال الصور المتلفّعة بها في تناسق يجعل من القصيدة لوحة:

وماعلموا بأنّا في ضمير الكون محفورٌ محيّانا
وأن نشيدنا يسري
كما يسري ضياء الشمس نشوانا
وأن البرق يلمع من لهيب النار في أحداق قتلانا

وفي (حوار مع فرعون) مجموعة من الصور التي تشكّل لوحة أخرى من المشاعر الحزينة المنسابة عبر ألفاظ وقوافٍ وحروف رويّ متساندة:

دموع القلب قد هطلتْ
كأحزان بتشرين
وأنوار الرُّبى رحلتْ
وأسراب الحساسين
وغادر عطره الريحانُ
صار الورد قرباناً كآلاف القرابين..
وأشرع سيفَه الجلادُ
يقطع كلَّ أزهار البساتين
وماج القبر في الفَلَوات يزخر بالمساجين
وذا فرعون يرميني
بساطور وسكين..

وهكذا تتوالى الصور، في تلاؤم واتساق، يشدُّ بعضها أزر بعض، لتترك في النفس أثراً بل آثارًا عميقة، لأنها جاءت عفويّة معبّرة عن حالة الشاعر، وهي تؤدي وظيفتها - مجتمعة - في تأطير تلك الحالة، كما أدّت كلُّ صورة وظيفتها، ونهضت بدورها، للتعبير عمّا يدعونه التجربة الشعورية التي يمرّ في أتونها الشاعر وهو يتلظّى ويتشظّى..

وهكذا يتبيّن لنا ممّا تقدّم من نماذج شعرية، الفنُّ الأصيل الذي ظهر في وحدة القصيدة وحدة عضوية متلاحمة، كما بدت لنا رصانة الأسلوب، وحلاوة الكلمات التي انتظمت في جمل وعبارات لاتكلّف فيها ولاتعمُّل ولاغموض ولاتعقيد، بل فيها سلاسة وعذوبة ووضوح متألق، لأنها مستمدّة من الأساليب العربية الفصيحة، من القرآن المعجز، ومن أساليب الفصحاء الذين لم يعرفوا للعبثية معنى، كما لم يعرف الشاعر سوى الإحساس السليم العميق الدقيق الذي قاده إلى اختيار المعاني الشريفة، تعبق بها الكلمات الشريفة التي شكّلت معجم الشاعر، وهي كلمات شاعرة، تعاونت مع الصور والموسيقى، في التسلل إلى نفس القارىء بهدوء، لتفعل فعلها فيها، وتكسبها إلى صفّها، فكرًا، وشعورًا، وموقفًا.

بقي أن نعرف، أنّ هذا الديوان (تراتيل للغد الآتي) هو ثالث دواوين الشاعر الدكتور محمد وليد بعد «أشواق الغرباء» و«حكايات أروى»، وأنّ الشاعر قد تخصص في طبّ العيون في بريطانيا، وله أنشطة عميقة في الأدب الإنجليزي والشعر خاصة، ولكننا لانقع في كل ماشعر وكتب وألّف على أيّ تأثر يزري بعربيته وعروبته وإسلامه، بل كان - ولايزال وسيبقى بإذن الله - الشاعر العربيّ الإسلاميّ الأصيل، يرسي بشعره وفكره القواعد، ويرفع الأعمدة، لتسمو دوحة الشعر العربي، وتمدّ ظلالها النديّة، فوق رواق الشعراء المجدّدين المستمسكين بالقيم الفنية والتعبيرية للشعر العربيّ الأصيل.

مخطوطة فريدة مجهولة للأديب فهمي المدرس

د. يوسف عزالدين

هذه مخطوطة فريدة نفيسة، لأنها الشعرية الوحيدة للأديب الكبير فهمي المدرس وبخط يده، أراد جمع شعره مرة واحدة، ولكن ظروفه لم تسمح له بذلك، لأني وجدت بعض القصائد في أوراق متفرقة معها لم يدونها فيها. من هذه القصائد قصيدة عنوانها «في مدح صاحب السماحة والسيادة السيد داود أفندي قادري زاده» منها:

برزتْ بمنظرها البهيِّ الأنور
ورنتْ بطرفٍ ناعسٍ متكسّرِ
كشفت نِقابَ الحُسنِ عن وجناتها
ومشتْ بفرطِ دلاَلِها بتبختر

وهي قصيدة أقرب إلى شعر القرن التاسع عشر أسلوبًا ومعنًى، أو من شعر عبدالغفار الأخرس. وقصيدة أخرى نظمها إبان معركة السفور والحجاب التي ثارت عندما أصدر قاسم أمين كتابه «تحرير المرأة»، ولكنه لم يتخذ موقعًا واضحًا، إنما جاء برأي جديد هو الدعوة إلى نبذ أمية الرجل قبل البحث في سفور المرأة؛ لأن تعليم الرجل الأمي أولى من سفور المرأة، فقال:

إن يكن في الفتاة ما تدّعيه
فعليك العتابُ أنت الوليّ

ووقعها بتوقيع «بنت فهر»(1).

وصف المخطوطة

كُتبت على ورق صقيل ودفتر ممتاز مجلد سميك مبطن. طول المخطوطة 19سم، وعرضها 11,5سم. ولصغر حجم المخطوطة كتب كل شطر في سطر واحد، وأكثر الصفحات فيها 16 سطرًا.

فهمي المدرس

كان المدرس (..-1944م) سياسيًا مشهورًا وتربويًا معروفًا. ولم يُعرف عنه أنه شاعر، كان رئيس أمناء بلاط الملك فيصل الأول(2)، وأصبح مديرًا عامًا للمعارف وأول أمين لمشروع جامعة حديثة في العراق.

في المخطوطة اتجاه واضح في ذم عهد الاتحاد والترقي الذي قام بالانقلاب العثماني، وأعلن الدستور سنة 1908م، وغير الاتجاه الإسلامي إلى القومية الطورانية ومحاربة الإسلام والعرب بعنف.

في العراق

بعد سقوط الدولة العثمانية ذهب المدرس إلى دمشق لبناء الدولة العربية الجديدة التي شُكلت برئاسة الملك فيصل ولكنها أسقطت

بيد الجنرال (غورو).

وكان المدرّس في باريس مع الوفد السوري للدفاع عن حق العرب وبقي فيها، وأخذ يجمع شعره فيها، ثم عاد إلى العراق وعُيِّن في بلاط الملك فيصل، ورأى العراق تحت سيطرة الإنجليز واختلف معهم فأُبعد من البلاط. أحس بنفسه أثر معاهدة سايكس/بيكو في تمزيق الدولة العثمانية والعرب، وأحس بوطأة الاستعمار على بلده فلم يرض عن الحكم البريطاني.

محتويات المخطوطة

بدأ في جمع شعره في باريس وأرخ بعض هذه القصائد، وحوت المخطوطة سبع قصائد، وأول قصيدة هاجم فيها العهد الطوراني مطلعها:

سارت تؤمّ سراة القوم مِرقالُ

أدماء دلعبة ضاقت بها الحال

وعدد أبياتها 184 بيتًا. أما القصيدة الثانية وعدد أبياتها 127 بيتًا، فمطلعها:

جرِّدْ حسامَكَ واركبْ هامة الخطر

واضربْ رقابَ العِدا إن كنت من مُضرِ

وترك خمس صفحات بيضاء وكتب القصيدة الثالثة ومطلعها:

يا أنجمًا في سماء العلم قد طلعت

لنشر نورٍ على الآفاق في الظُّلَمِ

وعدد أبياتها 38 بيتًا، ثم قطع خمس ورقات وترك ثلاث صفحات بيضاء على صفحة منها بالقلم الرصاص:

يا بنت باريس تنحَّيْ واذهبِي

عني وكُفِّي يا فتاةُ ملامي

ولكن القصيدة لا وجود لها في المخطوطة ويظهر أنها قصيدة غزلية أتلفها فيما أتلف من شعره. ووجدت في بقايا الصفحات المقطوعة «وأبيت ليلي لا» وكلمة «ألا تفوزا» وقطع أربع ورقات وترك صفحة بيضاء، وكتب القصيدة الرابعة وعنوانها «من المستنصرية إلى صوربون» ومطلعها:

سلام على ربعِ العلوم وأهله

سلامٌ على عهد الولاء يجدد

وعدد أبياتها 22 بيتًا وترك 7 ورقات وصفحة واحدة، وكتب قصيدة بلا عنوان، لكنه كتب في أعلاها «1920-1 مارس (Paris 14 Rue Lalo)»، وفي السطر التالي (تليت بمحضر سادات العرب في باريس قبل الاستقلال في الشام، ومطلعها:

حَيِّ الطلولَ الدارسات دُهورا

وقِفَنْ قَلُوصَكَ عندها والعيرا

وعدد أبياتها 46 بيتًا وهي القصيدة الخامسة، ثم قطع ثلاث ورقات وترك ورقة بيضاء، وكتب القصيدة السادسة ولم يضع لها عنوانًا، ولكنه ثبت عنوانه في باريس وكتب في أعلى القصيدة (بمحضر جماعة من العرب في دار المدرس في باريس 15مارس 1920م) ومطلع القصيدة:

كان المدرس شديد الاعتزاز بالعرب والإسلام، وأراد أن يحث العرب على النظر في تراثهم ويبعث فيهم الثقة والعزيمة بذكر تاريخهم في شعره

جاء البشيرُ وولَّت الأعداءُ

قُومُوا سِراعًا أيُّها الشهداء

ويظهر أنه كتبها بعد سقوط الاتحاد والترقي، وعدد أبياتها 32. ثم ترك بعض الأوراق البيضاء. وبذلك نظم ثلاث قصائد في شهر واحد في 1و10و15من شهر آذار/مارس وكتب اسم الشهر مرتين (مارس) ومرة واحدة (مارت).

أما القصيدة السابعة فقد جاءت بعد أن ترك صفحة واحدة ودوّن عنوانه في أعلاها وهو «باريس سه ن كلو ـ البيت الأزرق 10مارس 1920م)، ومطلع القصيدة:

طاب النسيم وطابت الأفراح

فخذي العقول وصفقي يا راح

وعدد أبياتها 13 بيتًا وبقي في الدفتر 17 ورقة بيضاء.

والخلاصة إن المخطوطة حوت سبع قصائد، وإذا جمعنا عدد الأبيات فتكون: 184، 127، 38، 22، 46، 32، 13 = 462.

وإذا أضفنا إلى المخطوطة القصائد التي لم يدونها الشاعر فيها وهي:

1- إن يكن في الفتاة ما تدعيه وعدد أبياتها 12.

2- إن يكن في الفتاة يا شيخ نقص وعدد أبياتها 32.

3- ماذا يحاول من يعادي المعهدا وعدد أبياتها 87.

4- هو الموت لا يبقي من الناس باقيًا وعدد أبياتها 188.

5- برزت بمنظرها البهيّ الأنور وعدد أبياتها 55.

فإن الأبيات التي لم تدون في المخطوطة تصبح 374.

فيكون مجموع شعر الشاعر في المخطوطة وخارجها 462 + 374 = 836 بيتا، وهي حصيلة شعرية جيدة بالقياس إلى بعض المجموعات الشعرية المعاصرة.

أدب المدرس

كان فهمي المدرس كاتبًا بارزًا وإداريًا معروفًا، درّس الأدب الجاهلي في استانبول في الجامعة باللغة التركية(3)، وطبع الكتاب وبقي طلابه يحتفظون بنسخ منه. كان شديد

الاعتزاز بالعرب والإسلام وأشاد بهم وبمواقعهم وانتصاراتهم في الجاهلية والإسلام، وشاهد تدهور الخلافة العثمانية وحكم الاتحاد والترقي وتأسيس دولة عربية في الشام، ورأى كيف أجهضت معاهدة سايكس/بيكو السرية أحلام العرب عندما زحف الجنرال غورو على دمشق وسحق الجيش العربي في وقعة ميسلون، فقال بحسرة:

أين الألى تركوا الأقيال حكمهم
حتى انثنوا وهمُ في الأرض أقيال
داروا على دارا فحلّوا ملكه
واستورثوا الكلدان والآشورا

وكثرت في شعره أسماء الشعراء العرب والقادة والأماكن التي وردت في تاريخ العرب مثل امرئ القيس وعمرو بن كلثوم وعنترة وقس بن ساعدة وذي يزن وقحطان والخَوَرْنق والسدير، وكيف كان المسلمون يحكمون العالم فأصبحوا اليوم شعوبًا وقبائل وأممًا تتحارب وتتقاتل، فأراد بذلك أن يحث العرب على النظر إلى تراثهم ويبعث الثقة والعزيمة بذكر تاريخهم، فذكر موقعة ذي قار وخسارة الأحباش في الاستيلاء على مكة المكرمة، وذكر علاقة هارون الرشيد بشارلمان، وتقدم العلوم والفنون والآداب عند العرب والمسلمين، وعدل الإسلام في قصة جبلة بن الأيهم، وعدل عمر بن الخطاب في قصة القبطي. كما أشار إلى الأماكن التي وصل إليها الإسلام لهداية الناس مثل جيحون والوادي الكبير وهمدان وهرات وقسطل وشريش وقرطبة ونيسابور، وذكر حرية الرأي وقوة الدين الإسلامي في حكاية الأعرابي مع عمر بن الخطاب عندما قال الأعرابي: لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقوّمناه بسيوفنا، وجواب الخليفة الذي حمد الله على أن يجد من يُقوِّم اعْوجاجه.

إنها إشارات يعرفها التاريخ الإسلامي أراد بها أن يبعث الثقة بالنفوس الحائرة والجيل المغترب المضطرب الحائر فقال:

سادت بكم أمةٌ سادت مفاخرها
على المفاخر من عاد إلى إرم
سادت بكم أمة في العلم دانَ لها
أولو الفصاحة والآداب والحكم
سادت بكم أمة والله ما خضعت
للضَّيم يومًا ولا ذلَّت لذي عظم
قومٌ هُمُ شيّدوا للمجد منزلة
قبل النبوات في عهد وفي قدم

أراد المدرس أن يذكر العرب المتناحرين والمتمزقين بالعرب الذين كانوا كتلة واحدة يلفها الإيمان والحب وقد اعتصموا بحبل الله في ظل مساواة الإسلام وعدله بالاقتداء بالرسول الكريم وهدي القرآن فقال:

هذا محمد خير الخلق من مضر
هذي المفاخر هذي غاية النعم
فالله يحكم والقرآن شاهدنا
والدين يعدل بالأحكام للأمم
وإنَّ من ينكر الآيات ساطعة
فعينه عميت والأذنُ في صمم

والرجل أستاذ يرى للعلم المنزلة الأولى على أن يقوم على التراث الأصيل والجد والإخلاص:

وجدِّدوا لقديم العلم منزلة
وشمِّروا شمروا عن ساعد الهمم
واستنجدوا العلم في إيقاظ قومكم
فغاية الجهل مهواة إلى العدم

وفي هذه الفترة كان العربي والمسلم والشرقي يحسون إحساسًا واحدًا مترابطًا، فلم تكن الحدود قد وضعت، والإقليمية قد غرست، والجوازات قد طبعت، فكل مثقف يرى وحدة الشرق والعرب والإسلام تضم الجميع، فقد كان الشرق والعرب والإسلام في اتحاد وقوة، لذا قال شوقي:

إن العروبة لفظ إن نطقت به
فالشرق معناه والإسلام والضاد

وكان همّ العرب وحدة الجزيرة العربية بما فيها العراق والشام ومصر، لذلك فعندما تحل بمصر مشكلة أو بأية قطعة من الوطن العربي نرى كل العرب يحسون بها. يقول الشاعر مخاطبا مصر:

لا تخْشينْ يا مصرُ كيدًا للعدا
إن ضلّت الآراء والأهواء
يا مصر لست عن البلاد وأهلها
ببعيدة إن حانت الشحناء

ونجد ذلك الفكر الشرقي العربي الإسلامي عندما يقول:

لبنان مني والبقاع وصورها
وطني وعندي كلها زوراء
لا فرق بين حجازنا وشآمنا
جسد يئن وكلنا أعضاء

إنه عصر كان الفرنسيون فيه في الشام والإنجليز في العراق ومصر والطليان في ليبيا.

الاتحاد والترقي

لا أريد الحديث عن مؤامرة الغرب والصهاينة ضد الدولة العثمانية وخلع السلطان عبد الحميد فقد ذكرها التاريخ، وكان نتيجة المؤامرة، سيطرة الاتحاد والترقي وتمزيق الدولة وتحولها من دولة مسلمة إلى دولة طورانية جعلت القومية التركية فوق كل شيء، ونبذت كل الشعوب وعاداتها، وجعلت أنصارها في الوظائف الكبيرة من الجهلة والأميين.. وبدلت مظاهر الدين الإسلامي، وغيّر رجال الاتحاد والترقي أسماءهم العربية إلى أسماء طورانية مثل جنكيز وتيمور وأرطغرل، وتركوا الأسماء العربية مثل محمد وعلي والحسن وسعد وعمر والعباس، وأخذوا يحكمون بما تشاء أهواؤهم بلا شرع يردعهم أو قانون يوجههم حتى الدستور الذي أعلنوه أهملوه فكان الحاكم كما قال:

فحاكِم الشعب زنديق وحارسه
مضلل وأمين الملك دجال
يسدُ خرقًا بخرق وهو راقعهُ
كما إذا سد وجه الشمس غربال

من ذا يقوم بأعباء العباد ومن
يحمي البلاد ومن للخطب يحتال؟
ضاعت حقوق أناس ساد جاهلهم
ومن فيهم للغرب إيغال

فالمدرس وضع النقاط على الحروف بعد أن رأى إصبع الغرب في كل ما يحدث للدولة العثمانية من ضياع للمثل والأخلاق والمعايير، فقد عبث الاتحاد والترقي بالدولة لضيق الفكر والمكتسب الفردي، وتألم عندما رأى الجهلة يحكمون البلد فقال:

أعرش هارون يعلوه على سفه
من آل جنكيز أوغاد وأدغال؟
أُفٍ لتاج علا هامًا مضللة
من بعد هام عليها الحكم ينهال

الإنسانية في شعره

وفي قصائده الرائعة تختلط الإنسانية بالمشاعر العربية والإسلامية؛ إذ إن الاتحاديين لم يكتفوا بالحكم وإنما أخذوا في الفتك بالعرب وشنقوا جماعة في دمشق وبيروت بعد محاكمة عسكرية صورية في عالية، وكان هذا الفكر المحدود المتعصب سببًا في ضياع الدولة وتمزقها، وندامة هؤلاء من حيث لا ينفع الندم، وقتلهم في كل مكان حلوا فيه لا سيما القادة الذين قاموا بالانقلاب، ورأى المدرس هذه النهاية وهو في باريس فقال:

زال العدا ثم زال الملك واندرسوا
وهم على الرغم أحياء ومازالوا

أجل إنهم: ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾... أما في العراق فقد فتك الاتحاديون بالرجال، وأخذوا النساء والأطفال إلى الأناضول نفيًا، فتركوا في كل بيت رنَّة حزن وصوت عويل وأسى عميقًا، وتحول العراق جنة الأرض إلى أطلال وخرائب فقال:

إن الجنان التي كانت تظلله
أضحت هشيمًا فلا ضل ولا ضال
كم قتَّلوا سادة واستحقروا أممًا
ويل لهم معشر للمجد قتّال

الحرية وباريس

إن الظلم الذي سيطر على الدولة من حكم الاتحاديين وعبثهم في مقدرات الناس كان واضحًا أصاب كل عربي، ولما وازن المدرس حالة هؤلاء بالحالة العامة في باريس وجد البون شاسعًا، فقد وجد حرية التنقل والخطابة والصحافة في فرنسا، حرة كل الحرية لا يخاف زائر الليل ولا مراقبة الأمن ولا تدخل الشرطة، لهذا فباريس جنة الحرية، القانون هو المسيطر لا سطوةُ حاكم ولا رأيُ سلطان عليه، فقال:

تعالوا تعالوا إن باريس معبد
به الناس أحرار به الحق يقصد

ولن تحرر الشعوب إلا بالثورة ولن تحصل على الحرية إلا بالقوة قال:

إن الحقوق تمردت إلا على
من جرّد العضب الصقيل وجددا
لا تدل إلا بالسيوف أدلة
فالحق في حد السيوف تولدا

تأسيس الجامعة

أراد المدرس أن يحقق حلمه أستاذًا بتأسيس جامعة حديثة على غرار جامعات أوربا التي زارها مثل كمبردج وأكسفورد وباريس (السوربون) لأنه آمن بأن الأمة لن تتطور إلا بالعلم. كان واسع الأحلام سبق عصره، لكن قوبل بمعارضة شديدة وأخفق المشروع برغم الإعداد له وبناء أول بناية له وتخطيط جميع مرافقها، لهذا تألم الشاعر فقال:

يا غافلاً مما يُراد به أفِقْ
من غمرة السكرات فالحادي حدا

ومنها:

يا شرقُ جدِّد ما استطعت عن الذي
ضاق الخناق عليه أن يتنهدا

وبكى تهدم آماله في رفع مستوى أمته؛ لأن العلم هو الذي رفع من قدرة الغرب الذي أخذ حضارته من العرب فقال:

لو كان للدمع الخلود مقدرًا
لأقمت منه نائحًا ومعددًا
مجد طواه الدهر مجدًا شامخًا
لله طود صار يومًا فدفدا

وتلفت يمنة ويسرة فرأى ما حاق بالأمة من تخاذل وتمزق ووازنه بعهد الرسول الكريم، فقال:

جار الزمان وما وعوا وتفرقوا
شيعًا فعاد عليهم فاستعبدا
لم يبق للعربيّ مأوى آمن
يأوي إليه مُتْهِمًا أو منجدًا

لله ذلك العربي الضائع التائه الذي لا يجد له مكانًا يحتمي به أو مأوى يلوذ به ما أشد قساوة الأيام عليه؟

الحجاب والسفور

ومن الأمور التي جاءت في المخطوطة معركة السفور والحجاب التي ظهرت في مصر عندما نشر قاسم أمين كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة)، وتأثر بهما كتّاب العراق، ودارت معارك في الجرائد والمجلات بين مناصر ورافض، ولكن المدرّس وقف موقفًا

أراد المدرس أن يحقق حلمه بتأسيس جامعة حديثة على غرار الجامعات الأوربية؛ لأنه آمن بأن الأمة لن تتطور إلا بالعلم

جـديدًا.. فلم يناصر السفور أو يقف مع الحجاب، وإنما عالج المشكلة العامة التي سيطرت على الشعب كله، إنها مشكلة التأخر العقلي والأمية التي رانت على الرجال، أراد أن يتعلم الشعب قبل أن يبحث في قضية الحجاب والسفور التي ليست ضرورية في هذه الفترة، فقال للأدباء والأولياء:

أصلح الشعب إن أردت صلاحًا
كل قوم صلاحهم نفسيّ
مزق الحجب أولاً عن مصير
مسه السوء والردى والعِيُّ
أحجاب الرجال شيء جميل
وحجاب الفتاة شيء فريُّ
ما يفيد الحجاب عبدًا رقيقًا
ذللتهم أكفهم والعِصِيّ

ولعله بذلك يرد على الزهاوي الذي نشر قصيدة قال فيها:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا
واسفري فالحياة تبغي انقلابا

فن الشاعر

يمتاز شعر الشاعر بجزالة الأسلوب وقوة النسج، متأثرًا بالشعر الجاهلي والحياة العربية فيه، وبعض الآثار من الشعر العباسي والعصر الأموي. لكن السمات البدوية في الصحراء هي الغالبة؛ فقد وصف الناقة بأنها أدماء ومرقالة وعيهلة وسرداحة لأنه درس الأدب الجاهلي فترة طويلة.. إضافة إلى أن عصره لم يكن قد انتشرت فيه المواصلات الحديثة. حتى إنه نقل كتبه بعد سقوط الدولة العربية في الشام على أربعة جمال إلى بغداد، وأخذ الجمّال منه (160) ليرة ذهبية. ومن تأثره بالعصر الجاهلي قال:

سارت تؤم سراة القوم مرقال
أدماء دلعبة ضاقت بها الحال

وقال يصف الناقة وكأنه شاعر جاهلي:

فأرقلت بيَ نحوَ الحيِّ عيهلةٌ
سرداحة تنسم الآكام شملال

أمست بضرماء مذكار مبعدة
عن المراجع لا ماء ولا آل

تأثره بالقرآن الكريم

ويظهر أثر القرآن الكريم في شعره بوضوح فقال:

هذا بلاغ به ذكرى وتبصرة
وحسب ذا اللب تفصيل وإجمال

وقال:

كلما نضجت منهم جلودهم
تبدلت ليذوقوا الباس في أُخر

كما وجدته متأثرًا بالكلمات الحديثة التي كانت تنتشر في المقتطف والمقطم والهلال فأدخلها في شعره مثل «الأثير والإكسير والسيارات والدستور والنجوم»، وهي كلمات شاعت مع الفكر الجديد الذي جاء من الترجمة عن الغرب.

المحسنات اللفظية

وفي شعره بعض المحسنات اللفظية التي جاءت عفو الخاطر مثل قوله:

أعرش هارون يعلوه على سفه
من آل جنكيز أوغاد وأدغال

وقوله:

داروا على دارا فحلوا ملكه
واستورثوا الكلدان والآشورا

صوره الشعرية

وله صور شعرية جميلة منها:

عجبت أن تحمل الأطواد شامخة
والأرض مادت بهم ترتج في ذعر

ومنها:

عجبت للظلم نيران مسعرة
كيف استويت ولم تندك من ذعر
عليك أفئدة طارت محلقة
تنوح كالوُرْق إذْ ناحت على الشجر

وأخيرًا، برغم الإيذاء والظلم الذي أصابه من بني وطنه كان رقيق الخلق، وفيّ الأرومة جميل الشمائل. فقد فضّل أهله وأرضه على كل أرض، وبلاده على كل بلاد، قال:

أحاديث دهر كلهن مصائب
نشرن فلم يخلف لها الدهر طاويا
أحاديث أوطاني وأهلي وعترتي
وأبناء قومي ثم نفسي وماليا
أحاديث أرض ما رضيت بغيرها
مقيلاً ولا عن أرضها كنت ساليا
أحاديث عن وادي الفرات ودجلةٍ
ومن ذا رأى - قل لي بربك - واديا

التجديد

والغريب أنني وجدت قصيدة الزهاوي التي نشرها في الكلم المنظوم التي نظمها بغير قافية موحدة عند الشاعر بين الأوراق التي وجدتها مع المخطوطة، ونشر بعضها في ديوان الزهاوي، وسمى هذا الشعر بالشعر المرسل واكتفى بالوزن دون القافية، ومن القصيدة:

يعيش رخيّ البال عُشر من الورى
وتسعة أعشار الورى بؤساء
أما في بني الأرض العريضة قادر
يخفف ويلات الحياة مقيلاً

إن نقل القصيدة بيده ووضعها مع أوراقه دليل على اهتمامه بالتجديد.

هذه فكرة عامة عن المخطوطة وعسى أن يُتاح لي طبعها لإعادة ذكرى إنسان أراد لوطنه الخير والتطور والتجديد، لكنه سبق زمانه فجُوزي بالعقوق، ومات خائفًا في داره. وكم من مخلصين وعباقرة ماتوا في وطننا دون أن يكترث لهم الوطن! إنه التخلف الحضاري الذي ران على الأمم المتخلفة التي سميت نامية تخديرًا.

الهوامش:

1- الحديث عن السفور والحجاب موجود في كتابي «الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية».
2- عُيّن في 31 آب/اغسطس 1931م.
3- تاريخ أدبيات عربية، الآستانة، 1332رومية.

محمود شاكر وأستاذه الرافعي

إبراهيم محمد محمود الكوفحي

ترجع صلة محمود محمد شاكر بأستاذه مصطفى صادق الرافعي إلى سنة 1923م، وهو في الرابعة عشرة من عمره؛ إذ كان قد قرأ للرافعي بعض كتبه فأحب أن يراسله ابتغاء الصلة وطلبا للعلم. ثم توثقت بينهما صحبة عميقة إلى أن توفي الرافعي سنة 1937م.

وقد أشار محمود شاكر إلى هذه العلاقة التي كانت تربطه بالرافعي، علاقة التلميذ بأستاذه غير مرة. ومن ذلك قوله: «كانت سنة 1341هـ - 1923م فقرأت للرافعي كتابه «المساكين»، فنازعتني نفسي إلى مراسلته لأصل ما بيني وبينه، فكتب إلي كتابا رقيقا كنور الفجر. ثم مضت الأيام ولقيت رجلاً كهلاً قد اشتعل الشيب في رأسه، خفيفًا قد أخذت منه الأيام، صامتًا قد أسكته الفكر، ثم قيل لي هذا الرافعي، فيوم ذاك عرفته، فإذا هذا الكهل شباب مشتعل يتوهج، وإذا هذا الخفيف قوة مستصعبة مستمرة لا تلين، وإذا هذا الصامت لسان عربي مبين، ثم هو بعد صديق أنت في صداقته في مثل الروضة التي تفيء إلى ظلها، وتستنشي شذاها، وتصاحبها وتصاحبك، فتمسح عن قلبك الحزن بالرضا والفرح، ما لا تمسح صداقة الناس ممن ترى وتعرف»(1).

وقوله أيضا: «عرفت الرافعي معرفة الرأي أول ماعرفته، ثم عرفته معرفة الصحبة فيما بعد، وعرضت هذا على ذلك فيما بيني وبين نفسي، فلم أجد إلا خيرًا مما كنت أرى، وتبدت لي إنسانية هذا الرجل كأنها نغمة تجاوب أختها في ذلك الأديب الكاتب الشاعر، وظفرت بحبيب يحبني وأحبه، لأن القلب هو الذي كان يعمل بيني وبينه، وكان في أدبه مس هذا القلب»(2).

وفي رسائل الرافعي إلى بعض أصدقائه كثيرًا مانجده يذكر شاكرًا باعتباره واحدًا من تلاميذة وأنصاره، وهو في الغالب لا يسميه باسمه، وإنما يدعوه «ابن الشيخ شاكر»، ولعل ذلك راجع لحداثة سنه من ناحية، وشهرة أبيه الشيخ محمد شاكر (ت: 1358هـ/1939م)(3) من ناحية أخرى. يقول الرافعي في إحدى رسائله سنة 1931م: «وكتب إلي ابن الشيخ شاكر، وهو من أكبر المخلصين لنا، أن العقاد تناقض في هذا الكتاب - يعني كتاب العقاد «ابن الرومي» - تناقضًا فاحشًا، وأنه لم يصحح ما نبهته إليه في «السفود»، بل تركه على غلطه»(4). ويقول أيضا في رسالة أخرى سنة 1932م: «أظنك قرأت شرح المرصفي على «الكامل»... فإن ابن الشيخ شاكر هذا من المخلصين لنا كل الإخلاص، والمتعصبين كل التعصب، أكثر الله من أمثاله»(5).

لقد وجد شاكر في الرافعي، وخاصة في مطلع حياته الأدبية، ذلك الأديب الجدير بالأستاذية، فآثره دون غيره من أدباء عصره ومفكريه، فراح يخب في دربه، ويتابعه في غير قليل مما يذهب إليه من الآراء والأحكام.

ومن المعروف أن الرافعي، في بداية هذا القرن، كان من أبرز الأدباء المدافعين عن الثقافة العربية الإسلامية التي كانت تتعرض لهجوم عنيف من قبل أولئك الأدباء الذين كانوا على اتصال وثيق بالثقافة الأوربية بشقيها: اللاتيني والأنجلوسكسوني.

وقد كان يرى أن الهجوم على اللغة العربية وتراثها الأدبي لايستهدف إلا الهجوم على الإسلام نفسه؛ لأن إضعاف العربية في نفوس أبنائها أو تشويهها من شأنه أن يباعد الناس عن القرآن والحديث النبوي اللذين هما عمود الإسلام. وعلى هذا الأساس من الربط بين الدين واللغة كانت معاركه مع بعض «أنصار الجديد» ممن تأثروا الثقافة الأوربية؛ لأن اللغة العربية، فيما يقول الرافعي، أساس الأمة الإسلامية «فلا ترضى إلا أن يكون هذا الأساس ثابتًا متينًا لايزعزعه شيء، ولا يثلمه شيء ولايضعفه شيء»(6)، وفي رأيه أن نهضة الشرق العربي «لاتعتبر قائمة على أساس وطيد، إلا إذا نهض بها الركنان الخالدان: الدين الإسلامي، واللغة العربية»(7).

ولعل في رسالة شاكر التي بعثها إلى الرافعي يطلب منه فيها أن يرد على من زعم من الكتاب أن قول العرب: «القتل أنفى للقتل» أبلغ من قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ البقرة:179، ما يدل دلالة جلية على هذه الأستاذية التي كان يراها له، يقول شاكر: «غلى الدم في رأسي حين رأيت الكاتب يلج في تفضيل قول العرب: «القتل أنفى للقتل» على قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾، فذكرت هذه الآية: ﴿وإنَّ الشياطين لَيُوحون إلى أوليائهم﴾ الأنعام:121، ثم هممت بالكتابة فاعترضني ذكرك، ففي عنقك أمانة المسلمين جميعا، وأعلم أنه لاعذر لك. أقولها مخلصًا، يمليها علي الحق الذي أعلم إيمانك به، وتفانيك في إقراره والمدافعة عنه والذود عن آياته، ثم أعلم أنك ملجأ يعتصم به المؤمنون حين تناوشهم ذئاب الزندقة الأدبية التي جعلت همها أن تلغ ولوغها في البيان القرآني»(8).

وكان الرافعي الأستاذ حريصًا جدًا على شاكر التلميذ، وكثيرًا ما كان يكتب إليه، إذا تأخر عن مراسلته، يسأله عن حاله وعن سبب انقطاعه عنه، إذ كان «يعتد بصداقته ويقر له ويعجب بدينه وتقواه، ويتوقع له مستقبلاً عظيمًا بين المجاهدين من أهل الأدب ودعاة الإسلام»(9). ولعله كان يطمع أن يكون شاكر خليفته الذي يحمل من بعده لواء التبشير بمذهبه في الفكر والأدب، والمناضلة عن هذا المذهب.

ويظهر حرص الرافعي هذا جليا في مقالاته الست «الانتحار»، التي أنشأها عقب سماعه نبأ محاولة شاكر الانتحار بقطع شريان في يده، إذ لم يبلغه هذا الخبر عن تلميذه وصديقه حتى جزع وضاقت نفسه، وناله من الحزن ما لم ينله لمصيبة ألمت به من قبل(10).

والواقع أنه من الطبيعي أن تنشأ هذه العلاقة الوثيقة بينهما، وأن يكون الرافعي أحب الكتاب إلى قلب شاكر؛ لأن ثمة أسبابا كثيرة تنازعه إليه «من أخوة في الله، ومن صداقة في الحب، ومن مذهب متفق في الروح، ومن نية معروفة في الفن، ومن إعجاب قائم في البيان»(11).

وليس من ريب أن لهذه العلاقة دورًا كبيرًا في علاقة شاكر فيما بعد بطه حسين التي كانت على النقيض من علاقته بالرافعي، ملؤها الخلاف والجدل، والتي كان لها أكبر الأثر في حياة شاكر الشخصية والأدبية.

ومن الجدير بالذكر أن الرافعي كان على خلاف حاد مع طه حسين، وهو خلاف قديم الجذور، ربما يعود إلى سنة 1913م، وقد اشتمل على معظم قضايا الصراع بين القديم والجديد الذي كان محتدمًا بين الأدباء والنقاد في تلك الفترة، كاللغة والدين والأدب والنقد والأسلوب والمنهج وغير ذلك(12).

وإذا كانت مسألة الشعر الجاهلي من أبرز مسائل الخلاف بين الرافعي وطه حسين وخاصة بعد ظهور كتاب الأخير «في الشعر الجاهلي» سنة 1926م، الذي ينتهي فيه إلى «أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرًا جاهليًا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة (كذا) مختلقة بعد ظهور الإسلام»(13)؛ حيث تصدى الرافعي للرد على هذا الكتاب ومناقشة ما جاء فيه من آراء، في مقالاته التي احتلت مساحة واسعة من كتاب «تحت راية القرآن: المعركة بين القديم والجديد»، الذي نشر في السنة نفسها التي ظهر فيها كتاب د. طه؛ فإن هذه القضية عينها، في هذه الآونة، كانت من أبرز قضايا الخلاف أيضا، بين شاكر وطه، وكان يومئذ في السابعة عشرة من عمره، من طلاب طه الذين كان يلقي إليهم محاضراته في الشعر الجاهلي في الجامعة المصرية، حتى اضطر بسبب هذا الخلاف إلى أن يترك الجامعة، ولما يزل في السنة الثانية.

على أن شاكرًا لم يسلك في الرد على طه حسين السبيل نفسها التي سلكها أستاذه الرافعي، القائمة على التعليق السريع، والنظر الجزئي، بل كان تصوره للمسألة أشمل وأعمق، إذ كانت معضلة «المنهج»، منهج دراسة الشعر العربي، ولاسيما القديم منه، هي التي تقلقه وتؤرقه.

ومن هنا كانت رحلته المضنية، بعد فراقه الجامعة، في قراءة التراث العربي، التي استمرت قرابة ثماني سنوات (1928- 1936م)، والتي بدأها بإعادة قراءة كل ما وقع تحت يده من الشعر العربي، قراءة متأنية متذوقة، ثم قراءة كل ما وقع تحت يده من كتب القدماء في العلوم المختلفة.

وقد استطاع شاكر بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة في أعماق التراث - والتي لا ينكر فيها، بطبيعة الحال، دور الرافعي في توجيهه وإسداء النصيحة إليه، لإحاطته الواسعة بهذا التراث، وتعمقه له ومعرفته الدقيقة بأسراره - أن يهتدي إلى منهج واضح مستتب في دراسة الشعر، وهو ما أسماه منهج «التذوق»(14)، وقد ظهر هذا المنهج أول مرة في صورته التطبيقية، وذلك في كتابه «المتنبي»(15)، ثم أخذ يظهر في صورتيه التطبيقية والنظرية فيما بعد.

إن كتاب «المتنبي»، في نظر شاكر، هو الرد الحقيقي على طه حسين، لأنه قائم على منهج جديد في دراسة الشعر العربي، يطمئن إليه، يختلف اختلافًا بينا عن المنهج الذي كتب طه حسين على أساسه «في الشعر الجاهلي»، والذي يتكئ على «الشك» الديكارتي، وإن كان شاكر لم يفصح في كتابه عن طبيعة هذا المنهج الذي ركن إليه، خلافًا لطه؛ إذ يرى شاكر أنه من الخطأ أن يبدأ الكاتب أول كل شيء، فيفيض في شرح منهجه في القراءة والكتابة، ثم يكتب بعد ذلك ما يكتب ليقول للناس: هذا منهجي، وها أنذا قد طبقته؛ بل عكسه هو الصواب، وهو أن يكتب الكاتب مطبقًا منهجه، وعلى القارئ أن يستشف المنهج ويتبينه، محاولاً استقصاء وجوهه الظاهرة والخفية، مما يجده مطبقًا فيما كتب الكاتب(16).

وقد كان الرافعي أول من أبدى إعجابه بكتاب «المتنبي»، وتنبه لمنهج شاكر المتميز في دراسة الشاعر وشعره، وذلك في مقالة له نشرها في مجلة «الرسالة»(17) تحت عنوان «المقتطف والمتنبي»، ومما قاله فيها: «كان الرجل (يقصد المتنبي) مطويًا على سر ألقي الغموض فيه من أول تاريخه (يعني علوية المتنبي التي يقول بها شاكر)، وهو سر شعره وسر قوته... ومن هذا السر بدأ كاتب المقتطف، فجاء بحثه ينحدر في نسق عجيب متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونمو شباب، وعرض بين ذلك شعر المتنبي عرضًا خيل إليّ أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها»(18).

ولاشك أن شاكرًا قد أفاد كثيرا من أستاذه الرافعي، وخاصة في تلمس الجذور الأولى لمنهج «التذوق»، إذ لا نجد عناء في تبين هذه الجذور مبثوثة هنا وثمة في كتب الرافعي، من مثل: «تاريخ آداب العرب» و«تحت راية القرآن» و«على السَّفُّود» وسواها.

ومهما يكن من حجم هذه الإفادة؛ فإن من الحيف أن يقال بأن كتاب «المتنبي» من صنع الرافعي، نحله تلميذه شاكرًا، كما يقرر ذلك مصطفى نعمان البدري في كتابه «الإمام مصطفى صادق الرافعي»؛ إذ يعد «المتنبي» من بين آثار الرافعي التي كان ينحلها بعض أصدقائه وتلاميذه(19)، هكذا دون أي دليل أو برهان على مايزعمه، إلا أن «الرافعي أراد بهذا الكتاب فتح جبهة أخرى على الدكتور طه حسين والجامعة»(20).

ومن الواضح أن العصبية المفرطة للرافعي، والتي تصفه مسبقًا بالإمام، في أطروحة علمية(21)، هي التي تقف وراء هذا الزعم، الذي يجهل حقيقة الآخرين، وخصوصا واحداً مثل شاكر، الذي ساءه جدًا، وهو لما يزل شابا على مقاعد الدرس، أن يسمع أستاذه طه حسين يردد حرفيًا مقالة المستشرق الإنجليزي مرجليوث «أصول الشعر العربي»(22) دون أية إشارة إلى صاحبها، بل إن «قضية السطو» هذه كانت من أبرز الأسباب التي أججت الخلاف بينه وبين طه(23). واضطرته إلى أن يفارق الجامعة قبل أن يكمل دراسته.

محمود محمد شاكر

مصطفى صادق الرافعي

ولعل من المفيد أن نذكر ها هنا بعض ما قاله شاكر للمستشرق كارلو نالينو عندما زاره ليحثه على الرجوع إلى الجامعة، يقول شاكر: « أنت أعلم أني بقيت معك في الجامعة سنتين لم أبرح، وتعلم ما كنت أقوله من «مسألة الشعر الجاهلي» التي نسمعها في محاضرات الدكتور طه، وأن هذا الذي نسمعه ليس إلا سطوا مجردا على مقالة مرجليوث، وأنت والأساتذة تعلمون صحة ذلك، وفي خلال السنة الماضية، نشرت كتب ومقالات في الصحف

تكشف ذلك أبين كشف، ولكن لم يكن لهذا الكشف عندكم في الجامعة إلا الصمت، فهذا الصمت إقرار من الجامعة وأساتذتها بهذا المبدأ، مبدأ «السطو»، قد مضت عليّ سنتان صابرًا، أما الآن، فلم أعد قادرًا على التوفيق بين معنى «الجامعة» في نفسي، وبين هذا المبدأ الذي أقررتموه، فتقوض معنى «الجامعة» وأصبح حطامًا(24).

ولا جرم أن طالبا هذا شأنه، يصل به حد الاستياء من أستاذه بسبب تقليده الآخرين، ونقله كلامهم دون الإشارة إليهم، والاعتراف بجهودهم، إلى أن يترك الجامعة، بعد أن تهافت معناها عنده، لايمكن أن يكذب هو نفسه بعد ذلك على الناس، فيرضى بأن يُنسب إليه ما صنعه غيره، ثم لماذا لم يعز الرافعي كتاب «المتنبي»، إن كان من تأليفه، إلى نفسه، مؤثرًا غيره به، وهو، بحق، يعد أهم كتاب تناول المتنبي وشعره في هذا القرن(25).

والواقع أن خلاف شاكر مع طه حسين لم يتوقف بترك الأول الجامعة، بل نراه يعود جذعًا (أي جديدًا) بعد نشر الأخير كتابه «مع المتنبي» سنة 1937م، حول القضية نفسها «قضيةالسطو»؛ إذ راح شاكر يكشف عن «سطو» طه على كتابه «المتنبي»، وتقليده لمنهجه، مع إغفال اسمه، وذلك في مقالاته العنيفة التي كان ينشرها في «البلاغ» الأسبوعي تحت عنوان «بيني وبين طه» والتي لم يوقف سيلها إلا موت الرافعي في السنة نفسها، عندما بلغ المقالة الثانية عشرة، وقد كان شاكر على نية موالاة هذه المقالات، لولا أنه ـ فيما يقول ـ قد «حدث ما بغض إليّ هذا الأمر كله، فطرحت كتابي وكتاب الدكتور طه جانبًا، وضقت بهما وبالمتنبي نفسه ذرعا، فكففت عن متابعة الكتابة»(26).

ولعلي لا أستبعد أن تكون هذه المقالات العنيفة التي كتبها شاكر في نقد طه حسين، والتي توقف عن متابعتها بسبب موت أستاذه الرافعي، هي التي جعلت البدري يتوهم ما توهمه، مما ألمعت إليه قبل قليل، على أن من البداهة أنه لولا كتاب طه «مع المتنبي» الذي ظهر بعد كتاب شاكر «المتنبي» بنحو سنة أو أقل، ما كان لهذه المقالات، أو هذه «الجبهة»، سبب.

ومثلما أثّرت تلمذة شاكر للرافعي في علاقته بطه حسين، فقد أثّرت كذلك في صلته بعباس محمود العقاد، ومن المعلوم أنه ثمة صراعًا عنيفًا كان بين الرافعي والعقاد، ربما ترجع بداياته الأولى إلى سنة 1914م، وقد ظل إلى أن توفي الرافعي، ولعل من الطبيعي أن ينشب الصراع بين هذين الأديبين، بسبب ما بينها من التباين البين في طبيعة المزاج، والتكوين الثقافي، والمنافسة، وغير ذلك من دوافع النزاع الكثيرة(27).

فعلى الرغم من حب شاكر للعقاد، وعلى الرغم من أنه كثيرًا ما كان يلتقي به ويسلم عليه، حيث كانا يسكنان مصر الجديدة؛ إلا أن العقاد، فيما يقول شاكر، كان يجفوه وينقبض عن حديثه إذا هو حدثه، بسبب مايعرفه من علاقته بالرافعي(28).

وإذا كان النزاع بين الرافعي والعقاد، قد انتهى، كما أشرت آنفًا، بوفاة الأول، فإنه سرعان ما عاد من جديد، على صفحات مجلة «الرسالة»، بين تلاميذهما وأنصارهما، واستمر قرابة ثمانية أشهر: من 25 نيسان/ أبريل إلى 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1938م(29).

وقد كان شاكر أول من نهد للرد على سيد قطب، الذي راح يحط من منزلة الرافعي الأدبية والنقدية، ويعلي من شأن أستاذه العقاد(30)، وذلك في معرض رده على ما كتبه محمد سعيد العريان عن المعركة النقدية التي دارت بين الرافعي والعقاد حول ديوان الأخير «وحي الأربعين»، حين امتدح العريان نقد الرافعي، ووصف رد العقاد عليه بأنه سباب وشتائم(31)، في مقالاته التي كان ينشرها تباعًا في «الرسالة» عن الرافعي، عقيب وفاته، والتي ضمها فيما بعد كتابه «حياة الرافعي».

وقد ذهب شاكر إلى تأييد الرافعي فيما أخذه على شعر العقاد، مبينا أن الرافعي كان يذهب في نقده مذهب العربي حين يسمع الكلام العربي لا ينحرف بألفاظه إلى غير معانيها، ولا يتسع في معاني الألفاظ بغير دلالة ظاهرة أو مسوغ مضمر، ولا يقبض من معانيها إلا بمثل ذلك مما يجيز انقباض بعض معاني اللفظ عن سائره. كما ذهب شاكر إلى تأكيد ما قاله العريان بشأن رد العقاد على الرافعي، فهو لا يمكن، فيما يقول شاكر، أن يقال فيه إلا ذلك، إذ ليس فيه شيء مما يسوغ أن يعد ردًا أو نقدًا(32).

ولعل من السهل أن نتبين أن الخلاف بين شاكر وسيد قطب لم يكن إلا امتدادا للخلاف القديم بين الرافعي والعقاد، فقد راح كل واحد منهما يطري أستاذه، ويجلي مذهبه في الأدب والنقد، موجهًا، في الوقت نفسه، التهم والعيوب إلى خصمه، وإذا كان سيد يُعَنْونُ مقالاته «بين العقاد والرافعي»، مقدمًا أستاذه، فقد راح شاكر، في مقابل ذلك، يُعَنْونُ ردوده «بين الرافعي والعقاد»، مقدما هو الآخر أستاذه.

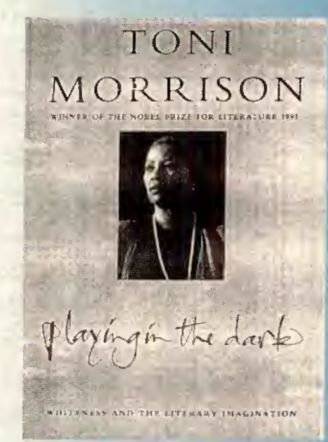
الهوامش:

1ـ محمود محمد شاكر، «وحي القلم» لمصطفى صادق الرافعي، المقتطف، فبراير 1937م، ص:251.
2ـ محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، (فاتحة الكتاب، بقلم محمود محمد شاكر)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط3، 1955م، ص:8.
3ـ انظر مصادر ترجمته في: يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، منشورات جمعية أهل القلم، بيروت، 1955م، ج2، ص467.
4ـ محمود أبو رية، رسائل الرافعي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1950م، ص210.
5ـ المصدر نفسه، ص:236 - 237.
6ـ مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ص:397 - 398.
7ـ المصدر نفسه، ص172.
8ـ المصدر نفسه، ص397 - 398.
9ـ العريان، حياة الرافعي، ص:282.
10ـ تنبه د. خليل الشيخ لمحاولة شاكر الانتحار، وبيّن أثرها في الرافعي، في دراسته «الانتحار في الأدب العربي الحديث»، مجلة «دراسات»، الصادرة عن الجامعة الأردنية، إذ كان الرافعي لم يشر في مقالاته «الانتحار» صراحة إلى شاكر، وكذا العريان حين أورد القصة باعتبارها السبب الذي أنشأ الرافعي من أجله مقالاته، وكان حديث شاكر نفسه عنها مقتضبًا يكتنفه الغموض، انظر: المصدر نفسه، ص280 - 282، والرافعي، وحي القلم، ج2، ص87 - 132، ومحمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافاتنا، بضميمة كتاب «المتنبي»، دار المدني بجدة، 1987، ص:6.
11ـ شاكر، «وحي القلم»، لمصطفى صادق الرافعي، ص251.
12ـ انظر تفاصيل هذا الخلاف في: العريان، حياة الرافعي، ص:151-167، وسامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، دار القلم، بيروت، ط2، 1977م ص:297-300.
13ـ طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1926م، ص7.
14ـ انظر حديث شاكر المفصل عن منهجه في «التذوق» في مقالتيه: «المتنبي ليتني ما عرفته»، الثقافة، العدد 61 (أكتوبر 1978م)، والعدد 63 (ديسمبر 1978م).
15ـ نشر هذا الكتاب أول مرة في عدد خاص من مجلة المقتطف، في يناير 1936م.
16ـ انظر: شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص20-21.
17ـ العدد 132، 13 يناير 1936م.
18ـ انظر: الرافعي، وحي القلم، ج3، ص370.
19ـ انظر: مصطفى نعمان البدري، الإمام مصطفى صادق الرافعي، مطبعة دار البصري، بغداد، سنة 1968م، ص:470 472.
20ـ المصدر نفسه، ص:471.
21ـ أصل كتاب البدري «الإمام مصطفى صادق الرافعي» أطروحة علمية نوقشت في دار العلوم بالقاهرة، وقد ذكر أنور الجندي الذي حضر مناقشة هذه الأطروحة أن العاطفة الزائدة في حب الرافعي كانت من أبرز المؤاخذات التي وجهها الأساتذة المناقشون إلى الباحث؛ لأنها كثيرًا ما كانت تتدخل فتحجب الحقيقة العلمية، انظر: أنور الجندي، صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1979م، ص:51.
22ـ نشرت في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة 1925م.
23ـ انظر تفاصيل هذا الخلاف حول هذه القضية في: محمود محمد شاكر، المتنبي ليتني ما عرفته، الثقافة، العدد 60 (سبتمبر 1978م)، ص:8-12.
24ـ المصدر نفسه، ص:11-12
25ـ من المعروف أن شاكرًا قد حاز لأجل تأليفه هذا الكتاب خاصة على أشهر جائزة أدبية في العالم العربي، وأعني بذلك «جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي» التي منحها سنة 1984م.
26ـ شاكر، المتنبي ليتني ما عرفته، الثقافة، العدد 60، ص:12.
27ـ انظر تفاصيل الصراع بين الرافعي والعقاد في: العريان، حياة الرافعي، ص:185-203، وعامر العقاد، معارك العقاد الأدبية، المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا ص:8-16.
28ـ انظر شاكر، المتنبي، ص:77.
29ـ انظر: أنور الجندي، المعارك الأدبية في مصر منذ 1914 - 1939م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م، ص: 264-288.
30ـ انظر: سيد قطب، بين العقاد والرافعي، الرسالة، الأعداد: 251 (25 أبريل 1938م)، 252 (2 مايو 1938م)، 254 (16 مايو 1938م)، 255 (23 مايو 1938م)، 256 (30 مايو 1938م).
31ـ انظر: العريان، حياة الرافعي:196-205.
32ـ انظر: محمود محمد شاكر، بين الرافعي والعقاد، الرسالة، الأعداد: 253 (9 مايو 1938م)، 254 (16 مايو 1938م)، 255 (23 مايو 1938م)، 256 (30 مايو 1938م)، 257(6 يونية 1938م).

العبث بالأسود

(توني موريسون وجغرافيا النقد)

يأتي النقد النسائي ونقد الملوّنين في مجمله ردًا على المقولة التي سادت ساحة النقد الأدبي من أنه «أبيض ورجولي»(1). وقد كان من أوائل الناقدات جوزفين دونوفان JOSEPHINE DONOVAN ثم إلين شوالتر ELAINE SHOWALTER التي راجعت نظرية هارولد بلوم HAROLD BLOOM حول قلق التأثير، وأن هناك صراعًا أوديبيا بين الأجيال الأدبية المتعاقبة؛ فقد سمّى بلوم الأعمال السابقة آباء، واللاحقة أبناءً. وعدت شوالتر نظرية بلوم صالحة كنظرية نسائية.



تأليف: توني موريسون
دراسة: د. بشير العيسوي

وتأتي باربرا جونسون BARBARA JOHNSON أقوى ناقدة نسائية استطاعت أن تتعامل مع جانبي هذه المدرسة النقدية. فمن ناحية، هي تدرس أعمالاً لهوثودن وجيلمان وفرويد، وتنظر إليها كمحاولات فاشلةلعلاج المرأة»(2). فبذا نرى مرحلة من النضج الفني تختلف كثيراً عن بدايات النقد النسائي التي شهدتها مرحلة إلين شوالتر التي فسرت كل شيء على أنه علاقة جنسية سيادية من جانب الرجل. ومن ناحية أخرى هي لاتقبل أن تكون صياغة الأدب الغربي ـ وخصوصًا الأمريكي ـ صياغة رجل أبيض فقط. ويظهر هنري لويس جيتس (الكبير) HENRY LOUIS GATES JR. أهمّ ناقد في حركة نقد الملوّنين، مستفيدًا من نظرية ما بعد البنويّة في النقد، ومؤكّدا أنه ينبغي «أن نتعلم قراءة نص أسود داخل نسيج ثقافي رسمي أسود» مع تفسير ذلك النص من خلال التقاليد الأمريكية ـ الأوروبية وكذلك التقاليد الأمريكية ـ الأفريقية(3). وهذان التقليدان هما محور الدراسة التي نقدمها اليوم حول مشاركة توني موريسون (1931-) في هذه المدرسة النقدية.

وفي رأيي أن توني موريسون، الأديبة الأمريكية الزنجية، تدخل ميدان النقد النسائي ونقد الملونين من أوسع أبوابه بظهور كتابها: العبث بالأسود PLAYING THE DARK (1992) حيث تناقش فيه قضية يتردد الكثيرون في مناقشتها؛ إما خوفًا من الاتهام بالعنصرية أو عن عمد لتقليل من شأن اللون الأسود في الأدب الأمريكي. وأميل إلى ترجمة عنوان الكتاب إلى «العبث بالأسود» وذلك من واقع قراءتي للنص؛ حيث تستخدم موريسون كلمة DARKYللتخفيف من حدة الوقع العنصري عند استخدام كلمة زنجي NIGGER، وكلمة DARKY في طول الكتاب وعرضه تستخدم بديلاً لكلمة NIGGER وتداعياتها السياسية.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 1992م عن جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك قبل حصول مؤلفته على جائزة نوبل للآداب عام 1993م، وصدرت طبعة أخرى منه عن دار ماكميلان في بريطانيا (طبعة بيكادور) عام 1993م، وهي التي نستند إليها عند تناولنا لقضية اللون الأسود عند موريسون في هذه الدراسة.



والكتاب يتكون من مئة صفحة؛ تقسم إلى توطئة في تسع صفحات، ثم باقي الكتاب في ثلاثة فصول هي: مواضيع سوداء، تحويل الظل إلى قصة رومانسية، إزعاج الممرضات وطيبة السادة. وقد تكون عناوين الفصول غريبة بعض الشيء؛ إلا أن محتواها يتناول المواضيع السوداء في الأدب الأمريكي منذ نشأته مركزًا على نماذج من قصص ويلا كاثر (1876-1947) وهيرمان ميلفيل (1819-1891) وإدجار آلان بو (1809-1849) وإرنست هيمنجواي (1898-1961). فتوني موريسون تقرأ الأدب الأمريكي، كما تقول، ليست قارئة هذه المرة، ولكن كاتبة. وهي تعلن في الفصل الأول أن «النقد الذي يعلن أن الأدب عالمي، وأنه لا عنصرية فيه، هو أدب يحكم على نفسه بنزع عصب مهم منه، وكذلك يقلل من شأن الفن والفنان». وأهم ما يوصف به الكتاب أنه محاولة قادرة على التعبير عما تسميه «علامة ولادة» تنفي عن النقد النسائي والتحليل النفسي ما اتُّهما به من إغفالهما لإيراد شخصيات معينة تجسد دور السود في الأدب الغربي وكذلك في الأدب الأمريكي..(6).

تعبر توني موريسون عن اهتمامها بالكيفية التي يكون فيها السود هم مصدر الإلهام لأعمال أدبية كتبها غيرهم فتقول: «لأسباب لا يجب أن أشرحها هنا، فإنه، وحتى وقت متأخر، وبغض النظر عن جنس المؤلف، فإن قرّاء القصة الأمريكية واقعيًا هم من البيض، ويهمني أن أعرف ما يعنيه ذلك بالنسبة للخيال الأدبي. بمعنى آخر، متى يكون «عدم الوعي» العنصري أو الوعي به مصدر إثراء للغة التفسير؟ ومتى يكون مصدر إفقاد لها؟ ماهي إملاءات وضع النفس الكاتبة في مجتمع عنصري بأكمله، ألا وهو الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تلك النفس لا الكفاية والقوة الخاصة بالعمل التخيلي»(7). وبذا تكون توني موريسون قد حددت الإطار العام لكتابها النقدي الذي بين أيدينا: البحث عن عنصر أسود في مجتمع أبيض يعلن أنه قد وضع جداول أعمال للقضاء على الاضطهاد العنصري(8).

وتبدأ موريسون في الفصل الأول من كتابها محاولة رسم خريطة «للجغرافيا النقدية»(9) وتعلن أن مشروعها ذلك «ينبع من الفرحة لا من خيبة الأمل»(10). ولاتضيع وقتًا طويلاً في توضيح أهداف خريطتها تلك، فهي تريد أن تدخل بعض التعديل على الخريطة القائمة التي تفترض أن الأفريقي، الذي أصبح الأفريقي - الأمريكي، في الثقافة الأمريكية ليس له أي مكان ذو قيمة، وتلك الخريطة القديمة تم تداولها فيما تسميه موريسون «معرفة»(11) بين مؤرخي الأدب الأمريكي «إن تلك المعرفة تدّعي أن هذا الحضور الذي شكل الكيان السياسي، والدستور، والتاريخ الكامل للثقافة، لم يكن له مكانة ذات قيمة، كما أنه لم تكن له نتيجة في منشأ وتطور أدب تلك الثقافة. وأكثر من ذلك فإن تلك المعرفة تدعي أن سمات أدبنا القومي تنبثق من «أمريكانية» خاصة تنفصل عن هذا الحضور ولاتضعه في حساباتها»(12). وتعلن موريسون أنه يشيع «اتفاق ضمني» بين البعض وهو الاعتقاد بغياب العنصر الأسود في الثقافة الأمريكية؛ لأن الأدب الأمريكي «هو مخزون آراء الرجل الأبيض، وعبقريته، وقوته، وأن تلك الآراء والعبقرية والقوة لايربطها رابط بالوجود الطاغي للأفراد السود في الولايات المتحدة، كما أنها مفصولة عن ذلك الوجود»(13). وتنتهي موريسون إلى أن هذا الاتفاق حول الأمريكي الأسود أو الأفريقي موجود لدى جميع الكتاب الأمريكيين المرموقين. لذا فهي تعلن أن تهميش هذا العنصر الأسود أمر يجب إعادة التفكير فيه، وأنه يجب أن يحتل مكان المركز بدل الهامش «إن التفكير في هذا الحضور الأسود مركزي لفهم أدبنا القومي، يجب ألا نسمح له أن يحلق حول هوامش الخيال الأدبي»(14).

وحيث إنها بدأت بمحاولة تعديل الخريطة النقدية التقليدية فإنها تأتي بمصطلح تسميه «الأفريقية الأمريكانية» والتي تعرفها أنها «استقصاء الوسائل التي من خلالها استطاع عنصر غير أبيض. ومن هو على شاكلة الأفريقي

إن تهميش العنصر الأسود في الثقافة الأمريكية أمر يجب إعادة النظر فيه، ويجب أن يحتل مكان المركز بدل الهامش

جادة لدراسة العنصر الأسود في الأدب الأمريكي، وإثبات أن ذلك العنصر لايقل أهمية عن مثيله الأبيض.

وقد يكون كتاب توني موريسون إجابة صادقة عن سؤال طرحته الناقدة النسائية الكبيرة باربارا جونسون عندما ناقشت في مقالها «هل العلاقة بين الأنثى والذكر هي نفس علاقة الواقع بالخيال IS FEMALE TO MALE (1989) AS GROUND TO FIGURE وذلك عندما تناولت قضية اللون الأسود في الأدب الغربي، مع التركيز على جيلمان وهوثورن، حيث تطرقت إلى جانبي هذه القضية، وهما: العنصر والطبقة الاجتماعية، فمثلت لهما بشخصيتي توبسي TOPSY وديلسي DELSEY في القصة الأمريكية. «توبسي شخصية يافعة، أما ديلسي فهي الشخصية التي تعاني دومًا. شخصية توبسي لا أصل لها ولا تاريخ، وكذا لا شيء يمكن تجسيده فنيًا»(4).

وتنهي باربارا مقالتها بسؤال عن شخصية سولا(5) عند توني موريسون، وما إذا كانت عنصرية بينما الآخرون عنصريون؟ ماذا يحدث للخيال الكاتب لمؤلف أسود هو دائما - إلى حد ما - على وعي بأنه يمثل جنسه، لدى أو دغم، جنس من القراء يفهمون أن أنفسهم يجب أن تكونَ «عالمية» أو أنها خالية من العنصرية؟ بمعنى آخر، كيف تم صنع «العنصر الأبيض في الأدب، وكذلك «العنصر الأسود في الأدب»، وما هي نتيجة ذلك التركيب؟ كيف تعمل الادعاءات المغروسة في اللغة العنصرية (وليس الشخص العنصري) في المشروع الأدبي الذي يأمل، وأحيانًا يطالب، بأن يكون إنسانيًا؟ متى يمكن الاقتراب من ذلك الهدف السامي في ثقافة تشعر بعنصريتها؟ السؤال متى وليس لماذا؟ إن العيش بين أمة من الناس قرروا أن تضم نظرتهم العالمية جداول أعمال للحرية الفردية وكذا آليات للقضاء على الاضطهاد العنصري، يمثل علامة مميزة وفردية للكاتب. وعندما تؤخذ تلك النظرة العالمية بجدية كقوة في حد ذاتها، فإن الأدب الناتج من داخلها ومن خارجها يقدم فرصة غير مسبوقة لإدراك الرجوعية والجاذبية، وكذا عدم

TONI MORRISON

العبث بالأسود

لتوني موريسون وجغرافيا النقد

(أو الذي ينتسب إلى أفريقيا) سواء كان حضورًا أو فردًا ما، أن يدخل ضمن بنية الولايات المتحدة، وكذلك هي استقصاء للاستعمالات الخيالية التي يخدمها هذا الحضور المصنوع.. وبالأحرى فإنني استخدمه كمصطلح للسواد الضمني والدلالي الذي أصبحت تعنيه الشعوب الأفريقية، وبالمثل أيضـــا، المدى الكامل للأداء، والدعـــايات والقراءات، وكذا القراءات المغلوطة التي ترافق التعليم الأوروبي المرْكَز حول هذه الشعوب» (15). ورغم وعيها أن ما تقوله قد يفتح الباب أمام أنصار «الأفريقية الأمريكانية» للتوسع فيما ذهبت إليه ونقله من موقع إلى آخر، فإنها تنفي أن يكون ما تقدمه من خريطة نقدية بديلاً عن الخريطة الموجودة، وقد يكون في هذا بعض ما يناقض مقولتها حول استخدام هذا المصطلح في بداية الفصل الأول. إلا أن طموحها هو بعض التعديل لا التغيير الجذري أو الثوري. إن العقلية الأمريكية عقلية ترتكز إلى العقلية الأوربية حيث أخذت منها كل أسس الثقافة سواء في الدين أو الفكر أو التجارة، وقد تكونت فكرة الأمريكيين البيض حول أفريقيا من واقع فكرة الأوروبيين عن السود، لذا كان طرح الفكرة الأفريقية المرْكز AFROCENTRIC كبديل لفكرة أوروبية المركز EUROCENTRIC مرفوضًا من موريسون. فهي تشير إلى منهجها باقتضاب فتقول: «إن ما أقدمه هنا هو اختبار أثر معتقدات الهرمية العنصرية، والإبعاد العنصري، وكذا الموجود العنصري أو كونه عرضة للسقوط، في غير السود، الذين تمسكوا، أو قاوموا، أو سبروا غور تلك المعتقدات» (16).

ولبُّ المشكلة في تجاهل العنصر الأسود لدى النقاد الكبار في الأدب الأمريكي هي أنهم «فخورون» بعدم قراءتهم «أي» شيء من الأدب الأفريقي - الأمريكي، وأنهم يفضلون دومًا قراءة ما تعارفوا عليه من آداب أخرى، حيث لا مكان بالطبع للأسود فيها «الشيء المدهش أن رفضهم لقراءة النصوص السوداء - وهذا الرفض لا يسبب أي إزعاج في حياتهم الفكرية - يكرر نفسه عندما يعيدون قراءة الأعمال الأدبية التقليدية المتعارف عليها والتي هي جديرة باهتمامهم» (17). والواضح أن موريسون لاتقصد بالنصوص السوداء هنا التي يكتبها الزنوج، ولكن ذلك أيضًا ينطبق على النصوص التي كتبها كتاب بيض مثل إدجار آلان بو وذلك لكونه ممن تأثروا كثيرا بالجنوب الأمريكي وسواده؛ حيث قضى معظم حياته في ريتشموند وبلتيمور. وهي تدلل على ذلك، بمثال آخر من هنري جيمس (1843-1916) في روايته: ماعرفته ميزي WHAT MAISIE KNEW (1897)؛ حيث يتم تجاهل دور المرأة السوداء التي تشكل العنصر الملطّف في الحبكة وتصبح مسؤولة عن الخيار الأخلاقي والمعني في تلك الرواية. ونضيف هنا أن هنري جيمس لم يتجاهل النص الأسود فقط لكنه تجاهل، أحيانًا، النص الأمريكي الأبيض أيضا. فقد عُرف عنه أنه كان يفضل الثقافة الأوربية على الثقافة الأمريكية؛ لأن الأخيرة بلا جذور وعدّها «غير ناضجة» رغم امتلاء رواياته بعشرات من الشخصيات الأمريكية (18)، كما أن إحدى رواياته تحمل عنوان: الأمريكي (1877)، وأخرى: أهل بوسطن (1886) وتدلل بمثال ثالث من جرترود شتين (1874-1946) في روايتها: ثلاثة أنماط من الحياة THREE LIVES (1905) حيث تضع المؤلفة المرأة السوداء في قلب مسرح الأحداث؛ إلا أن جميع النقاد ركزوا على جوانب الرواية باستثناء هذا الدور الجوهري للمرأة السوداء. كما أن ويللا كاثر لاتورد أي إشارة لأثر الجنس البشري في آخر رواياتها: زفيرة والعبدة الصغيرة SAPPHIRA AND THE LITTLE SLAVE GIRL (1940) (19). وتبدي عجبها أكثر من أن «هؤلاء النقاد لايبدون أي دهشة كما أنهم لايرون أي معنى في الاستخدامات المجازية للسواد، والجنس، والرغبة في قصص همنجواي أو في أي صياغة له للرجال السود ... ومع استثناءات قليلة فإن نقد أعمال وليام فوكنر (1897-1962) يحول الموضوعات الرئيسية لذلك الكاتب إلى «أسطوريات» استطرادية ويتناولون أعماله الأخيرة (20) - التي تتخذ من الجنس والطبقة بؤرة لها - بوصفها عملاً ثانويًا وسطحيًا، ويتسم بالضعف».

إن هذه الاتهامات الموجهة إلى أعمال فوكنر والتي تنقلها موريسون كما هي، لانجد مايسوغها سوى عنصرية الرجل الأبيض الذي رأى أن الجنوب الأسود لايستحق أي اهتمام، وأن إدخاله في أي عمل إنما يمثل سببًا قويًا لفشل ذلك العمل. وهذا ما وُصفتْ به أعمال فوكنر - على لسان موريسون - من أنها ثانوية وسطحية وتتسم بالضعف. والجنوب ليس صَنْعَةً عند فوكنر فهو ابن الجنوب وقد جسد في أعماله (21) تلك المنطقة المهمة من الولايات المتحدة بما فيها من فساد وانحلال خلقي وعفن وصراع بين الأبيض والأسود، يستوي في ذلك الأعمال التي كتبها في العشرينيات أو الخمسينيات من هذا القرن. وكان فوكنر - الحائز على جائزة نوبل للآداب العام 1950 - أجود مَنْ صوَّر ذلك الجنوب دون زخرفة عهدناها في عديد من الكتاب في أمريكا أو غيرها.

وترى موريسون تفسيرًا لهذا الموقف تجاه أدب فوكنر فيما يتعلق باللون الأسود، وهي تنطلق من فوكنر إلى غيره بعد ذلك من الأدباء موضوع كتابها، فتقول: «عَدّ الأدب الأمريكي أن بناء رجل أبيض هو الاهتمام الأوحد له» (22) ومن ثم فهي، وإن استنكرت هذه الصورة الأحادية للأدب الأمريكي بتغييبها للأسود، فإنها تقبل بها على مضض. وفي رأيها أن الأدب الأمريكي يقع تحت تأثير اتجاهين فكريين (أيديولوجيتين): (أيديولوجية) الرجل الأبيض، التي تعارفنا على أنها أوروبية المرْكَز، و(أيديولوجية) الرجل الأسود الذي أصبح الأفريقي - الأمريكي رمزها والتي هي أفريقية المرْكَز. وكلا (الأيديولوجيتين) تتعايشان معًا بعد حروب وصراعات طويلة، مرة في سلام وأحيانًا في تشاحن وضغينة. إلا أن موريسون تخلص إلى أن الأدب الأمريكي تكوّن بفعل (أيديولوجية)

> **إن الأدب الأمريكي يقع تحت تأثير اتجاهين فكريين: الأبيض والأسود، وكلا الاتجاهين يتعايشان حينا، ويتنافران أحيانا**

العبث بالأسود
توني موريسون وجغرافيا النقد

الرجل الأبيض فقط، وهذا ما نقلناه عنها منذ قليل عند قولها إن الأدب الأمريكي تعهد أن يأخذ بناء رجل أبيض جديد كاهتمام أوحد له «إن الأدب الأمريكي لم يحتمل أن يشكله ذلك الصدام. نعم، لقد أردت أن أحدد ملامح تلك اللحظات التي كان فيها الأدب الأمريكي شريكًا في جريمة صنع العنصرية، ولكني أردت، بالقدر نفسه من الأهمية، أن أرى اللحظة التي فجر فيها الأدب وقوض ذلك الصدام. ومازلت اعتبر تلك الاهتمامات ثانوية. الموضوع الأكثر أهمية هو التفكير بالكيفية التي تحرّك بها الشخوص الأفريقيون، والحكاية وكذا المصطلح الأفريقي، والكيفية التي أثرت النص بطرق ذاتية الوعي؛ وذلك لمعرفة ما يعنيه ذلك الارتباط لإعمال خيال الكاتب»(23). وكتطبيق عملي، تخصص موريسون بقية الفصل الأول - اثنتي عشرة صفحة - لنقد رواية ويللا كاثر «زفيرة والعبدة الصغيرة».

ترى توني موريسون أن قصة زفيرة قد سُلخت من جسم الأدب الأمريكي عمومًا وكذلك من الميراث الأدبي لويللا كاثر، ليس لضعف في القصة أو لخلل فني في نسيجها، ولكن لموضوعها الذي يرفضه المجتمع الأبيض، ألا وهو التساؤل عن مدى «قوة السيدة البيضاء والحرية التي تمارسها مع عبداتها من النساء الزنجيات»(24).

ومع كثرة حديث النقاد حول ضعف هذه القصة والخلل الفني؛ إلا أن أيًا منهم لم يوضح سبب ذلك الضعف ومصدر ذلك الخلل. لكن موريسون لها رأي، فإذا كانت هذه القصة «لاتبعث السرور في أنفسنا كما أنها لاتشغلنا، فإن ذلك قد يكون تنويرًا لنا لنكشف السبب في ذلك.

إنه يبدو كما لو أن هذا الكتاب الأخير (لويللا كاثر) - وهو هذه القصة المثيرة للمتاعب، والتي استُبعدت كرواية، وهي في الوقت ذاته مهمة جدًا لكاثر - ليس فقط حول شخص آبق، لكنه في حد ذاته عمل متفلت من الملكية الأدبية لمؤلفته. إنه كتاب يصف وينقش رحلة هروب مؤلفته من ذاتها»(25). وهي توجز في فقرة واحدة رؤيتها لهذه القصة كمتملق رخيص للشخصية البيضاء، رغم قولها: إن هذه القصة «من أوجه عديدة قصة كلاسيكية حول عبد هارب؛ إنه هروب مروع إلى الحرية». وعلى عكس ما يراه النقاد الأمريكيون من سلخ قصة ويللا كاثر من الأدب الأمريكي، أو اتهامها بالضعف، فإن موريسون تُعلي من شأنها وتعدها في مقام رواية: الأماني الكبار GREAT EXPECTATIONS للروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز (1812-1870)، فهي ترى أن قصة كاثر من دون الشخصيات الأفريقية فيها تصبح تمامًا كما لو استبعدنا شخصية مس هافيشام MISS HAVISHAM من قصة ديكنز. وعلى العكس من ذلك، فهي ترى أن زفيرة (السيدة البيضاء) يمكن أن تختفي من القصة لكن نانسي (العبدة) لايمكن أن تكتمل القصة من دونها.

إن توجه توني موريسون في هذا الكتاب الصغير يمثل دعوة جادة إلى إعطاء اللون الأسود وموضوعاته الاهتمام الواجب في الحياة الأدبية الأمريكية وكذلك النقد الأمريكي. وقد كان ممكنًا أن تتناول موريسون أعمالاً أخرى نرى فيها الظلم الصارخ للأسود من قبل الأبيض، لكن هذا ليس موضوعها. فلو تناولت أيًا من تلك القصص لكان عملها هذا دعائيًا محضًا وأمكن تصنيفه مع نداءات حقوق الإنسان التي نسمع عنها من وقت لآخر. إن تركيزها على الأعمال الكلاسيكية في الأدب الأمريكي، إنما يمثل إعادة تناول جريئة تريد من خلالها أن تبلغ رسالتها للقارئ والناقد على حد سواء.

وهذه الرسالة هي في اختصار شديد: الأدب الأمريكي ليس أدبًا أبيض فقط، وقد غاب عنه دور الأمريكي الأسود، أو غُيّب عن عمد، فلماذا؟

وبعض الإجابة عن هذا السؤال موضوع كتابها الذي تناولناه.

الهوامش:

1- K.M. NEWTON, THEORY INTO PRACTICE: A READER IN MODERN LITERARY CRITICISM (LONDON: MACMILLAN,1992),P.193.

2- IBID. , P.193

3- IBID., P. 194.

4- K.M. NEWTON, THEORY INTO PRACTICE, P..223.

(5) «سولا» واحدة من روايات توني موريسون وقد ظهرت في العام 1973م، وتأتي الثانية من حيث إنتاجها الإبداعي؛ فقد سبقتها: العين الأكثر زرقة (1970)، وبعد ذلك: أغنية سليمان (1977)، ثم: طفلة القطران (1981)، ثم: محبوبة (1987) وقد ترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور أمين العيوطي في 1989م (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر)، ثم: جاز (1992).

6- IBID., NEWTON, P.223.

7- TONI MORRISON, PLAYING IN THE DARK, PP. XIV- XV.

(8) يمكن النظر إلى مقتل مالكولم إكس (1925-1965) وكذلك مارتن لوثر كنج (1929-1968) على أنهما مثالان صارخان للتمييز العنصري في أمريكا الستينيات. ورغم علمنا أن مالكولم إكس كان مجرمًا ومهربًا للمخدرات وقضى من سنوات عمره مايزيد على العشر في السجون الأمريكية، إلا أننا نعلم، أيضا، أنه تاب في سنوات عمره الأخيرة وأعلن إسلامه وحجّ إلى بيت الله الحرام، وأعلن أنه رأى في أسبوعين فقط ما لم يره في تسع وثلاثين عامًا في أمريكا.

[NICK AARON FORD, ED, BLACK INSIGHTS (MASSACHUSETTS: XEROX COLLEGE PUBLISHING, 1971), PP.332-333].

وأعلن أن الإسلام قد هداه إلى الخروج من عنصريته القاتلة؛ فقد كره الرجل الأبيض، وبذا يكون قد بادل العنصرية بعنصرية أخرى أشد منها عصبية وحنقًا. ورغم اعتدال مالكولم إكس في أيامه الأخيرة؛ إلا أنه قُتِلَ ولم يعبأ المجتمع الأبيض بتغيير موقفه. وإذا كان الأمريكي الأبيض ينظر إلى مالكولم إكس على أنه مجرم وخارج على القانون، ومن ثم فإن قتله قد يكون مسوّغًا حتى لو كان على أيدي خارجين على القانون أيضا، فبماذا يعلل الرجل الأمريكي الأبيض مقتل مارتن لوثر كنج الذي ألف أربعة كتب، وحاز جائزة نوبل عام 1963 واختارته مجلة تايم كرجل العام 1963م.

إنه الموقف من اللون الأسود سواء كان بداخله مالكولم إكس أو مارتن لوثر كنج.

9- OP. CIT. MORRISON, P.10.

10- IBID., P. 4.

11- IDEM.

12- OP. CIT. , P.5.

13,14-. IDEM.

15- OP. CIT., PP. 6-7.

16- IBID. P.117.

17- IBID. P. 13.

18- WALTER BLAIR, ET.AL., THE ;ITERATURE OF THE UNITED STATED: REVISED SINGLE VOLUME SDITION (CICAGO: SCOTT, FORESMAN AND COMPANY, 1957), PP. 918-919.

19- وأساس مشكلة زفيرة كما تنقله موريسون، هو «أن النسوة العبيد لسْنَ أمهات، إنهن ميتات إنجابيا، وليس لديهن أي التزامات تجاه أبنائهن أو الوالدين».
OP.CIT.,MORRISON,P.21.

وهذه الصورة البشعة لدور المرأة - الأم هي من خيال الرجل الأمريكي الأبيض وثقافته، فقد شهد العبيد فترة كان الزواج بين النساء والرجال شبه ممنوع، وحينما سمح به كان الإنجاب ممنوعًا وذلك بسبب هذه النظرة التي تنقلها موريسون هنا.

20- ومنها: النجع (1940)، المدينة (1957)، البيت الكبير (1959) وهي ثلاثية تحكي قصة صعود عائلة سنوبس وسطوتها في مدينة جيفرسون الخيالية. هذا بالإضافة إلى مجموعات القصص القصيرة التي نشرها في ثلاثة مجلدات عام 1958. [د. نبيل راغب، موسوعة أدباء أمريكا، الجزء الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص335].

21- أجر الجندي SOLDIER'S PAY (1929)، البعوض MOSQUITOES (1927)، سادتوديس SARTORIS (1929) مدخل أوليّ إلى مدينة يوكانا بتاوافا الخيالية التي تتخذ من مدينة جيفرسون عاصمة لها، الحكمة والغضب THE SOUND AND THE FURY (1929)، بينما ألفظ أنفاسي الأخيرة AS I LAY DYING (1930)، الهيكل المقدس SANCTUARY (1931)، الضياء في أغسطس LIGHT IN AUGUST(1932)، بيلون PYLON (1932)، أبشالوم، أبشالوم! ABSALOM, ABSALOM (1936)، النخل البري THE WILD PALMS (1939)، القرية الصغيرة THE HAMLET (1940).

22- OP. CIT, MORRISON, PP. 14-15.

23- IBID., P. 16.

24- IBID., P. 18.

25- IBID., P. 19.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

المحاسن والمساوئ

كتاب جمع فيه مؤلفه مجموعة من المقابلات البارعة بين الشيء وضده، بين الحسن والقبيح في كل ما يصدر عن الإنسان من حب وكره، ووفاء وجحود، وإيمان وكفر، ويقظة وغفلة، وهمة وكسل، وصدق وكذب، وتأنٍّ وعجلة، وشجاعة وجبن، إلى آخر ما يصدر عنه من غث القول وسمينه. ومؤلفه إبراهيم بن محمد البيهقي الذي يرجح أنه عاش بين عامي 265، 320 هجرية، ونبغ في خلافة المقتدر، ولا تذكر المصادر شيئًا آخر عن حياته أو كتابًا آخر له غير المحاسن والمساوئ.

ويشرح محققه محمد سويد أن البيهقي بدأ بالكتب، كتب الله المنزلة على رسله وأنبيائه وعلى رأسها القرآن الكريم، كما بدأ بمحاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وآل بيته الطيبين، وهو بهذا إنما يشير إلى استثناء هؤلاء جميعًا من المساوئ التي تصدر عن غيرهم من بني الإنسان، متعمدًا أن يذكر مساوئ من اعتدى على هذه الرموز العظيمة؛ كمن عادى عليًا كرّم الله وجهه أو قتل الحسين رضي الله عنه. ثم انتقل إلى الموضوعات المختلفة كما تنتقل النحلة من غصن إلى غصن، ولم ينس أن يسرّي عن قارئه فأتحفه بمجموعة من النوادر الطريفة، وكل ذلك بأسلوب ممتع سهل.

وقد طبع الكتاب طبعات عدة؛ إحداها عن دار صادر في بيروت، وطبعة ثانية بتحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي بمصر، وثالثة بتحقيق الألماني فردريك شفاللي، وأخيرة بتحقيق وشرح محمد سويد وهي التي بين أيدينا.

نقل البيهقي في أول كتابه في محاسن الكتب قول مصعب بن الزبير: إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك لا تستمع منهم إلا مختارًا. وقول لقمان لابنه: يا بنيّ تنافس في طلب الأدب، فإنه ميراث غير مسلوب، وقرين غير مغلوب، ونفيس حظ في الناس مطلوب.

ثم افتتح البيهقي كتابه بمحاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء الفضل والبركة واليمن والتوفيق، فيقول: «اختار الله من خير أرومات العرب عنصرًا ومن أعلى ذوائب قريش فرعًا ومن أكرم عيدان قُصي مجدًا، ثم لم يزل بلطفه لنبيه صلى الله عليه وسلم وآله واختياره إياه بالآباء الأخائر - جمع أخيار - والأمهات الطواهر حتى أخرجه في خير زمان وأفضل أوان، تفرع من شجرة باسقة الندى شامخة العلي، عربية الأصل قرشية الأهل، مَنَافيَّة الأعطان هاشمية الأغصان، ثمرتها القرآن، تندى بماء ينابيع العلم في رياض الحلم، لايذوي عودها ولاتجف ثمرتها ولايضل أهلها، أصلها ثابت وفرعها نابت».

- وفي مساوئ الرجال ذكر البيهقي أنه تنافر رجلان من بني أسد إلى هرم بن سنان المري وعنده الحطيئة، فقال أحدهما: إني بقيت زمانًا وأنا أرى أني شر الناس وألأمهم حتى أتاني هذا فزعم أنه شرٌّ مني، فقال هرم: أخبراني عنكما، فقال أحدهما : لم يمر بي أحد قط إلا اغتبته، ولا ائتمنني إلا خنته، ولاسألني إلا منعته. وقال الآخر: أما أنا فأبطر الناس في الرخاء وأجبنهم في اللقاء وأقلهم حياء وأمنعهم خباء. فقال هرم: وأبيكما لقد ترددتما في الشر، ولكن أُخبركما بمن هو شر منكما، قالا: ما ولدت ذاك النساء، قال: بلى، هذا الحطيئة هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه ومن أحسن إليه.

- ومن محاسن البنات قوله: دخل عبدالله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان وبُنَيّة له تمرّغ على صدره، فقال: أمطها عنك يا أمير المؤمنين؛ فإنهن يقربن الأعداء ويورثن البُعداء. فقال معاوية: مهلاً يا ابن الزبير، ما مرَّض المرضى ولاندب الموتى ولا برّ الأحياء كهنّ، فقال ابن الزبير: قد تركتهن آثر عندي من الأبناء.

- ومما أورده من مساوئ الثقلاء قول الشاعر:

يا من له حركاتٌ
على النفوس ثقيلهْ
وليس يعرف معنى
قصيرةٍ من طويلهْ
أورثتني بجلوسي
إليك حمّى مليلهْ
فاصفع لنفسك عني
فإنّ كفي عليلهْ

دون خوان مانويل وكتابه القونت لوقانور

د. عبد اللطيف عبدالحليم

رجل يهتم به التاريخ كما يهتم به الأدب، ذو ملكات متعددة في كليهما، وذو حظ وافر من النشاط الإنساني المؤثر في عصر تتناحر فيه عناصر بشرية، بدوافع سياسية وعرقية ومطامع وغيرة ذاتية.

نبيل عريق، حفيد لملك، وابن لأمير، وابن أخي ملك خطير: ابن الأمير دون مانويل، وحفيد لفرناندو الثالث، وابن أخي ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم، وأمه دوينا بياتريث دي سابويا الزوج الثانية لأبيه.

لذلك في الخامس من أيار/مايو من سنة 1282م في إسكالونا، رحل أبوه وهو في الثانية من عمره تقريبًا، فكفلته أمه التي هلكت بعد ذلك بست سنوات. يقول عن نفسه: عندما مات أبي كان عمري آنذاك عامًا وثمانية أشهر.

وكما يتعلم أبناء العلْيَة تلقّى دون خوان تعليمه الأوّلي على يد مؤدبيه: اللغة اللاتينية والتاريخ واللاهوت والقانون، وترافق هذه المعارف في الوقت ذاته المعارف العملية: تدريبات الفروسية والصيد والحرب. إنها التقاليد العريقة التي كان يتلقاها أبناء البيوتات العربية والإسبانية في الأندلس آنذاك، وهي التي تصقل شخصيات هؤلاء الناشئة، وتعدهم الإعداد الجيد الذي يكون ضمانًا لمستقبلهم المحفوف بكثير من الصراع وتوقع الخطر.

ورث عن أبيه منصب الوالي لمملكة مرسية، كما ورث ضياعًا كثيرة في قشتالة وبلنسية، وقد تزوج ثلاث مرات تعضيدًا لبيته ونسبه وتكثيرًا لذريته، ولا ندرى إن كان يجمع بين هذه الزوجات؟ أغلب الظن ذلك؛ لأن التقاليد العربية المسلمة كانت تتسلل إلى هذه البيوتات فتأخذ سمتها، ويبدو أن العصبية التي كنا نصادفها في الحروب والصراعات، لا نصادفها في الحياة الاجتماعية أو الخاصة، حتى إن ظاهرة التسري كانت شائعة في المجتمع المسيحي. تزوج صاحبنا في المرة الأولى بالأميرة دوينا إيزابيل دي مايوركا، وفي المرة الثانية دوينا كونستانثا ابنة خايمي الثاني الأراغوني، وفي المرة الثالثة دوينا بلانكا ابنة خوان دي نونست دي لارا.

بدأ حياته العامة مشاركًا في المعارك السياسية وهو في الثانية عشرة من عمره، فشارك مع سانشو الرابع وحمل رسالته، ثم شرع بعد ذلك يشايع أمراء وسادة آخرين، في صف ألفونسو دي لاثيردا الذي بويع ملكًا لقشتالة بمساعدة ملك أراغون، وحين انهزم هذان عاد دون خوان مانويل إلى طاعة فرناندو الرابع، وحين هلك هذا سنة 1311م اعترف دون خوان مانويل بولاية العرش للأمير دون بدرو.

وكما كان ينتجع بولائه للأمراء المسيحيين كان يصنع الصنيع نفسه مع المسلمين، ويبدو أن العصر كان يمنح المشروعية لمثل هذه الأفعال؛ فقد شارك مع أمراء المسيحيين في المعركة التي شنها المسلمون على مملكة مرسية، وصبغ سيفه بنجيع المسلمين الذين انهزموا.

وإذا كان قد صنع هذا؛ فقد تخلى دون خوان عن قوميته، كما يقول مؤرخوه، ويبدو أن مسألة القومية هذه لم تكن بالوضوح الاصطلاحي الذي نعهده الآن حين نطلق مثل هذه التسميات، إذ عرض دون خوان خدماته على ملك غرناطة المسلم محاربًا معه ضد ملك قشتالة وقد أحرز نصرًا يسيرًا، لم يلبث إلا قليلاً حتى عاد الوضع إلى ماكان عليه قبلاً.

توفي في 13 حزيران/يونيو 1348م، ودُفن في دير الدومينيكان في بينيافيل الذي شيده قبل موته سنة 1318م، وضاعت رفاته، وتولت الملكَ بقشتالة ابنتُه دوينا خوان مانويل التي تزوجت من دون إنريكي دي تراستامار، ومع مرور الزمن تولى الملك أحد حفدته وتسمى باسمه.

تلك ملامح عامة لحياته المضطربة حيث توقفنا لدى العلامات البارزة في حياة ذلك الرجل، ولعلنا نلاحظ أن هذه الحياة المصطخبة كان يحياها الناس في المعسكرين المسلم والمسيحي على السواء، وأن الحياة العملية - أو السياسية بدقة - شيء والحياة الأدبية شيء آخر، وخاصة إذا نظرنا إلى التقاليد المرعية والضوابط الأخلاقية والدينية التي يدعو إليها دون خوان في كتاباته، ونرى نقيضها في حياته العملية. يقول خمينيث سولير: دون خوان مانويل من أولئك الرجال المتناقضين مع ذواتهم ما بين كتاباته وعمله فهما خصمان تمامًا، وإنه شخصيتان: واحدة يمارس بها الحياة، وأخرى يفكر بها ويكتب، وذكاءان: ذكاء عملي يتحرك ويحيا، وذكاء يفكر به.

لكننا نعتقد أن الأمور بهذه الصورة لا تصلح على إطلاقها؛ لأن الفكر الذي يبشر به دون خوان مانويل إنما هو ذلك الفكر العملي الذي يكفل لمن يراعيه ويتمسك به الحياة الصالحة النافعة والمفيدة، لا ذلك الفكر النظري أو المثالي، فالآداب التي تدعو إليها كتابات دون خوان إنما هي تلك الآداب الشوائع التي اصطلح الناس في كل جيل وقبيل على أنها تفيد صاحبها، وتكفل له النجاح، وأنها «الحيل» إن صح التعبير التي يتحايل معتنقوها بوساطتها على إحراز كل منفعة قريبة أو آجلة، ويتحرزون بها عن كل مخاطر الحماسة والاندفاع؛ لأن دون خوان ليس المفكر المحض الحالم الذي يرسم يوتوبيا، بل ذلك المفكر الذي يفكر، لأن ترك التفكير مضر ومخل، ولأن الحقل الذي يحرث فيه هو حقل الحكَم الذوائع التي تخلب لب العمليين. فإذا كان إبداع المرء صورة عقله وزمنه فهو الإبداع الذي ينسب إلى دون خوان وزمنه، وإذا كانت مؤلفاته تكاد تغطي المساحة الأخيرة من حياته فإن ذلك يعني أنه كتبها أوان استحصاد ملكاته، وإبان النضج الذي يخول له أن يراجع تجاربه الماضية بعيدًا من الوهج والنور الباهر الذي يعشي الأعين أن ترى، فهو قد فكر مليًا في آخر عمره كما يفكر الكهول أو الشيوخ مهتمين بتجاربهم الماضية، وكان لنا أخيرًا هذا الحصاد الذي يصح أن ينسب إليه، لأنه يعلم جيدًا - كما يقول - أن أفضل شيء بالنسبة للإنسان أن يتعلم، وأن أفضل عمل هو تأليف الكتب لا اللعب وإزجاء الفراغ. وقد كان ذلك الرجل الذي لم يضيع وقته فتعلم كل ما يمكن أن تصل إليه يده -

وهي طويلة ـ: تعلم الصيد فتى يافعًا، وتعلم اللغة اللاتينية، كما تعلم اللغة العربية.

وإذا كان مؤرخوه من الإسبان يشكون في معرفته بالعربية، فإن شواهد هذه المعرفة واضحة بذاتها في معظم كتاباته، فضلاً عن أن العربية كانت لغة الثقافة الغالبة، وإن كان أصحابها آنذاك في حالة من الأفول؛ إلا أن اللغة كانت تتسلل حتى إلى القصور الملكية المسيحية، ولا يمكن أن نغفل أن عمه ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم كان بلاطه يتنفس هواءً عربيًا خالصًا، ولا يمكن لرجل مثقف مثل ابن أخيه أن يكون بعيدًا من هذا الهواءالعربي الخالص.

وقد تنوعت مؤلفات دون خوان؛ فهو شاعر ومؤرخ لأحداث عصره، وقصاص بصورة أخص، له ديوان شعر، وفيما يتعلق بنثره فإن المؤرخين الإسبان يرون صاحبه أول كاتب قشتالي، وكتبه كما يلي: كتاب الفروسية، كتاب الفارس وحامل الدرع، كتاب الصيد، كتاب الأغاني، كتاب الأسلحة، كتاب العلماء، كتاب العقوبات والنصائح، كتاب الأحوال، المدونة التاريخية الكاملة، المدونة التاريخية الخاصة، كتاب القونت لوقانور. ونلاحظ أن كتابه الأخير انتهى منه في أواخر حياته 1342م، وتوضح قائمة مؤلفاته أنه كان متعدد المعارف والملكات؛ ويرى سوتيلو أن أهم كتاباته هي كتاب الأحوال وكتاب القونت لوقانور؛ إذ وصل فيهما إلى ذروة الكتابة القصصية، ومفهومٌ أن القَصّ يذكر هنا بمعناه الساذج البسيط.

يحتوي القونت لوقانور على مقدمتين موجزتين وخمسة أقسام: القسم الأول ـ وقد ينشر وحده أحيانًا ـ يحوى إحدى وخمسين حكاية، والقسم الثاني موجه إلى دون خايمي دي خيريكا، وفيه مئة مثل، والقسم الثالث فيه خمسون مثلاً، ويشبه القسم الثاني وإن كان أعقد منه، والقسم الرابع فيه ثلاثون مثلاً أشد عسرًا من الأقسام الماضية، أما القسم الخامس والأخير فبدا فيه وجه الناصح المؤدب المهتم بالخلاص بالمعنى الأخلاقي المسيحي، وإن كان هذا الوجه لم يختف مطلقًا في كل أقسام الكتاب.

يحمل الكتاب رسالة أساسية هي التهذيب أو التربية، وتمثل في الأدب القشتالي في العصر الوسيط رسالة مهمة يحملها النثر آنذاك أو الشعر أيضًا، والمؤلف في ذلك يقتضى تقليدًا راسخًا في الأذواق والأفكار عند عمه ألفونسو العاشر، وإن كان عمه ليس مفترع هذا الباب، إذ هو متبع تقليدًا راسخًا من قديم في الآداب الإنسانية شرقية وغربية، منذ خرافات إيسوب أو الحكايات العربية القديمة أو كتب الأمثال أو مناهج الفلسفة أو الحكمة، أو كليلة ودمنة أو التربية الإكليريكية لبدرو ألفونسو.

الغرض التعليمي نسيج أساسي في هذا الكتاب، والتعليم عادة يثقل على بعض الناس أو ينسى، ومهمة المربى أو المعلم أن يجتذب إليه من يأنس فيهم همة ونشاطًا للمعرفة، وأن يزيح عنهم ملالة الدرس بما يقرب الغاية إليهم، وتلك مهمة التفت إليها إيسوب قبل الميلاد، والتفت إليها الجاحظ في الثقافة العربية، ولذلك كثيرًا ماتجد الفقه يقرن بالشعر وبالنادرة أو الآبدة الطريفة أو مايسمى عند الفقهاء «الإحماض»، ومثل هذه الطريقة يبلغ بها الكاتب إلى أعماق المتلقي متسللاً إليه دون أن يخاطبه من عل.

والقونت لوقانور ـ في رأينا ـ يقفو كليلة ودمنة في بناء الحكاية القصصية، ويمكن أن نطلق عليها حكايات الإطار El marco وهو البناء الأساسي في كليلة ودمنة، فهو واحد قلما يتغير، وإن كانت الحكايات لدى ابن المقفع أشبه بالنسيج المعقد المتشابك الألوان والخطوط أو الرمز المكثف الشديد الثراء كالصورة الكلية في البلاغة الحديثة، على عكس القونت لوقانور، ففيها بساطة واضحة وقصر أوضح أشبه مايكون بالصورة الجزئية أو الاستعارة في البلاغة القديمة.

تبدأ الحكايات كلها بسؤال يوجهه القونت لوقانور إلى ناصحه أو مستشاره باترونيو، فيجيب الناصح سيده من خلال حكاية أو مثل يقربه، كذلك تبدأ الحكايات في كليلة ودمنة: أسئلة تدور بين الملك والفيلسوف، والصيغة تكاد تكون واحدة في الكتاب العربي والإسباني سؤالاً وجوابًا ماعدا الحكايات الفرعية التي تشتق من الحكاية الأصلية، وهذا يعطيها مذاقًا خاصًا وقيمة أدبية عالية في كتاب ابن المقفع.

والمحور العام لهذا الكتاب ـ رغم تعدد صوره ـ يدور حول الموضوعات التي يهتم بها المثقف في العصر الوسيط، ويرى استيفانو أن دون خوان مانويل يمثل بجدارة وأمانة روح الإنسان في ذلك العصر، ويمثل كذلك الطبقة المحاربة التي تملك القدرة والثروة، وهو ينتسب إلى تلك الطبقة الاجتماعية التي تحاول التمسك بروح الفروسية.

وقد حدد المؤلف هدفه مباشرة حين قال: خلاص الروح الإنساني والاستغلال الأمثل للأجساد، والحفاظ على الشرف والأحوال. ولم يكن المؤلف مجرد كاتب أخلاقي منظر يهتم بالمبادئ الأخلاقية النظرية، بل بالمبادئ الأخلاقية العملية.

أما البناء الفني ـ مع هذا التجاوز في المصطلح ـ فإنه يخضع لمسألة التعدد في الموضوعات، ولا يمكن أن نتوقع بناءً فنيًا متماسكًا مع هذه الكثرة الموضوعية إلا إذا نظرنا إلى الإطار كما سبق أن أشرنا، ولعل أهم بناء تحقق في أقسام الكتاب كله هو ماتحقق في القسم الأول منه، لأن الأقسام الأخرى مجرد أمثال وحكم.

يبدأ كل مثل أو حكاية بما هو مألوف في كل الحكايات بالقسم الأول، كأن يطلب القونت لوقانور من باترونيو نصيحة فيما يواجهه من مشكلة حيوية، ولكن باترونيو لايؤثر الإجابة مباشرة، بل يشرع في حكاية مناظرة للحالة التي عليها القونت، وهنا يثير لدى السائل شوقًا إلى معرفة تلك الحالة، ويتفاوت القص طولاً وقصرًا كما يتفاوت تاريخيًا وخرافيًا، وينمو هذا القص لنجد في النهاية الإجابة التي ترضي القونت، ويرى فيها حلاً لمشكلته الواقعية أو المتخيلة، وفيه الخلاصة الشافية، وهنا يتدخل دون خوان مانويل الذي يرى أن الحكاية حسنة ومثمرة، وأن العمل بها مفيد، كما يرى القونت أيضًا، وعند ذلك يأمر بضمها إلى كتابه، مشفوعة بشعر في أغلب الأحيان أو بمثل شائع أو بمثل شائع متواتر.

وهنا نرى أن ثمة نوعًا من التماسك في البناء، وإن كنا نعرف سلفًا أن كل النتائج طيبة، وهذا مما يقلل من لذة الاكتشاف والمتعة التي يثيرها الإغماض الفني في كثير من الأحيان، لكن الرجل لم يشأ ـ كما هو الواقع في عصره ـ ولم يستطع ـ في الوقت ذاته ـ أن يتنكر لقدراته، وليس في وسعه هذا، بل هو ابن وفيٌّ لعصره وبيئته وثقافته وهدفه من كتابه أولاً وأخيرًا، وحسبه كما قال المؤرخ الإسباني الكبير مينندث إى بلايو: أنه يضفي على قصصه طابعًا شخصيًا خالصًا، ويتعمق موضوعاته، ويأتي دائمًا بابتكارات موفقة فيما يضيفه من التفاصيل، وهو يصوغ كلامه في أسلوب يبلغ من حيويته وجماله أن يصبح الموضوع الشائع بينه وبين غيره شيئًا خاصًا به، يعبر عنه تعبيرًا خاصًا قائمًا على فهمه الشخصي لطبائع النفوس، ومعرفته بما يلازم المعاملات من خلق، وروحه الفكه المعتدل الذي لا يجرح الشعور ولايبتذل.

وحسبه أيضًا أن كل حكاية لها طابعها الخاص، ولها إطارها التاريخي أو المتخيل، ويتمتع بعبق خاص من الوصف الصحيح الصادق الذي يخرجها عن إطار التكرار والملالة، وحسبه أن المصادر التي يدور في فلكها إنما يطوعها لتلائم الجو القشتالي الذي يحاول إضفاء طابعه هو عليه.

وربما يقف النقد الحديث مستغربًا من تدخل دون خوان مانويل في أواخر حكاياته حين يرى المثل حسنًا ويأمر بضمه إلى كتابه، وأن هذا التدخل السافر يقلل من حياد القصاص أو الراوي، ولكن هذا الاستغراب يزول حين نعلم أن دون خوان أيضًا لا ينتزع من عصره وتقاليده الأدبية، وأن هذا العصر لا يرى حرجًا من هذا التدخل، بل ربما يراه يزيد في الإثارة والفن. وترى ماريا روسا ليدا أن دون خوان يقتفي تقليدًا قشتاليًا في هذا التدخل في كتابه هذا وفي غيره من كتبه، وأن ختام الأمثال أو الحكايات بالشعر يدخل أيضًا في هذا الإطار، لأن الشعر للمؤلف ذاته، والشعر تقليد راسخ في الآداب كلها يطعم به التأليف النثري فيزيده بهاء وملاحة، وهو هنا يلخص كل مايدور في الحكاية ليبقى أثره في النفس التي تميل إلى الشعر وتحفظه أكثر من النثر.

ومصادر دون خوان في هذا الكتاب متعددة جدًا، إذ نجد في خرافات إيسوب وكليلة ودمنة وخاصة الثاني مصادر ثرية للقونت لوقانور حكايات وإطارًا، كما مد المؤلف يده إلى بعض المصادر الأندلسيّة كابن بشكوال، سواء تُرجمت له أو عرفها من مصدرها الأصلي ولغتها الأصلية، وحكايات جحا، والآداب الشفوية الموريسكية، وكذلك التاريخ الأندلسي خاصة، وقد نقل تقاليده الأدبية مؤلفون كبار في الإسبانية في كل عصورها حتى الآن، وامتد هذا التأثير لنجده في خورخي لويس بورخس في الأرجنتين. ونحن نعتقد يقين أن لغة الكتاب الأصلية في طبعاته القديمة تنهج نهج الجملة العربية في بنائها، ورسم المؤلف في بعض حكاياته بعض الجمل العربية بحروف لاتينية في غاية من الدقة، مما يشهد أننا حين نقرأ مثل هذا الكتاب نقول قولة الصاحب ابن عباد حين قرأ العقد الفريد: بضاعتنا ردت إلينا.



لماذا يخافون ركوب الطائرة

م. عبدالله عكش

في السابع عشر من كانون الأول/ديسمبر 1903م تحقَّق أول طيران ناجح في التاريخ على يد الأخوين رايت، فحلّقت طائرتُهما في الهواء على ارتفاعٍ يناهز ثلاثة أمتار مدة 12ثانية قطعت خلالها مسافة 40 متراً. وكانت الطائرة مصنوعة من قماش القنب والخشب حول محرك قدرته 12حصانًا. وفي عام 1919م قام جون الكوك وآرثر براون بأول طيران عبر الأطلسي. وفي عام 1934م افتتحت طائرةٌ من طراز (دي سي2) خطًا جويًا لنقل الركاب بين انجلترا وأستراليا، ثم أنشأت خطوط بان أمرِيكان عام 1939م أول خدمة نقلٍ جويٍ عبر الأطلسي.

باختصار، انتقل الطيران في مدى عمر إنسان واحد من طائرة الأخوين رايت ذات السطحين إلى الكونكورد، التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، وهي طائرة النقل الجوي، التي لم يصنع أسرع منها حتى الآن. غير أن هناك عالمًا يفصل بين رواد الطيران الأول والطائرات النفاثة، التي نستقلها اليوم في أسفارنا. وكما هي حال الإنسان مع التقانة (التكنولوجيا) الحديثة؛ فإن كل اكتشاف من هذه يترك آثارًا سلبية في الحياة المعاصرة. وسيكون حديثنا عن الخوف من الطيران، وهو أحد هذه الآثار .

الخوف من الطيران

قدمت مجلة أكتويل التركية في أحد أعدادها الحديثة تحقيقًا عن أمان السفر بالطائرة. وعلى رأي المجلة المذكورة فإن موازنة نسب حوادث وسائط النقل المختلفة تبين أن السفر بالطائرة أكثر أمانًا من السيارة مثلاً بـ 30 مرة. واستنادًا إلى حسابات الاحتمال فإنك لو سافرت بالطائرة 24 ساعة يوميًا، فقد تواجه خلال 35 عامًا حادث طائرة واحدًا فقط.. ورغم هذه الحقيقة المدعمة بالأرقام، فإن الإحصاءات تشير كذلك إلى أن راكبًا من كل اثنين يشعر بالخوف من ركوب الطائرة. وبالطبع فإن ذلك يطرح على الفور السؤال: لماذا يخاف هؤلاء ركوب الطائرة؟

هل يعود ذلك إلى شعور الانسان بالقلق لأن أقدامه لاتلمس الأرض، ولاتستند إلى شيء صلب؟ هل يعد الخوف من الطيران رد فعل ناتجًا عن شعور الإنسان بأنه «ريشة في مهب الريح»؟

تستهل المجلة التركية تحقيقها حول «الخوف من الطيران» بقصة طريفة للغاية، ففي عام 1969م أقامت ملكة بريطانيا حفلا ضخما بمناسبة اعتلاء الأمير تشارلز كرسي ولاية عهد المملكة المتحدة، آنذاك وجهت الدعوة إلى عدد كبير من المدعوين ومن بينهم الصحفي التركي، رئيس تحرير إحدى المجلات، ميتي أكيول. وعندما استلم أكيول الدعوة جرى بينه وبين موظف القنصلية البريطانية الحديث التالي:

قال ميتي أكيول: يؤسفني أنني لن أستطيع تلبية الدعوة! لا أستطيع! لا أستطيع!

فأجابه موظف القنصلية باستغراب: ولكنك

من مدعوّي جلالة ملكة بريطانيا، يجب أن تحضر.

- لا أستطيع حضور الاحتفال لأنني أخشى ركوب الطائرة!

- إذن سيكون سفرك إلى لندن بالقطار.

وبالفعل تلقى الصحفي التركي بطاقة قطار خاصة، حيث انطلق من محطة سيركجي في استانبول باتجاه محطة فيكتوريا في لندن في رحلة برية استمرت ثلاثة أيام بلياليها في عربة النوم.

إلا أن الموقف الطريف فعلاً كان عندما عبر ميتي أكيول الحدود الفاصلة بين فرنسا وإنجلترا، إذ لم يصدق مسؤول الجوازات البريطاني أن يكون الصحفي التركي زائرًا رسميًا OFFICIAL VISITOR كما تؤكد ذلك تأشيرة الدخول، التي حصل عليها من القنصلية البريطانية في استانبول. وقد استندت شكوك الموظف الإنجليزي إلى أنه لو كان الصحفي التركي «زائرًا رسميًا» بالفعل لسافر بالطائرة كما فعل باقي المدعوين. لقد كان من الصعب على إدارة الجوازات البريطانية أن تفهم سبب حضور هذا المدعو الحكومي بالقطار وهو يحمل دعوة من ملكة بريطانيا نفسها. ولهذا السبب اضطر ميتي أكيول إلى الانتظار ساعتين في مركز الأمن من أجل التحقق من هويته قبل أن يسمح له بالدخول إلى المملكة.

ولقد علق السيد أكيول على هذه الحادثة قائلاً: « في حياتي المهنية الطويلة لم أنجح في التغلب على الخوف من ركوب الطائرة، ولهذا السبب ضاعت مني فرص كثيرة؛ إذ لم أستطع المشاركة في كثير من المناسبات والاجتماعات العالمية العسكرية والمدنية على مختلف المستويات».

أما في شرقنا العربي، فلعل الموسيقار محمد عبدالوهاب، يرحمه الله، كان أشهر الخوّافين من ركوب الطائرة، ومواقفه في هذا الصدد كثيرة وطريفة أشارت إليها في حينه الصحف ووسائل الإعلام.

يقول أحد الخائفين من ركوب الطائرة البروفيسور توكتاميش أتيش مفسرًا: تتحول مسألة الخوف هذه إلى هاجس يقضُّ مضجعي خلال الأسبوع السابق للسفر؛ إذ تنقلب أحلامي إلى كوابيس تجعلني أستيقظ في الصباح على أصوات أزيز محركات الطائرة. وطبعًا، للتخلص من هذا العذاب، أقرر السفر بالبر ولو كانت الرحلة البرية تستغرق زمنًا أطول بـ 12 أو 24 أو حتى 36 ساعة. ويتابع البروفيسور التركي وهو يتحدث بطريقة توحي أنه يحاول أن يقنع نفسه: «المسافرون بالطائرة لايرون جمال الطبيعة، ولايسمعون تغريد الطيور، بينما أتمتع بكل ذلك وأنا مسافر بالقطار أو السيارة أو الباخرة».

من ناحية أخرى تتردد على ألسنة الخوّافين من التقانة الحديثة، وخصوصًا الطيران السريع، الملاحظات التالية: لنفترض أنك وصلت إلى المطار في الوقت المناسب، فوجدت كل شيء على مايرام، والطائرةالتي ستقلك إلى وجهتك جاثمة في مكانها، وليس هناك أي تأخير... تبرز بطاقتك طبعًا مع جواز السفر، وتسلم أمتعتك.. ها أنت ذا الآن في الطائرة. ومع أنك لست من الذين يرتعدون خوفًا وفزعًا من المغامرات المماثلة، إلا أنك تبدأ - مع ذلك - بالتفكير حول هذا الثقب الموجود في سقف الصالة التي تجلس فيها، ما أهميته ومدى ضرورته؟ وتلاحظ بقلق شديد أن سترة الأمان (النجاة) التي سترتديها في حال الطوارئ قديمة جدًا. وتبدأ الأفكار السّودُ بالتوارد: ماذا لو تعرض كابتن الطائرة إلى نوبة قلبية على ارتفاع آلاف الأمتار، وماذا لو اشتعلت الطائرة في الجو، عندها أين المفر؟.

عن الأمان والحوادث

هل يُعدُّ السفر بالطائرات أكثر أمنًا من السفر بالسيارات أو القطارات؟ تجيب المراجع عن هذا السؤال بالإيجاب؛ فالسفر بالطائرات آمَنُ بمرتين منه في القطار، وبثلاثين مرة منه بالسيارة، وتفيد الإحصاءات العالمية المتوافرة عن حوادث الطائرات المدنية بين عامي 1959 - 1988م على المستوى العالمي أنه يقع حادثان مميتان فقط في كل مليون عملية طيران، علمًا أن هذا الرقم كان 20 قبل ثلاثين سنة.

فمجموع الحوادث المسجلة ذات الأسباب المعروفة بلغ أربعمئة حادث وحادثين، نتج 248 منها (73,8٪) بسبب العنصر البشري، كما نتج 40 حادثًا (11,9٪) عن عطل في الطائرة.

أما سوء الأحوال الجوية فقد تسبب بـ 17 حادثًا (5,1٪)، وهناك خمس حوادث (1,7٪) بسبب الصيانة، و 14منها نتجت بسبب المطارات أو عن إيقاف اضطراري للإقلاع، أي ما يعادل نسبة 3,6٪.

من ناحية أخرى، تبين الإحصاءات المعتمدة أن حوادث الطائرات، التي وقعت في أمريكا اللاتينية، شكلت خلال السنوات العشرين الأخيرة نحو 33٪ من مجموع الحوادث في العالم.

ويعتقد أن سبب هذه الظاهرة يعود إلى جبال الأنديز العالية - وهي سلسلة جبال عالية



تمتد على طول الشاطئ الغربي لقارة أمريكا الجنوبية، ويبلغ متوسط ارتفاعها 12500 قدم، علمًا أن هذه الجبال هي ثاني أعلى جبال في العالم بعد جبال الهيمالايا -، وإلى الشروط الجوية القاسية التي تعصف بالمنطقة، وإلى وجود المطارات على ارتفاعات عالية، بالإضافة إلى ضعف المراقبة الجوية فيها.

أما المنطقة التي احتلت المرتبة الثانية في عدد الحوادث فكانت الممر الجوي الممتد فوق آسيا نحو المحيط الهادي، بينما احتلت كندا والولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الثالثة. وكما جاء في الإحصاءات فإن أوربا والشرق الأوسط شهدت أقل عدد من الحوادث مما يشير إلى أن

لماذا يخافون ركوب الطائرة

هذه المناطق هي من أكثر المناطق أمنًا في العالم.

وتحت عنوان «لماذا تتحطم الطائرات؟» نشرت مجلة «الفيصل» تحليلاً لأسباب تحطم الطائرات المدنية، وقد جاءت في مقدمة هذه الأسباب عمر طائرات الأسطول الجوي.

فمتوسط أعمار الطائرات في أساطيل الشركات في: أمريكا الشمالية: 14,5سنة، فرنسا: 10,2 سنة، الخطوط الجوية البريطانية: 8 سنوات، الخطوط الجوية السويسرية: 5 سنوات.

وتشير المقالة إلى أن العمر بحد ذاته ليس ذا



دلالة كبرى، بل الأهم هو عدد الحلقات التي تقوم بها الطائرة. والمقصود بالحلقة إقلاع الطائرة وتحليقها مع المحافظة على الضغط المحدد عند الارتفاعات العالية ثم هبوطها. ويتفق المختصون على كون استهلاك الطائرة مرتبطًا بعدد الحلقات أكثر من ارتباطه بعمر الطائرة.

فالطائرة الأمريكية بوينج 747 التي ضاعت في المحيط الهادي قبل سنوات قليلة وعلى متنها 16راكبًا كان عمرها 19سنة. ومع ظهور طائرات الإيرباص انخفض متوسط عمر الطائرات في فرنسا إلى 8,8 سنة، بعد أن ساءت سمعة الأمريكيين في هذا المجال. وعندما أقفلت شركة ايسترن EASTERN الجوية الأمريكية، فإن أيًا من الشركات الجوية الأخرى لم يتقدم أحد منها لشراء طائراتها.

مخاطر.. مخاطر

ومادمنا نتحدث عن أسباب حوادث تحطم الطائرات، فثمة سؤال طريف: هل يحتمل أن يكون التأخير سببًا لوقوع الحوادث؟.

في أوربا، حصل في عام 1989م تأخير قدره 15دقيقة في ربع مجموع الرحلات الجوية، ومع تزايد أعداد الطائرات والرحلات الجوية، فمن المنطقي أن يزداد العبء على عاتق موظفي برج المراقبة، الذين يعمدون إلى إبطاء حركة الطيران لتجنب ارتكاب الأخطاء. ولكن، إذا لم يتم إيجاد برنامج فعال للمراقبة الجوية فإن عملية الإبطاء هذه لن تكون مفيدة بعد 3-4سنوات. ومن المتوقع أن تمتلئ المطارات، وتصل إلى سعتها القصوى، بحلول عام 2000.

تصاحب العواصف الرعدية دائمًا اضطرابات هوائية عنيفة وتعد مصدر الخطر الأساس على الملاحة الجوية. وتؤدي التيارات الهوائية وعصفات الريح إلى إحداث تبدلات واسعة في مستوى تحليق الطائرة. أما الخطر الحقيقي فيتمثل بمواجهة التيارات الهوائية ذات التحدر الشديد الأفقي والشاقولي (العامودي)، التي تؤدي أحيانًا إلى تصدع عنيف ومفاجئ للطائرة التي تحاول اختراقها، وقد نتج من ذلك في بعض الأحيان انشطار الطائرة إلى نصفين. إن التفادي الحقيقي لمعظم المخاطر الجوية يكون بتجنب التحليق بالقرب من العواصف الرعدية.

ولكن، هل يحتمل أن ينكسر جناح الطائرة؟

في حالة الطيران العادية، فإن التواء الجناح حتى المترين هو أمر طبيعي، وهو معروف من التجارب التي وصلت إلى حد التواء قدره عشرة أمتار. وفي الأصل، تصمم الطائرة بحيث تستطيع الأجنحة أن تحمل وزنًا يساوي 2,5 مرة وزن الطائرة.

لقد أخذ مصممو الطائرات بعين الاعتبار جميع الحالات الطارئة التي يمكن أن تتعرض لها الطائرة، وذلك لإيجاد حل لها يسمح بضمان أمن الركاب وسلامتهم. فقد صمم شكل الطائرة بحيث يمكن إخلاؤها من الركاب في غضون 24 ثانية في حالة الاصطدام. ولكن وجد أنها تحترق في مدة أقل من هذه. ولهذا السبب فقد استبدلت بأغطية المقاعد التي تحترق بسهولة، أغطيةٌ مقاومة للحريق أكثر من ذي قبل.

من الأسئلة التي تدور في خَلَد الركاب: هل تؤثر الأجهزة الإلكترونية المحمولة في أمان الطيران؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فكيف تقوم الشركات المنتجة لأجهزة «المفكرة الإلكترونية» بتزيين منشوراتها الإعلانية عن هذه الأجهزة بصور لرجال الأعمال وهم يعملون على هذه الأجهزة أثناء رحلاتهم الجوية؟ ومع أن المجلة التركية تؤكد أن أجهزة الحاسوب الموجودة بحوزة الركاب لا يمكن أن تؤثر في أجهزة الطائرة أو في التيار الكهربائي المغذي لهذه الأجهزة؛ إلا أن المصادر الأخرى تؤكد أن الواقع قد يختلف بعض الشيء؛ فقد تبين أن تشغيل المعدات الإلكترونية بصورة عامة، وأجهزة المفكرة بصورة خاصة، قد يتسبب في تعطيل النظم الملاحية التي تعتمدها الطائرات، ومن ثم التأثير في سلامتها، ولذلك عمدت عدة شركات طيران إلى منع استعمال أجهزة المفكرة خلال الرحلات، علمًا أنه يمنع ـ عند الهبوط والإقلاع ـ تشغيل المسجلات والتجهيزات الإلكترونية الأخرى.

وبالمقابل، فإن مهندسي الطائرات يركزون جهودهم حاليًا على تحسين الدارات الإلكترونية في الجيل الجديد من طائرات الركاب، وذلك لتجنب حصول تداخلات في الموجات الإلكترونية المختلفة، وكذلك لإفساح المجال أمام الركاب لاستعمال مختلف المعدات الإلكترونية على متن الطائرات. ويضاف إلى ماسبق فإن بعض الشركات تجري الاختبارات اللازمة من أجل السماح بوصل الأجهزة المحمولة إلى المآخذ الكهربائية المتوافرة جنب المقاعد بغية إرسال البريد الإلكتروني أثناء الرحلات.

ولكن، لماذا لايعطي ربان الطائرة معلومات تفصيلية عن اللحظات الحرجة التي تمر بها الطائرة؟ وقد أجابت مجلة أكتويل التركية عن هذا السؤال بأن قبطان الطائرة ليس «مذيعًا يقدم وصفًا لمباراة رياضية» على ارتفاع أكثر من عشرة آلاف متر، فلديه عمل آخر غير تسلية الركاب. ويقول أحد ربابنة الخطوط الجوية

لماذا يخافون ركوب الطائرة

التركية: في حالات الطوارئ لاينتظر من القبطان أي تصريح. أما إن ظهرت مشكلة غير خطيرة، كأن تدخل الطائرة في مطب هوائي، فمن الطبيعي أن يعلن ذلك للركاب. وإذا حصل ضغط في المقصورة، أو اصطدام، فإنه يضيء لوحة: حالة طوارئ EMERGENCY، وإن لم يكن هناك شيء مهم فإن الإيضاحات تعطى فيما بعد. وبهذا الشكل يحول القبطان دون نشوء البلبلة في أوساط الركاب.

وشهد شاهد من أهلها..

قد يتصور أحدنا أن العاملين في هيئات النقل الجوي هم أبعد الناس من الخوف من التنقل بالطائرات، أو بدقة أكبر نقول: إن الاطمئنان لوسيلة السفر هذه قد لايأتي دون ذكريات مريرة تبقى محفورة في الذاكرة. والشخصية النموذجية المختارة للتعبير عن مشاعرها حول هذا الموضوع هي أرمان يرْدُكَن، رئيس مجلس إدارة الخطوط الجوية التركية THY: «عندما كنا في ريعان الشباب، لم تكن الطائرة شعبية بالدرجة الحالية. ولهذا السبب ظهرت بيننا وبين النقل الجوي جفوة معينة طبعتنا بالتردد والخوف. وقد بقيت هذه المشاعر مسيطرة عليّ إلى أن ركبت الطائرة لأول مرة وذلك في عام 1959م. يومها كنت مسافراً إلى ميونيخ، وقد زاد الطين بلة أنني تعثرت وأنا في طريقي إلى الطائرة في مطار استنابول فوقعت على الأرض، مما دفعني إلى التشاؤم حيث تصورت أن رحلتي هذه محفوفة بالأخطار، الأمر الذي خلف في نفسي شعوراً بعدم الارتياح، والأدهى من ذلك أن الطائرات كانت في ذلك الوقت مروحية، إذ كانت كل عملية هبوط وإقلاع تشكل بالنسبة إليّ حدثًا بحد ذاته. لانكاد نقلع ويهمد خوفي قليلاً حتى أجد أننا نهبط. وإن أنس لا أنس هبوطنا الأول في أثينا. فعندما أقلعت الطائرة بعد التوقف فإنها كانت تهتز بشكل واضح، وبعد فترة قصيرة ظننتها دهراً كاملاً هبطنا في روما. وبعد هذه المحطة كان علينا التحليق فوق جبال الألب.. وكانت الطائرة ترتفع وتهبط بشكل مزعج. المهم أن الطائرة تابعت طريقها وهي تهتز، وبصعوبة بالغة وصلنا ميونيخ.. ومع الأسف، بقيت في مكاني فترة طويلة غير قادر على مغادرته رغم المساعدة التي قدمتها إليّ المضيفة.

في السنوات التالية بقي السفر بالطائرة بالنسبة إليّ غير مريح. وفي إحدى المرات امتقع لوني لاهتزاز الطائرة، فقام الراكب بجانبي بإنعاشي بواسطة ليمونة شمَّمني إياها. وفي كثير من المرات كنت أتمنى أن أغادر الطائرة في منتصف الطريق. غير أن الأحوال الحالية أحسن بكثير بعد أن تطورت الطائرات كثيراً، وبعد أن امتهنت الطيران، حيث أسافر بالطائرة مرتين في الأسبوع فزال خوفي.. وحتى عندما انقطع عن السفر بالطائرة أشعر بالحنين إلى ركوبها».

شهادات من هنا وهناك

وقد أوردت المجلة التركية المذكورة عدة مقابلات مع شخصيات تركية من شتى قطاعات المجتمع: أعضاء في مجلس النواب، فنانين، رياضيين... وغيرهم، حول الخوف من ركوب الطائرة. إلا أننا اخترنا المقابلة التالية مع البروفيسور كورثان فيشك، عضو مجلس إدارة الخطوط الجوية التركية: «لم أفهم أبداً كيف أن جسمًا أثقل من الهواء سيرتفع عن الأرض. ولهذا السبب، فإنني أخاف كثيرا عند ركوب الطائرة. وبما أنني أحترم قانون الجاذبية الأرضية، فأنا أومن بوجود نزول بعد كل صعود، وعليه فإذا «قُدِّر» لهذه الآلة أن ترتفع عن الأرض فإنها ستنزل حتمًا، وقد.. تسقط!!.

«هل صحيح أنني أخاف من ركوب الطائرة؟ بما أنني إنسان يؤمن بلغة الإحصاء، فإنني أعرف أن السياحة الأكثر أمانًا في العالم تعتمد السفر بالطائرة.. ولكن، إذا سقطت الطائرة، فإن المشكلة لن تتعدى مصير ركابها الـ 200-300 شخص، بعكس الكوارث الأخرى مثل السيول والزوابع أو المحطات النووية وغيرها. وإذا تركت لي حرية اختيار واسطة السفر: الطائرة أو القطار أو الباخرة أو السيارة أو الدراجة، فإنني أفضل دائمًا الطائرة وذلك لسرعتها من ناحية ولأمانها من ناحية أخرى.

«لماذا أخاف إذن؟ يمكنني أن أفسِّر ذلك بموازنته بحقل الصحة. فالأطباء الجيدون موجودون دائمًا، إلا أن العناية الطبية قبل العملية وبعدها قد لا تكون جيدة، كما أن يد القدر تفعل فعلها دائمًا. ولعل ذلك يفسر القول الشهير: تمت العملية بنجاح، ولكن المريض مات!! وهنا أيضًا نصادف وضعًا مماثلاً: فليس عندي أدنى شك في أن قائد الطائرة يستطيع الانطلاق بالطائرة إلى السماء والنزول بها، ولكنني عندما أفكر بأن أحد أفراد فريق الصيانة قد تشاجر مع زوجته قبل ليلة السفر، «فتعكنن» مزاجه ولم يؤد دوره كاملاً، وأنني قد أدفع حياتي ثمنًا لشجار عائلي سخيف.. عندما أفكر بكل ذلك فإن شعر جسدي ينتصب خوفًا».

الخلاصة

أما وقد تعرفنا آراء بعض الشخصيات حول الخوف من ركوب الطائرة فإنني أود أن أشير إلى نقطة لم يتناولها أحد من هؤلاء، وهي التطور في مجال صناعة الطيران والطائرات. فالطائرة الحديثة باتت تشكل منظومة هندسية معقدة وثقيلة، لاتستطيع الرياح أن تعبث بها كما تشاء، ولعلها باتت أقرب إلى قلعة طائرة تتحدى السحب والغيوم، تقوم الكمبيوترات بمراقبة أدائها، وهي مشبعة بالعناصر والجمل الإلكترونية التي تجعل إقلاعها وهبوطها (أوتوماتيكيًا) يلغي أخطاء طاقم القيادة.

وإذا كنت - أيها القارئ العزيز - من الذين يخافون ركوب الطائرة، فتذكر أنك، بعزوفك عن ركوب الطائرة تلغي قرنًا كاملاً من التقدم العلمي التقاني (التكنولوجي) في تاريخ الإنسان.

المراجع:

1- الاتصالات والمواصلات، كتاب المعرفة.

2- مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العلمية الميسرة، مكتبة لبنان، ط2، 1985م.

3- م. هناء دوزوم: عندما ينام الطيارون حول المقود، مجلة القوات الجوية رقم 66، تشرين الثاني/نوفمبر 1994م.

4- جيرمان شامبوست (ترجمة د. مازن المغربي): لماذا تتحطم الطائرات؟ مجلة «الفيصل» رقم 181، كانون الثاني/يناير 1992م.

5- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف شفيق غربال، دار القلم بالقاهرة، 1965م.

6- منذر سليمان: السلامة الجوية، إحصاءات ومقارنات، مجلة القوات الجوية رقم 59، نيسان/أبريل 1994م.

7- الأجهزة المحمولة على متن الطائرات، مجلة الكومبيوتر والاتصالات والالكترونيات، العدد 11 كانون الثاني/يناير 1992م.

8 - ENCYCLOPEDIA OF INVENTIONS. CHART WEIL BOOK INC. 1976.

9 - HARVER WORLD ENCYCLOPEDIA, VOL.1

10 - G.P. MAZOKINA. AVIATION,1971.

11- لماذا أخاف من ركوب الطائرة؟، ليلى إتيلجي وعلي شاغاتاي، مجلة أكتويل التركية، 1992م.

مسرح الطفل وفاعليته في تكوين الشخصية

من المعروف أن مسرح الطفل من الأدوات والرسائل الفنية والدرامية الممتعة والمثيرة في مجال ترسيخ المضامين الإنسانية والقومية في وجدان الأطفال وفكرهم منذ مرحلة مبكرة في حياتهم. والمثل العربي الشهير «العلم في الصغر كالنَّقش في الحجر» صحيح تمامًا في مجال المسرح، وإن لم يكن تعليميًا مباشرًا بالأسلوب التقليدي، ومع هذه البدهية، فإن معظم المسرحيات التي تقدم للأطفال لاتهتم كثيرًا بقضاياهم الحياتية أو قضايا الانتماء إلى الوطن بصورة مثيرة وجذابة.. بل غالبا ما يُعتمد فيها على أغنية أو أغنيتين في داخل العرض أو نهايته للتنويه بهذا المضمون أو ذاك.. فتبدو كلتاهما مقحمة بشكل لا مسوغ له في النسيج الدرامي للنص المسرحي المقدم.

د. فاطمة يوسف

وإذا كانت معظم المسرحيات تركز الأضواء على التناقض بين قيم الخير والشر؛ فهذه ظاهرة طبيعية، لكنها تلجأ أو تقع أحيانًا في محظور التقرير المباشر الذي قد يصل إلى استخدام إحدى شخصيات العرض لكي تكون المتحدث الرسمي بلسان المؤلف.. مما يدل على عدم تمكن المؤلف من توظيف الإمكانات الدرامية من تجسيد وإيحاء وتلميح وإسقاط واستعارات ورموز وصور تخلق الجو العام الذي يتشربه الطفل بمتعة وإثارة دون أن يتلقى درسًا مباشرًا في الفروق المعروفة بين الخير والشر..

خطورة الانحياز إلى المباشرة

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وفي داخله طبيعة فطرية تدرك ما هو شر وما هو خير، ما هو حرام وما هو حلال، ومن ثم فإن الطفل ليس في حاجة حقيقية إلى تعرف هذه الفروق بطريقة تقريرية مباشرة، ولكنه في أشد الحاجة إلى المرور بتجربة نفسية (سيكولوجية) درامية ممتعة تعيد صياغة فكره ووجدانه تجاه هذا المضمون أو ذاك، وهو ما تفتقر إليه معظم المسرحيات التي تقدم للطفل؛ لأن المؤلفين كثيرًا ما ينحازون إلى الجانب السهل والمباشر في التعبير، ويتركون التكوين المركب للنص المسرحي الذي من شأنه أن يصبح جزءًا عضويًا من كيان الطفل، خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أن الفن هو مصدر من مصادر المعرفة والتربية للطفل بوصفه أداةً متميزة تملك ما لا تملكه الأدوات الأخرى من المعرفة التقليدية.

ولكي يشق هذا الفن طريقه نحو مستقبل أفضل؛ ينبغي أن يتخذ بعض المعالم التي تعد ضرورات أساسية للخروج بهذا الفن من أزمته التي نلمسها بالمتابعة لما قدم منذ نشأته حتى هذه الآن.

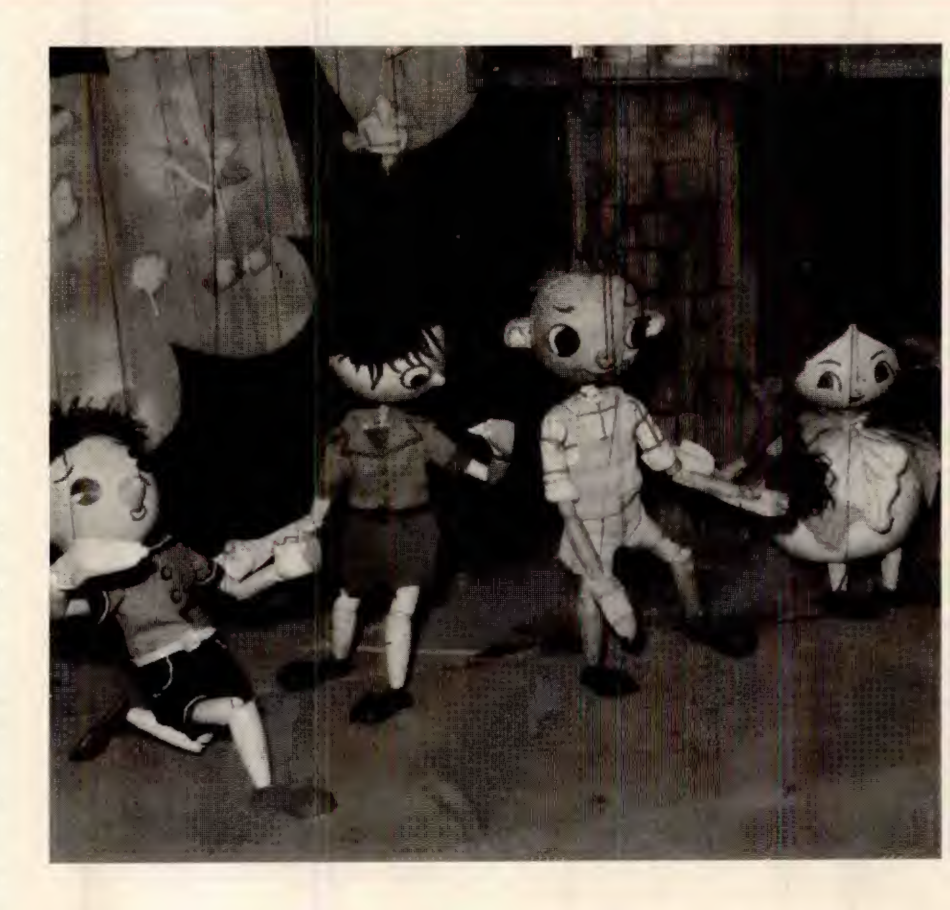
ومن هذه المعالم ما يمكن تأكيده وإبرازه على النحو التالي:

منهج درامي لكل مرحلة عمرية

لابد من تعرُّف سمات كل مرحلة عمرية بجميع جوانبها الانفعالية والثقافية والاجتماعية والحركية واللغوية، واحتياجاتها التي تختلف باختلاف هذه المراحل.. خاصة وأن كل مرحلة عمرية تحتاج إلى منهج (تكنيك) درامي خاص يساعد المؤلف على توصيل النص إلى الطفل بسهولة حتى في المرحلة المبكرة أو مرحلة ما قبل المدرسة.. وكذلك المراحل العمرية المختلفة حتى نصل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة أو مرحلة المراهقة والنضج، وهي المرحلة التي تفتقد الأعمال التي تتواءم مع سماتها وخصائصها. بل تُعدّ مرحلة ضائعة وتدور في حلقة مفرغة ما بين أعمال الكبار وأعمال الصغار؛ بحيث يتعذر أن نعثر على مسرحية موجهة إليها بصفة خاصة، مع أن هذه المرحلة العمرية هي مرحلة حرجة بطبيعتها، فيها تتكون الملامح والخصائص المميزة التي قد تترك بصماتها على المراهق طوال حياته بعد ذلك، فهي تكاد تكون عنق الزجاجة الذي يمكن أن يخرج منه المراهق ناضجًا واعيا، أو يفتقد تمامًا إلى مثل هذه الضرورات التي يجب أن يتسلح بها في مستقبله.

انطلاق الخيال والأحاسيس

لابد من التركيز على أن مسرح الطفل هو في حقيقته منهج للَّعب التخيلي الذي يشبع حاجات الطفل الابتكارية الخلاقة؛ لأن النص المسرحي المعروض لايعتمد على الإرسال فقط، بل يمكن أن يتفاعل من خلال الاستقبال الوارد من الأطفال المشاهدين.. وهذا التفاعل الحيّ بين المنصة والقاعة من شأنه أن يشعر الطفل أنه ذاهب إلى ممارسة مثيرة



هو عضو إيجابي فيهـا، وليس مجرد مشاهد سلبي يتلقى التعليمات والحكم والأمثال وغير ذلك من الوسائل التي تحيط الطفل بقيود الأوامر والإحباطات التي يجب أن يتخلص منها بمجرد دخوله المسرح، الذي يفترض فيه أنه المكان الذي ينطلق فيه بخياله وأحاسيسه نحو كل ما يحب ويرغب في التنفيس عنه.

ولذلك فمن المهم تعرف إسقاطات الطفل الرمزية على الأشياء المادية والطبيعية حتى يستفيد منها المهتمون بالكتابة للأطفال؛ إذ إن الدلالات الرمزية للموجودات عند الأطفال لابد أن تختلف عنها عند الكبار.

وإذا كان الكاتب بالضرورة من الكبار فلابد أن يتمكن من معرفة هذه الدلالات الرمزية عند الأطفال حتى يستطيع أن يستخدم لغتهم الإشارية، وبذلك ينجح في خلق العالم الفكري والفني الذي يأنسون إليه بحكم انتمائهم إليه.

وهذا جزء من وظيفة اللعب التخيلي الذي يساعد الطفل على القيام بعدة عمليات معرفية ولغوية واجتماعية ونفسية يمكن الاستفادة منها في استشكاف قدرات الطفل وموهبته الابتكارية.

استمرار التأثر وتعميق الوعي والإدراك

إن تجربة حضور العرض المسرحي عند الطفل هي في حقيقتها تجربة تساعده على أن يتحرر من الإحساس بالذنب والقهر والخوف، وترسيخ إحساسه بالانتماء واحترام الذات من خلال تعميق وعيه بوجوده داخل مجتمع يدرك ملامحه بالتدريج من خلال مشاهدته لمسرحية بعد أخرى.

والعرض المسرحي يجب ألاّ ينتهي بمجرد إسدال ستار الختام. فإذا كانت إثارة الأطفال بالتعليقات أثناء العرض المسرحي ترفع من وعيهم المبكر في استيعاب القيم التربوية وجماليات الشكل الفني أيضا؛ فإن مناقشة هذه المسرحيات مع الأطفال بعد عرضها من قبَل خبراء تربويين ونقاد فنيين يستطيعون بأسلوبٍ سلس أن يجعلوا الطفل على اتصال حميم بالعرض المسرحي قد تضيف إلى مداركه معارف أخرى ومعايير وقيماً اجتماعية وثقافية تنمّي مداركه المعرفية.

فالتجربة المسرحية في حقيقتها هي أسلوب قادر على أن يخلق من المتفرجين نواة صلبة للمستقبل، فهي تجسد صورة للغد المجهول الذي يتشوق إليه الطفل في عالمه السحري، وتزوده بطاقة مستمدة من الوعي والثقة بالنفس دون غرور، وتشبع حب الاستطلاع والاستكشاف وغير ذلك من الخصائص التي تميز الأطفال جميعا، والتي يجب أن تنمو دون أن يفرضها الكبار عليهم سواء في اللعب أو القراءة أو التعليم أو التثقيف.. إذ يجب أن يكون توجيه الكبار بأسلوب رقيق وغير مباشر ولكنه فعال خاصة عندما يكون زاخراً بالحب والحنان.

حوار قائم على الإقناع لا التعسف

إن أسلوب الحوار في العرض المسرحي عندما يكون ناضجا يمكن أن يشكل حواراً يتبع في الحياة اليومية، فإننا نحن الدول النامية، نعاني من أسلوب التربية القائم على انعدام الحوار الحر بين الكبار والصغار، وهو الحوار الذي يمكن أن يؤدي إلى إيجاد أفكار وآراء جديدة دون عسف من طرف لطرف آخر. وبذلك يصبح الحوار المسرحي وما يحمله في طياته من قيم ومعرفة أكثر الأنشطة إيجابية في تعميق وعي الطفل وتكوين شخصيته، وربطه بجذوره وانتمائه لوطنه. ولتحقيق هذه الفاعلية للحوار الدرامي في مسرح الطفل - وحتى لايدور في دوائر مفرغة من التكرار وكثرة المرادفات أو التأكيدات المملة، وكلها أساليب تعوق الإيقاع، وتوقف الأحداث، مما يُشعر الطفل بأنه يتلقى دروساً مملة في بعض فقرات المسرحية لضعف الإثارة الجمالية والفنية بسبب هذه الدوائر المفرغة في الحوار - فإن على المؤلف محاولة البحث بين الدراسات التربوية عن الدراسات التي ترصد القاموس اللغوي بألفاظه وتراكيبه وعباراته التي تتفق- مع كل مرحلة عمرية، لتوصيل الإحساس بأحسن صورة يتخيلها.

فالحوار المسرحي هو شريان المسرحية، لأنه يعبر عن شخصياتها نفسياً واجتماعياً، ونجاحه يرتبط إلى حد كبير بمدى موافقته لمستويات الأطفال في إطار قدراتهم اللغوية.

الأسطورة وتوظيف تقنيات المسرح

وإذا كان مسرح الطفل يلجأ في كثير من الأحيان إلى الأسطورة أو الخيال، فإن ذلك لا يعني أنه هروب من الواقع، بل هو مواجهة للواقع في كل صوره الجوهرية؛ لأنه يوجه الطفل إلى سلبيات هذا الواقع من خلال تجربة درامية ممتعة وليس بالوعظ والإرشاد، بل إن إيقاظ الإحساس عند الطفل بالتقنيات الجمالية للمسرح الأسطوري أو الخيالي، وتأثيرهاالفعال الإيجابي في طاقات الطفل الإبداعية؛ بل ومشاركته في إبداع هذه الجماليات وابتكارها من خلال الأحداث.. من شأنه أن

يجعل الطفل أعمق فهما للواقع، وأكثر قدرة على صياغته لصالحه، فالمسرح يساعد الطفل على الانتماء إلى الجماعة والتعاون معها من خلال علاقة الشخصيات بعضها ببعض، ومن ثم يمكنه مع أقرانه أن يواجه الواقع لا أن يهرب منه كما قد يتصور البعض تخوفا من الجو الأسطوري.

ولكن من يستلهم نصوصه المسرحية من التراث أو الأسطورة الخيالية فينبغي له الحذر في تناول بعض السلوكيات للشخصيات التي قد تشوب العمل وتحبب الطفل في بعض القيم السلبية التي يرفضها المجتمع الداخلي أو الخارجي للطفل (الأسرة - المدرسة)، ولذا وجب على من يتعامل مع التراث أو الأسطورة تقديمه برؤى تحمل مناقشة أو محاكمة هذه القيم أو المعايير السلوكية المرفوضة من خلال مفهوم الكاتب، أو من خلال مناقشة الطفل لها بعد العرض.

التسلية الجادة

إذا كانت التسلية والترفيه من أهم أهداف مسرح الطفل، فإنها تسلية لمواجهة الواقع وتفسيره، ومن ثم فهو لعب جاد من الطراز الأول؛ فقد تتقمص هذه التسلية ثوب التمثيل أو المواقف العفوية مما يفجر طاقات الإبداع والابتكار عند الطفل، ذلك أن التحرر العقلي والخيال الناضج والتوافق النفسي والاجتماعي الذي يستمتع به الطفل في مشاهد العرض المسرحي المتقن يمكن أن ينضج شخصيته دون أن يشعر، لأن متعته بالتسلية تفوق أي اعتبار آخر. كذلك فإن المسرح يشبع خيال الطفل الذي يجده متجسداً أمامه على المنصة، ويخفف أيضًا من قلقه وتوتره، ويمنحه فرصة للتنفيس عن مكبوتاته ورغباته، وبذلك يصبح قادراً على مواجهة الحياة بمشكلاتها المضادة.

تعليم أسرار القيادة الناجحة

إن الحرص على إشراك الطفل في العرض المسرحي، وإتقانه لدور ما يزيد من إحساسه بأهمية دور الفرد في المجتمع، ذلك أن هذا الأداء المسرحي نوع من التقمص والتعبير عن النفس بالصورة التي يعشقها الطفل بطريقة إيجابية ممتعة، ففي هذا المجال يشعر الطفل بتنظيم إحساساته ومكونات شخصيته وهو يمثل ويعبّر عن مخاوفه وأحلامه وتطلعاته لخبرات لم يكتسبها من قبل. وهذا المنهج يتجاوز أسلوب الثواب والعقاب في التوجيه والإرشاد، وهو أسلوب ثبت عمقه خاصة في العصر الحديث.

أما إذا كان العرض يقوم به ممثلون كبار، فإن الطفل لا يفقد المقدرة على المشاركة في انفعالاتهم مما يؤدي إلى اكتساب الطفل سلوكًا وقيمًا من الشخصية التي يتوحد معها ويحاكي أفعالها برغم المسافة العمرية الكبيرة بينه وبين من يقوم بأداء الدور، وهي مسافة عمرية تتلاشى في ثنايا الأداء الدرامي؛ لأنه طريقه لتعرف العالم الذي يعيش فيه الكبار والصغار على حد سواء. ومن هنا كان من الضروري أن يعتني كتاب المسرح بالنماذج والشخصيات التي تتجسد في العمل الدرامي حتى يتمكنوا من تحديد أثرها في انطباعات الطفل، وتحديد قيمه ومعاييره دون أن يفلت القياد من أيديهم، فإذا كان المسرح يُعلِّم الأطفال أسرار القيادة الناجحة الناتجة من أداء الأدوار، فليس أقل من أن يمتلك المؤلفون القدرة على مثل هذه القيادة والتوجيه الفني وغير المباشر.

يتحتم على كتاب مسرح الطفل أن يختاروا النماذج التي تجسد القيم المرغوب فيها، بأسلوب ناضج يصل إلى مرحلة الإشباع العقلي وتنمية الفكر وتوسيع المعرفة وتعميقها

الفروق بين المجتمعات والأجيال

ومن المفروض أن يدرك كتاب المسرح أن مسرح الطفل هو تجربة نفسية (سيكولوجية) أعمق تأثيراً فيه من أثر مسرح الكبار في مشاهديه بصفة عامة..

وبذلك فإن أي أثر سلبي لايدركه الكاتب أثناء تأليف المسرحية قد يحدث آثارًا في نفسية الأطفال قد لا يتخيلها، من هنا كانت الصعوبة الكامنة في الكتابة لمسرح الطفل؛ لأنه يفترض في الكاتب المسرحي أن يمتلك ناصية اللغة التي يفهمها الطفل، وهي لغة تتسم بفروق عن لغة الكبار قد تكون أشد اختلافًا من الفروق الموجودة بين اللغة الأم ولغة أجنبية، وهذا يؤدي بنا إلى قضية المترجمات الأجنبية في مسرح الطفل، إذ

وفاعليته في تكوين الشخصية

لابد من اختيار النصوص التي تلائم طبيعة أطفالنا سواء على مستوى المضمون التربوي أو الشكل الفني، فليس كل ما يقدم على مسرح الطفل في الخارج يصلح لمسرح الطفل في عالمنا العربي والإسلامي. وبصفة عامة فإن ما يُكتب للأطفال يجب أن يكون مقنعاً فكريًا وفنيًا، فالطفل ليس على استعداد أن يقتنع بأي شيء يقدم له وهو ما يتصوره كثيرون، خاصة وأن الطفل في العقد الأخير من القرن العشرين يتعامل مع الحاسوب (الكمبيوتر) والأجهزة التقنية (التكنولوجية) المعقّدة، ولن يتقبل أي نص مسرحي يشعر فيه بالاستهانة بعقله، فإذا كانت القيم الإنسانية الراقية كالعدل والصدق والشجاعة والأمانة... إلخ، لاتتغير بتغير الزمن، فإن طريقة تجسيدها دراميًا في النص المسرحي تختلف من عصر لآخر، فما كان يتقبله طفل الستينيات قد يرفضه طفل التسعينيات، وهنا تساعد الدراسات النفسية (السيكولوجية) الجديدة في محاولات الوصول إلى عقل الطفل وقلبه.

ويتحتم على كتاب مسرح الطفل أن يختاروا النماذج التي تجسد القيم المرغوب فيها، والتي تثير إحساس الدفء والإشباع العاطفي، ولكن بأسلوب ناضج يصل إلى مرحلة الإشباع العقلي وتنمية الفكر وتوسيع المعرفة وتعميقها؛ ذلك أن الإشباع العاطفي الذي هو بمثابة التوازن النفسي لايغني عن الإشباع العقلي، فكلاهما الدعامتان اللتان ينهض عليهما البناء الناضج لشخصية الطفل.

ويمكن لمسرح الطفل أن يقدم مناهج فكرية وفنية لإعادة النظر في أسلوب التعليم الذي يولّد لدينا أجيالاً هي نسخ متماثلة أو مكررة (كربونية) لاتعي أبعاد واقعها، بالإضافة لأسلوب التربية الواقع تحت القهر السلطوي من الكبار في البيت أو المدرسة، وهو ما يؤدي إلى تعطيل ملكات الطفل ووعيه، ويعوق قدرته على التفكير المبدع الابتكاري الخاص به.

وخلاصة لذلك يتأكد لدينا أن التجارب المسرحية التي تقدم للطفل تحتاج إلى مزيد من التأصيل والتعميق. وغني عن الذكر أن فن المسرح يعد ضرورة من ضرورات التكوين العقلي والنفسي والوجداني عند الطفل، وخير أسلوب لتنمية الخيال والإحساس الجمالي عنده، وكذلك تعميق القيم الاجتماعية والدينية والقومية والمثل الإنسانية العليا الضرورية لطفل اليوم أو شباب الغد.

دائرة المعارف

يوم القيامة وأسامية وبعض أهواله في القرآن الكريم

إعداد:
عاصم محمد بهجة البيطار



اليوم الآخر:

في آيات كثيرة جدًا منها:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. البقرة:8.

يؤمنون بالله واليوم الآخر. آل عمران:114.

قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. التوبة:29.



البعث:

فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون. الروم:59.



التغابن:

ذلك يوم التغابُن. التغابن:9.

التّلاق:

رفيعُ الدرجات ذُو العرش يُلقي الرُّوح مِنْ أمرِه على من يشاءُ من عباده لينذر يومُ التّلاقِ. غافر:15.

التّناد:

ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التّناد. غافر:32.



الجزاء:

ورد في آيات كثيرة منها:

اليَومَ تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت. غافر:17.

واتقوا يومًا لاتجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا. البقرة:48.

واخشوا يومًا لايجزي والدٌ عن ولده. لقمان:33.

الجمع:

وتُنذِرَ يومَ الجَمْعِ لاريبَ فيه. الشورى:7.

يوم يجمعكم ليوم الجمعِ. التغابن:9.



الحاقة:

الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة. الحاقة 1-3.

يوم الحساب:

وقالوا ربنا عجِّل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب. ص:16.

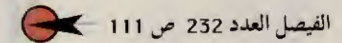
إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب أليم بما نسوا يوم الحساب. ص:26.

هذا ما توعدون ليوم الحساب. ص:53.

وقال موسى إني عُذْتُ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. غافر:27.

الحسرة:

وأنذِرْهُم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غَفْلَةٍ. مريم:39.





الخروج:

واستمع يوم ينادي المنادي مِنْ مكانٍ قريب. يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يومُ الخروج. ق: 41، 42.

الخزي:

قال الذين أُوتوا العِلْم إنَّ الخِزْي اليوم والسُّوء على الكافرين. النحل: 27.

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته. آل عمران: 192.

الخلود:

ادْخلوها بسلامٍ ذلكَ يومُ الخلود. ق: 34.



الدِّين:

ورد في آيات كثيرة منها:

وإنّ عليك اللعنة إلى يومِ الدِّين. الحجر: 35.

وقالوا ياويلنا هذا يومُ الدين. الصافات: 20.



الراجفة:

يوم ترجف الراجفة. النازعات: 6.

تتبعها الرّادفة. النازعات: 7.

ترجف: تزلزل، الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.



الزلزلة:

إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم. الحج: 10.

إذا زُلزلت الأرض زِلزالها. الزلزلة: 1.



الساعة:

وردت في آيات كثيرة منها:

يسألونك عن الساعة أيّان مُرساها. الأعراف: 186، والنازعات: 42.

إن الله عنده علم الساعة. لقمان: 34.

اقتربت الساعة وانشق القمر. القمر: 1.

وإنَّ الساعة لآتية. الحجر: 85.

بل الساعة موعِدُهُم والساعةُ أدهى وأمرّ. القمر: 46.

ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون مالَبِثوا غير ساعة. الروم: 55.



الصاخّة:

فإذا جاءت الصاخّة. يوم يفر المرء من أخيه. عبس: 33، 34.

الصاعقة:

فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُصْعَقُون. الطور: 45.

ونُفخ في الصُّور فَصَعِقَ مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض. الزمر: 68.



الطامة:

فإذا جاءت الطامَّةُ الكبرى. يوم يتذكر الإنسانُ ما سَعَى. النازعات: 34، 35.



العَرْض:

ورد في آيات منها:

وعُرِضوا على ربك صفًّا. الكهف: 48.

يومئذٍ تُعرضون لاتخفى منكم خافية. الحاقة: 18.

ويوم يُعرَضُ الذين كفروا على النار. الأحقاف: 20، 34.

عسير:

فذلك يومئذٍ يومٌ عسير. المدثر: 9.

المُلكُ يومئذٍ الحقُّ للرَّحمنِ وكان يومًا على الكافرين عَسِيرًا. الفرقان: ٢٦.

غ

الغاشية:

هل أتاك حديث الغاشية. الغاشية: 1.

ف

الفزع:

ورد في آيات كريمة منها:

ويوم يُنفخ في الصُّور فَفَزِعَ مَن في السموات ومَنْ في الأرض إلا مَنْ شاء الله. النمل: 87.

من جاء بالحسنة فلهُ خيرٌ منها وهم مِن فَزَعٍ يومئذٍ آمنون. النمل: 89.

لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم تُوعدون. الأنبياء: 103.

الفصل:

ورد في آيات كثيرة منها:

إن يوم الفصل كان ميقاتًا. النبأ: 17.

هذا يوم الفصل جمعناكمْ والأوَّلين. المرسلات: 38.

هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون. الصافات: 21.

ق

القارعة:

القارعة. ما القارعة. وما أدراك ما القارعة. القارعة: 1-3.

كذَّبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة. الحاقة: ٤ .

القيامة:

ورد اسم القيامة في نحو سبعين آية كريمة، كما جاء في القرآن الكريم مشتقات من الكلمة تدل عليها. ومن ذلك:

الله لا إله إلا هُو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه. النساء: ٨٧.

وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون. اللهُ يحكُم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون. الحج: 68، 69.

إن الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا ومثله مَعَهُ ليَفتَدُوا به من عذاب يومِ القيامة مَا تُقُبِّلَ منهم ولهم عذابٌ أليم. المائدة: ٣٦.

فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد. يَقْدُمَ قومَه يوم القيامة فأوردَهُم النارَ وبئس الوِرْدُ الموْرُود. هود: 97، 98.

ثم إنّكم بعدَ ذلك لَمَيّتون. ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون. المؤمنون: 15، 16.

ألا يظُنُّ أُولئكَ أنّهم مبعوثون. ليومٍ عظيم. يوم يقوم النّاسُ لربّ العالمين. المطففين: 4-6

م

الموعود:

والسماء ذات البروج. واليوم الموعودِ. البروج: 1، 2

ن

الندامة:

وأسرُّوا النَّدامة لَمَّا رأوا العَذاب. يونس: 54، سبأ: 33.

النشور:

وردت الكلمة بمشتقاتها في آيات كريمة منها:

هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور. الملك: 15.

والله الذي أرسل الرياح فتُثير سحابا فسُقْناه إلى بلدٍ ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور. فاطر: 9.

خُشّعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر. القمر: 7.



الوزن:

ونَضَعُ المَوَازين القسْط لِيَوم القيامة فلا تُظلم نفسٌ شيئًا. الأنبياء: 47.

والوزنُ يومئذ الحقُّ فمن ثقلت موازينُه فأولئك هُمُ المُفلحون. ومَن خفَّت موازينُهُ فأولئك الذين خَسِرُوا أنفسهم. الأعراف: 8، 9

فأما من ثقُلت موازينه. فهو في عيشة راضية. وأما من خفَّت موازينُهُ. فأمُّه هاوية. القارعة: 6-9

الوعيد:

ونُفخ في الصُّور ذلك يوم الوعيد. ق: 20.

الواقعة:

إذا وقعت الواقعة. الواقعة: 1.

فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ. وحُمِلَتِ الأرضُ والجبال فَدُكَّتا دكةً واحدة. فيومئذٍ وَقَعَت الواقعةُ. الحاقة: 13-15

وقد ورد وصف يوم القيامة وما فيه من نعيم مقيم، وعذاب وجحيم، وبشرى للمتقين، وأهوال للمكذبين الضالين في آيات كثيرة جدًا، منها:

إنما يُؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار. إبراهيم: 42.

ربنا إنَّك جامع الناسِ ليومٍ لاريب فيه. آل عمران: 9.

واتقوا يومًا لاتجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا. البقرة: 48، 123.

إنّا لننصرُ رُسلنا والذين آمنوا في الحياة الدُّنيا ويومَ يقومُ الأشهاد. يوم لاينفع الظالمين معذرتُهُم ولهم اللعنَةُ وسُوءُ الدارِ. غافر: 51، 52.

ولاتُخزِني يوم يُبعَثون. يوم لا ينفَعُ مالٌ ولابنون. إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ. الشعراء: 87-89

يوم يفرُّ المرءُ من أخيه. وأمِّهِ وأبيه. وصاحِبَته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه. عبس: 34 إلى آخر السورة.



قالت

شعر: ياسر صلاح قطامش

قالتْ: هجرتَ الشعرَ.. قلتُ: كفانيَهْ ... زمنٌ يموتُ الشعرُ فيه عَلانيَهْ

قد مرَّ يا ليلى زمانُ الشعرِ والشـ ... ـعراءِ هل يأتي إلينا ثانيهْ؟

قد ماتَ عصرُ «أبي فراسٍ» و«المعـ ... ـرِّي» وانتهى وكتبتُ فيه عزائيَهْ

والمجدُ نامَ ولم يبالِ بشعرِنا ... والرقصُ صارَ من الفنونِ الراقيَهْ!!

ولذا ذبحتُ قصائدي ومشاعري ... وحرقتُ شعري وانتزعتُ قوافيَهْ

* * *

حرَّكتِ يا ليلى جراحاتي التي ... سكنتْ وكانتْ عن سكوتي راضيهْ

وأعدتِ لي كلَّ الذي حاولتُ أن ... أنساهُ من زمنٍ ليهدأ باليهْ

فإذا بنا نغشى «عكاظ» وهاهي «الـ ... خنساءُ» تُنْشِدُنا وتسهرُ باكيهْ

وإذا بنا نغشى «الرشيدَ» بقصرِهِ ... والشعرُ يُتلى والمجالسُ زاهيهْ

وإذا بنا نأتي «بني حمدانَ» في «حـ ... ـلبَ» التي بأميرِها مُتباهيهْ

* * *

يا ليلتي ليسَ الزمانُ زمانيهْ ... ولقد ولدتُ وما وجدتُ مكانيهْ

اللهُ قدَّر أن نعيشَ ونُبْتلى ... بالشعرِ في زمنِ الذئابِ العاويهْ!

ماذا يريدُ الشعرُ مني بعدما ... أنفقتُ فيه راحتي وحياتيهْ؟!

لو أستطيعُ نزعتُهُ من مهجتي ... كي أستريحَ وكي يزولَ شقائيهْ

يا شعرُ إنّي قد أرحتُكَ فاسترحْ ... أو لا تكنْ يومًا عليَّ ولا ليَهْ

قصة قصيرة:

عصفورتان بين الأفاعي

جهاد عبدالجبار الكبيسي

اليوم احتدم الجدل بين الطفلتين الشقيقتين، عقب قرع جرس الانصراف عند الظهيرة في مدرسة «لافاريا»، ادَّعت الصغرى «مرام» التي لم تتجاوز الرابعة أن على شقيقتها أن تحمل كراساتها في حقيبتها.

فنّدت الكبرى «نورس» ـ التي شارفت الخامسة والنصف من عمرها ـ حجة أختها، بأنها كانت هي الأخرى تملك حقيبة ولكنها مزقتها، وأنَّ عليها الآن أن تتحمل تبعة إتلاف الحقيبة، وما لبث الجدال أن تصاعد وصار شجارًا، وكادتا أن تشتبكا.

لحظتها تركت مرام كراساتها على الأرض وغادرت وقفتها ومضت، فلم تملك نورس إلا أن تلتقطها وتحشرها في حقيبتها مع كراساتها، متوعدة أختها بإبلاغ الأمر لأمها حين وصولهما البيت. أدخلت ذراعيها عبر حمالتي الحقيبة، ثم عدّلت وضع الحقيبة على ظهرها ومضت تلحق بأختها.

كان الوقت الذي صرفتاه في المشاجرة كافيا لأن يجعل زملاءهما يغادرون المدرسة والشارع ويصلون إلى بيوتهم، لذا فقد مضتا وحيدتين إلا من بعض المارة، كلتاهما صامتتان، تحمل كل منهما للأخرى حنقا، وغضبا، وتوعداً.

ما كادتا تمضيان في الشارع بُعَيْد خروجهما من المدرسة أمتاراً معدودة، حتى انعطفتا يسارا، لتمضيا في شارع «الزهراء» العام بالقدس الشرقية، الموصل لبيتهما، ومضتا تسيران على رصيف الشارع الذي يقوم على جانبه سور طويل.

مرام تسبق نورس ، تمشي متقافزة تتضاحك، تقهقه تارة، وتُخرج لسانها لأختها تغيظها تارة أخرى، بعد انتصارها عليها وإجبارها على حمل كراساتها.

وقفت مرام وأطلقت ضحكة جذلة تشي بالتشفي، وهي تقول لأختها، وفي الوقت ذاته تستعد لإطلاق ساقيها للريح إذا ما حاولت الأخرى اللحاق بها:

ـ أرأيت؟ أخيراً انتصرتُ عليكِ وجعلتك تحملين الكراسات عني.

ضحكت الأخرى بنشوة الانتصار ذاتها وهي ترد عليها، وقد وقفت على مبعدة منها:

ـ المهم يا هبلة ليس من يحمل الكتب، لكن من عنده حقيبة.

تساءلت مرام ضاحكة:

ـ وهل أنتِ وحدك فقط التي عندها حقيبة؟

ردت نورس بثقة وافتخار وهي تثني جذعها:

ـ طبعًا!

ـ وأنا، أليس عندي حقيبة؟

ـ أنت؟ أنت مسكينة لا تملكين حقيبة.

ـ بل أنت المسكينة يا هبلة. أنا عندي حقيبة أجمل من حقيبتك.

ـ كذّابة.

ـ كذّابة؟ طيب عندما نصل البيت سأريك إياها.

تساءلت نورس وهي بين التصديق والتكذيب:

ـ من أين لك؟

ردت الأخرى بثقة واطمئنان:

ـ أبي اشتراها لي قبل يومين.

ـ يا كذّابة، لو كانت معك حقًا، لوضعت فيها كراساتك وحملتها معك إلى المدرسة.

ـ يا هبلة، أنا أخفيتها عنوة، هل تعرفين لماذا؟

ـ لماذا يا كذّابة؟

ـ لأجعلك تحملين أنت الكراسات عني.

وبينما ذهلت نورس لوَقع المفاجأة، سارعت مرام تبسط كفها اليسرى، وتضع جمع يمناها عليها وتديرها، وهي تُخرج لسانها، إغاظة لأختها، اشتاطت الكبرى غيظًا وانطلقت إثر أختها تحاول الإمساك بها، فأطلقت الصغرى ساقيها للريح، وهي تطلق ضحكة عالية.

صاحت نورس، وقد عجزت عن اللحاق بشقيقتها لثقل الحقيبة على ظهرها:

ـ طيب طيب يا مرام، عندما نصل البيت سأحكي لأمي كل شيء.

ـ أمي لاتعرف عن الحقيبة شيئًا، لأن أبي أوصاني أن أخفيها عنكما.

أطلقت الكبرى عقيرتها حانقة:

ـ منك لله يا حمارة.

ردت الصغرى من بعيد بغير حنق:

ـ منك لله أنت يا هبلة.

شعرت الكبرى بمرارة الهزيمة في حلقها، أغاظها مكر أختها، استاءت منها، برمت بها، كرهت وجهها، مضت تمشي الهوينا، وتفكر في طريقة للانتقام منها، والثأر لهزيمتها، ستحدّث أمها بالأمر، وتستعديها على أختها، وتطلب منها معاقبتها، عند ذلك ستقف بعيدة عنها، ترمقها، تبتسم متشفية بها، وأمها توبخها، تماما مثلما سخرت منها الآن.

أفاقت من شرودها على صوت أختها وهي تتجه نحوها مسرعة، وقد تبدل مرحها غما، وانتشاؤها هلعًا، تفرست في وجهها مندهشة، فإذا بسمته غائضة، والرعب يكسو ملامحه، انزعجت لهذا التغير المفاجئ، صرخت الصغرى وهي تلوذ بأختها محتمية، وتهمس بصوت مرتعش إلى مقدم جنود إسرائيليين نحوهما.

اتجهت نورس بنظراتها إلى الأمام، لمحت عن بعد دورية إسرائيلية مدججة بالسلاح تتقدم صوبها، استلهمت من استنجاد شقيقتها بها قوة على مواجهة

الموقف، جعلها تتظاهر بالشجاعة وعدم المبالاة، وإن لم يكن خوفها أقل من خوف أختها، فما تزال المشاهد المخيفة التي عرضت على شاشة التلفاز بالأمس تعشعش في رأسها، خصوصًا وأنها قد أغلقت أجفانها عليها، فما رأته كان في النشرة الإخبارية الأخيرة للتلفاز الإسرائيلي قبيل موعد نومها بدقائق حتى إنها قد عاشتها كابوسا في غفوتها.

وإذا كانت قد نسيت مشاهد الرعب تلك، أو بهتت ملامحها في غمرة الألعاب والصحاب في الروضة نهار اليوم، فقد بعث مرأى الجند الآن مشاهد الأمس، وصارت تتداعى إلى ذاكرتها بكل أبعادها، صور الجنود الإسرائيليين الغلاظ المقنعين، المدججين بالسلاح، وهم يطاردون التلاميذ العزل، يحمل كل منهم هراوة غليظة يهوي بها على كل من يلقاه من الصغار الذين كانوا يتصارخون فزعين، بينما الكبار منهم يحاولون حماية إخوتهم الصغار بقذف الحجارة على الجند لإبعادهم عنهم، ولن تنسى مشهدًا بعينه انتصب الآن جليًا أمام عينيها، مشهد الجندي الضخم الذي ظل يطارد تلميذًا صغيرًا، حتى أوقع به، وحين تمكن منه قبض بكفه الكبيرة على أصابع الطفل الصغير وأدارها، والطفل يصرخ متوجعًا، وظل كذلك حتى تكسرت عظام أصابعه، ثم ركله بقدمه ليلقيه أرضًا. هذا المشهد بذاته صار يهول عليها الآن بشاعة رؤية الجنود، وإمكان أن يفعلوا بها وبأختها ما فعلوه بالتلاميذ بالأمس، خصوصًا بعد أن يعرفوا أنهما تلميذتان، فكيف تحتال لتحول دون رؤيتهم لهما؟!

أدارت في رأسها الصغير هذه المعضلة، وراحت تبحث عن طريق للخلاص: كيف تتحاشى لقاء هؤلاء الجنود الإسرائيليين؟ تلاحقت طُرق الخلاص برأسها متسارعة، لكن واحدة منها لم تبدُ مقنعة.

هل تطلقان ساقيهما للريح صوب بيتهما؟ سيواجههما الجنود ويقبضون عليهما قبل وصولهما إلى البيت.

هل تستديران وتعودان إلى مدرستهما لتلوذا بها؟ من يضمن أن الجنود لن يطلقوا عليهما النار؟

هل تظلان واقفتين في مكانهما حتى تمر الدورية؟ سيفتشهما الجنود كما يفعلون مع الآخرين، ويكتشفون أنهما تلميذتان، وحينئذ سيضربونهما ويكسرون أصابعهما.

هل تستنجدان بأقرب الناس من المارة في الشارع لإغاثتهما؟ ربما سيكون من تستنجدان به واحدا من اليهود، ولحظتها سيسلمهما هو نفسه للجنود.

إذن فلتختبئا، هذا هو الحل، ولكن أين؟ فالسور العالي عن يسارهما، والشارع الواسع عن يمينهما، ولا ملاذ قريب.

أجهشت الصغرى بالبكاء، وهي تلتصق بأختها وتدفعها بكتفها، كأنما لتزيحها وإياها عن الأرض كيلا يراهما أحد، ولا تفتأ تردد خلال نحيبها كلمات مبهمة خافتة.

اصطدم كوع الكبرى بجانب حقيبتها التي تحملها وراء ظهرها، وهي تربت على ظهر شقيقتها تهدهدها لتخفف من جزعها، فتذكرت أن الجنود الإسرائيليين كانوا يضربون التلاميذ، والشيء الوحيد الدال على أنهما تلميذتان هذه الحقيبة اللعينة، وأن نجاتهما مقرونة بالتخلص منها، فإذا فعلت فقد سلمت وأختها من فتك الجنود بهما.

ولكن متى؟ وكيف؟ ووقع أقدام الجنود يقترب، لابد لها أن تتصرف إذن وبسرعة قبل وصول الجند.

اقتربت الدورية الإسرائيلية، صارت على مبعدة أمتار، قذفت نورس بظهرها إلى الوراء، وهي تجذب شقيقتها، صارت لصق السور، ومرام إلى جانبها تبكي، اختفت الحقيبة المدرسية بين ظهرها والجدار، استغاثت الصغرى بأختها ملتاعة:

- نورس، سيقتلنا الجنود الإسرائيليون.

طمأنتها بصوت مرتجف:

- لاتخافي.

- كيف لا أخاف، وهم يقتلون التلاميذ؟

- قلت لك لاتخافي، لن يعرفوا أننا تلميذتان.

- والحقيبة التي تحملينها؟

- أخفيتها وراء ظهري.

- وهذه.

قالت ذلك بحدة وهي تجذب علاقتي الحقيبة، لحظتها فقط، فطنت نورس إلى ما يحيق بها وبأختها، بعد أن فشلت في إخفاء الحقيبة، وأن أمرهما لابد منكشف.

- الجنود يقتربون.

قالت ذلك الصغرى مذعورة، فاكتفت الكبرى بقولها:

- إش..

- سيكسرون أصابعنا..

- قلت لك اسكتي.

شعرتا كأن ظل دبابة يغشاهما وطلائع الدورية تواجههما، هربت الدماء من شرايين الكبرى، تيبست شفتاها، وجف ريقها، أحست كأن روحها تنجذب بعيداً بعيدًا عنها، أما الصغرى فقد فقدت الإحساس بكل ما حولها، وقد ملأها الرعب حتى غمرها، وصوت نحيبها يطغى - في مسامعها - على وقع خطى الجند وهي تدق الأرض.

لمحت الكبرى ببقايا ما ظلّ لها من وعي، أحد الجنود يسدد النظر إليها، خمنت أنه يركز النظر على الحمالتين، إذن فقد انكشف أمرهما، وعرف الجنود أنهما تلميذتان، لحظات وتُجذب من شعرها هي وأختها، ستُتقاذفان كالكرة بأحذية الجند، شعرت بقواها تخور، وبساقيها لاتساعدانها على الوقوف، غادر الجندي المصوب نظراته إليهما الدورية وتوجه نحوهما، سيتجه إليها ويجذبها من حمالتي الحقيبة.

أحست بما يشبه الإغماءة، استنفرت وعيها، كل ما عليها اللحظة أن تخفي هاتين الحمالتين، والجندي على مبعدة أقدام، مدّت يدها بسرعة وجذبت شقيقتها، ودفنتها في صدرها، مخفية حمالتي الحقيبة بها، متظاهرة بالتربيت على رأس أختها.

رفع الجندي هراوته إلى الأعلى وهو يتقدم نحوهما، أغمضت الكبرى عينيها وتكمشت في وقفتها، وقد هربت الدماء من جسدها، سقط قلبها في قاع حوضها، شهقت مذعورة، وهي ترى الجندي يقفز إلى أعلى بهراوته، شعرت بصوت ارتطام الهراوة - وهي تلطم أحد أغصان الشجرة التي تقفان تحتها - كأنه انفجار قنبلة، تساقطت الوريقات من الأغصان على رأسيهما كالشظايا المتناثرة، أغمضت عينيها، تناهى إلى سمعها صرخة أختها المرعوبة تتساقط من ثنايا قهقهة الجندي المجلجلة، وصوته الخشن الذي بدأ كخوار الثور الهائج وهو يصرخ بالعبرية:

- تلخو ميبو، عادْ شاني بسي سُوستخيم (امشيا من هنا، وإلا قطعتكما إربا)..

ما كاد كابوس الجندي الإسرائيلي ينزاح عنهما مواصلاً لحاقه بالدورية، حتى انفجرت الطفلتان بالبكاء، وقهقهات الجنود الإسرائيليين الساخرة تطغى على نحيبهما.





المملكة تنشئ مركزا ثقافيا إسلاميا في العاصمة الأرجنتينية يحمل اسم خادم الحرمين الشريفين

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في مجالاتها المختلفة لعام 1416هـ/1996م

جامعة الأزهر تنظم المؤتمر السنوي لتعريب العلوم، وتنشئ جامعة إسلامية في أمريكا

صدور مجلات وصحف جديدة، وإقامة عدد من المهرجانات الثقافية في أنحاء عديدة من العالم

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعد لإصدار موسوعة جديدة عن تاريخ العرب

المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيزآل سعود حفظه الله، يفتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني، المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة (الجنادرية) في السابع عشر من شهر شوال الجاري.

دعوة للترشيح لجائزة المدينة المنورة

أعلنت الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة عن فتح باب الترشيح لجائزة البحث العلمي لعام 1417هـ بنوعيها: العام، والمستكتب.

وحددت الأمانة موضوع البحث العام في «الدراسات التي تناولت فقه النوازل المعاصرة»، والبحث المستكتب في «طب الأعشاب.. دراسة علمية معملية».

وتضمنت شروط المشاركة أن يكون البحث متميزاً في موضوعه، متصفًا بالعمق ودقة التوثيق وسلامة المنهج، ومكتوبًا بلغة عربية صحيحة، وأن تقدم عشر نسخ من البحث، مرفقة بتعريف بحياة الباحث العلمية وأعماله الأخرى مع ثلاث نسخ منها، ويشترط في مجال الموضوع العام أن يكون سبق نشره وطبعه، وأن يقدم في موعد أقصاه نهاية شهر صفر من عام 1417هـ، فيما يشترط في الموضوع المستكتب ألا يكون قد سبق نشره، وأن يكتب خصيصًا للجائزة، ويقدم في موعد أقصاه نهاية شهر صفر من عام 1418هـ. وترسل الترشيحات إلى: أمانة الجائزة ص.ب (5555) المدينة المنورة.

معرض «العطور والبخور والحضارة الإسلامية»

نظمت دار الفيصل الثقافية ملتقى فكريًا تحت عنوان «العطور والبخور والحضارة الإسلامية» في مركز الخزامى بالرياض خلال الفترة من 15 إلى 19رمضان الماضي (4-8 فبراير 1996م).

هدف الملتقى إلى التعريف بأنواع العطور التي استخدمها المسلمون قديمًا وطرق تصنيعها، وتأكيد دور الحضارة الإسلامية في هذا المجال؛ حيث تناولت اللقاءات الفكرية في الملتقى طرق تصنيع العطور واستخلاصها، وصاحب ذلك معرض للعطور الشرقية، وما يتصل بها من قنان ومباخر وأوعية حفظ.

وكان الدكتور زيد بن عبدالمحسن

ويحضر المهرجان بدعوة من صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز، نائب رئيس الحرس الوطني رئيس اللجنة العليا للمهرجان، مجموعة من الأدباء والمفكرين العرب والمسلمين، إضافة إلى أدباء المملكة ومفكريها. ويشمل المهرجان، إلى جانب سباق الهجن السنوي والقرية التراثية، أمسيات شعرية وندوات ومحاضرات نقدية وأدبية وفكرية، ولقاءات بين الأدباء من داخل المملكة وخارجها، وحوارات مفتوحة.

وتعكف اللجنة المنظمة للمهرجان حاليًا على عقد اجتماعات بالتنسيق مع إمارات المناطق، والجهات الحكومية لتكامل مشاركاتها في المهرجان.

الأمير سلطان بن عبدالعزيز

الأمير سلطان يتبرع لإصدار معجم العلماء المسلمين في السعودية

تبرع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران، المفتش العام، بمبلغ مليون ريال سعودي لإصدار معجم للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية منذ فتح الملك عبدالعزيز آل سعود - طيب الله ثراه - الرياض وإلى اليوم.

ولقد بدأت شركة سعودية متخصصة في مجال الإعلام في تنفيذ المشروع منذ عام، ويسجل بليوجرافيا لأكثر من ستمئة عالم بالشريعة في المملكة ومؤلفاتهم وأعمالهم، ويعد أول معجم من نوعه تصدره المملكة في هذا المجال.

الحسين مدير عام دار الفيصل الثقافية ورئيس تحرير مجلة الفيصل قد عقد مؤتمرا صحفيا حول الملتقى الفكري والمعرض؛ حيث أشار إلى أنهما يأتيان من منطلق الدور الذي تضطلع به مؤسسة الملك فيصل الخيرية في إبراز جوانب من تميز الحضارة الإسلامية. وأوضح أن العطور لها جانبان: تعبدي ودنيوي، يتعلق أولهما بالسنة النبوية الشريفة، وثانيهما بالعلاقات الاجتماعية بين الناس، وهما جانبان متصلان بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

ثم أجاب د. زيد عن أسئلة الحضور؛ حيث أوضح أن الملتقى الفكري والمعرض يرميان إلى تثقيف المستهلك وزيادة وعيه بهذه الصناعة، وأن هناك صلة وثيقة بين هذا الموضوع وقضايا البيئة التي توليها مجلة الفيصل اهتمامها. أما من الناحية الاقتصادية فإن المعرض يمثل أحد نشاطات مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي ترمي إلى توظيف كل عائد لها في أوجه الخير المتعددة التي يعلن عنها سنويا صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام للمؤسسة.

العدد الأول من «المنتدى»

صدرت عن نادي الباحة الأدبي مجلة دورية أدبية نصف سنوية تحمل اسم «المنتدى»، ويشرف عليها رئيس النادي الأديب سعد عبدالله المليص.

ضم العدد الأول مقالات ودراسات أدبية ودينية وتاريخية وآثارية، إلى جانب إبداعات شعرية وقصصية.

أدباء حائل يبحثون ظاهرة الغموض في الأدب العربي

كانت «ظاهرة الغموض في الأدب العربي» موضوعًا لنقاش أدباء الشمال خلال الملتقى الثقافي الذي نظمه نادي حائل الأدبي - مؤخرًا - بمشاركة نقاد وأدباء من أبناء المنطقة.

ودار النقاش حول أسباب ظاهرة الغموض وآثارها في العلاقة بين الأديب والمتلقي، وضرورة أن يبعد المبدعون من الغموض في كتاباتهم.

مسابقة قصص الأطفال للأدباء الشباب

أعلن نادي المدينة المنورة الأدبي عن فتح باب قبول المشاركات لمسابقته السنوية في قصص الأطفال للأدباء الشباب من الجنسين.

يشترط في المسابقة أن تكون القصص المشاركة ملتزمة المبادئ الإسلامية ومثلها، وأن تكون أصيلة غير مقتبسة أو مترجمة، ولاتقل عن ست صفحات ولاتزيد على تسع، ولم تفز قبلاً في مسابقة مماثلة، وتحدد نهاية شهر ذي الحجة المقبل 1416هـ موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

معارض تشكيلية

شهد شهر شعبان الماضي افتتاح مجموعة من المعارض التشكيلية لفنانين سعوديين وعراقيين وفنانة فرنسية.

من أبرز المعارض التي افتتحت المعرض

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام 1416هـ/1996م

السميط (خدمة الإسلام)، العُمري (الدراسات الإسلامية)، الجاسر (أدب الرحلات)

الأمير خالد الفيصل يعلن أسماء الفائزين بالجائزة في المؤتمر الصحفي، وإلى جواره د. عبدالله العثيمين

رفع صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية أسمى آيات الشكر والعرفان إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وإلى سمو ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبدالعزيز على الرعاية الكريمة والمستمرة التي يولونها لمؤسسة الملك فيصل الخيرية وجائزة الملك فيصل العالمية.

وقال سموه في المؤتمر الصحفي الذي عُقد في العاشر من شهر رمضان الماضي بمناسبة إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية: إن المؤسسة والجائزة (العمل الثقافي الحضاري الكبير) تجدان دعمًا ماديًا ومعنويًا كبيرًا من قادة هذه البلاد، ولا أدل على ذلك من إقامة الاحتفالات السنوية بمناسبة تقليد الجائزة تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين ومن ينيبه عنه من إخوته الكرام، كما أن في تشريف صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز لرئاسة لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز.

وأشار سموه إلى أن جائزة الملك فيصل العالمية تبوأت مكانة دولية مرموقة؛ إذ تُصنَّف ضمن أكبر أربع جوائز عالمية.

وقدم الأمير خالد الفيصل شكره إلى أعضاء لجان الاختيار على مابذلوه من جهد، وهنأ الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية .

وقد أعلن الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين الأمين العام للجائزة بيان الأمانة العامة الذي جاء فيه ما يلي:

أولاً : قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام منح الجائزة هذا العام للدكتور عبدالرحمن بن حمود السميط (كويتي الجنسية) الأمين العام للجنة مسلمي أفريقيا، وذلك لجهوده المتعددة المجالات في خدمة الإسلام والمسلمين، ومن أبرز هذه الجهود:

1- تأسيسه لجنة الإغاثة الكويتية التي ساعدت في إنقاذ مئات الآلاف من الجوع في بلدان أفريقية متعددة.

2- تأسيسه لجنة مسلمي أفريقيا التي تولّى أمانتها العامة منذ تأسيسها عام 1981م، ومباشرته بنفسه لأعمالها الجليلة في المجالين الديني والاجتماعي، فكان من ثمرة ذلك بناء كثير من المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس، ومراكز تدريب النساء والمستشفيات والمستوصفات وإقامة المخيمات الطبية، ودفع رواتب ومكافآت لآلاف الدعاة وأئمة المساجد والمعلمين والطلاب، ورعاية الأيتام، وحفر الآبار الارتوازية، ودعم المحتاجين بالأغذية والملابس والأدوية.

ثانيا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية منح الجائزة هذا العام، وموضوعها «الدراسات التي عنيت بالسيرة النبوية»، للأستاذ الدكتور أكرم ضياء أحمد العُمَري (عراقي الجنسية)، وذلك تقديرًا لجهوده في مجال السيرة النبوية الشريفة تأليفًا وتحقيقًا وتدريسًا وإشرافًا، محاولاً تطبيق قواعد المُحَدِّثين في نقد الروايات. وقد تجلى ذلك في كتابه «السيرة النبوية الصحيحة» الذي أبان في مقدماته عن منهجه في ذلك، وطبقه مع عمق التحليل وسلامة الأسلوب.

ثالثا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي منح جائزة هذا العام وموضوعها «أدب الرحلات في التراث العربي: تحقيقًا ودراسة» للشيخ حمد بن محمد الجاسر (سعودي الجنسية) على أعماله الكثيرة في أدب الرحلات، وبخاصة كتابيه: «كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» للإمام الحربي، وكتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» تأليف عبدالقادر الجزيري.

وقد تحدث الشيخ حمد الجاسر عن جوانب من شخصية الحربي وآثاره، وتتبع النقول المروية عنه في المكتبة العربية والإسلامية، مطبوعها ومخطوطها، وتَثَبَّتَ من صحتها، وأغنى تحقيقه للنص بهوامش دقيقة وتحقيقات جيدة للأماكن والمواضع، كما

التشكيلي للفنانين العراقيين اللاجئين إلى المملكة الذي افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران، المفتش العام.

نظمت المعرض المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في المملكة، وعبرت لوحاته عن البيئة العراقية ومشكلاتها.

كما رعت صاحبة السمو الملكي الأميرة جواهر بنت عبدالعزيز افتتاح معرض الفنانة الفرنسية مونيك دوللي لاكور في بيت التشكيليين بمركز الجمجوم في جدة، وتميزت اللوحات المعروضة



حرص على إخراج الدرر الفرائد في خير صورة؛ فبذل في تحقيقه مجهودًا جليلاً، وقابل مخطوطاته بعضها ببعض، وأوفى النص بالضبط والشرح والتعليق، مما أدى إلى تصحيح كثير مما ورد في كتب الجغرافيين السابقين المنشورة.

رابعًا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للطب أن تمنح الجائزة هذا العام، وموضوعها «العناية بالرضيع الخديج - ناقص النمو» مناصفة بين كل من: الأستاذ الدكتور بنجت أ. روبرتسون (سويدي الجنسية)، والأستاذ الدكتور تسورو فيوجيوارا (ياباني الجنسية). وقد قام الدكتور روبرتسون وفريقه البحثي بأبحاث رائدة أجريت على الحيوانات في مجال وظائف الجهاز التنفسي في الصحة والمرض وعلاقته «بمتلازمة ضيق التنفس» في الأطفال الخدج.

كما قام الدكتور روبرتسون وزملاؤه بنشر نحو مئتين وثلاثين بحثًا إلى جانب مايربو على مئة وسبعة عشر مرجعًا منها مقالات وفصول في كتب.

أما الدكتور فيوجيوارا فقد قام بإجراء أبحاث التمثيل الغذائي للغازات عند الخدج، وكرس سنوات عديدة للبحث في مجال تحسين وسائل علاج «متلازمة ضيق التنفس».

وقد قاده اكتشاف أن هذه المتلازمة التي تحدث نتيجة نقص مادة «السير فاكتانت» إلى البحث عن مادة مصنَّعة، ومن ثم استنبط مركبًا مستحدثًا.

ولقد أدى البحث التجريبي والسريري الرائد لهذين الباحثين الدور الرئيسي في نقص معدلات الوفيات بين الأطفال الخدج، كما انخفضت نسبة الوفيات الناتجة من هذه المتلازمة، بعد استحداث هذا العلاج، بنسبة 80٪ في بعض البلدان.

خامسًا: قررت لجنة الاختيار لجائز الملك فيصل العالمية للعلوم منح الجائزة هذا العام، وموضوعها «علم الحياة: البيولوجيا» بالتساوي بين كل من: الأستاذ الدكتور جنتر بلوبل (أمريكي الجنسية)، والدكتور هيو بلام (بريطاني الجنسية)، والدكتور جيمس روثمان (أمريكي الجنسية) لأعمالهم الرائدة في ميدان نقل البروتينات داخل الخلايا.

وقد توصل الدكتور بلوبل إلى أن هناك عناصر متميزة تملكها كل البروتينات المتجهة إلى الموقع نفسه في الخلية، وأن هذه العناصر تحدد انتقال البروتين، ومن ثم فرزها عبر الأغشية الخلوية الداخلية، واندماجها فيها.

أما الدكتور بلام فقد أسهمت دراساته في زيادة فهم كيفية قيادة حركة البروتينات في طريق الإفراز.

وقادت أبحاث الدكتور روثمان إلى تفسير كيفية نقل الخلايا بروتيناتها إلى مواقعها الصحيحة وإبقائها فيها.

ومما يذكر أن قيمة الجائزة تضاعفت ابتداء من العام الماضي من 350 ألف ريال إلى 750 ألف ريال، حيث يمنح الفائز - إضافة إلى مبلغ الجائزة - شهادة توضح أسباب حصوله على الجائزة، مع ميدالية من الذهب الخالص، على وجهها الأول صورة الملك فيصل - يرحمه الله - واسم فرع الجائزة، والوجه الآخر عليه شعار فرع الجائزة التي نالها الفائز.

موضوعات الجائزة في العام المقبل

وذكر الدكتور العثيمين أن موضوعات الجائزة في السنة القادمة (1417هـ/1997م) ستكون كما يلي:
- في الدراسات الإسلامية: الدراسات التي تناولت مكانة المرأة في الإسلام.
- في الأدب العربي: الدراسات التي تناولت الرواية العربية الحديثة.
- في الطب: أمراض ضمور الجهاز العصبي.
- في العلوم: الفيزياء.

وسوف ننشر في العدد المقبل - إن شاء الله - السير الذاتية للفائزين مع شرح وافٍ لأعمالهم.

بالتنوع والشمولية.

وافتتح أمين مدينة جدة د. خالد عبدالغني، في المركز السعودي للفنون التشكيلية، المعرض الجماعي الحادي عشر بمشاركة 28 فنانًا ومصورًا فوتوجرافيا، قدموا عدة لوحات استوحي معظمها من التراث والبيئة.

وشارك 60 فنانًا وفنانة في المعرض السنوي السابع للفنون التشكيلية الذي نظمه فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في المدينة المنورة.

وكانت قاعة جاليري الروشان في جدة قد استضافت معرضًا للوحات وزير الثقافة المصري فاروق حسني، وتميزت المعروضات باعتماد التجربة اللونية للفنان على خامة الأكليرك.

كتب جديدة

مدخل إلى الشعر العربي الحديث، دراسة نقدية، تأليف د. نذير العظمة، صدر عن النادي الأدبي الثقافي في جدة.

نحن والآخر، تأليف د. عاصم حمدان، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

معجم المصطلحات الفقهية في الفقه السياسي، تأليف د. حسن بن محمد سفر (نشر خاص).

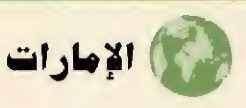
بوح الشباب، ولا تسلني، مجموعتان شعريتان للدكتور عبدالله الصالح العثيمين، صدرتا عن دار العلوم للطباعة والنشر.

الكتابة الأبجدية في مصر القديمة، تأليف د. عبدالقادر محمود، صدر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود.

مبادئ علم الاجتماع الجنائي، تأليف مساعد بن إبراهيم الحديثي، صدر عن مكتبة العبيكان.

صفحات مطوية من حياتي (جزءان في مجلد واحد)، تأليف حسن محمد الكتبي، صدر عن مطابع سحر.

سفر في منفى، تأليف إبراهيم عبدالرحمن التركي، صدر عن مؤسسة الجزيرة الصحفية.



الإمارات

ندوة عن الخليج العربي في فترة ما قبل الإسلام

نظمت كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات بالتعاون مع إدارة الآثار والسياحة بمدينة العين - مؤخراً - ندوة عن «الخليج العربي في فترة ما قبل الإسلام».

شارك في الندوة متخصصون من الجامعات العربية، ورمت إلى إبراز دور أهل الخليج في فترة ما قبل الإسلام، والكشف عن تاريخ المنطقة في العصور التي سبقت ظهور الإسلام.



الكويت

«قرطاس»

هذا هو اسم أحدث مجلة أسبوعية تُعني بشؤون النشر، صدر عددها الصفر - مؤخراً - عن دار قرطاس للنشر.

«قرطاس» ستكون في البداية شهريًا - مؤقتًا -، وقد تضمن العدد الصفر صفحات حول عالم النشر وعروضًا ومراجعات ومعارض، ونبذا عن أهم الإصدارات وتغطيات صحفية متنوعة.

من الكتب الجديدة

المخدرات والمجتمع: نظرة تكاملية، تأليف د. مصطفى سويف، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

حب الرمان، مجموعة قصصية لخلف الحربي، صدرت عن دار قرطاس للنشر.



مصر

معجم جديد للبابطين عن الشعراء العراب الراحلين

أقامت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين حفلاً في مكتبة القاهرة الكبرى بمناسبة صدور «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» في شهر شعبان الماضي بحضور وزير الثقافة المصري فاروق حسني، وراعي المؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين، ونخبة من الشعراء والمفكرين العرب.

صدر المعجم في ستة مجلدات وضم بيليوجرافيا لنحو 1466شاعراً معاصراً ، وخصص مجلده السادس لدراسات في الشعر العربي المعاصر.

وواجه المعجم نقداً من الحضور؛ حيث أبدى الشاعر فاروق شوشة أسفه لأن المعجم اكتفى بالشعراء الأحياء فقط دون الراحلين، فلم يضم أسماء راحلة ذات ثقل مثل بدر شاكر السياب، صلاح عبدالصبور، أمل دنقل، وخليل حاوي وغيرهم.

واستدراكا لذلك قررت المؤسسة الإعداد لإصدار معجم آخر للشعراء العرب الراحلين في العصر الحديث.

المؤتمر السنوي لتعريب العلوم

تنظم جامعة الأزهر بالتعاون مع الجمعية المصرية لتعريب العلوم المؤتمر السنوي الثاني لتعريب العلوم خلال يومي 11، 12من ذي القعدة المقبل (30-31مارس 1996م).

يناقش المؤتمر تجارب تعريب العلوم والاستفادة من التقنيات الحديثة في هذا المجال، ومدى كفاية المراجع المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها، وتيسير استخدام الحاسب الآلي في اللغة العربية، وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بالتعريب.

محاضرات وندوات

«العطور والحضارة الإسلامية»، عنوان محاضرة ألقاها د. عمر بن عبدالعزيز المسند في قاعة الاحتفالات بمركز الخزامى ضمن فعاليات معرض «العطور والبخور والحضارة الإسلامية» الذي أقامته دار الفيصل الثقافية.

«العطور الطبيعية والصناعية»، عنوان محاضرة ألقاها د. منصور سليمان السعيد في قاعة الاحتفالات بمركز الخزامى ضمن فعاليات معرض «العطور والبخور والحضارة الإسلامية» الذي أقامته دار الفيصل الثقافية.

«الطب في اللغة العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، د. زهير أحمد السباعي.

«مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي المنطقة الشرقية الأدبي، د. حسن بن فهد الهويمل.

«الإسلام دين الفطرة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، شعبان محمد إسماعيل.

«طعم الحريق» رواية محمود الورداني، كانت موضوعًا لندوة نظمتها الجمعية المصرية للنقد الأدبي، شارك فيها الدكاترة: عبدالمنعم تليمة؛ ونبيلة إبراهيم، ومحمد بريري، وحسين عبدالجواد، واعتدال عثمان، ونجلاء علام.

«السياسة في إسلاميات العقاد»، عنوان ندوة نظمتها جمعية الاقتصاد والعلوم السياسية في القاهرة، شارك فيها د. سعد ظلام، ومصطفى كمال أحمد.

«تاريخ جماعة التبليغ»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية في القاهرة، د. ماركو جابوربو.

«مؤسسات المجتمع المدني»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع بالقاهرة، المستشار طارق البشري.

«الأمم المتحدة: خمسون عامًا»، عنوان ندوة أقيمت في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإغاثي ومركز إعلام الأمم المتحدة بالقاهرة، شارك فيها عدد من الخبراء والمتخصصين في الشؤون السياسية والتعاون الدولي.

«حقوق الإنسان في الإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها في مكتبة حولي العامة بالكويت، د. خالد المذكور.

«الرعاية المثالية لصحة الطفل»، عنوان محاضرة ألقتها في مجمع د. آمال بدر الدين الطبي بالرياض، د. آمال بدر الدين.



أول متحف قومي للعلوم والتقنية

تقرر إقامة أول متحف قومي للعلوم والتقنية في مصر عل مساحة 15فدانًا بمنطقة الهرم على غرار متحف سميثسونيان الأمريكي والمجلس القومي الهندي.

يرمي المتحف إلى عرض إنجازات العلوم في العصر الحديث ومراحل التطور التقني، حيث سيكون وسيلة حية لتبسيط العلوم والتقنية، من خلال تزويده بوسائل الإيضاح المسموعة والمرئية والمطبوعات وأشرطة الفيديو وبرامج الحاسوب.

وقد تم وضع تصور مبدئي لأقسام المتحف حيث ينتظر أن يضم أقسامًا خاصة لتقنية الفضاء، وعلوم الأرض (الجيولوجيا) وفروعها، والحياة البحرية، والنقل والاتصالات، والعلوم الفيزيائية وفروعها، والتاريخ الطبيعي، وعلوم المستقبل.

المطالبة بإنشاء أقسام للأدب المقارن بالجامعات العربية

دعا المؤتمر الدولي الأول لقضايا الأدب المقارن الجامعات العربية والمصرية إلى إنشاء أقسام فيها للدراسات الأدبية والمقارنة، وأوصى المشاركون بإنشاء جمعيات للأدب المقارن في بلدان العالم العربي.

جاء ذلك في ختام اجتماعات المؤتمر الذي نظمته جامعة القاهرة بمشاركة 26 دولة عربية وأجنبية مثلها 85 أستاذا من المهتمين بالأدب المقارن، إضافة إلى جامعة الدول العربية التي مثلها أمينها العام د. عصمت عبدالمجيد.

وأكد المؤتمرون أهمية الأدب المقارن باعتباره عاملاً أساسيًا للفهم الصحيح لتفاعل الحضارات وتزاوجها، مشيرين إلى أن اهتمام العرب بهذا اللون الأدبي بدأ بالترجمة من الآداب اليونانية والفارسية والهندية والصينية في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية العربية، وتواصل هذا الجهد في الأندلس وصقلية.

ندوة «اللغة العربية والثقافة العلمية»

نظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة في مكتبة القاهرة الكبرى تحت عنوان: «اللغة العربية والثقافة العلمية» في النصف الثاني من شهر شعبان الماضي.

ناقشت الندوة عدة محاور: «اللغة العربية والدراسات الأدبية»، «تعريب العلوم»، «تعليم اللغة العربية»، «اللغة العربية من منظور الاستخدام»، «الترجمة العلمية»، «اللغة العربية وعصر المعلومات»، و«اللغة العربية والثقافة».

تطوير المناطق الأثرية في الاسكندرية

يدرس المجلس الأعلى للآثار - حاليًا - تنفيذ المرحلة الثانية من مشروع تطوير منطقة كوم الدكة الأثرية في الإسكندرية، وإقامة حديقة متحفية بها، وتزويدها بقطع أثرية من مخازن المجلس.

وتشمل المشروعات بالإسكندرية أيضا تطوير منطقة الشلالات التي تتضمن أسوار الإسكندرية الأثرية القديمة، وإنشاء متحف للمطبوعات الأثرية في الإسكندرية يضم ما تم ضبطه من آثار أثناء تهريبها، وتطوير

«تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية الأساسية، د. عبدالغني البزاز.

«الأساس النفسي للسلام وحاجة الطفل إلى الأمن»، موضوع ندوة نظمتها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، تحدث فيها د. رجاء أبو علام، وقدم للندوة د. حسن الإبراهيم.

«علاقة طالب الجامعة بالكتاب»، عنوان محاضرة جماعية ألقاها في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة كل من: د. حسن محمد باجودة، و د. حماد الثمالي، وقدم المحاضرة وأدار الحوار د. عياد الثبيتي.

نظم النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية أمسية شعرية للشعراء: حسين قرعاوي، ومحمد رضا ناصر الشماسي، وجلال صادق العلي.

«الجامعة: رؤى وتطلعات»، عنوان محاضرة ألقاها في الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية بجامعة الملك سعود بالرياض، د. عبدالله الفيصل.

«حق العودة للشعب الفلسطيني في ضوء تطورات التسويات السلمية»، عنوان ندوة نظمها المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل بالقاهرة، شارك فيها سلمان أبو ستة عضو المجلس الوطني الفلسطيني.

«عمارة المكان: تواصل الصور المعمارية»، عنوان محاضرة ألقاها في فرع الجمعية السعودية لعلوم العمران بالمدينة المنورة، راسم جمال بدران.

«مظاهر الحضارة الإسلامية في البلقان في القرن العاشر الهجري»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي ببريدة، د. محمد عبداللطيف هريدي.

«الصداع النصفي»، موضوع محاضرة ألقاها في المستشفى السعودي الألماني في جدة د. ديتر.

«التحيز الاستشراقي في النقد الغربي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي، د. سعد البازعي.

«تعليمنا إلى أين؟»، عنوان محاضرة ألقاها في الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية بالرياض، د. محمد أحمد الرشيد.

«آداب العالم والمتعلم»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد السنوسي بحي العزيزية في مكة المكرمة، د. أحمد نافع المورعي.

«حياتي في قصص»، عنوان محاضرة ألقتها في جمعية الخريجين اللبنانيين ببريطانيا، الكاتبة حنان الشيخ.

«الأصالة والحداثة ونقاط الاختلاف والاتفاق»، عنوان ندوة نظمها نادي حائل الأدبي، شارك فيها د. مرزوق بن تنباك، ود. حسن الهويمل، وشاكر منير المخلفي، وأدارها كريم خلف النوعيسي.

«غرناطة الأندلس.. الأيام الأخيرة»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في أبها، د. محمد عبدالحميد عيسى.

قلعة قاتيباي وزيادة المعروضات الأثرية في برجها.

دعوة لإحياء الدراسات اليونانية والرومانية

نظمت الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية ندوة في مكتبة القاهرةالكبرى عن «الدراسات اليونانية واللاتينية في مصر: الواقع والمستقبل» خلال النصف الثاني من شهر شعبان الماضي.

ناقشت الندوة التي شارك فيها أساتذة الدراسات اللاتينية واليونانية بجامعة القاهرة واقع هذه الدراسات وما ينتظر أن يتحقق لها، وهمومها وآمالها، والأحلام والتطلعات في هذا المجال مع دعوة لإحياء هذه الدراسات وتعميقها. وأثيرت خلال الملتقى قضية شائكة طالما اختلف المفكرون حولها وهي مسألة انتماء مصر إلى ثقافة البحر المتوسط، التي يذهب معظم مثقفي مصر إلى رفضها.

وفاة التشكيلي عبدالمنعم القصاص

توفي الفنان التشكيلي عبدالمنعم القصاص عن عمر يناهز 69عامًا.

والقصاص لم يكن واحدًا من رواد الفن التشكيلي المصري فقط، لكنه كان أيضًا من الذين أسهموا بعطاء وافر في الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية في بورسعيد عام 1956م، ومسؤولاً عن إصدار جريدة «الانتصار» وعضوًا في تحالف القوى اللبنانية والفلسطينية في بيروت عام 1982م.

وتميزت لوحاته بارتباطها الوثيق بقضايا وطنه الأصغر مصر ووطنه الأكبر العالم العربي، وقد عمل الراحل في مجال الصحافة إلى جانب ممارسة العمل الفني منذ عام 1949م.

كتب جديدة

ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق وتعليق د. عبدالوهاب عزام، صدر في باكورة سلسلة «الذخائر» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

أجنحة المكان، رواية لبهيجة حسين، صدرت عن دار الثقافة الجديدة.

تاريخ نجد، تأليف محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري.

حكايات أفريقية، تأليف سليمان مظهر.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة مدبولي.

قاهريات مملوكية، تأليف جمال الغيطاني، صدرت ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف.

الصحافة النسائية في الوطن العربي، تأليف د. إسماعيل إبراهيم عبدالرحمن، صدر عن الدار الدولية للنشر والتوزيع.

في رياض السيرة النبوية، تأليف د. أحمد عمر هاشم، صدر عن دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

الحركات الإسلامية في مصر وقضايا التحول الديموقراطي، تأليف د. عبدالعاطي محمد، صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر.

حدود حرية التعبير: تجربة كُتّاب القصة والرواية في مصر في عهدي عبد الناصر والسادات، تأليف د. مارينا ستاج، ترجمه إلى العربية طلعت الشايب، وصدر عن دار شرقيات.

أولاد علي: مشاعر محجبة، تأليف ليلى أبو لغد، ترجمه إلى العربية أحمد جرادات، وصدر عن دار المرأة العربية للنشر.

زاد الداعية، تأليف د. أحمد عمر هاشم.

سينية البحتري، تأليف د. عبدالله التطاوي.

علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، تأليف د. محمود فهمي حجازي.

التصغير في أسماء الأعلام العربية، تأليف د. عمر صابر عبدالجليل.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن مكتبة غريب.

عالم الحيوان عند الفراعنة، تأليف باتريك هوليان، صدر بالإنجليزية عن قسم النشر بالجامعة الأمريكية.

الله يحب هؤلاء، تأليف علي درويش، صدر عن دار عنقاء معزب.



السودان

مقبرة فرعونية

عُثر جنوب جبل البركل بالولاية الشمالية على مقبرة مكونة من منحوتتين في الصخر بعمق ثمانية أمتار تحت سطح الأرض يؤدي إليهما سلم صخري مكون من 37 درجة، ويعود تاريخهما إلى 900 عام قبل الميلاد.

وتكشف الكتابات والرسوم التي وجدت على سطح الغرفة الأولى أن المقبرة فرعونية؛ حيث وجدت كتابات هيروغليفية ورسوم لبعض آلهة الفراعنة مثل آمون وحورس، فيما وُجد بالغرفة الأخرى مقعد جنائزي وفراش حجري مطليان باللون الأسود الدال - حسب معتقدات قدماء المصريين - على الحياة بعد الموت.



سورية

كتب جديدة

أمثال دمشق الشعبية، تأليف مطيع مرابط، صدر عن وزارة الثقافة السورية في دمشق.

حوارات وشهادات، تأليف نبيل سليمان، صدر عن دار الحوار.

طريق الحرافيش: رؤية في التفسير الحضاري، تأليف سليمان الشطي.

وسمية تخرج من البحر، رواية لليلى عثمان.



نحات الصمت، قصائد للشاعر الفرنسي يوجين جيللفيلك، ترجمها إلى العربية شوقي عبدالأمير.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار المدى في دمشق.

آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، تأليف فراس السواح، صدر عن دار علاء الدين.

عندما يكبر الوطن، قصص وصور قلمية تأليف فائز أسعيد، صدرت عن دار الأهالي.

فلسطين

مؤسسة ثقافية باسم الشاعر توفيق زياد

تقرر إنشاء مؤسسة ثقافية في الناصرة تحمل اسم الشاعر الفلسطيني الراحل توفيق زياد.

ترمي المؤسسة إلى تجميع تراث زياد ونتاجه الفكري، وإقامة مكتبة خاصة تحمل اسمه وتخدم مواطني الناصرة، وتنظيم مسابقات أدبية وثقافية للأدباء الشباب.

وتحظى المؤسسة بدعم أردني؛ حيث أعلن وزير الثقافة الأردني سمير الحباشنة خلال استقباله ـ مؤخرًا ـ لوفد من أهالي الناصرة عن دعمه لإنشاء المؤسسة.



الأردن

بدء الترشيح لجوائز شومان للعلماء الشباب

أعلنت الأمانة العامة لجائزة عبدالحميد شومان للعلماء العرب الشبان عن فتح باب الترشيح للجائزة في مجالاتها المختلفة: العلوم الطبية، العلوم الإدارية والقانونية، العلوم الهندسية، العلوم الزراعية، العلوم الحياتية، العلوم الاجتماعية، العلوم الإنسانية، الرياضيات (بما في ذلك الإحصاء والأنظمة والحاسب الآلي)، العلوم الفيزيائية والجيولوجية، الكيمياء، العلوم النفسية والتربوية، والعلوم الاقتصادية والمصرفية.

ويمكن لأي باحث عربي أو من أصل عربي من مواليد عام 1955م أن يترشح للجائزة عبر تزكية أستاذين من الجامعة أو المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها، على أن يضم كتاب الترشيح ترجمة مختصرة للمرشح وتعليلاً مرفقًا بلائحة المنشورات العلمية للمرشح، وتحدد يوم العاشر من شهر شوال الجاري (نهاية فبراير1996م) موعدًا نهائيًا لاستقبال الترشيحات.

اكتشاف مقابر من العصر الروماني

اكتشفت مجموعة من المقابر الأثرية تعود إلى العصر الروماني البيزنطي في منطقة الحدود القريبة من مدينة جرش.

تتكون المقابر المكتشفة من أربعة صفوف متدرجة من أعلى الجبل إلى أسفله تضم أكثر من ثماني عشرة مقبرة جماعية، إضافة إلى مقابر فردية منحوتة في الصخر، وأبوابها جميعا تفتح من الجهة الشرقية.

كتب جديدة

معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج، تأليف يوسف غوانمة، صدر عن دار الفكر للطباعة في عمان.

الأعمال الشعرية الكاملة لعبدالوهاب البياتي (جزءان) صدرت عن دار الفارس للنشر والتوزيع بعمان، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

لبنان

جائزة زيور للدراسات النفسية لعلي سعد

منح د. علي سعد، الأستاذ بجامعة دمشق، جائزة مصطفى زيور لأفضل كتاب في مجال الدراسات النفسية عن كتابه «الشؤون النفسية»

تمنح الجائزة جمعية تحمل اسم الباحث النفسي د. مصطفى زيور. وتعتزم الجمعية إقامة ملتقى للدراسات النفسية خلال العام الحالي بمشاركة 15باحثًا من أقطار عربية مختلفة.

وفاة المستشرق موريس فييه

ودعت الأوساط الاستشراقية الفرنسية واحدًا من أعضائها بوفاة الأب موريس فييه عن عمر يناهز 81 عامًا.

ينتمي فييه إلى طائفة الآباء الدومنيكان النصرانية، وقد بدأت رحلته مع الاستشراق حين أُرسل عام 1936م للعمل كاهنا بالعراق، ومن العراق إلى مصر، ثم إلى لبنان حيث استقر فيها نهائيًا عام 1973م. وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة ديجون، وكان من أشد أنصار الحوار الإسلامي ـ النصراني. وأسهم بمؤلفاته في البحوث النصرانية والإسلامية، ومن أبرزها كتابه «أحوال النصارى في خلافة بني العباس» الذي نشر عام 1990م.

كتب جديدة

موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، تأليف محمد السماك، صدر عن دار النفائس في بيروت.

الروابي العاملية، مجموعة شعرية لمحمد جعفر.

احتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وتحديات المرحلة، تأليف مجموعة من الباحثين.

صدر الكتابان السابقان عن المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في بيروت.

مقام السروة، مجموعة شعرية لعقل العويط، صدرت عن دار النهار.

خشب يتمسح بالمارة، مجموعة شعرية لإبراهيم الحسين، صدرت عن دار الجديد.

تجربتي الشعرية، تأليف عبدالوهاب البياتي، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

قضية لواء الإسكندرونة: وثائق وشروح، جـ3، تأليف محمد علي زرقة، صدر عن دار العروبة.

مشروع النهوض العربي، تأليف وجيه كوثراني، صدر عن دار الطليعة.

أسرار العربية، تأليف أبي البركات بن الأنباري، تحقيق فخر صالح قدارة، صدر عن دار الجيل.



تونس

موسوعة لتاريخ الأمة العربية

تعد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاصدار موسوعة لتاريخ الأمة العربية، تعتمد في كتابتها على منهج موضوعي ينأى بها عن أية ميول سياسية أو مذهبية، ويشرف عليها رئيس اتحاد المؤرخين العرب د. سعيد عاشور.

تتألف الموسوعة من 14جزءاً، وتتناول تاريخ العرب منذ العصر الجاهلي وإلى العصر الحديث، وينتظر أن يصدر مجلدها الأول خلال العام الميلادي الحالي.

معرض دولي للفنون التشكيلية

أقيم - مؤخراً - في قاعة الرواق الوطني بمحراب الفنون التشكيلية في منطقة باردو بالعاصمة التونسية المعرض الدولي الثاني عشر للفنون التشكيلية.

ضم المعرض أعمالاً لمذاهب ومدارس تشكيلية متنوعة قدمها فنانون من بلدان عربية وأوروبية وأفريقية وأمريكية مختلفة.



المغرب

فشل أسبوع ثقافي إسرائيلي

اضطر مكتب الاتصال الإسرائيلي في المغرب إلى تقليص نشاطات الأسبوع الثقافي الإسرائيلي في الدار البيضاء، وإقامة فقراته في مناطق معزولة بعد ما لاقى تنظيم الأسبوع معارضة المثقفين المغاربة.

ومع رفض محكمة ابتدائية مغربية لدعوى رفعتها الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني لمنع إقامة الأسبوع؛ إلا أن الدعوى نجحت في تحريك الشعور الشعبي، ومن ثم جوبه الأسبوع - الذي كان مقرراً أن يشتمل على معارض تشكيلية وحفلات موسيقية خاصة للأطفال وبرامج لفن الطبخ - برفض شعبي جارف أدى إلى تحجيمه وإقامة نشاطاته في مناطق معزولة وبحضور قليل، مما أدي إلى فشله.

متحف في طنجة لابن بطوطة

تعتزم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع السلطات المغربية المختصة إنشاء متحف في طنجة للرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة.

يواكب هذا العمل قيام الأكاديمية الملكية المغربية بإصدار 30 مخطوطة حول رحلة ابن بطوطة الطويلة في قارات العالم في القرن الثامن الهجري.

رسائل جامعية

«قضايا نساء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنات في سورة الأحزاب»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض، الأقسام الأدبية، تقدمت بها حصة عثمان الخليفي.

«الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي في تكملة الصارم المنكي، تأليف الشيخ محمد حسن الفقيه.. دراسة وتحقيق»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها أبو بكر سالم شهال.

كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي.. تحقيق ودراسة من أول سورة يونس إلى نهاية سورة إبراهيم مع مقارنته بتفسير البيضاوي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها طاهر محمود محمد يعقوب.

«أخبار قبائل الخزرج للحافظ الدمياطي.. دراسة وتحقيق»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها عبدالعزيز بن عمر البيشي.

«تأثير التعرض القصير للحرارة العالية في الاستجابة المناعية الخلطية في الدجاج البلدي واللجهورن»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود، تقدم بها عبدالعزيز بن أحمد البشر.

«الدلالة النفسية والفنية لمطالع القصائد في العصر العباسي من بداية القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بالدمام، تقدمت بها أمل بنت عبدالله بن سليمان الطعيمي.

«السيوطي.. البلاغي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها جاسم الفهد.

«الإنسان في الفكر الكلامي والفلسفي عند المعتزلة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق المصرية، تقدمت بها رابحة نعمان توفيق.

«دور التحفيز في رفع إنتاجية الإدارات والمؤسسات العمومية المغربية»،



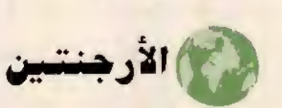
ندوة عن القصة القصيرة

نظمت جمعية الشعلة للتربية والثقافة في مراكش ندوة عن القصة القصيرة بمشاركة 70قاصًا وناقداً مغربيًا في شهر شعبان الماضي.

استمرت الندوة ثلاثة أيام وناقشت عدة محاور، رمت إلى إعادة النظر في تصورات الكتابة القصصية، وتحديد المقاربات لفهم أشكالها واستيعابها.

من الكتب الجديدة

الحضارة الإسلامية في جزر القمر، تأليف د. مصطفى الزباخ، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) في الرباط.



الأرجنتين

مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي في بيونس أيرس

تقرر إنشاء مركز ثقافي إسلامي في قلب العاصمة بيونس أيرس يحمل اسم «مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي» بتكلفة نحو 30 مليون دولار تتحملها المملكة العربية السعودية.

يقام المشروع على قطعة أرض مساحتها 33 ألف متر مربع، أهدتها الحكومة الأرجنتينية للمملكة العربية السعودية، التي ستتكفل بعملية إنشاء المركز الذي يشتمل على مسجد يتسع لقرابة ألف مصلٍ، وسكن للإمام وآخر للمؤذن، ومجمع مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية للبنين والبنات، وروضة للأطفال وسكن للطلاب الوافدين من بلدان أمريكا الجنوبية لتعلم اللغة العربية والقرآن الكريم وعلومه والثقافة الإسلامية، إلى جانب قاعة محاضرات ومواقف سيارات وحديقة فسيحة.

الولايات المتحدة

إنشاء جامعة أزهرية

يقوم أساتذة من جامعة الأزهر حاليًا بإعداد وتسجيل مقررات دراسية لأول جامعة إسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية.

ترمي الجامعة إلى نشر الوعي الديني لدى مسلمي الولايات المتحدة وقارة أمريكا الشمالية، ويقوم نظامها على أساس المنهج المفتوح؛ حيث يتم إيصال المادة العلمية للدارسين في أماكنهم مشروحة على تسجيلات مرئية مسموعة (فيديو وكاسيت) وحاسب آلي، تسهيلاً لمن لا تمكنه ظروفه المعيشية من الحضور للدراسة في الجامعة.

أحدث الكتب

الثلوج تسقط على أشجار الأرز، تأليف ديفيد باترسون، صدر عن دار نشر كنوف.

سقوط وندسور (عن تاريخ قصر وندسور وأحداثه)، تأليف دونالد سبوتو، صدر عن دار نشر سايمون.

عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المدرسة الوطنية للإدارة في الرباط، تقدم بها نبيل حسن مختار.

«دور الاتصال المباشر في تنمية الوعي الاجتماعي: دراسة ميدانية للنشاط الاتصالي بالجمعيات الثقافية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها فؤادة عبدالمنعم البكري.

«الصحافة العربية الإسلامية في أوربا»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها محمد شعبان وهدان.

«دور مجلس التعاون لدول الخليج العربية في تحقيق أمن الخليج»، موضوع رسالة دكتوراه توقشت في أكاديمية ناصر العسكرية العليا في القاهرة، تقدم بها اللواء الركن عبدالله إبراهيم الدايل.

«دراسة تحليلية لكونشيرتو البيانو عند إدوارد جريج»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية الموسيقية بالقاهرة، تقدم بها شريف يسري.

«المعرفة بين الفارابي وابن باجة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بسوهاج في مصر، تقدم بها عادل خلف.

«جرائم الإهمال في مجال الوظيفة العامة في قانون العقوبات»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد عبداللطيف.

«دراسات سيرولوجية متقدمة لتشخيص وتصنيف ميكوبلازما الدجاج والحمام بالإضافة إلى تأثيرها الهستوباثولوجي على الأعضاء الداخلية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم للبنات بالدمام، تقدمت بها هدى بنت عبدالرحمن حمد السعدي.

«تعيين بعض الخواص الفيزيائية لمنتجات بترولية سائلة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم للبنات بالدمام، تقدمت بها نوره بنت عوض معيوض القحطاني.

«عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني للإمام محمد بن طيفور الغزنوي.. دراسة وتحقيق من أول سورة الإسراء إلى نهاية سورة فاطر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبدالله بن ناصر بن صالح النويصر.



البحث عن الاحترام، تأليف فيليب بورجوا، صدر عن دار نشر كريدج برس.



روسيا

3٪ فقط يقرؤون المجلات الأدبية

أكدت دراسة قام بها مركز الدراسات الاجتماعية بجامعة لومونوسوف في موسكو أن الذين يقرؤون المجلات الأدبية في روسيا لايتجاوز عددهم 3٪ فقط من تعداد الشعب الروسي.

وأرجعت الدراسة، التي شملت نحو ألف شاب وشابة، سبب العزوف عن المجلات الأدبية إلى ارتفاع أسعارها.

جائزة لروائي منشق

مُنح الكاتب والروائي الروسي المنشق جورج فلاديموف جائزة بوكر الأدبية الروسية عن روايته «الجنرال وجيشه».

وكان فلاديموف قد اضطر لقضاء سنوات في منفاه بألمانيا لمعارضته النظام الشيوعي ومناداته بحقوق الإنسان. وهو يبلغ من العمر 64عامًا، وبدأ الكتابة ناقدًا إلى أن اتجه عام 1969م للكتابة الروائية، وكانت روايته الأولى «ثلاث دقائق من الصمت»، التي ترجمت مع رواية «روزلان المخلص» إلى اللغة الإنجليزية حيث حظيتا بانتشار واسع.



فرنسا

جائزة اليونسكو لأدب الأطفال

أعلنت منظمة اليونسكو العالمية عن فتح باب الترشيح لجائزتها في مجال أدب الأطفال التي تمنح مرة كل عامين.

وكانت اليونسكو قد أنشأت هذه الجائزة بمناسبة الاحتفال بعام التسامح للأمم المتحدة 1995م من أجل النهوض بمثل التسامح إلى ما بعد السنة المذكورة.

وتمنح الجائزة للأعمال الأدبية للأطفال والشباب في مجال خدمة التسامح كالقصة القصيرة والروايات والكتب المصورة والرسوم الكاريكاتيرية والمؤلفات غير الروائية لفئتين: الأطفال حتى سن 12سنة، وكتب الناشئة للأعمار من 13-18سنة.

وتقبل المؤلفات باللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الصينية، الإسبانية، والروسية، وآخر موعد للتقدم بالترشيح هو الثاني عشر من شهر ذي الحجة المقبل الموافق 30Bبرايل 1996م.

معرض استعادي للوحات رودان

يقام حاليًا في متحف باريس للفنون معرض لأهم إبداعات رائد الفن التشكيلي الفرنسي أوجست رودان تحت عنوان «رودان: نصف قرن من الإبداع».

يستمر المعرض حتى 17من ذي القعدة المقبل (5 أبريل 1996م، ويضم نحو 50 لوحة لهذا الفنان الذي وُلد عام 1840م، وبدأ إبداعه ونبوغه يظهر وهو في الرابعة عشرة من عمره، وجمعت أعماله بين الواقعية والشاعرية، وتوفي عام 1917م عن عمر ناهز 77عامًا.

وفاة الروائية سوزان برو

توفيت ـ مؤخرًا ـ الكاتبة والروائية الفرنسية ـ سوزان برو عن عمر يناهز 75عامًا.

بدأت برو حياتها المهنية مدرسة، ثم اتجهت إلى مجال الأدب ونالت عام 1973م جائزة رينودو عن روايتها «شرفة عائلة بيرنارديني».

واختيرت عضوًا في لجنة تحكيم جائزة فيمينا الأدبية، وعُرفت، إلى جانب رواياتها، بدفاعها النشط عن حقوق الإنسان الجزائري إبان حرب الجزائر، وآخر رواية نُشرت لها «ألبوم العائلة»

أحدث الكتب

السلحفاة، مجموعة قصصية لحسونة المصباحي، صدرت عن دار نشر جلجامش في باريس.

حقل لا أحد، رواية لدانيال بيكولي، صدرت عن دار نشر فلاماريون.

صوفيو الأندلس، صدر في طبعة محققة بالفرنسية عن دار نشر البين ميشال.

تاريخ الدول العربية، موسوعة من جزأين، صدرت عن منظمة اليونسكو.

أنجال جنكيز خان، رواية تاريخية لباتريس أمارجيه، صدرت عن دار نشر روبرت لافون.



بريطانيا

موسوعة بالحاسوب للشعر العربي

أعد باحث سوري برنامجًا للحاسب الآلي يتضمن موسوعة للشعر العربي تضم قرابة مليوني بيت شعري لأربعين ألف شاعر عربي تتميز بسهولة حصول أي دارس أو باحث على البيت أو اسم الشاعر المطلوب والعصر الذي عاش فيه.

وقال الباحث برهان بخاري إن برنامجه يتميز أيضا بإمكان تحليل ملايين الأبيات الشعرية وإعادة تصنيفها من جديد، كما قسمت الموسوعة الشعراء إلى تصانيف؛ فهناك «الشعراء الصعاليك» و«شعراء النقائض»، و«شعراء الهجاء» وغير ذلك، إضافة إلى مجموعة من المعاجم المتخصصة.

جائزة نيوفيتشر لأدبية أردنية

مُنحت الأديبة والأكاديمية الأردنية فادية الفقير جائزة نيوفيتشر لعام 1995م تقديراً لجهودها في التحرير والإشراف على سلسلة «الأدبيات العربيات» التي تصدرها دار جرانت.

و د. فادية الفقير أديبة وأكاديمية؛ حيث تعمل في تدريس الأدب العربي في جامعات أكسفورد، وإكستر، ودرم، ولها روايتان: «مديح زهرة»، و«أعمدة الملح»، والأخيرة ستصدر خلال الأسابيع القليلة المقبلة.

جائزة لسلمان رشدي!

مُنح الكاتب المرتد سلمان رشدي جائزة وايت بريد لأفضل رواية عن روايته «زفرة العربي الأخيرة».

وجاء في حيثيات قرار لجنة تحكيم الجائزة أن الرواية: «عمل مميز»!!

يذكر أن رشدي لم يكن يعرفه أحد حتى أصدر كتابه «آيات شيطانية» لطعن في الإسلام كسبًا وتملقًا لمشاعر الغرب.

أحدث الكتب

آثار أقدام على رمال السودان، تأليف سير دونالد هولي، صدر عن دار نشر مايكل رسل في لندن.

فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو، إعداد سيدي عمر بن علي، صدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

الإسلام، أوروبا، الغرب، تأليف محمد أركون، ترجمه إلى العربية هاشم صالح، وصدر عن دار الساقي.

الأدب الحديث في لبنان: نظرة مغايرة، تأليف جهاد فاضل.

أئمة وسحرة (عن مسيلمة الكذاب وابن سبأ) تأليف إبراهيم محمود.

صدر الكتابان عن دار رياض الريس للنشر.



إسبانيا

جائزة سيرفانتس لخوزيه سيلا

مُنح الروائي خوزيه سيلا جائزة ميجل دي سرفانتس الأدبية لعام 1995م تقديراً لرواياته المتميزة عن الحياة في إسبانيا التي أسهمت في إثراء الحياة الثقافية في بلاده.

ويعد سيلا من أكبر أدباء إسبانيا، وقد سبق له الحصول على جائزة نوبل للآداب، ومن أشهر رواياته «عائلة باسكال» و«المنزل المريح» و«خلية النحل».



ألمانيا

ألمانيا تفقد أكبر كُتابها المسرحيين

توفي - قبل انطفاء أيام عام 1995م بيوم واحد - الكاتب المسرحي هاينار موللر عن عمر ناهز 67 عامًا.

ويعد موللر خليفة الكاتب المسرحي الألماني الراحل برتولد بريشت، وقد وُلد في 1929/1/9م في مدينة جيمنتس شمال شرق ألمانيا، وأعتقل النازيون والده وهو طفل، واضطر موللر بعد الإفراج عن أبيه ومعاناة أسرته من الفقر والبطالة للانضمام إلى الشبيبة النازية، ثم جُنِّد عام 1944م قبل بلوغه السن القانونية وأسرته القوات الأمريكية، وحين انتهت الحرب وقُسِّمت ألمانيا، غادر والداه برلين الشرقية إلى الجزء الغربي عام 1951م، وظل هو في القسم الشرقي؛ حيث عمل محرراً صحفيًا، ثم انتقل عام 1954م للعمل محررا في مجلة «الفن الحديث» الأدبية، وتحول عام 1959م إلى كاتب مستقل، لكنه طُرد من اتحاد الكُتَّاب الألمان الشرقيين بسبب مسرحيته «المهاجرة»، ولم يعد إلى الاتحاد إلا عام 1988م.

نال موللر العديد من الجوائز، منها جائزة هاينوست مان عام 1958م وجائزة بوشنر الأدبية كبرى جوائز ألمانيا عام 1985م، وجائزة الدولة عام 1986م، وعُرف بكتاباته الساخرة التي تقطر مرارة وتشاؤم. ومن أبرز مؤلفاته: «التصحيح» 1958م، «حياة في الريف» 1959م، «ماكينة هاملت» 1979م، «أوركسترا رباعية» 1982م، وكان قبل وفاته يعكف على الانتهاء من آخر أعماله «ألمانيا - 3» التي لم يسعفه العمر لإنهائها.

معرض فني نمساوي

أقيم - مؤخراً - في بون معرض فني نمساوي يعبر عن مجموعة من الفنون المختلفة التي شهدتها النمسا في مجالات الرسم والنحت والفن الهندسي المعماري.

أقيم المعرض تحت عنوان «فنون من النمسا 1996- 1896م»، وضم أعمالاً متنوعة لكبار الفنانين النمساويين مثل جوستاف كليمنت، أرنولف رايز، وأوتو فاجنر، وغيرهم.

أحدث الكتب

الفلسفة الآن، 6 مجلدات (موسوعة) أعدها وقدم لها بيتر سلوتر ديجيك، وصدرت عن دار نشر ديتريش. س. في ميونيخ.

أوروبا والشرق الأوسط، تأليف فيرنر فايدون فلد، صدر عن دار نشر برتلسمان.

خريف المدن، مجموعة قصصية لحسين الموزاني.

سيدة المقام، رواية لواسيني الأعرج.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات الجمل.

حديقة الرغبة، مجموعة شعرية لرياض العبيد، صدرت عن دار المهتدي في كولونيا.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

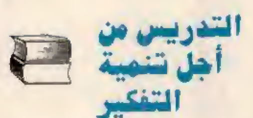
آيات الله في البحار

بحث علمي يتناول الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها ذكر البحر. ويستفيض الباحث ماهر أحمد صوفي في شرح أوجه الإعجاز وتبيانها بتتبع الآيات التي ذُكر فيها اسم البحر؛ منها ما هو إعجاز علمي، ومنها ما هو عبر وعظات. ويسترشد الباحث بالاكتشافات العلمية الحديثة التي مكنت الإنسان من كثير من الحقائق العلمية التي يزخر بها القرآن الكريم، ووازن بينها وبين الحقائق التي توصل إليها علماء السلف بالقدر الذي أتاحته لهم إمكاناتهم المعرفية في زمانهم.. مما يؤكد أن القرآن صالح لكل زمان وكل مكان. يقول الباحث: «لو أن القرآن أخبر عن أي مرض أن سببه كذا ودواءه كذا لانتفى عن الانسان صنعة الخلق الحق، ولانتفى عنه صفة العقل والعلم والمعرفة والبحث، ولأصبح دور الإنسان فقط الأكل والشرب والجماع بدعوى أن الله أطلعه على كل شيء».

وفي سياق تأكيد ارتباط تعرف الانسان أسرار الكون مع اتساع محيطه المعرفي وتعمقه في العلم، يشير الباحث إلى أنه قد تهيأت لعلماء البحار في هذا العصر الأدوات الراقية المتمثلة في وسائل الغوص الحديث، والغواصات ذات التقنية العالية التي ساعدتهم في سبر أغوار البحار واكتشاف أسرارها ومجاهلها.

يقع البحث في 266 صفحة من القطع الكبير، وصدر عن دار البيان في القاهرة.

التدريس من أجل تنمية التفكير



كتاب يحاول الإجابة عن سؤال: كيف يمكن التوصل إلى تعليم فعَّال من خلال توظيف الأفكار النيرة في مجال المناهج والنشاطات التعليمية بالمدارس؟ ساهم في تأليف الكتاب نخبة من 12 باحثًا ومؤلفًا من مفكري الولايات المتحدة الأمريكية والعاملين في إدارات التعليم، وحرره الأمريكيان جيمس كيف وهيربرت ويلبرج، وترجمه إلى العربية د. عبدالعزيز عبدالوهاب البابطين الأستاذ المشارك في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، وقدم له د. علي بن محمد التويجري المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج.

ومحور الكتاب هو الحقيقة التي توصل إليها علماء النفس نتيجة لبحوثهم المكثفة: إن عمق تفكير الطالب - في أثناء عملية التعلم - يؤدي إلى تعلم فعال، وإن الطلاب ينتفعون من التدريس القائم على خطوات فكرية واضحة لهم في تحديد أهدافهم، وإن المعرفة والأفكار التي اكتسبها الطلاب - بهذا الأسلوب - تنعكس على تحسين مستوياتهم في عملية التذكر وحل المشكلات».

عرض المؤلفون طرق وأساليب تعليمية مقترحة، غايتها تنمية التفكير عند الناشئين، ووضوح الأفكار وحسن تنسيقها واستخدامها في مجالات جديدة، والنهوض بتفكيرهم إلى مستويات أفضل، مع عرض نموذج تطبيقي لكل أسلوب، وهو بذلك يتخذ مكانة مرموقة بين المؤلفات التربوية الأخرى. وينصح المؤلفون التربويين أن يوازنوا بين المعرفة والتفكير، وكذلك الموازنة بين العاطفة والسلوك، وهو ما أكده أفلاطون قديمًا من ضرورة الموازنة بين الأحاسيس والأفكار والسلوك في أي عمل ناضج، حيث إن عدم الموازنة بين هذه الأبعاد الثلاثة يفسد أو يشوه عملية التفكير.

يقع الكتاب في 217 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض.

الأسرة الطبرية المكية

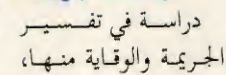
حلقة ضمن سلسلة إصدارات تعرض حياة أُسر العلم في الحرمين الشريفين، وقد تتبع المؤلف د. عائض الردادي تاريخ الطبريين في مكة المكرمة، وناقش ظاهرة توارث العلم في الأسرة الواحدة ليس من الأب للابن فحسب، بل لأجيال قد تمتد قرونًا.

يشير المؤلف إلى أن المراجع المتوافرة عن تاريخ أم القرى تقول: «إن عميد الطبريين كان موجودًا في مكة المكرمة منذ عام 202هـ، وهو إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وقيل إن أول من قدم من الطبريين إلى أرض الحرمين هو الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري، وكان ذلك في سنة 570هـ أو 571هـ». ويقدم المؤلف تعريفًا موجزًا بالأسرة الطبرية التي توارثت أجيالها العلم طيلة ستة قرون، وكتب سطورًا عن بعض أعلامها مركزًا على الجوانب التي تُبرز تُقاهم وصلاحهم ومكانتهم العلمية، كما أشار إلى بعض مؤلفاتهم، والوظائف التي تقلدوها من قضاء وتدريس، وذكر بعض من كتبوا عن هذه الأسرة. ويشير المؤلف إلى أن من أعجب ما في تاريخ أسرة الطبريين، فضلاً عن الامتداد الزمني لتوارثها العلم، أن أعدادًا كثيرة من نسائها عالمات، مما يكاد يكون نادرًا في غيرها من الأسر، وقد فاق عدد نسائها العالمات عدد رجالها العلماء في بعض التراجم.

ويذهب المؤلف إلى إثبات أن الأسرة الطبرية وغيرها من الأسر التي توارثت العلم وأثرت أرض الحرمين الشريفين، تؤكد أن هذه البلاد لا تعرف ما يعرف بالقطع الثقافي أو الانحسار الثقافي، وأن ينابيع العلم فيها لاتنضب.

الكتاب هو رقم 57 في سلسلة «من أسر العلم في الحرمين الشريفين» التي تصدرها دار الرفاعي بالرياض، ويقع في 136 صفحة من القطع الصغير.

مبحث الجريمة



دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، يتجاوز فيها المؤلف د. عبدالرحمن العيسوي البعد الفلسفي للجريمة إلى مجال العمل التطبيقي، الذي يهتم بسبر أغوار شخصية المجرم، وأنماط الجريمة ودوافعها، ويبرز مبلغ الشذوذ فيها، ويوضح أضرارها وآثارها، ويقترح معالجات لها.

ناقش المؤلف موضوع دراسته في سبعة فصول، فبعد أن عرض في الفصول الأول والثاني والثالث تعريفًا بالمصطلحات الواردة في الدراسة، وقدم النظريات المختلفة في تفسير الجريمة، وتطرق إلى تطور البحث فيها. ناقش في الفصل الرابع أثر الوراثة والبيئة في نمو الشخصية، وتأثير الذكاء في الجريمة والسلوك. وتناول في الفصل الخامس قضية إدمان الخمور والمخدرات، وناقش نفسية (سيكولوجية) - الإدمان، ودور العلم في علاج الإدمان. ثم ناقش في الفصل السادس ظاهرة العدوان والتسلط والعنف، وقدم دراسة ميدانية لسلوك العدوان لدى الشباب العربي، وتعرض إلى أبعاد تفكك الشخصية ونتائجه، وفي الفصل السابع ناقش العوامل النفسية الكامنة وراء ظاهرتي التطرف والانحراف.

تقع الدراسة في 215 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت عن دار النهضة للطباعة والنشر في بيروت.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب . (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 229

ج 1 : من الآيات التي تدل على الجهاد ضد العدو لإعلاء كلمة الإسلام ووجوب الثبات في الميدان:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرِّفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ الأنفال:15،16.

وقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون﴾ الأنفال:45.

وقوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعد وإمّا فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قُتلُوا في سبيل الله فلن يُضلَّ أعمالهم﴾ محمد:4. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ج 2 : من الأحاديث التي وردت في بيان أن «الشهيد» يكون أيضًا في غير القتال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ماتعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يارسول الله من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: «إن شهداء أمتي إذن لقليل». قالوا: فمن هم يارسول الله؟ قال: «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد» رواه مسلم».

وعن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قُتل دون ماله؛ فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه؛ فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه؛ فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله؛ فهو شهيد» رواه أحمد والترمذي، وصححه.

وعن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشهادة سبع ـ سوى القتل في سبيل الله ـ: المطعون شهيد، والغَرِق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة» رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند صحيح.

ج 3 : من الأحاديث التي تدل على النهي عن كثرة الحلف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة» رواه البخاري.

نتائج مسابقة العدد 229

أـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، خالد عبدالله علي الغازي، رأس تنورة ـ المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالا سعوديًا، غانغو جبريل صالح، القيروان ـ تونس.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، محمد الأمين مهدي فضلة، انجمينا ـ تشاد.

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1ـ سناء ناصر سليمان العريفان، الجهراء ـ الكويت.

2ـ إدفاوي عبدالفتاح حماد جامع، أسوان ـ مصر.

3ـ محمد حسن محمد آل مدعث، الأفلاج ـ المملكة العربية السعودية.

4ـ ضياء علي محمد، المحرق ـ البحرين.

5ـ سميحة محمد حسن الزغلول، عمان ـ الأردن. ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1ـ عمر بن صالح بن عمر الجزائري، مسقط ـ عُمان.

2ـ صبري غريب بلاس، الدقهلية ـ مصر.

وعند مسلم: «إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه ينفق ثم يمحق».

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما الحلف حنث أو ندم» رواه ابن ماجه.

ومارواه أحمد وغيره بإسناد صحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن التجار هم الفجار» فقيل: يارسول الله، أليس قد أحلّ الله البيع ؟ قال: «نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويُحدِّثون فيكذبون».

ج 4 : أبو الدرداء: عويمر بن عامر، وقيل : عامر بن مالك. وهو عويمر بن قيس بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه. الإمام القدوة، قاضي دمشق وسيد قرائها في عهد عثمان، ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. كان حكيمًا فيلسوفًا ينطق بالحكمة، وقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «عويمر بن عامر حكيم أمتي».

أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة الخزرجي النجاري البدري - رضي الله عنه. نزل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن بركت ناقته يوم قدومه إلى المدينة أمام بيته. شهد بيعة العقبة، وكان محبًا للقرآن محبًا للجهاد في سبيل الله، شهد جميع الغزوات، وجاهد كذلك في عهد الخلفاء.

غسيل الملائكة: حنظلة بن أبي عامر الراهب بن عبد عمرو بن صيفي - رضي الله عنه - من بني حارثة الأنصاري الأوسي. كان أبوه في الجاهلية يُعرف بالراهب، قال عنه صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسئلوا صاحبته»، فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهامعة. فقال صلى الله عليه وسلم: «لذلك تغسله الملائكة».

الرميصاء: - ويقال: الغميصاء، وسلة، وأنيفة، ورميثة - أم سُليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية رضي الله عنها، زوج الصحابي الجليل أبي طلحة وأم ابنه عبدالله بن أبي طلحة، وأم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم.

أبو ذر الغفاري: قيل: جُندب بن سكن، وقيل: برير بن عبدالله، وقيل: برير بن جنادة. وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن صخرة بن ضمرة بن عبد مناة بن كنانة الغفاري - رضي الله عنه - من قبيلة غفار، وهو ممن تمردوا علي عبادة الأصنام في الجاهلية، وكان خامس خمسة دخلوا في الاسلام.

ج 5 :حل اللغز الشعري هو: فاكهة «الموز».

أسئلة مسابقة العدد 232

السؤال الأول:

أوجب الإسلام على من يتزوج أن ينفق على زوجته مما تحتاج إليه. اذكر ثلاث آيات من كتاب الله تعالى تُبيِّن ذلك.

السؤال الثاني:

حددّ القرآن عقوبات الجرائم التي قد يرتكبها بعض الناس. اذكر الآيات التي حددت عقوبة جريمة القذف، والسرقة، والفساد في الأرض.

السؤال الثالث:

يمثل اليوم الحادي والعشرون من يوليو/تموز 1969م حدثًا مهمًا في تاريخ البشرية. لماذا؟

السؤال الرابع:

«العود أحمد» مثل تطلقه العرب. ماأصله؟

السؤال الخامس:

كاتب أمريكي، حاز جائزة نوبل للأدب. من أشهر رواياته التي ترجمت إلى العربية: «عنب الغضب»، و«شرق عدن». فمن هو؟

3- محمد المحمد بن عثمان، حلب - سورية.
4- المانوزي بلقاسم بن إبراهيم، أغادير - المغرب.
5- حياة إسماعيل محمد خان، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.
6- سمراء جدي، المسيلة - الجزائر.
7- عبدالصمد أحمد يحيي المعبري، صنعاء - اليمن.
8- جليل سعيد، إنزكان - المغرب.
9- محمد السر محمد علي، الخرطوم - السودان.
10- سهيل الحمدان بن محمد عيد، دمشق - سورية.

د ▪ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:
1- عايدة عبدالغني يونس عبدالرحمن، السنبلاوين - مصر.
2- سيدي ولد محمد ولد الخرشي، نواكشوط - موريتانيا.
3- طه عمر أحمد، الخرطوم - السودان.
4- محمد حسن محمود شطناوي، إربد - الأردن.
5- أسامة جاسر الأغا، إسلام آباد - الباكستان.

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 232
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

وَشْكَانَ ذا إذابةً وَحَقْنًا

أي مـا أسـرع مـا أذيب هذا السـمن وحُقِنَ، ونُصب «إذابةً وحقنًا» على الحال، وإن كانا مصدرين، كما يقال: سرع هذا مذابًا ومحقونًا.

ويجوز أن يحمل على التمييز، كما يقال: «حَسُنَ زيد وجهًا وتصبب عرقًا».

ويضرب مثلاً في سرعة وقوع الأمر، ولمن يخبر بالشيء قبل أوانه. و«وشكان» مثلثة حركة الواو، شأنها شأن السير في «سُرعان».

حمار الحكيم

اتصلت معجبة ذات يوم بالأديب الساخر الراحل توفيق الحكيم، وقالت له: أنا معجبة جدًا بحمارك يا توفيق بك، فرد الحكيم على الفور: لكن يا خسارة، للأسف يا سيدتي هو متزوج، ابحثي لك عن واحد غيره!

الأنانية

قال حكيم: الأنانية ليست أن تحب نفسك فقط، وتسعى لخيرك فقط، وألا ترى سوى مصلحتك فقط، وإنما الأنانية هي في أن تفرض على غيرك أن يعيش كما تريد له أنت أن يعيش!

معنى آخر للثقل السياسي!

من العادات الطريفة تلك التي تتكرر مع كل موسم انتخاب عمدة لبلدة هاي وايكومب البريطانية، حيث يجري وزن كل أعضاء المجلس البلدي علنًا أمام الجمهور، ويصفق الجمهور لكل عضو يتبين أن وزنه قلَّ أو لم يزد عما كان عليه يوم تولى منصبه، بحكم أن هذا دليل على أن العضو لم يسمن على حساب الأموال العامة.

قالوا:

الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل!

عمرو بن العاص

إذا أراد الله بقوم سوءًا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل

الإمام الأوزاعي

نكران الجميل أشد وقعًا من سيف الغادر

شكسبير

إنني لا أحب أن أتحدث كثيرًا مع أناس يوافقونني دائمًا على ما أقول، فقد يكون من الممتع التحدث مع الصدى فترة قصيرة، ولكن الإنسان سرعان ما يشعر بالملل منه.

لوجان سميث

ليس ثمة بارجة كالكتاب، تنقلنا بعيدًا بعيدًا، وليس ثمة جياد كصفحة شعر متوثب.

إميلي ديكنسون

لا تترك الحق، لأنك متى تركت الحق فإنك لا تتركه إلا إلى الباطل.

أرسطو

إن عظائم الأمور تتطلب إما الصمت والسكون، أو التحدث عنها بإطراء ونقاوة وبراءة.

نيتشه.

حكمة

قيل لا خير في آنية لا تمسك ما فيها، ولا خير في إنسان لا يمسك سره.

الحسنة والسيئة

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن للحسنة نورًا في القلب، وقوة في البدن، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة ظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، وسوادًا في الوجه، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق.

نصيحة ابن العاص

نصح عمرو بن العاص رضي الله عنه ابنه يومًا فقال: يابني، والٍ عادل خير من مطر وابل، وأسد حطوم خيرٌ من والٍ ظلوم، ووالٍ ظلوم خير من فتنة تدوم، يابني، عثرة الرجل عظمٌ يُجبر، وعثرة اللسان لا تُبقي ولا تذر، وقد استراح مَنْ لا عقل له.

شرفاء ومذنب واحد

حدث أن قام الرئيس الكوبي فيدل كاسترو بزيارة رسمية للسجن المركزي في هافانا، وسمع من جميع المساجين الذين التقاهم عبارة واحدة هي: أنا بريء يا سيدي الرئيس! باستثناء سجين واحد أقر بما ارتكبه من جرائم وقال له: أنا مذنب يا سيدي الرئيس. فصاح كاسترو في مدير السجن: اطرد هذا الشقي من السجن بسرعة قبل أن يفسد هؤلاء الشرفاء!

حظ الحاسد

قالوا في الحسود: لا ينال الحاسد من المجالس إلا مذمّة وذلاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال من الموقف (الآخرة) إلا فضيحة ونكالاً.

تخيَّر هؤلاء

نصح عبدالملك بن مروان أخاه عبدالعزيز حين وجّهه إلى مصر بقوله: ينبغي عليك أن تتخير كاتبك وحاجبك وجليسك؛ فإن الغائب يخبره عنك كاتبك، والمتوسم يعرفك بحاجبك، والداخل عليك يعرفك بجليسك.

داء وداء:

قال الأحنف بن قيس: الملول ليس له وفاء، والكذاب ليس له حيلة، والحسود ليس له راحة، والبخيل ليست له مروءة، ولا يسود سيّىء الخلق.

سياسة حازمة

كتب الوليد بن عبدالملك يومًا إلى الحجاج بن يوسف الثقفي يأمره أن يكتب إليه بسيرته في العراق، ولا يتزيد، فكتب يقول: إني أيقظت رأيي، وأنمت هواي،

استراحة العدد

فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموقر لأمانته، وقسمت لكل خصم في نفسي قسمًا، أعطيه حظه من لطيف عنايتي ونظري، وصرفت السيف إلى المتهم المسيء، والثواب إلى المحسن البريء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسّك المحسن بحظه من الثواب.

فقال الوليد: هكذا تساس الأمور.

قلة شهية

نزل رجل بصومعة ناسك، فقدم له أربعة أرغفة وذهب ليحضر العدس، وحين رجع وجده أكل الأرغفة جميعها، فذهب ليأتي بخبز جديد، فوجده قد أكل العدس، وتكرر ذلك عدة مرات، فسأله الناسك عن مقصده، فقال: الأردن. قال: ولم؟ قال الرجل: لقد بلغني أن هناك طبيبًا حاذقًا، فأنا ذاهب إليه لأسأله عما يصلح معدتي، فإني قليل الشهية للطعام. فقال الناسك: أصلحك الله، إذا ذهبت وأصلحت معدتك أرجو ألا تجعل رجوعك عليَّ!

قانون

يوجد في إحدى مناطق ألمانيا قانون يعود إلى القرون الوسطى يفرض عقوبة على السيدات الثرثارات اللواتي يضيعن الوقت في الحديث مع الجارات ويتركن شؤون البيت ويهملن أولادهن.

أسماء الأيام

أسماء الأيام عند العرب في الجاهلية هي:

السبت: شيار، الأحد: أول، الاثنين: أهون، الثلاثاء: جبار، الأربعاء: دبار، الخميس: مؤنس، الجمعة: عروبة.

كرامة المرء

قال أحد الحكماء: لا تتهافت على اللئيم فتتهم في مروءتك، ولا تركن إلى الغني فتتهم في عفتك، ولا تصحب الجاهل فتتهم في فطنتك.

الإيمان واليقين

سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع! قيل: كيف ذاك؟ قال: الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك وأيقن به قلبك، وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع!

أصدقاء الإسكندر وأعداؤه

قيل للإسكندر يوما: ماذا استفدت من صداقاتك وعداواتك؟ قال: لقد استفدت من أعدائي أكثر مما استفدت من أصدقائي؛ لأن أعدائي كانوا يكشفون لي عيوبي فأستدركها، أما أصدقائي فكانوا يزينون لي الخطأ فيشجعونني عليه.

من عيون الشعر

يا نفسُ كفّي عن العصيان واكتسبي
فعلاً جميلاً لعل الله يرحمني
يانفسُ توبي إليه واعملي حسنًا
عساك تُجزين بعد الموتِ بالحسَنِ



من مظاهر الاحتفالات الشعبية في منطقة نجران



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

غياب الوعي الديني

خليل بن يوسف بن الصادق الزواري

صفاقس - تونس

في بداية هذا المقال أنَّ ما أقصده بالوعي الديني أمران:
أوضح أمَّا الأول فهو وجوب اطِّلاع كل مسلم على الأحكام الشرعية المتعلقة بجُل الوقائع التي تكادُ تمر به يوميًا، وذلك من أجل أن لايقع في المحظور بسبب الجهل الذي لا يُعذر به الجاهلُ يومَ القيامة، وحتى يتمكن من إقامة الحُجة على المجادلين في الله بغير حق. وهذان الغرضان هما اللذان فَرضَ الله علينا من أجلهما طلب العلم الشرعي.

وأما الثّاني فهو الشجاعة في الجهر بكلمة الحق؛ أي أن لايخاف المُسلم في الله لومَة لائم، وأن لايخجل من الانتساب إلى السّلف الصالح والاقتداء بهم. وحسب المسلم إثما أن يتحرج أثناء زيارته لبعض الأقارب، مثلا، من استئذانهم لأداء صلاة دخل وقتها بعذر أنهم ليسوا من مقيمي الصلاة، ورُبَّ عُذر أقبحُ من ذنب، والحالُ أنّه مُطَالَب شرعًا ليس فقط بأداء الصلاة في وقتها بل بدعوة أقاربه إلى التزام إقامة هذه الفريضة على الوجه المطلوب. وهو ما يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك الواجب العظيم الذي يُنذرتركُهُ بويل وثبور عظيمين.

خلاصة القول: أهتم في هذا المقال - من خلال بعض الأمثلة - بالكشف عن آفتين تفتكان بالمجتمعات الإسلامية في هذا العصر: ترك واجب طلب العلم الشرعي وهو ما يعني ترك العمل بأوامر المُشرّع سبحانه وتعالى والاستعاضة عنها بسلوكيات مبْتدعة.

والخوف والخجل من الممارسة العلنية لتلك الأوامر ومن الدّعوة إليها.

المثال الأول:

شرع أحدُ أساتذة التعليم في تعداد الشُعب الدراسية التي أُحدثت بغرض استيعاب الكم المتزايد من التلاميذ سنة بعد أخرى. وبعد أن استوفى الحديث في الموضوع، وجهت إليه إحدى التلميذات السؤال التالي: هل أحدثتم شعبة لتعليم الرّقص؟.

ولّما كان الأستاذ مُدركًا لموقف الشارع من المسألة ردَّ عليها والامتعاض بَاد على سحنته بقوله: ومن الذي وسوس لك بتعاطي مثل هذا النشاط؟!. ومَا إن أتم كلامه حتى ثارت ثائرة التلميذة وزميلاتها وقُلن له في غضب: ومَا به الرّقص؟ أليس فنًّا من الفُنون وطريقة من طرق التعبير ووسيلة للترفيه؟ حتى متى سنظل نفكر ونتصرّف كما فكر وتصرّف أجدادنا؟ متى نُحرر عقولنا من قيود الماضي التي تعوقنا عن التقدم والتحضر؟... ولم تتوقف التلميذات عن الاحتجاج حتى قاطعهن الأستاذ بقوله: لم أقصد ذَمَّ الفنون واحتقارها وإنّما أردتُ أن أقول إننا لم نفكر بَعدُ في إدراجها ضمن برامج التعليم، وعلى كلّ حال هناك مدارس خاصة أُحدثت لهذا الغرض بإمكانكُنّ التوجّه إليها.

وهنا أتوقف لأقول: مَا الذي دفع هذا الأستاذ إلى التراجع عن موقفه بهذه السرعة والتنازل عن النظرة الشرعية الدينية للمسألة! إنه حتمًا غيابُ الوعي الدّيني؛ فقد خشي أن يُقال عنه إنّه متعصب ومتخلف ورافض للتقدم والحضارة والمدنية، وخاف أن لايجدَ من الحُجَج مايُواجه به موقفًا متحررًا إلى حدّ التحلل من القيم الدينية الأصيلة والأحكام الشرعية الجلّية. هذه القيم وتلك الأحكام التي اعتبرتها التلميذاتُ قيودًا ومظاهر تخلّف وتأخر إنما هي في الحقيقة أسس وقواعد وثوابت لايتزحزح المستمسك بها أمام رياح التغريب العاتية، ولايخشى المُنطلقُ منها مخاطر التجديف ضدّ تيار الردّة والانحلال. من أجل ذلك أدعو كل صاحب رسالة وخاصة منهم من أنيط بعُهدتهم نشرَ العلم والمعرفة إلى التسلح بالإيمان القويّ، ثم بالعلوم الشرعية كي يتمكّن من خوض معركة الإسلام ضد دُعاة الردّة والانحلال والضّلال، فلا يترك السّاحة للجهل يجتاح العقول وللشيطان يملأ بوساوسه الصدور.

المثال الثاني:

لقيتُ يومًا أحد الأصدقاء؛ فتجاذبنا أطراف الحديث. وكان من بين المواضيع التي تطرقنا إليها موضوع محاورة ومجادلة أهل البدع والأهواء. فكان مما ذكره صديقي مجادلته لثلّة من الشباب «المُنفتحين» و«المستنيرين» (بنور الغرب) في مسألة القصاص من القاتل المُتعمّد.

وقد تمسك محاوروه بالرّأي القائل إنّ إعدام القَاتل ولو كان متعمّدًا أمرٌ فظيع وقاسٍ وخالٍ من الإنسانية والرّحمة، لذلك وجب - على حدّ قولهم - النّضال من أجل إلغائه.

فما كان من صديقي - بعد أن استمع إلى رأيهم - إلاّ أن ردّ عليهم - مُعتقدًا أنه أفحمهم - بقوله: صحيح أنّ عقوبة الاعدام قاسية بعض الشيء، غير أنه ما من وسيلة أفضل منها للرّدع. فالمُشرع عندما شرع القصاص من القاتل لم يقصد أن تلك العقوبة هي الجزاء الحقيقي والعادل الذي يستحقه مُقترف الجرم، فالإسلام لم يأتِ لإزهاق أرواح البشر، وإنّما كان مقصد الشارع تخويف من يزين لهُ الشيطان قتلَ أخيه المؤمن حتّى يرجع عَن تنفيذ مَا عزَمَ عليه من الشر. ويكون في ذلك حقن لدماء المسلمين. وقُلْ مثل ذلك في قطع يد السّارق.

ولولا ما أدركه ساسة الغرب من سداد هذا الرّأي لكانوا أوّلَ مَن بَادر إلى إلغاء عقوبة الإعدام.. ثم قال: وبذلك أسكتُهم وأفحمتُهم فلم يجدوا لرأيهم حجة ولا لدعواهم سندًا.

قلتُ له: مَا أظُنُّك أسكتهم إلا إلى حين، ومَا إن تستعيد ذاكرتهم مَاقُلته لهم حتى يَشعروا بنشوة انتصار عظيمة. قال مُستغربًا: عَن أيّ انتصار تتكلم؟ قلت لكَ إنّني لم أترك لهم مجالاً للحديث وكأنما ألجمت أفواههم إلجامًا. قلت: ألم تذكر منذ قليل قولك لهم إن القتل ليس هو الجزاء الحقيقي والعادل لكلّ مَن قتل متعمدًا! ألم تُدرك أنّك من أجل أن تَظهر أمام أصدقائك بمظهر المُتمدّن المُتحضر المُحبّ للانسانية نفيت عن الله جلّ وعلا صفة العدل؟! ألم تعلم أن الله سُبحانه وتعالى حرّم الظُّلم على نفسه وجَعَلَهُ بين البشر مُحرّمًا؟ إنك بذلك ارتكبت جُرمَيْن فظيعين، أما الأول فهو تجرؤك على الله من حيث لا تشعر إذ وصفته بالظلم، وأما الثاني فهو تقديمك لخصمك الخنجر الذي سيطعنك به في الجولة القادمة. ولولا أن أصدقاءك هؤلاء قليلوا الفطنة لقالوا لك من فورهم: وكيف يكون الله عادلاً ويأمر البشر بالعدل وهو الذي شرع حُكما لايتحقق فيه العدل!؟

إنك حتمًا ياصديقي لم تكن واعيًا بما تقول، ولا بما يجب عليك وعلى كل مسلم أن يعيه من أصول العقيدة وأحكام الشريعة. لذلك أدعوك إلى أن تطرح على نفسك هذه التساؤلات عساها تكون دليل هداية: كيف لا يكون قتل القاتل حكما عادلاً وقد شرعه أحكم الحاكمين وأعدلُ العادلين وأرحم الراحمين! كيف لايكون القاتل مستحقا للقتل وهو الذي استحل لنفسه الحكم على أخيه بالقتل ونَفّذ فيه حكمه الغاشم بغير وجه حقّ! إنّ الإحياء والإماتة حقّ لله وحده يهبُ الحياة لمن يشاء ويسلبها ممّن يشاء، فكيف لايستحق القاتل القتل وهو الذي نازَعَ الله تعالى في حق استأثر به لنفسه. لقد قال النمروذ لسيدنا إبراهيم: ﴿أنا أُحيي وأُميت﴾، وأتي بسجينين فقتل واحدًا وترك الآخر ظانا أنه بذلك قد سلب الحياة الأول ووهبها للثاني. ولكنه نسي أن الروح لا يأتي إلا من عالم الروح ولايعود إلا إليه. لذلك استحال عليه أن يُعيد الحياة للسجين الذي قتله كما استحال عليه أن يسلب الحياة عن إبراهيم عليه السلام.

إن القتل ليس الجزاء الذي يستحقه القاتل؛ بل هو أقلّ بكثير ممّا يستحقه؛ فلقد تَوَعّدَه الله بالعذاب الأليم يوم القيامة، وما القتل إلا عقابٌ دنيوي يحس به القاتل فظاعة ما ارتكبه في حق أخيه، كما يُدرك به أن قتله لأخيه لن يمكنه من أن يعيش أكثر مما كتب الله له، لأن الروح لا يأتمرُ إلا بأمر خالقه، وأنه لو اجتمع هو وكل الخلائق من إنس وجنّ على أن يضروا بشرًا لم يضروه إلا بأمر قد كتبه الله عليه. ومن لم يجد في هذا الكلام ما يُقنعه فلن يقنعه إلا قول الحكيم العليم في محكم التنزيل. قال جلّ وعلا: ﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلا﴾ آل عمران:145، وقال جلّ من قائل: ﴿والله يحكمُ لا مُعقّبَ لحُكْمه﴾ الرعد: 41 ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ومَن يَقْتُلْ مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جَهَنّم خالدًا فيها وغَضِبَ اللهُ عليه ولعنه وأعَدّ له عذابًا عظيمًا﴾ النساء:93.

إن المتحدثين عن القسوة واللا إنسانية في القصاص لايدركون مكانة النفس المؤمنة عند الله عزّ وجل؛ فليقرؤوا تلك الآيات وليتدبروها ثم ليستنطقوا السنة النبوية المطهرة فستقول لهم على لسان صاحبها صلى الله عليه وسلم: «قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» رواه النسائي. فإذا عزم المرءُ المؤمن على قتل أخيه المؤمن وباشر ما عزم عليه زال منه أثر الإيمان وصار قتله قصاصًا من أهون الأمور عند الشارع بعد أن كان أعظم من زوال الدنيا فلا شيء غير الإيمان تتفاضل به النفوس.

المثال الثالث:

دخلت الأم غرفة الجلوس فوجدت ابنها الصبي المراهق ينظر إلى شاشة التلفاز في ذهول وقد غاب إحساسه بما حوله إلا بما تبثه الاذاعة المرئية من مشاهد عنيفة وخليعة. فقالت له ثائرة غاضبة: ألم أنبّه عليك بألا تشاهد مثل هذه البرامج المُخلة بالأخلاق؟ ألم أقل لك أكثر من مرة إن الله حرم النظرة الواحدة بشهوة ناهيك عن إمعان النظر؟ أثناء ذلك دخل الأب المنزل وسمع صياح الأم فقال: ما الذي يحدث هناك؟، قالت: تعال وانظر إلى ما يفعله سمير وهو لم يتخط بعد سن الثالثة عشرة!. أدرك الأب ما تعنيه زوجته فلم يتركها تُكمل كلامها وجذبها برفق إلى غرفة أخرى وقال لها: ماهذا الذي تفعلينه يا سلمى! أي جرم ارتكبه ابنك حتى ترفعي صوتك في وجهه بمثل ما سمعت! أمن أجل بعض المشاهد المعتادة والتي تتكرر كل يوم تنهرينه بهذه الحدّة! ألا ترين معي أنّ ما يفعله ابننا على مرأى ومسمع منك ومني هو أفضل بكثير ممّا يفعلهُ شُبان آخرون دون علم آبائهم!؟ قالت: وما الفرق بين علم الوالدين وجهلهم بما يحدث، المشكلة ليست في ذلك بل في مايعتمل في نفس الشاب من مشاعر وما تُثيره المشاهد الخليعة والعنيفة لديه من غرائز ممّا قد يؤدي إلى إضعاف إيمانه وتفسُّخ أخلاقه. رد الزوج: إلى متى ستظلين تُفكرين بهذه العقلية المتخلفة! كوني أكثر تحرّرًا وتصرفي بعقلانية. لقد أمضيت عشر سنين في الغرب وأعرف جيدًا كيف تُعالج مثل هذه الأمور. إنهم هناك لايمنعون أبناءهم من الممارسة الحرة لكل شيء؛ لأنهم يعلمون جيدا أن منعهم من ذلك يؤدي آليا إلى هجرانهم بيوت آبائهم والبحث عن ممارسات شاذّة وإلى تعاطي المخدرات، طبعًا لست أقصد بهذا القول الدعوة إلى الاقتداء بهم في ذلك، فالوضع هنا مختلف تمامًا، وإنما قصدت الإشارة إلى أنّ التساهل والتسامح في معاملة الأبناء هو أفضل بكثير من التشدد والتعصب؛ لأنّ معاملة أبنائنا بأسلوب أجدادنا التربوي الفظّ قد تتسبب في إصابتهم بآفات نفسية خطيرة. ولستُ أظنُ أنه من الحكمة ـ ونحن في نهاية القرن العشرين ـ أن نمنع أبناءنا من مُجرد النظر إلى مشاهد مألوفة، هذا بالإضافة إلى أنّها ليست مشاهد مباشرة بل تُبث عبر جهاز استقبال..

ويتواصل الحوار بين الرجل وزوجته.. ولست أبيّن الموقف الشرعي في مسألة التربية الجنسية فقد توسع علماء الإسلام فيها وألفوا عنها العديد من المقالات والكتب، ولكني أبدي رأيي في مسألتين مهمتين: الأولى يثيرها قول المرأة لزوجها: تعال وانظر إلى ما يفعله سمير وهو لم يتخطّ بعد سن الثالثة عشرة، وكأن الشّارع الحكيم عندما حرم النظر إلى المشاهد المثيرة للغريزة الجنسية قيد حكم التحريم بفترة معينة من العُمر. ومثل هذا القول ينطوي على خطأ فادح يقع فيه الكثير من الآباء والأمهات في تربية أبنائهم، فهم يُحرّمون على أبنائهم مَا يُحلّونه لأنفسهم بدعوى أن الأبناء صغار العقول ضعاف النفوس، أما الكبار فهم العُقلاء الذين لاتضعفُ نفوسهم أمام مُغريات الحياة. وانطلاقا من هذا التصور الخاطئ تَجدُ الوالدين في عديد من الحالات وعندما يتعلق الأمر مثلا بأفلام خليعة مُخجلة يطلبون من أبنائهم المراهقين والصغار مغادرة مكان السّهرة إلى غُرفهم الخاصة، أما هم فيواصلون مشاهدة تلك الأفلام بلا حرج، في حين أنهم مطالبون شرعًا بالتزام مثل ما ألزموا به أبناءهم وذلك لسببين: أما الأول فهو أن أمر الله للمؤمنين والمؤمنات بغض البصر أمرٌ عامٌ لم يستثن منه تعالى الأطفال ولا الشباب ولا الكهول ولا الشيوخ، كما لم يستثن المتزوجين ولا غير المتزوجين. فقد جاء في مُحكم التنزيل: ﴿قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبيرٌ بما يصنعون. وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أبصارهن ويحفظن فروجهن..﴾ النور:30-31.

وأما الثاني فهو وجوب أن يكون الوالدان قُدوة لأبنائهما في التزام أوامر الله عزّ وجل وإلا لم يكن للتربية أثر في نفوسهم ولا في سلوكهم.

المسألة الثانية يثيرها قول الأب: إن المشاهد التي ينظر إليها ابننا ليست مباشرة بل تُبث عبر جهاز استقبال. وهو ما يعني ـ حسب رأيه ـ أنها أقل إثارة مما لو كانت مشاهد حقيقية تُعرض على المسرح مثلا. ولكن الحقيقة كثيرا ما تكون عكس ذلك تمامًا، فكثيرًا ما يعمد مُخرجو تلك الأفلام إلى تصوير مشاهدها المثيرة من زوايا مختلفة، ويتعمدون تقريبها للمشاهد لتكون بذلك بالغة التأثير فيه. هذا مع العلم أن أجهزة التصوير الحديثة أصبحت ذات كفاءة عالية بحيث تنقل صور الأشياء والأحياء بوضوح وجلاء تمامًا كما لو كُنّا من دون واسطة.

من أجل ذلك لانجد من فقهاء الإسلام وعلمائه من أحَلّ للمسلمين النظر إلى ما حرم الله النظر إليه بحُجّة عدم مباشرة النظر للمنظور إليه. بل نجدهم حرّموا التلذّذ بالنظر إلى المشاهد الخليعة حتى ولو كانت ثابتة لاحراك بها في مجلة مثلاً.

وإنني من هذا المنبر أدعو كل المسلمين إلى هجر ما يُبث من برامج مرئية لاتلتزم الأحكام، والآداب الإسلامية.

التعليق:

الكاتب صاحب قلم جيّد، وأسلوب حسن، واستشهاد دقيق يدلّ بإتقان على الأفكار التي يعالجها.. ولكن يعوزه شيء من عمق النظر وشموله. فغياب الوعي الديني الذي تمخض عنه ما أورده في أمثلته الثلاثة له أسبابه التي أدت إليه، وهذه الأسباب تبدأ من البيت الذي يفتقد القدوة الحسنة والأسوة الصالحة، وتتدرج إلى المدرسة وطبيعة الرفاق فيها، ثم تتوسع إلى أن تتناول المجتمع بعوامله الاجتماعية والاقتصادية، واتجاهاته الفكرية والروحية.. ثم الآثار التي حفرها في نفوسنا حفرًا أعداء أمتنا وديننا بوسائلهم الجبارة من وسائل إعلام مقروءة ومرئية ومسموعة، وعدم قيام ما يكافئ ذلك أو يقهره لدينا.

أنصح له بمزيد من المطالعة والعناية باللغة والأسلوب، ومحاولة الغوص على أسباب مشكلاتنا والبحث عن الحلول في إطار جماعات واعية من الواعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.. فإن كثر في المجتمع أمثاله كان ذلك إيذانًا ببدء العافية إن شاء الله.

عاصم بن محمد بهجة البيطار



الأخ د. زهير إبراهيم جبور، اللاذقية - سورية:

نشكر لك ملاحظتك، ونفيدك أن المجلة تُوقف تعاملها مع أي كاتب لايلتزم شروط النشر، وأهمها ألا يكون الموضوع قد نُشر من قبل، أو أُرسل إلى أي جهة أخرى ناشرة. لذا نأمل من الأخوة كتاب المجلة التزام ما هو وارد في هذه الصفحة تحت عنوان «ملاحظات عامة»، كما نود ممن يكتب إلى المجلة لأول مرة إرفاق سيرته الذاتية وصورة حديثة ملونة إن أمكن ذلك، وأما بالنسبة لملاحظتك فقد اتخذنا الإجراء اللازم بشأنها، ونشكر لك مرة أخرى تعاونك.

الأخ عادل محفوظي، تونس العاصمة:

العتاب الذي وجهته إلى المجلة لم يكن في محله، لأن الإعلان الذي قرأته لا علاقة للمجلة به، والشروط التي تحتج عليها وضعها القائمون على المسابقة في النادي الأدبي، وهي بالطبع ذات صلة بالإمكانات المتوافرة لديهم، ولم يقصدوا شيئًا مما ذهبت إليه.

فمرحبًا دائمًا بآرائك وآراء الأخوة القراء حتى نستنير بها.

الأخ رياض موفق، عين أزال، سطيف - الجزائر:

أحلنا خطابك إلى القسم المختص، وسوف يرد عليك بريديًا، وستحل قريبًا إن شاء الله مشكلة توزيع المجلة في الجزائر.

الأخ محمد سراج علي، كوماسي - غانا:

سوف نرسل لك بعض الأعداد السابقة من المجلة، كما أن طلبكم حُوِّل إلى جهة نظن أنها تستطيع خدمتك، لعلها تكون عند حسن الظن. وأثابك الله على هذا الحرص على دينك.

الأخوين حسام عبد الوهاب زمان، المدينة المنورة، ديب قديح سليمان، فلج المعلا - الإمارات العربية المتحدة:

سيصل كلاً منكما العدد الذي طلبه قريبًا إن شاء الله.

الأخ عبدالله محمد بديع، طنجة - المغرب:

الأعداد التي طلبتها ستصلك قريبًا إن شاء الله، أما العنوان الذي طلبته فهو لايتوافر لدينا حاليًا، ونأمل مستقبلاً أن نوافيك به. ولم تصلنا الرسالتان السابقتان اللتان أشرت إليهما، فالمجلة حريصة على التواصل مع قرائها الكرام أينما كانوا.

الأخ بكر الخطيب، إربد - الأردن:

عنوان المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب سبق نشره في العدد 230، وعموما هو:

ARAB STUDENT AID
INTERNATIONAL
P.O BOX 10
FANWOOD, NEW JERSEY - U.S.A
FAX: (908) 654-3940

الأخ بعبوش صالح، الجزائر:

مشكلة توزيع المجلة في الجزائر في طريقها إلى الحل قريبًا، وسوف نبعث إليك ببعض الأعداد الأخيرة من المجلة قريبًا إن شاء الله.

الأخ أحمد حسن أحمد المهداوي، مركز بريد الليث - مكة المكرمة:

الكتب التي طلبتها لا تتوافرفي دار الفيصل الثقافية، لأن الكتب الصادرة عنها هي تلك التي سبق الإعلان عنها أكثر من مرة. وسوف تصلك بعض الأعداد التي طلبتها. ونشكر لك إطراءك للمجلة، ونفيدك أن التوازن بين المقالات العلمية والأدبية مأخوذ في الحسبان؛ فالمجلة تحرص على أن تتوازن موادها بحيث تغطي المجالات كافة، تلبية لرغبات قرائها الكرام، بما يتناسب مع منهجها وطبيعة المجلة الثقافية العامة.

الأخ محمد الحمادي، حلب - سورية:

تحرص المجلة على الوفاء بوعدها للقراء، والأعداد التي طلبتها ستصلك إن شاء الله قريبًا. ونشير إلى أن القائمتين الببليوجرافيتين كانتا خاصتين باللغة العربية والبيئة، إضافة إلى الكشاف السنوي المعتاد، والكشاف العام الذي يغطي الفترة من (1397 هـ/1977م إلى 1413هـ/1992م)، وهناك قوائم أخرى في الطريق إلى جانب كتيبات مجانية تتصل بالملفات المتخصصة التي تعدها المجلة.

الأخت د. غنية النحلاوي، دمشق - سورية:

المجلة لا تهمل أية رسالة تصل إليها من قرائها الكرام، وبخصوص المقالات التي ترسل، فإن المجلة تفيد الكاتب بوصول مادته، ثم تفيده ما إذا كانت ستنشر أم لا، وقد تطلب من الكاتب إدخال بعض التعديلات لتكون المقالة مناسبة للنشر. وفي كل الأحوال يتلقى الكاتب ما يفيده بمصير مقالته، أما تأخر النشر فيرجع لأسباب، منها كثرة الموضوعات المجازة للنشر في مجال من المجالات. لذا نأمل المعذرة، وكذلك الثقة في أن كل مقالة تجد الاهتمام الكافي.

الأخ علاء الدين عبدالشافي صيام، نواكشوط - موريتانيا:

سيصلك العدد الذي طلبته قريبًا - إن شاء الله - على سبيل الإهداء، أما بخصوص اقتراحاتك، فإننا نأمل موافاتنا بنماذج من الاستطلاعات المصورة، وسوف نفيدك بمدى مناسبتها للنشر.

الأخ خير الله الشريف، دمشق - سورية:

أُحيلت رسالتك إلى القسم المختص، وسوف يتم الرد على استفسارك بريديًا، وكذلك ستصلك إفادة بخصوص المقالة المذكورة في رسالتك.

بين القارئ والقارئ

لديّ أعداد قديمة من مجلة «الفيصل» من العدد (1- 90)، أرغب في مبادلتها بجرائد ومجلات عربية يومية أو أسبوعية.

بوخدنة عبدالوهاب
ص.ب 59 عين أعبيد - قسنطينة (25130) الجزائر

أرغب في الحصول على الأعداد التي فاتتني من سلسلة (عالم المعرفة)، وهي الأعداد: (1، 4، 5، 7، 9، 12، 15، 20، 25، 27، 36، 39، 41، 42، 57، 58، 61، 72، 79، 82، 84، 86).

وكذلك كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني»، وسلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني.

عبدالعظيم نبيه الصايغ
10 شارع الجمهورية بالزرقا
الزرقا - دمياط - الرمز البريدي 34724
جمهورية مصر العربية

آمل من الأخوة قراء «الفيصل» الكرام تمكيني من الحصول على بعض الكتب الخاصة بالعملات، أو بعض المجلات التي تناولت هذا الموضوع.

فارس محمود عزيزة
ص.ب 2456
حلب، سورية

لديّ نسخ زائدة من بعض أعداد مجلة «الفيصل»، أرغب في إهدائها لمن يريد شرط أن يتكفل بنفقات البريد.

عبدالستار محمد كراوي
ص.ب 1785
اللاذقية - سورية

أرغب في الحصول على عدد شهري أكتوبر ونوفمبر 1995م من مجلة «الهلال» المصرية وكذلك العدد رقم 125 من مجلة الشاهد، مع استعدادي لدفع مصاريف البريد والمبادلة بكتب أو مجلات عربية.

حبيب جميل الحلفاوي
تونس - 24 حي الروضة 8010
منزل بوزلفة

عناوين

الأخ محمد جمال، عبري - السودان:
عنوان مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي:
الإمارات العربية المتحدة - دبي
ص.ب 55156، هاتف (04) 62499، فاكس 696950(04)، تلكس: عرب 46187

الأخ رجائي البشبيشي، القاهرة - مصر:
عنوان مركز الوثائق التاريخية بالبحرين:
دولة البحرين
ص.ب 28882، هاتف 664454، فاكس 651050

الأخ سعيد خلفان، سلطنة عمان:
عنوان المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج:
دولة الكويت - الصفاة 13116
ص.ب 25566، هاتف 4835203 - 4831607 - 4830766
فاكس 4830571
- عنوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت:
دولة الكويت - الصفاة 13100
ت 4877085 فاكس 4873694

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفا من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

مؤتمر عاجل للمرأة

أصاب د. زيد الحسين رئيس التحرير كبد الحقيقة في مقاله «مرأة مؤتمر بكين» المنشور بالعدد 227 من «الفيصل»، والذي يدور حول مؤتمر المرأة الذي عُقد في بكين، فجزاه الله كل الخير.

لقد كثرت في الآونة الأخيرة مؤتمرات الأمم المتحدة التي يسيطر عليها الغرب، وآخرها مؤتمر المرأة في بكين ما بين 4-15سبتمبر 1995م. والمتابع لهذه المؤتمرات وما يطرح فيها يجد أنها تدور حول ما يسمى بحقوق المرأة المهضومة، والصرخة التي تخرج من هذه المؤتمرات تقول: أنقذوا المرأة المسحوقة والمهضومة الحقوق، أنقذوها من غطرسة الرجل الظالم. وفي النهاية، وبعد جدل عميق، تخرج مقولة هذه المؤتمرات لتركز وتشدد على إعطاء الحرية الجنسية للمرأة دون مراعاة القيم الأخلاقية والروحية، أو القيم والتقاليد عند الشعوب الأخرى. وفي الوقت نفسه ينادون بإعطاء الأهمية للرعاية الصحية للمرأة! كيف وهم يريدون لها أن تطلق العنان لجسدها تحت شعار الحرية والحق في الحياة؟ ويتناسون أن هذا الشذوذ الجنسي والحرية الجنسية هما وراء كل المشكلات الأخلاقية والأمراض المستعصية، وآخرها (الايدز)، ثم ينفقون الأموال الطائلة على الأبحاث لإيجاد علاج لهذه الأمراض، ولكن دون جدوى، وهم يعرفون أن العلاج الوحيد هو عفة المرأة وطهارتها ومنع الشذوذ الجنسي منعًا تامًا، ولكن: ﴿فطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ المنافقون:3. إن ما تطالب به هذه المؤتمرات من حقوق المرأة متأثر كثيرًا بالأفكار الصهيونية المنحرفة، والهم الأول والأخير لهذه المؤتمرات هو تنفيذ الأفكار الصهيونية الشاذة والمنحرفة من أجل التشويش على الإسلام وأفكاره السامية، وتشويه الحقوق الرائعة التي منحها الإسلام للمرأة. وكما أشار الدكتور زيد فإن النساء شقائق الرجال؛ فالمرأة في الإسلام إنسان كامل الأهلية، لها شخصيتها المستقلة، وتتساوى مع الرجل في الحقوق والواجبات، وتملك كما يملك ولها حق الميراث، وتقوم العلاقة بينها وبين الرجل على المساواة والمحبة والرحمة. فالرجل والمرأة يحققان معًا مطالب الحياة في حفظ النسل، فمن دونها ما كانت الحياة وما استمرت. وهي تتمتع بالشخصية القانونية، ولها حق التعليم والتعلم؛ لأن المرأة المتعلمة العارفة بأمور دينها تستطيع أن تنشئ جيلاً صالحًا يفهم الحياة بشكل صحيح، ويدخل معتركها بأقدام ثابتة. فالأم مدرسة كاملة، ورحم الله الشاعر أحمد شوقي حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

بينما لايزال حتى الآن في بلاد الغرب يُنزع من المرأة عند زواجها حق الانتساب إلى أسرتها وأصلها، بل تُنسب إلى زوجها. ولعلنا نلاحظ كيف كانت المرأة تُعامل عند الأمم السابقة؛ إذ كانت شرائع الهند مثلاً تحرق المرأة حية إذا مات زوجها، وفي الصين يحرم عليها الخروج من بيتها تحريمًا قطعيًا، وعند اليونان تباع وتُشترى وتُحرم من دخول المعابد لأنها في نظرهم شيء نجس.. فلما جاء الإسلام قضى على كل هذه الأمور الجائرة، فهي إنسان من كل نواحي الإنسانية، وقد كرمها الإسلام تكريمًا يليق بإنسانيتها.. ونلاحظ في هذه الأيام كثرة الأطفال غير الشرعيين في بلاد الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة، ويولد معظمهم مصابًا بالأمراض المزمنة والمستعصية نتيجة لهذه العلاقات الشاذة والإباحية الجنسية، وهذا يؤدي إلى زيادة معدل الجرائم وما تجره على المجتمع من ويلات.

ولما تقدم أقول: إن على الدول العربية والإسلامية أن تتداعى لعقد مؤتمر عاجل حول السكان والمرأة تفند فيه مزاعم الغرب الواقع تحت تأثير الأفكار اليهودية والصهيونية الشاذة، وتبين قيمة الإنسان والمرأة خصوصًا ومكانتها في الإسلام وما منحه لها من حق وتكريم كمحاولة للرد على مؤتمر بكين.

تامر عبداللطيف إدريس
الانشاءات ـ حمص
سورية

العرب ونظريات الإعلام



أكتب لكم هذه الكلمات، وقد فرغت للتو من قراءة إطلالتكم «التبعية وأزمة المصطلح»، ذلك أنني اعتدت قراءة إطلالتكم غرة كل شهر. وللإنصاف لأنكر ما فيها من جلاء الفكر، ووضوح المقصد، وعظيم الفائدة، و..

ولقد أثار ما كتبتموه في ذهني مظاهر أخرى للتبعية، أقصد غير تبعية المصطلح. ولاغرابة في ذلك، مادام أن التبعية منتشرة ـ شكلاً وممارسة ـ في مناحي حياتنا جميعًا. ولو حاول أي منا أن يتتبع آثارها في حقل عمله لوجدها واضحة بينة. ولنأخذ على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ مجال عملنا (الإعلام)، فكم من تبعية وتبعية في هذا الحقل.

فمن طرائق التحرير والإخراج، إلى مدارس صناعة الخبر، مرورًا بالنظريات الإعلامية المختلفة. وهذه الأخيرة هي الأخطر..

فالإعلام العربي ـ ومنذ عقود خلت ـ تتجاذبه النظريات الإعلامية المختلفة، وهو منقسم على نفسه بين دول عربية تريد تَبَنِّي النظرية الغربية، وأخرى تريد تبنِّي النظرية الشرقية، وثالثة ترغب في أخذ مزايا الأولى والثانية بحيث تخرج بنظرية جديدة..!!

غريب هذا الركض اللاهث وراء الغربيين والشرقيين! وكأن هؤلاء الإعلاميين العرب تخيلوا أنفسهم أنهم سيموتون إن خرجوا من بحار هذه النظريات، ناسين أو متناسين أن كلاً يفصّل نظرياته بما ينسجم ومقاسه؛ بحيث يتسنى له أن يحرك يديه وأكتافه وأعضاءه كافة دون أدنى حرج، ومتناسين أيضًا أن لكل نبات تربة؛ فتربة نبات الجبل تختلف اختلافًا بيّنًا عن تربة نبات السهل والساحل وغيره.. فكيف يريد لنا هؤلاء ـ أي المنظرين العرب ـ أن نزرع في الصحراء العربية نباتًا مستوردًا من العالم الجديد تارة، ومن ضفاف المانش تارة أخرى، ومن مجاهل سيبيريا تارة ثالثة؟!

وأنا أسأل هؤلاء، الذين يَدَّعون أنهم حملة الرسالة، وسدنة «صاحبة الجلالة»: هل نضب تراثنا وفكرنا وعجز عن إيجاد نظرية إعلامية تكون لأمراضنا بلسمًا وشفاء؟ وهل عجز العرب، الذين جعلوا من الشعر ديوانًا لهم، أن يُحْسِنوا صناعة الإعلام؟

والغريب حقًا، أنه عندما تموت نظرية من النظريات، أو تُرفض من أبناء جلدتها، يستمر متبنوها يدافعون ويدفعون التهم عنها، ويدعون أنها لم ولن تموت..!! وهذا يذكرنا بالأفعى التي إذا دُقَّ رأسها وماتت بقي سُمُّها المخزون فيها يحرك الذيل يمنة ويسرة..!!

الصحفي: أحمد يوسف العمار
ص.ب 12696
دمشق ـ سورية

المرأة وإحساس الغرب بالذنب



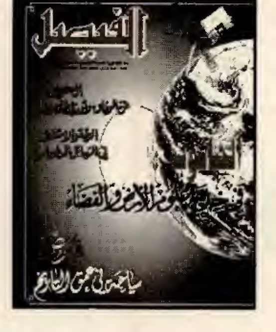
سررت كثيرًا وأنا أطالع «إطلالة» رئيس التحرير في العدد 227 من مجلتكم الغراء، والتي خصصها هذه المرة للتعليق على توصيات مؤتمر المرأة في بكين (4-15سبتمبر 1995م). لقد كان تعليقًا رصينًا وموضوعيًا يُثْلجُ الصدر ويدخل الفرحة والاعتزاز على كل نفس مؤمنة تعتزّ بدينها الإسلامي، وتفخر بمخزونها الثقافي والحضاري الأصيل.

إن ما جاء في تعليقكم الهادف من بيان مكانة المرأة في الإسلام منذ 14 قرنًا، وموازنة ذلك بما كانت عليه المرأة إلى وقت قريب في المجتمعات الغربية الكنسية، الأمر الذي أوجد عقدة الشعور بالذنب عند الرجال، مما حدا بهم إلى اتخاذ إجراءات قانونية وغيرها لتبرئة أنفسهم من تهم الجور

والانتقاص من حقوق المرأة ومكانتها؛ فأخذوا يتزلفون ـ في استرخاءمخزٍ ـ علّهم يستحقون العفو عما صدر منهم، ومن آبائهم، وأجدادهم بما فيهم من فلاسفة وحكام. فقد كانوا يسومونها الخسف ويشككون في إنسانيتها، وهل فيها روح أم لا؟. باختصار إن إطلالتكم هذه نزلت بردًا وسلامًا ورحمة على القلوب لتزيدنا إيمانًا بأن أمتنا الإسلامية لم يغمرها ـ كلها ـ طوفان الانحراف. فتحية إعجاب وتقدير، ونشدّ على أيديكم وندعو لكم ولسائر المسلمين بالنصر والتوفيق.

صالح بن عبدالجليل
10**نهج دمشق -**
4070**مساكن**
ج - تونس

المعلم والقدوة



كم أسعدتني وأثلجت صدري تلك الآراء التي تضمنها العدد 223 حول موضوع التعليم، وهو ما يدل على أن هذا الموضوع استحق الاهتمام بين الأخوة القراء على اختلافهم. وأود أن أعلق على بعض النقاط التي ذكرها الأخوة الذين أدلوا بآرائهم.

فالأخ رامز علي أصاب عين الحقيقة عندما ذكر أن معظم الفتيات يأتين للمعهد وكأنهن مدعوّات لحفل زفاف، وفي رأيي أن المسؤول الأول عن ذلك هو الإدارة في المعهد، فلو أنها اتخذت أساليب صارمة حيال هذا الأمر لردعت كل فتاة فكرت مجرد تفكير بوضع الزينة والتبرج؛ لأن السبب الأول والأخير من انتسابها للمعهد هو العلم والاستعداد لحمل أغلى أمانة ستوضع في عنقها، ولو أمضت الوقت الذي تصرفه في التزين على مراجعة فقرة من مقررها لزادها شرفًا وجمالاً وحسنًا.

وأشكر الأخ شيخ موسى على دعوته للطلاب بالتمسك بكتاب الله، وهذا من الأمور الواجبة؛ لأن معانيه تدخل في كل المجالات والاختصاصات، وخاصة اللغة العربية عندما نستعين به بذكر أدلة على بعض مواضيع القراءة أو النصوص، والأهم عندما نستعيض عن الجمل العادية بآيات قرآنية في دروس القواعد.

وبالنسبة لطرقه موضوع ترك التلاميذ للمدرسة فهذا يعود للتلميذ نفسه، فإن كانت نسبة الذكاء عنده ضعيفة تمنعه من الاستمرار في المدرسة فلامانع من تعلم مهنة أو حرفة يهواها، لأن المجتمع بحاجة إلى الطبيب والممرض والمهندس والعامل، وكل منهم مكمل للآخر.

كما أؤيد الأخ عبدالله العمر رأيه في إلغاء معاهد إعداد المعلمين، وقيام المدرسين المختصين بالتعليم في المرحلة الابتدائية. أما انحيازي للمعلمات ـ على حد قوله ـ فهذا صحيح، فأنا لم أشأ الخوض في كل ما يخص المعلمين والمعلمات، وأعتقد أن رد الأستاذ المحرر كان كافيًا.

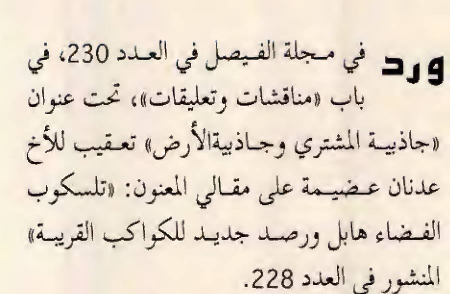
إن السلب والإيجاب مجتمعان في العملية التربوية، وكم نكون سعداء حين نرى المعنيين بهذا الأمر قد سمعوا صرخاتنا، وباشروا بردع المسيء إلى شرف المهنة. فالمعلم هو الذي يبني الطالب، وهو الذي يهدمه. وكم من طالب كره مادةً ما بسبب أستاذها، وكم من طالب تمنى أن يكون معلمًا من كثرة إعجابه بمعلمه، وكل معلم ومعلمة يستطيع بأسلوبه الخاص جعل الطالب في قمة الاستعداد لما سيشرحه له.

ولي سؤال عام:

لقد قرأت في قصة غادة كربلاء لجرجي زيدان أن الذي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو «شمر بن ذي الجوشن».

وقرأت ـ مؤخرًا ـ في مجلة العربي أن الذي قتله هو «سنان بن أنس»، وأجهز عليه «خولة بن بريد الأصبحي» فأي الروايتين أصح؟

فادية العمر
صوران، حماة
سورية



جاذبية المشتري وجاذبية الأرض



ورد في مجلة الفيصل في العدد 230، في باب «مناقشات وتعليقات»، تحت عنوان «جاذبية المشتري وجاذبية الأرض» تعقيب للأخ عدنان عضيمة على مقالي المعنون: «تلسكوب الفضاء هابل ورصد جديد للكواكب القريبة» المنشور في العدد 228.

ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا التعقيب، أود الإشارة إلى ما يلي:

ـ المقال المذكور أعلاه أجهدني كثيرًا نتيجة الاختزال الكبير للمادة العلمية الكثيرة، التي تم اختصارها في هذا المقال، لإعطائه حجمًا معقولاً، والتطرق إلى العديد من المعلومات العلمية.

ـ كان من نتيجة هذا الاختزال عدم الاستفاضة في الشرح عن موضوع اصطدام مذنب شوميكر ليفي ـ 9 بكوكب المشتري، ومن المعلومات التي تم اختصارها الاعتقاد السائد لدى المختصين بأن انجذاب المذنب إلى المشتري كان نتيجة مرور المذنب على مسافة نحو 100ألف كيلو متر من سطح الكوكب.

ونتيجة لهذا البعد الذي تم فيه الجذب فلايمكن اعتبار المذنب في هذه الحالة قريبًا من سطح الكوكب، ولايمكن تطبيق القوانين التي ذكرها المعقب، والتي تتعامل مع الأجسام القريبة من سطح الكوكب أو التي تسير عليه.

إن التعامل مع حالة كهذه يجب أن يرجع إلى قانون نيوتن للجاذبية، وليس اشتقاقه الذي ذكره المعقب، والقانون العام للجاذبية لنيوتن ينص على: كل جسيمين يجذب أحدهما الآخر بقوة تتناسب طرديًا مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيًا مع مربع المسافة بينهما.

والصيغة الرياضية للقانون:

$$F=\frac{m1\ m2}{r2}$$

حيث m1 كتلة الكوكب، m2 كتلة المذنب، وr البعد بينهما، وF قوة الجاذبية بينهما. وفي حالة اعتبار الموازنة بين جاذبية الأرض والمشتري، توازن قوة الجاذبية لكل منهما وببعد متساو للمذنب من الأرض مرّة ومن المشتري مرة أخرى، وهي المسافة نفسها التي انجذب فيها المذنب ودخل المشتري يصبح r قيمة ثابتة وكتلة المذنب ثابتة أيضًا.

ولكون الأخ المعقب يتفق معي في كون كتلة المشتري تساوي 318مرة كتلة الأرض، فإن قوة الجاذبية للمشتري على المذنب تتناسب مع 318 مرة جاذبية الأرض على المذنب، أي إن جاذبية المشتري في تلك الموازنة تساوي 318 جاذبية الأرض.

أما ماتوقعه الأخ المعقب من أن ذلك خطأ ناتج من ترجمة العبارة التي افترضها في تعقيبه، فمع الأسف لم أعثر على النشرة التي نقلت منها هذه النقطة لمرور مدة طويلة على إعداد المقال، كما أن النقطة نفسها مثار النقاش وردت في ترجمة أخرى عن الموضوع في مقال الأستاذ محمد عارف في الصفحة الأولى لجريدة الحياة الصادرة في لندن بتاريخ 1994/7/16م. ولكم وللأخ عدنان شكري.

م. سليمان قيس القرطاس
إدارة الكهرباء والاتصالات
الهيئة الملكية للجبيل وينبع

مات ابن مماتي وعاش قراقوش!!



قرأت في العدد 229 من مجلتنا «الفيصل» مقالاً تحت عنوان «قراقوش والوجه الضائع» للأستاذ إلياس قطريب.

وبداية، فإنّ لي عدة ملاحظات على المقال، وليس على كاتبه. فالكاتب قد طرق الحديث عن شخصية تاريخية ما يزال عامة الناس في مصر وفي بلادنا العربية يتندّرون بها لما سمعوه عما اتصفت به من الصلابة والصلف والتعسف، بل والحمق أحيانًا.. وقد أضاف كاتبنا إلى شخصية قراقوش أبعادًا جديدة. لكنه قد فاته ـ ليس عن عمد ودون قصد ـ أن يبين لنا العلاقة بين قراقوش وابن مماتي الذي كتب كتابه «الفاشوش». وأيضا لم يشر إلى

كتب أخرى تناولت هذه الشخصية، ومنها كتاب للسيوطي وكتاب آخر سمّي «الطراز المنقوش في حكم السلطان قراقوش»، وهي كتب تناولها المستشرق «كازانوفا» وبذل في تحقيقها جهدًا كبيرًا، وهي موجودة بدار الكتب المصرية.. وأيضا العلاقة التي تربط بين قراقوش وصلاح الدين الأيوبي.

وبداية نقول: إن مصادر التاريخ لاتكاد تذكر شيئًا وافيًا عن نشأة هذا الرجل؛ إذ كل ما يُعرف عنه أنه فتى رومي خصيّ ولد ببلاد آسيا الصغرى، ثم في ظروف غير واضحة اتصل بأسد الدين شيركوه، وكان هذا الضابط وأخوه نجم الدين أيوب في خدمة ملك عظيم من آل زنكي هو عماد الدين الملقب بالشهيد. ثم مات هذا الملك وخلفه في حكم الشام ولده نور الدين محمود، فقرب هذين الضابطين الأخوين، وانتفع بهما انتفاعًا عظيمًا، وفي دمشق تسمّى هذا الفتى الخصي باسم بهاءالدين ابن عبدالله الأسدي. وتسميته بابن عبدالله كناية عن أنه لايُعرف له أب مسلم. وأما وصفه بالأسدي فنسبة إلى أسد الدين شيركوه الذي لعله اشترى هذا الفتى بماله ثم أعتقه، أو لعله نسبه إلى نفسه ثم أعتقه لأنه أسلم على يده.

ثم مات أسد الدين واتصل الفتى بخدمة ابن أخيه صلاح الدين، وصار يدعى بهاء الدين بن عبدالله الأسدي الناصري. وبعد زوال الدولة الفاطمية على يدي صلاح الدين الأيوبي، دعا صديقه بهاءالدين قراقوش وزوده بأوامر لمواجهة الوضع الجديد، منها أن تزداد عنايته بالقصر، وأن يضاعف الحيطة لأهل الخليفة وذوي قرابته، وأن يعزل الرجال الفاطميين في القصر عن النساء لئلا يتناسلوا ويكثروا، فيساعد ذلك على أن يعيدوا الدولة الفاطمية من جديد. ونمت شوكة بهاءالدين وكبرت يومًا بعد يوم، حتى إن صلاح الدين وكل إليه الكثير من الأعمال الحربية والمنشآت المدنية، كان من أهمها إقامة الجسور وتطهير الترع وتشييد القلاع والأسوار المحيطة بالبلاد؛ لتقيها شر الغارات التي تأتي إليها من جانب الفرنجة تارة، والشيعة المنبثين في بقاع كثيرة تارة أخرى. ولعل أهم ما قام به بهاءالدين من ذلك قلعة الجبل التي بناها على قطعة مرتفعة تنفصل عن جبل المقطم، وما تزال في مكانها يعرفها الناس باسم قلعة صلاح الدين الأيوبي.

وكان قراقوش جنديًا مخلصًا، له شخصيته البارزة في الجيش، غير أنه كان ذا ميول حربية هندسية، عرفها السلطان صلاح الدين، فكان يؤثر أن يتركه لهذه الأعمال ويذهب هو إلى القتال ومعه قواده وأبطاله. من أجل ذلك لم نسمع أن بهاء الدين قراقوش قد اشترك في حرب للسلطان؛ إلا حين كان يدعوه السلطان إلى إقامة الأسوار ونحوها، فعندئذ لايجد الأمير بدا من الذهاب معه.

وتمر الأيام ويستولي صلاح الدين على حصن عكا، وكان سور المدينة قد تهدم من شدة القتال. فرأى السلطان أن يترك المدينة والحصن للأمير قراقوش ويذهب لامتلاك الحصون الأخرى قبل أن يجمع الفرنجة شملهم.. وبعد موت صلاح الدين الأيوبي توزع الملك بين أولاده من بعده؛ فكانت مصر من نصيب العزيز عثمان، وكانت دمشق وما حولها من نصيب الأفضل، وكانت حلب من نصيب الظاهر، أما بلاد الجزيرة والرّها وغيرها من البلاد الشرقية فمن نصيب عمهم العادل.

وتمضي السنون ويذهب العزيز بجيشه إلى دمشق وينيب عنه الأمير قراقوش؛ فقد سبق أن قام بهذه النيابة أيضًا في حياة صلاح الدين الأيوبي؛ ومعنى ذلك أنه كان أهلاً للثقة منذ نشأته.

من هذا العرض نجد أن شخصية بهاءالدين قراقوش كانت محلاً للثقة في البيت الأيوبي منذ عهد صلاح الدين الأيوبي وأولاده من بعده.

وهذه الشخصية هي التي جعلت الكتاب والباحثين والمؤرخين يتناولونها بالدراسة، حتى إن المستشرق كازانوفا كتب بحثا قيما في هذا المجال، وأشار فيه إلى أن هذه الشخصية قد تناولتها كتب كثيرة منها كتاب ابن مماتي المسمى بالفاشوش، وذلك في القرن السادس الهجري، وأيضا كتاب «الفاشوش في حكم قراقوش» لجلال الدين السيوطي، وهو منسوب إليه، وذلك في القرن



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

التاسع الهجري، ونسخة ثالثة مسماه بـ «الطراز المنقوش في حكم السلطان قراقوش»، وهي متأخرة عن النسختين السابقتين.

وقد بذل كازانوفا جهدًا كبيرًا في إزاحة التراب عن هذه الشخصية التي وَصَمَها العامة بالحمق والسفاهة والنذالة والغرور.. حتى إن الناس مازالوا في عصرنا الحاضر يصفون أي إنسان مستبد ومغرور بأنه قراقوش.

وقد قال ابن خلكان عن بهاءالدين قراقوش في ترجمة له: «والناس ينسبون إليه أحكامًا عجيبة في ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين، حتى إن الأسعد ابن مماتي له فيه كتاب لطيف سماه: الفاشوش في أحكام قراقوش، وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه»ا.هـ.

ويمضي ابن خلكان قائلاً في ترجمته: «والظاهر أنها موضوعة، فإن صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه، ولولا وثوقه ومعرفته وكفايته ما فوضها إليه».

فمن هو ابن مماتي؟ وهل هناك سبب دعاه إلى كتابة هذا الكتاب؟

ابن مماتي هو الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبو سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن قدامة بن مليح مماتي. ولد سنة 544هـ، من أسرة مسيحية بأسيوط من مدن الصعيد.. واشتهر الأسعد بالأدب، وأصبح من كبار أدباء مصر المعدودين، واتصل بالقاضي الفاضل زعيم النهضة الأدبية في وقته، وبالعماد الأصفهاني وغيرهما من فرسان هذه الحلبة. وكان القاضي الفاضل يقرِّبه من مجلسه ويطلق عليه لقب «بلبل المجلس». ولعل ابن مماتي توصل من طريق القاضي الفاضل لأن يكون في عهد صلاح الدين رئيسا لديوان الجيش، وبقي يشغل هذه الوظيفة الكبيرة طوال مدة العزيز، ثم لما ملك العادل مصر واتخذ فيها رجلاً عاتيا جباراً هو صفي الدين بن شكر وزيراً له خافه ابن مماتي، لما كان يصدر منه في حقه، فتركه وفرَّ بنفسه هاربا من القاهرة.

وبنظرة متأنية مدققة في كتاب «الفاشوش» نجد أن ابن مماتي قد نصَّ فيه على ما يأتي: «صنَّف كتابه لصلاح الدين عسى أن يريح منه المسلمين». وعند التدقيق في هذه العبارة نجد الإجابة الشافية عن سبب الحقد الدفين والبغض؛ بل الكراهية التي يكنّها ابن مماتي لبهاءالدين قراقوش.. ويرجع تاريخ تصنيف الكتاب إلى عهد صلاح الدين، وأن الحديث فيه موجه إلى هذا السلطان العظيم ضد صديقه بهاءالدين قراقوش.

وإن المرء ليعجب مع هذا كيف ظهر الكتاب في حياة صلاح الدين، وهي فترة شهدت عظمة الأمير بهاءالدين، وفيها رأينا كيف أسهم هذا الرجل في تقوية الدولة الأيوبية ببناء الأسوار والقلاع والحصون وإعداد المنشآت المدنية والحربية.. وإن المرء ليتساءل: إذا كان ما كتبه ابن مماتي صحيحا في بهاءالدين قراقوش من ضعف في العقل، وما اعتراه من سفه ونذالة وعدم حكمة وقلة حصافة.. إذا كان ذلك صحيحا فكيف وثق به صلاح الدين الأيوبي وكيف قَرَّبه إليه واطمأن إلى قدرته على تسيير دفّة الأمور في البلاد؟ أغلب الظن هو عدم مطابقة النوادر التي اشتمل عليها كتاب الفاشوش وبُعدها كل البعد من أخلاق قراقوش.. وإنما أراد ابن مماتي عن طريق ما يسمى السخرية في الأدب أن يسخر من هذا الأمير سخرية لاذعة لحقد وبغض وكره يعلمه الله. ولعل هذا الأمير كان قاسيا ومنصفًا، ولا ندهش أن يجمع بين القسوة والإنصاف؛ فقد يتصف المرء بالقسوة من أجل أن يسوس بالإنصاف والعدل، وهذه صفة قد لا تعجب الناس؛ وبالذات الذين يريدون للحياة أن تسير وفق هواهم وأمزجتهم!! وأيا كان الأمر، فإن الكتاب لم يؤثر في السلطان صلاح الدين، ولا عوّل على ما فيه رجل كالقاضي الفاضل، ولا رفع السلطان يد قراقوش من العمل الذي كلفه إياه.

ولم يُحدث الكتابُ أيَّ أثر في نفوس البيت الأيوبي على الإطلاق، وكل ما كان له من تأثير أن تشدَّق به العامة والخاصة في أحاديثهم وليالي سمرهم حتى عصرنا هذا بقولهم إذا وجدوا حكما ظالما: «هوَّ حُكم قراقوش!!». وتأتي أيام التاريخ لترد على ابن مماتي، ويصبح قراقوش علما على كل لسان، ولا يذكر الناس ابن مماتي إلا نادرًا وكأنما قد حُكِمَ عليه بالموت!

إبراهيم عبدالوهاب شرف
جامعة المنصورة، مصر

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:

السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٤٠ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيهًا - المغرب ٨دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٣٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنكًا - لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على نفسها جنت....



د. عبدالعزيز
بن إبراهيم السويّل

عندما تأسس الكيان العبري في فلسطين لم يكن هَمّ الصهاينة دينيًا؛ بل - على العكس - كان منظّرو الصهيونية وزعماؤها علمانيين. بل إن الصهيونية تشترك مع الشيوعية في كثير من الطروحات. وتسلل إلى الأدبيات الصهيونية مصطلح اليهود واليهودية، وعملت دوائر هذه الأدبيات على تذويب الجانب الديني وإضفاء الظلال السياسية والعرقية على المصطلح حتى لم يعد يعبر عن أية معان دينية، وانكمش ليقتصر على التعبير عن المعنى السياسي والعرقي. وفي ذلك أبلغ الدلالة على أن الأساس الذي نشأ عليه الكيان الصهيوني ليس دينيًا البته. وعندما صدر قرار بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود كان يستلهم هذا المعنى للمصطلح بشكل لا يدع أي مجال للتأويل، فاقترانه بكلمة قومي أو تميُّزه بها دليل قاطع على أن الأساس القومي هو الأصل، وأن الدين هو مجرد مصادفة تاريخية ميّزت هذا العنصر أو الشعب وصبغت حياته. ثم إن نشأة الحركة في أحضان الغرب المتحرر لتوه من سيطرة الكنيسة والدين بشكل عام، وتواؤم هذه النشأة مع ظهور الحركات اللا دينية في أوروبا يعزز الافتراض القائل بأن لا دخل للدين من قريب أو بعيد في ذلك. فالجو العام آنئذ جو إلحاد، والموجة السائدة وقتذاك لا تنحو منحى يشجع قيام حركات دينية لا تتوثب للوقوف على رجليها فحسب؛ بل تطمح - أو تطمع - إلى تسنم القيادة. ومايلمسه مستقرئ التاريخ اليهودي يعلم علم اليقين حرصهم على تبني السائد وركوب الموجة القادمة والتلون بحسب معطيات الحقبة، وإن بَقُوا على خططهم الثابتة.

وأخيرًا وليس آخرًا لا يعقل أن يكون المنحى الديني أساسًا لقيام الدولة الموعودة لليهود وأوروبا حديثة عهد بالصورة النمطية لليهودي الحقير، تلك الصورة البشعة التي جهد الصهاينة ردحًا من الزمن لتغييرها. ثم إن الاضطهاد النازي - بل الأوروبي بعامة - لليهود لم يكن على أساس ديني، وقد اكتوى بناره اليهودي المتدين وغيره على حد سواء كدليل على أن تعريف المصطلح لم يكن مقتصرًا على الجانب الديني له؛ بل ربما لم يكن يحتوي عليه أصلاً.

وهكذا مما تقدم يمكن الاستنتاج أن إسرائيل إنما قامت على أساس لاديني؛ أي غير يهودي، وأن الدين اليهودي ذاته إنما هو صبغة إضافية جاءت مع (البيعة الكاملة Packge deal)؛ وهي إلى جانب ذلك ملهاة للبسطاء من اليهود، على قلتهم، ولكن الحركة الصهيونية حرصت على الإمساك بكل طرف ومغازلة كل فريق. وعندما قامت الدولة بحث المؤسسون عن طابع خاص يميِّز اليهودي الذي عاش في الشتات أزمنة طويلة كانت كفيلة بسلبه الكثير من السمات المميِّزة له، وصهرته في المجتمعات التي استضافته خلالها حتى كاد ينقرض كعنصر متميز له سماته وصفاته القومية والعنصرية والثقافية؛ فهو أوروبي في أوروبا الغربية، وشرقي في أوروبا الشرقية، وأمريكي في أمريكا، وهسباني في أمريكا الجنوبية وعربي بين العرب وهكذا(1).

وهنا لم يجد المؤسسون بدًا من استصناع الثقافة العبرية بشقيها الديني واللغوي، فتبنى القوم الديانة اليهودية واللغة العبرية. وعانوا ما عانوا لإحياء تلك السمات وبعثها من مرقدها الطويل، حتى إنهم اضطروا لتبني اليديشية، وهي خليط من لغات أوروبا الشرقية والعبرية المكسرة لتكون أساسًا للغة الإسرائيلية الجديدة. وأصبحت القيادات الصهيونية الجديدة تعزف تارة على نغمة الوطن القومي لليهود، وعلى إحياء التراث الديني لليهود تارة أخرى، وعلى التميز اللغوي والثقافي لهم تارة ثالثة. والتركيز على أي من هذه يخبو ويعلو حسب السائد، ولكنها كلها متغيرات ثابتة أو ثوابت متغيرة وجاهزة للعمل حسب الطلب.

مالم يكن في حسبان القيادة الصهيونية أن السحر قد ينقلب يومًا على الساحر، وأن الديانة اليهودية التي كانت مجرد واجهة بالأمس قد تصدرت الساحة اليوم. بل إن التنامي العالمي لظاهرة الوعي الديني قد يشمل إسرائيل يومًا. والذي أحسبه أن حوارًا طويلاً قد احتدم بين المؤسسين الأوائل للدولة، ولعل منهم من تنبأ بالخطر الذي يمثله عتاة اليهود، وخاصة أولئك الذين فقهوا التاريخ وفطنوا لعنفوان الغلاة اليهود وتجبرهم على الله ثم على الخلق، وهم بلا شك يعلمون ذلك وإن لم يعلنوه ولكن الله غالب على أمره، وهو العالم البصير والمقدر القدير. استغل الغلاة رغبة الصهاينة في استقطاب الجميع وغفلتهم بالشحناء والجشع مع إنشاء الكيان الذي يحلمون به؛ فقاموا بإنشاء المراكز والمدارس التي أصبحت فيما بعد (مفارخ) للمتطرفين اليهود الذين بدؤوا يملؤون المدن الإسرائيلية، بل إن الحاخامات استغلوا تدليل العالم لليهود أو الصهاينة فتسابقوا لإنشاء تلك المدارس، ولم تلبث أن بدأت بتخريج الدفعات تلو الدفعات من طلاب الدراسات التلمودية الذين لا شُغلَ لهم ولا هَمَّ إلا التعصب والحقد الأسود. وظن الصهاينة أنهم بالإغداق على هذه المدارس وتشجيعها إنما يقوّون شوكتهم ويعاضدون حركتهم، ولم يعلموا أن هؤلاء سيكونون يومًا شوكة في حلوقهم قبل وخز غيرهم. ولكم يعجب المرء من عدد المدارس والجامعات التوراتية في بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث لا يمكن أن يعقل أحد أن الهدف منها هو مجرد إيجاد العلماء المتفقهين في الديانة اليهودية والدراسات التلمودية لمجرد الإبقاء على الشخصية اليهودية، أو للقيام بواجب يكفي فيه القلة ويسقط عن الباقين. بل لكم عجبت من انتشار ذوي الرداء الأسود والخصائل الطويلة المتدلية على الأكتاف واللحى الكثة والقبعة الكبيرة السوداء في مدن نيويورك وبوسطن ولندن وباريس. وتعجبت من عدد مدارس الياشفا التي تكاد تعادل المدارس المسيحية الكنسية بل تزيد عليها أحيانًا. ناهيك عن المدارس والجمعيات والأحزاب الموجودة داخل إسرائيل نفسها.

لقد تنبه الصهاينة متأخرين إلى هذا الخطر الداهم المحدق بهم، حتى إن ليحا رابين زوجة رئيس الوزراء المقتول عبَّرت عن رهبتها الشديدة من أولئك، واعتبرت أن العرب والمسلمين أرحم منهم. وبدأ شعب إسرائيل فعلاً يحس بهذا (البعبع) القابع خلف بزّته السوداء، المتخفي بقبعته السوداء العميقة، وأن ذلك البارود الذي جهد قادته في تكوينه أزمانًا قد ينفجر قريبًا مدويًا في سماء أرض اغتصبوها من أهلها، ليشتت شملهم فيعيد التاريخ نفسه مرة أخرى ويحق الله الحق. وهكذا سيخرب اليهود مدنهم بأيديهم، ويُهدِّمون بيوتهم على أنفسهم ولا يعلم جنود ربك إلا هو. إذ ربما كان من حكمة الباري جل وعلا أن يسود الحقد والضغينة بينهم بعد أن عجز المسلمون أو لم يرد لهم الله أن يقوموا بذلك.

والواقع أن توافق ظاهرتي تعلُّق العلمانيين من اليهود بالسلام واتخاذهم لمسيرته نغمة لنشاطهم السياسي، وتشنج الغلاة من المتديِّنين اليهود قد يكون معادلة ملائمة لتفجير البارود. وبذلك يسخّر الله أعداءه لغير ما قصده أعداؤه، فيُهلكُ بعضهم بعضًا، ويكفي الله المؤمنين قتالهم. وما الشرارة التي انطلقت مع رصاصة ذلك الشاب اليهودي إلا دليل على أنه لا مستحيل، وأن تدبير الله فوق كل تدبير، وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.